منبر الإسلام

العدد ٧ – السنة ٢١ – رجب ١٣٨٣ – ديسمبر ١٩٦٣

الثمن ٥ قروش

مِنبر الإسلام

مجلة الثقافة الإسلامية

يصدرها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

فى غرة كل شهر عربى

رئيس التحرير محمد توفيق عويضه

رجب ١٣٨٣

ديسمبر ١٩٦٣

العدد ٧ السنة ٢١

بسم الله الرحمن الرحيم

من محتويات العدد

● معالم الطريق

● زعماء العالم الاسلامى فى القاهرة

● حديث مع سفير ليبيا

● ميشيل عفلق يجترىء على مقام سيد المرسلين — فضيلة الشيخ محمد محمد المدنى

● الاشتراكية فى الاسلام — للاستاذ حسن كامل الملطاوى وكيل وزارة الخزانة

● أساليب القسم فى اللغة وفى القرآن الكريم — الدكتور أحمد الحوفى

● كلمات للحق .. الاستاذ البهى الخولى

● فقهاء الأندلس وكتب الغزالى — الدكتور عبد العزيز الأهوانى

● الدين وعلم الاقتصاد — الاستاذ عيسى عبده

● الوشيجة الخلقية بين الله والناس — فضيلة الشيخ عبد اللطيف السبكى

● رحلتى الى تونس — فضيلة الشيخ منصور رجب

● الامام الشافعى والفكر اليونانى — الدكتور عبد الحليم محمود

● قصة العدد — المرأة المسلمة — أنت تسأل والمفتى يجيب — مع القراء

الاشتراكات عن سنة

٥٠ قرشا فى الجمهورية العربية المتحدة
٤٠ قرشا للعمال والطلبة
يضاف الى هذا قيمة البريد
خارج الجمهورية العربية المتحدة
وما يساوى
هذه العملة من البلاد الاخرى

الاشتراكات تدفع مقدما

تقبل كوبونات البريد الدولى
ذات القرشين

العنوان
٣ شارع الأمير قدادار المتفرع
من شارع التحرير بالقاهرة
ت ٣٣٩٥٦

معالم الطريق .....

خطاب الرئيس جمال عبد الناصر

فى الفوجين السابع والثامن

من أبطال القوات المسلحة العائدين من اليمن

يوم الثلاثاء ٢٢/١٠/١٩٦٣

أيها الرجال ..

مرحبا بكم على أرضكم الحبيبة .. أيها الرجال .. مرحبا بكم على أرضكم الحبيبة ، وأعلام النصر فوقكم عز لوطنكم كوطن ولكم كطلائع للانسان العربى .

مرحبا بالقوة تتمثل فيكم .. مرحبا بالشباب .. مرحبا بالنصر واكبر من ذلك وأهم مرحبا بكم كرمز للمسئولية العظمى التى تحملها هذا الشعب مسئولية تجاه التاريخ وتجاه الحاضر وتجاه المستقبل .. مسئولية النصر أن نخرج من اطار الظروف القديمة لنبنى ونصنع ونكون أمة عربية قوية .. تقدر على صنع مستقبلها بالانسان ومن أجل الانسان .

وقفتم مع كل أمم الأرض الى الآفاق الرحبة التى تنتظر الانسانية كلها حيث السلام مع العدل .

مسئولية هذا الشعب

أيها الجنود ..

مسئولية هذا الشعب هنا فى مصر .. فى الجمهورية العربية المتحدة حقيقة حضارية ، وتاريخية ، وواقعية وقد تحملها الشعب دائما على مر السنين وعلى مر الأيام وهو يقدر أنه قادر على تحمل هذه المسئولية .. قادر على أن يسير فى طريق الواجب .. قادر على أن يسير فى طريق الشرف .. ولم تكن هذه المسئولية وليست هذه المسئولية هذا الشعب سببا بأى حال للاستعلاء .. ولكن هذه المسئولية هى مبرر للتفانى فى الخدمة .. وأنتم أيها الجنود .. أنتم ايها الرجال هنا فى هذه المدينة المجيدة وفى هذا اللقاء مع شعب السويس المجيد لقاء الجيش البطل مع الشعب البطل .. أنتم ايها الرجال الرمز الحى للتطلعات الهائلة للامة العربية تمثلون المثل الحى لقدرة هذه الامة على التطور وعلى الحركة . أنتم فى مهمتكم التى تقبلها هذا الشعب بايمان كبير وبشعور بالمسئولية بعد نكسة الانفصال التى كانت كطعنة توجه لامانى وآمال الامة العربية كلها، ولقدرة هذا الشعب فى مصر فى الجمهورية العربية المتحدة .

المد الرجعى

بعد نكسة الانفصال لم يتردد هذا الشعب .. ولم تتردد .. هذه الأمة .. فى أن تتحمل مسئوليتها كاملة فى مواجهة المد الرجعى حين ظن أعداء الأمة العربية .. انهم يحاصرون فكرة الثورة العربية هنا فى القاهرة . هنا فى مصر . خرجتكم انتم أيها الابطال .. ايها الرجال تدعيما لثورة اليمن الشقيق .. خرجتكم حين ظن أعداء الامة العربية .. أن المد الرجعى .. قد وجد طريقه للانطلاق ، بعد نكسة الانفصال .. خرجتكم لتدعيم ثورة الشعب اليمنى ، خرجتكم تشقون بقوة السلاح صفوف الحصار الذى أرادوا أن يضربوه علينا .. خرجتكم من أجل التضحية من اجل الفداء ، التضحية بالارواح ، التضحية بالدماء .. من أجل هدم القلاع المظلمة ، خرجتكم بدون تردد لمساندة ثورة الشعب اليمنى وزلزلت العروش المتآمرة مع الاستعمار . خرجتكم حين قدر هذا الشعب أنه لابد أن يتحمل مسئوليته كاملة .. ولابد أن يسير فى طريق الواجب .

أسلحة ضد القومية العربية

خرجتكم وكان المد الرجعى والاستعمار وعملاء الاستعمار يوجهون الينا هنا فى مصر كل الاسلحة التى يمكنهم أن يجمعوها ليصوبوها الى القومية العربية الى فكرة الوحدة العربية ، والى فكرة تحرير الوطن العربى ، والى فكرة تحرير الانسان العربى ، والى فكرة الثورة العربية من أجل الحرية والاشتراكية والوحدة .

خرجتكم .. ورفعتم السلاح تدافعون عن أهداف .. أهداف أمتكم ومثلكم مثل أمتكم والمبادىء العليا التى آمنتم بها .. فأثبتم اننا حينما ننادى بالمبادىء .. وحينما ننادى بالمثل العليا اننا نكون دائما على استعداد لان نضحى من أجل ان نضعها موضع التنفيذ.

بعد نكسة الانفصال

خرجتكم بعد نكسة الانفصال وأنتم ترفعون شعار مساندة الثورة اليمنية ضد مؤامرات الرجعية وضد المد الرجعى وضد مؤامرات الرجعية .

محترفو السرقات السياسية

أيها الرجال .. ليس يضيركم بأى حال من الاحوال أن بعض محترفى السرقات السياسية يقولون انهم تصدوا للمد الرجعى ..

أبدا هذا الكلام غير صحيح .. ان شعب اليمن تصدى بالثورة للمد الرجعى ليقضى على الرجعية فى اليمن ، وليزلزل أقدام الرجعية فى كل مكان من أرجاء الامة العربية .

وانتم أيها الرجال ، وهذا الشعب البطل تصدى بالقوة الثورية .. حتى يساند ثورة الشعب اليمنى .. تصدى بالسلاح ضد الرجعية التى أرادت أن تنقض على الشعب اليمنى وتسلبه حقه فى الثورة .. حقه فى أن يعمل حياته بنفسه .. حقه فى أن يحرر الوطن العربى وحقه فى أن يحرر الانسان اليمنى ..

(هتافات عاش جمال محطم الاستعمار) .

تصدوا للمد الرجعى

أيها الأبطال .. أيها الأبطال ..

أيها الرجال . ليس يضيركم أبدا أن محترفى السرقات السياسية يقولون انهم تصدوا للمد الرجعى ، لأننا .. ولأن الأمة العربية تعرف من الذين تعاونوا مع الرجعية ، ومن الذين ساندوا الرجعية ، ومن الذين تصدوا للمد الرجعى .

لقد تصدى للمد الرجعى السعوديون الاحرار الذين أبوا أن يسيروا مع الرجعية فى ضرب الثورة اليمنية ، هؤلاء الابطال الذين آثروا أن يسيروا فى طريق الواجب ، ورفضوا أن يعتدوا على شعب اليمن وعلى الثورة اليمنية بالسلاح .. فأتوا اليكم هنا الى هذه الامة ، الى هذه الارض ، قلعة العروبة بطائراتهم أعلنوا للعالم اجمع ان الشعب السعودى انما هو شعب حر .. وانه لايضن بالتضحية ولا يضن بالدم .. ولايضن بأى شىء فى سبيل السير فى طريق الواجب.. وكان طريق الواجب بالنسبة لهؤلاء الرجال الا يتصدوا لثورة الشعب اليمنى الحر ، فأتوا اليكم هنا بطائراتهم .

هؤلاء الابطال .. يعرف الشعب أنهم تصدوا للرجعية وتصدوا للمد الرجعى .

وأحرار الاردن تصدوا

أيها الرجال ..

ليس يضيركم أن محترفى السرقة السياسية يقولون أنهم تصدوا للمد الرجعى، لأن الامة العربية تعرف جيدا من الذى تصدى للمد الرجعى .

الاردنيون الاحرار ، الطيارون الاحرار الذين أتوا الى هنا بطائراتهم ورفضوا .. رفضوا بإباء وعزة وشمم الاباء العربى والعزة العربية ، والانفة العربية .. أن يتصدوا لثورة اليمن بالطائرات ، فتركوا من خلفهم نساءهم وأولادهم وعائلاتهم وحضروا الى القاهرة وهم يعرفون أنهم بذلك يسيرون فى طريق الواجب نحو أمتهم العربية ونحو الوطن العربى الكبير .

أيها المواطنون ..

كلنا نعلم من الذى كافح فى سوريا . ومن الذى كافح فى العراق . فى وقت نورى السعيد ، وفى وقت عبد الكريم قاسم وفى وقت الانفصال .

فى وقت الانفصال خرج الشعب فى سوريا يكافح ، خرج الشعب فى سوريا يتصدى للرصاص ، وخرج الشعب فى سوريا وهو لايهاب السجون . وكافح الانفصال منذ أول يوم من أيام المد الرجعى الانفصالى . خرج الشعب فى العراق يكافح الردة التى أعلنها عبد الكريم قاسم وضحى الشهداء .. ضحى الطبقجلى . وضحى الشواف . وضحى الحاج سرى .. وضحى العدد الكبير من الضباط بأرواحهم وأنفسهم ودمائهم من أجل المثل العليا ، ومن أجل المبادىء .

سوريا قاومت الانفصال

خرج الشعب فى سوريا يقاوم الانفصال ويقاوم المد الرجعى ، وخرج الشعب فى العراق يقاوم الردة التى أعلنها عبد الكريم قاسم . وخرج الجيش فى العراق يقاوم الردة التى اعلنها عبد الكريم قاسم .

اننا نعلم جيدا من هم الذين تصدوا للرجعية ، واننا نعلم جيدا من هم الذين أيدوا الرجعية ، ومن هم الذين أيدوا الانفصال ..

أيها الرجال .. حتى ٨ مارس فى سوريا، وان جاءت متأخرة من تراجع المد الرجعى . فان الذين يدعونها الآن لأنفسهم ، لم يكونوا هم القائمين بها . الذين قاموا يوم ٨ مارس ضد الرجعية .. وضد المد الرجعى فى سوريا ، كلهم الآن اما فى السجون واما فى المنفى .. كل الذين قاوموا الانفصال .

كل الذين تصدوا للمد الرجعى ، ودخلوا السجون فى وقت الانفصال ، هم الآن اما فى السجون مرة اخرى ، واما فى المنفى ، بعد أن طاردهم الحكم الذى سرق هذه الثورة ، والذى سرق هذا النضال ..

وأن الذين وقعوا عريضة الانفصال فى يوم الانفصال وكلنا نعرف أن هذا الانفصال .

كان ذروة نجاح الرجعية ، هؤلاء هم الذين يتربعون على كراسى الحكم فى سوريا ، الذين أيدوا الانفصال ، والذين وقعوا عريضة الانفصال ، ولايمكن ان نتصور ابدا أيها الرجال ، كيف يمكن أن يتصدى من وقع عريضة الانفصال ، ومن اشترك بالوزراء مع حكم الانفصال .. للمد الرجعى .

لايمكن للبعثيين أن يخدعوا الامة العربية

حزب البعثيين الذى عمل ضد الوحدة منذ أن قامت الوحدة فى سنة ٥٨ ، وتعاون مع الرجعية بعد الانفصال ، ووقع وثيقة الانفصال ، الذى يدعى الآن ، يدعى اليوم ، أنه كان يتصدى للرجعية .. ولايمكن لحزب البعثيين أن يخدع الامة العربية ، لأن الامة العربية ، والشعب السورى ، على وجه الخصوص .. يعرف من الذين دخلوا السجون فى وقت الانفصال ، ومن الذين دخلوا السجون فى وقت المد الرجعى من الذين وقعوا وثيقة الانفصال ، ومن الذين اشتركوا فى الحكم مع الرجعية ، حينما حكمت بعد أن حققت الانفصال .

ان حزب البعثيين الذى يحاول اليوم أن يدعى لنفسه أنه تصدى للمد الثورى ، يعرف حقيقة الشعب العربى فى كل وطن عربى ، أن الذين سرقوا .. ان الذين سرقوا هذه الثورة ، بعض محترفى السياسة ، بعض محترفى السرقات السياسية ، الذين يقولون أنهم تصدوا للمد الرجعى ، يكشفهم الشعب العربى .. وفى سوريا يكشفهم الشعب السورى .

السرقة قديمة فى التاريخ

ومع ذلك أيها الاخوة فالسرقة قديمة فى التاريخ الانسانى ، الذين لايستطيعون الحصول على مايريدونه بالنضال الشريف .. يخطفون مايطمعون فيه من أيدى غيرهم ، غصبا ، أو غدرا ..

وهذا هو حال حزب البعثيين الذى تعاون مع الرجعية بعد الانفصال، من أجل أن يحصل على مايريد ، فلما لم يتمكن ادعى انه كان يتصدى للرجعية ، ثم بعد هذا ، بعد ٨ مارس ، رتب ، وخطط ، حتى يحصل على مايريد ، غدرا .. وبالوسائل اللا اخلاقية .

هذه الانحرافات !!

أيها الرجال ..

ان هذه الانحرافات، ابتلى بها الوطن العربى على مر السنين ولكن الامة العربية استطاعت أن تثبت أصالتها ، واستطاعت أن تفرض طبيعتها ، فكانت دائما تتخلص بوسائلها من المنحرفين ، من الغادرين ، من الذين يتبعون الأساليب اللا أخلاقية من الذين يحاولون بكل الوسائل أن يتسلطوا ويتحكموا باتباع الاساليب الفاشستية ، من الذين أرادوا أن يعلقوا صوت الارهاب فوق رقبة ، وفوق رأس الامة العربية ، لقد جربت الامة العربية دائما كل الوسائل التى يريد حزب البعثيين اليوم أن يفرضها على شعب سوريا ، وأن يفرضها فى العراق ، ولكن الامة العربية استطاعت بوعيها واستطاعت بقدرتها واستطاعت بصلابتها أن تقضى على كل هذه الاساليب فى الماضى .. وهى قادرة اليوم بوعيها واصالتها وصلابتها أن تقضى على الحكم الفاشستى .. أن تقضى على حكم الارهاب .. أن تقضى على حكم المذابح .. ان تقضى على حكم السجون .. أن يقضى على الحكم اللا أخلاقى .. لأن الامة العربية لاتقبل بأى حال من الاحوال أن يحكمها أناس يدعون المبادىء وهم منها براء .. يحكمها أناس صمموا أن يسيروا فى طريق مبنى على أساليب الغدر وعلى الاساليب اللا أخلاقية

الامة العربية قادرة مهما ظن حزب البعثيين أنهم قادرون بارهابهم وبسفكهم للدماء وبملء السجون بالوحدويين الاحرار ..

التخلص من الفاشستية

الامة العربية قادرة على أن تخلص نفسها من حكم الفاشستية .. من الحكم والمنحرف .. من حكم الارهاب من حكم المذابح .. من حكم السجون ..

الأمة العربية قادرة على ان تفرض ارادتها ..

الشعب قادر بأغلبيته على أن يفرض ارادته على الاقلية المتآمرة التى تريد التسلط ، والتى تريد أن تتحكم .. والتى تريد أن تفرض الارهاب ... الشعب قادر على أن يحقق أهدافه وقادر على أن يحقق آماله .

أيها الرجال أننا جابهنا فى الماضى أحكام .. (تصفيق) جابهنا فى الماضى هنا منذ عام ٥٢ الاستعمار ، الاستعمار .. والرجعية المتعاونة مع الاستعمار ، ولكنا كنا نعلم أن الواجب .. طريق الواجب يحتم علينا أن نتصدى لهؤلاء الناس ٠

عملوا المستحيل ضد المبادىء التى أعلنت هنا بعد ٥٢ ، عملوا المستحيل ضد الاهداف التى أعلناها هنا بعد عام ٥٢ .. عملوا كل مافى قدرتهم وكل مافى قدرة أسيادهم المستعمرين ولكنا كنا على ثقة من نصرنا ٠

انتصرنا فى مواطن كثيرة

انتصرنا حينما واجهنا الرجعية العربية الحصار .. حينما واجهنا احتكار السلاح حينما واجهنا الحصار الاقتصادى .. حينما واجهنا الضغط السياسى .. وحينما واجهنا عدوان اسرائيل ..

انتظرنا حينما واجهنا الرجعية العربية متمثلة فى نورى السعيد ، وحين قامت ضدنا محطات سرية للاذاعة لم يلتفت اليها الشعب العربى ، لانه كان يعلم أن هذا هو أسلوب الاستعمار ، وأعوان الاستعمار . ثم بعد هذا واجهنا العدوان المسلح .. لم نخف ، ولم نتردد أبدا ، ولم تنخلع قلوبنا ، حينما وجهوا الينا الانذارات .. ولكنا صممنا على أن نسير فى طريق الواجب وطريق الشرف ونحمل السلاح دفاعا عن أرضنا ودفاعا عن بلدنا .. ودفاعا عن شرفنا ودفاعا عن حقنا فى الارادة الحرة ٠ ورفعنا السلاح وخرجنا جميعا .. خرج هذا الشعب الطيب . خرج هذا الشعب المكافح .. خرج هذا الشعب المقاتل .. خرج هذا الشعب الذى استمر على مر السنين يحمل المبادىء الأصيلة فى روحه ، وفى دمه ٠٠ وفى قلبه وتصدى لعدوان بريطانيا وعدوان فرنسا وعدوان اسرائيل .. ولم يقبل بأى حال من الاحوال أن يخضع لشروط الاستسلام .

وكان القتال هو سبيلنا .. وكان القتال هو طريقنا .. لانه كان الطريق الوحيد الذى يعبر عن طريق الشرف وطريق الحرية وطريق الكرامة .

سرنا في طريقنا

لم نتردد أبدا أيها الاخوة حينما واجهنا بعد هذا الحرب النفسية والحرب الاقتصادية بعد ان انتصرنا فى حرب السويس فى معركة بور سعيد ٠٠ وبعد ان ارتد الغزاه ، مدحورين عن بلادنا .. وبعد أن أصبحنا على ثقة من قدرتنا على أن نحقق الارادة الحرة ، بين ربوع وطننا .. بعد هذا سرنا .. لم نلتفت للحصار الاقتصادى ، ولم يرهبنا الحصار الاقتصادى ٠٠ ولم ترهبنا ايضا المعارك النفسية ٠

١١ محطة سرية

فى يوم من الايام كان فيه حداشر محطة سرية بتذيع ضدنا .. حداشر محطة سرية بتذيع ضد نظام الحكم فى الجمهورية العربية المتحدة .. بريطانيا كان لها محطات سرية وفرنسا كان ليها محطات سرية ..

وكان فيه محطات سرية بتذيع من تركيا .. وكان فيه محطات سرية بتذيع من العراق .. وكان فيه محطات سرية بتذيع من عدن .

كلنا نعرف ان كان فيه حداشر وبعدين نقصوا بعد كده .. بقى فيه تسع محطات ثم راحت هذه المحطات بدون أن تؤثر أى تأثير فى نفسية هذا الشعب ٠٠ لماذا ٠٠؟

الشعب يعرف ...

لان هذا الشعب الواعى يعرف ما هى أهداف الاستعمار وما هى أهداف أعوان

الاستعمار .. هذا الشعب الواعى يعرف أين هو طريق الشرف ، وأين هو طريق التضحية ، وأين هو الطريق الذى يجب أن نسير فيه ، وآثر وصمم على أن يسير فى هذا الطريق .. لم تنفع المحطات السرية ولم تنفع المحطات النفسية .

محطة سرية فى بغداد

فاذا كان حزب البعثيين اليوم ، يقيم محطة سرية فى بغداد لتهاجمنا هنا فى الجمهورية العربية المتحدة ، فاننا نقول لهم : لقد حاول الاستعمار من قبلكم ، وحاول أمثال لكم من قبل ، مثل نورى السعيد ، عميل الاستعمار ، ومثل عملاء الاستعمار كلهم ، أن يسيروا فى هذا الطريق ..

فماذا كانت النتيجة ..؟

كانت النتيجة ، ان انقلبت هذه الاسلحة عليهم لانها كشفتهم .. ان المحطة السرية التى توجه من بغداد ضد الجمهورية العربية المتحدة ..

ماذا تذيع هذه المحطة ..؟

انها تكرر ما كانت تذيعه محطات الاستعمار فى سنة ٥٦ وفى سنة ٥٧ وفى سنة ٥٨ وفى سنة ٥٩ .

ان هذه المحطات انما تنطق باسم الاستعمار وان هذا العمل انما يدل على أن هناك فى حزب البعثيين من هم عملاء الاستعمار ، باعوا شرفهم وباعوا عروبتهم وباعوا وطنهم وتآمروا مع الاستعمار ، حتى تصدوا للمبادىء التى قاومنا فى سبيلها أكثر من اتناشر سنة ، المبادىء التى آمنتم بها ، والتى آمنت بها الامة العربية ..

عمر البعثيين قصير

وان هذا أيها الاخوة المواطنون ان دل على شىء انما يدل على أن عمر حزب البعثيين قصير لانهم يسيرون فى الطريق الذى يكشفه الشعب العربى بسرعة .. الطريق الذى يستطيع الشعب العربى أن يكتل نفسه وأن يكتل قواه حتى يقضى على من يسير ضد ارادة الامة العربية ومع ارادة الاستعمار ومع ارادة الصهيونية ، ضد مبادىء الامة العربية .. ومع المبادىء التى رفعها هؤلاء الذين حاربونا فى سنة ٥٥ ، حينما قاومنا احتكار السلاح ..

وفى سنة ٥٦ حينما قاومنا الاحتكار وأعلنا تأميم قنال السويس فى سنة ٥٦ حينما رفضنا الانذارات وحينما صممنا على أن تكون ارادتنا ارادة مستقلة ..

يذيعون من محطة سرية

اننا نقول لحزب البعثيين ايها الابطال .. انكم أبطال فى هذا الطريق وان الشعب العربى رفع المبادىء العليا ودافع عن هذه المبادىء فاذا كنتم تذيعون اليوم فى محطة سرية ضد المبادىء التى عملنا من أجلها وضد المبادىء التى عملنا من أجلها طوال عشر سنين أو أكثر فان الشعب العربى سينظر اليكم بسخرية وسيتكتل لينقض على هذه الاقلية .. اقلية البعثيين التى تنكرت للمبادىء والتى اتبعت الاساليب اللاأخلاقية والتى اتبعت أساليب الغدر والتى وضعت الوحدويين فى السجون والتى ضربت المناضلين وقتلتهم وسفكت دماءهم .. ان الشعب العربى يعرف من هم هؤلاء الناس .

يتنكرون بالشعارات

وان الشعب العربى لن يترك لهم هذه الفرصة ولن يترك لهم الفرصة أبدا ليلعبوا دورا جديدا يتنكرون فيه بالشعارات البراقة .. الشعارات التى تعلن للاستهلاك المحلى .. شعار الحرية .. ما هو شعار الحرية بالنسبة لحزب البعثيين ؟

شعار الحرية بالنسبة لحزب البعثيين هو السجون والقتل والمحاكمة بدون دفاع ، والاعدام ..

شعار الحرية بالنسبة لحزب البعثيين هو ان يحرم الشعب من كل الحرية وتترك الحرية لحزب الاقلية .. حزب البعثيين فقط ..

شعار الحرية لحزب البعثيين هو أن تكون المغانم للبعثيين وتكون الفرص للبعثيين ، وتكون المساواة للبعثيين ، أما باقى الشعب فيحرم من المساواة ويحرم من حقه فى الحياة ويحرم من حقه فى العيش ويحرم من حقه فى العمل .. هذا هو شعار الحرية بالنسبة لحزب البعثيين .. هذا هو شعار

الحـرية بالنسبة لهـؤلاء الساسة الذين احترفوا سرقة الشعارات واحترفوا سرقة المبادىء والذين آمنوا بأن سبيلهم الى تحقيق تسلطهم هو السبيل اللا اخلاقى ..

الذين يسيرون فى طريق الاستعمار يحققوا أهداف الاستعمار فى وضع شرق البحر المتوسط داخل مناطق النفوذ الاستعمارية .

كشف حزب البعثيين

ان الشعب العربى استطاع ان يكشف نورى السعيد .. والشعب العربى استطاع أن يكشف عبد الكريم قاسم .. والشعب العربى استطاع أن يكشف أعوان الاستعمار جميعا .. والشعب العربى استطاع اليوم ان يكشف حزب البعثيين وأساليب حزب البعثيين .. استطاع أن يكشف حزب البعثيين انما يتحالف مع أعداء الامة العربية كلها ، لا لسبب من الاسباب الا لشفاء حقد فى نفسه وهو التصدى للجمهورية العربية المتحدة ، كما تصدى لها الاستعمار من قبل وكما تصدى لها أعوان الاستعمار ..

ان حزب البعثيين يتحالف اليوم مع الاستعمار ومع أعوان الاستعمار ، حتى يكرر ما قام به نورى السعيد فى الماضى ، وما قام به عبد الكريم قاسم فى الماضى ، ولكن هل هذا يسير مع أهداف الامة العربية ؟!

أبدا أيها الرجال .. ان الامة العربية أقوى من كل الانحرافات .. ان الامة العربية أقوى من كل الاساليب اللا اخلاقية .. أن الأمة العربية أقوى من كل أساليب الغدر ان الأمة العربية قادرة أيها الأخوة على ان تشق طريقها لترفع مبادئها الأخلاقية ولترفع شرفها ولتسير فى طريق الشرف ولترفع المبادىء العليا التى نادت بها وعملت من اجلها ..

دور القوة لرد المد الرجعى

أيها الرجال :

كان دوركم منذ عام .. كان دوركم هو دور القوة من أجل رد المد الرجعى بقوة السلاح لان المد الرجعى كان يمكن له أن يضرب ثورة اليمن اذا انفرد بها .. ولكن هذا الشعب المناضل هنا فى مصر .. شعب الجمهورية العربية المتحدة ادرك بوضوح ان سلامة الثورة العربية لا تتجزأ ..

الثورة الحقيقية .. اذا ضربت ثورة اليمن العربية فى اليمن ، فان الثورة الحقيقية تضرب هنا واذا ضربت الثورة فى الجزائر ، فانها تضرب أيضا فى اليمن .. لقد أدرك أيها الاخوة .. لقد أدرك أيها الرجال ، هذا الشعب الواعى .. هذا الشعب المكافح .. هذا الشعب الذى تحمل المسئولية ، أدرك بوضوح أن سلامة الثورة العربية لاتتجزأ.. وصمم على ان يأخذ مسئوليته كاملة وعلى هذا الاساس سرتم فى طريقكم تحملون السلاح وتتصدوا للرجعية التى أرادت أن تقضى على ثورة اليمن والتى أرادت أن تقضى على حق اليمن فى الثورة .

وكان ضرب الرجعية الذى قمتم به أيها الرجال البواسل .. ضرب الرجعية فى اليمن هو الذى مكن القوى التى تحملت ٨ فبراير و ٨ مارس فى العراق وسوريا من الحركة .

وبدون انتصاركم فى اليمن .. وبدون تصديكم للقوى الرجعية والمد الرجعى فى اليمن ، كانت حركة هذه القوى مستحيلة ولكن نصركم الساحق الذى لم يعد يجدى انكاره الآن حتى من أعدى أعدائكم ، هو الذى مكن لهذه القوى من أن تتحرك ..

نصركم الساحق الذى حققتموه فى بسالتكم وتضحيتكم وشجاعتكم .. والذى لم يعد يجدى انكاره الان حتى من أعدى أعدائكم .

حملات الدعاية المضللة

كلكم تعلمون حملات الدعاية المضللة التى نشروها وأعلنوها .. كم مرة أعلنوا ان قوات البدر . قوات الملكية على بعد ثلاثة كيلو من صنعاء !!

بعد اسبوعين قوات البدر تزحف على صنعاء !!

البدر يحاصر صنعاء .!

قالوا هذا وأعلنوا هذا .. قالوا ان قواتكم قد حوصرت !! قالوا اننا نريد قوة أجنبية لمساندتنا .!

كل هذا لا ينفع اليوم ..

لن ينفع أبدا . لا بد لهم أن يعترفوا بنصركم .. لا بد لهم أن يعترفوا ببطولتكم .. ولا بد لهم أن يعترفوا بالعمل المجيد الباسل الذى قمتم به .. لا بد لهم أن يعترفوا بأن قوتكم منعت الرجعية من أن تحقق أهدافها وان هذا الشعب الواعى تحمل المسئولية بدون تردد .. لم ينفع كل ما روجه الاستعمار وأعوان الاستعمار والرجعية العربية ضدكم ، لم يفط الحقيقة .. لم يطمس نصركم

عمر الكذب قصير

قالوا ان الجمهورية العربية تقوم بحرب ابادة فى اليمن ، وقالوا ان احنا بنصرف ٣٥٠ مليون دولار فى اليمن .. وقالوا ان احنا بنستعمل غازات سامة ..

ولكن عمر الكذب دايما قصير . لم يصدق العالم ولم يصدق الضمير العالمى ..

الدنيا اليوم تعرف الحقيقة .. تعرف أيها الرجال ، أنكم قمتم فى ظروف شاقة عصيبة ، وقمتم بعدد قليل فى أول الامر بمهمة شاقة ، عسيرة ، من أجل نصرة الثورة اليمنية .

لان هذا الشعب آمن أن الثورة العربية ثورة واحدة . وان سلامة الثورة العربية لا يمكن أن تتجزأ ..

الشعب يستقبلكم بفرحة

واليوم أيها الرجال ، يستقبلكم فى هذه المدينة هذا الشعب البطل .. شعب الجمهورية العربية المتحدة .. يستقبلكم بفرحة .. يستقبلكم أيها الابطال بقلبه ، وعرقه ، وروحه ، وحبه وايمانه بكم . بقواته المسلحة التى قامت يوم ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ لتاخذ دور الطليعة ، ومن أجل العدالة الاجتماعية ، يستقبلكم هذا الشعب الذى تسلح بالوعى ، والذى صمم على أن يتحمل مسئوليته كاملة ..

عودة ١٢ ألف جندى

اليوم أيها الابطال بعودتكم يكون قد عاد من اليمن ١٢ ألف جندى منذ أول الانسحاب .. نصف هؤلاء الجنود عادوا ونصف هؤلاء الجنود عادوا كفيار .. قبل أول الشهر يعود حوالى ٢٠٠٠ جندى ..

معنى هذا اننا نريد للسلام ان يستتب فى ربوع اليمن .. ولكننا كما قلنا نؤمن فى قلوبنا ونؤمن فى كل انفسنا ان سلامة الثورة العربية ، لايمكن أن تتجزأ واذا تعرضت اليمن لاى عدوان فاننا على استعداد لان نحمل السلاح مرة أخرى .

نساند اليمن ضد أى عدوان

هذا لا يعنى بأى حال اننا قد تركنا اليمن .. اننا نحتفظ فى اليمن بقوة قادرة على ان تفرض السلام وعلى أن تتصدى للعدوان وتهزم العدوان .. اننا نساند الشعب اليمنى ضد أى عدوان ، وضد أى تآمر

مسئولية خلاقة

أيها الرجال ..

ان المسئولية التى نحملها - مسئولية خلاقة .. مسئولية قوية ، قادرة على العمل سلما وبناء ، وقادرة أيضا على العمل بقوة السلاح . هذه المسئولية هى التى دعتنا أن نساند جميع الثورات العربية ..

ساندنا ثورة الجزائر .. منذ أول يوم لها أو .. قبل أول يوم لها ساندناها .. لان الشعب العربى .. هنا فى مصر .. كان يعرف اننا لابد ان نساند الشعب ضد الاستعمار ..

ومن أجل الحرية ساندنا ثورة الجزائر .. فى كفاحها .. ساندنا الشعب الجزائرى .. ساندنا هذا الشعب البطل .. وفى نفس الوقت ساندنا الشعب المغربى والشعب التونسى ..

حينما نفى الملك محمد الخامس من المغرب كانت (صوت العرب) هى التى تنادى فى كل يوم بأكبر حملة على الاستعمار .. وأعوان الاستعمار .. وتنادى بعودة الملك محمد الخامس الى بلده .. كنا هنا نناصر الثورة فى الجزائر ، والثورة فى المغرب وفى تونس ..

موقفنا دائما ضد العدوان ..

اليوم يعز علينا أن نرى الجزائر .. تتعرض للعدوان ... وأن نرى دولتين من

الدول العربية والدول الافريقية اللى همـا المغرب والجزائر .. فى أزمة عنيفة ..

فى مؤتمر أديس أبابا ، قررنا أن هنـاك مشاكل كثيرة للحدود بين الدول الافريقية .. وقلنا ان استخدام القـوة واستخدام السلاح لحل هذه المشاكل سينتج عنـه ان جميع الدول فى افريقيا ستحارب بعضها البعض .. ونادينا بعدم اسـتخدام السلاح فى حل مشاكل الحدود ومحاولة حل هـذه المشاكل بالمفاوضات ..

العـدوان على الجزائر

منذ أن بدأت أزمة العدوان على الجزائر ، حاولنا بكل الوسائل أن نحـل هـذه الازمة بالطرق السلمية .. وعملنـا بيان سلمى وتقدمنا باقتراحات فى الجامعة العربيـة .. وتقدمنا باقتراحات للجزائر وللمغرب ..

وأخيرا أرسلت أنا جـواب الى الرئيس أحمد بن بيللا .. وجواب لملك المغرب ..

(تصفيق)

عقـد مؤتمر قمة

من أجل عقد مؤتمر قمـة يجمـع ملك المغرب ورئيس الجزائر والدول القريبة من هذه المشكلة تونس ، ليبيا ..

واذا كانت الجمهورية العربيـة المتحـدة تستطيع أن تساعد .. احنا على استعداد أن نجتمع معهم حتى ننهى هذه الاوضـاع الموجودة .. التى يراق فيها الدم العـربى المسلم .. بواسطة عدوان عـربى مسلم .. ولا يمكن بأى حال من الاحوال أن يكون هذا الا خسارة على كل التضامن العربى .. وكل التضامن الافريقى ..

تقف ضد أى عدوان

أما رأينا فى المشكلة ..

فاننا نقف فى الوقت الذى نحاول فيـه بكل الوسائل أن نحل هذه المشكلة بالحلول السلمية القائمة على العدل .. نقف ضـد أى عدوان ..

واذا كانت الجزائر تتعرض للعـدوان .. فاننا ساندنا هذه الثورة .. دائما وساندنا هذا الشعب المكافح دائمـا الشعب اللى دفع مليون شهيد .. يجب ألا يسقط منه قتلى مرة أخرى بأيد عربية .. الشعب اللى دفـع مليون شهيد من أجل الحـرية ومن أجل الاستقلال بيد فرنسا .. كيف يتعـرض لعدوان عـربى .

مسئوليتنـــا

اننا ضد العدوان فى الوقت الذى نحاول فيه أن نحل هـذه المشكلة بكل الوسـائل السلمية . ونحن نتحمـل مسئوليتنا ، والمسئولية هنا كما قلت لـكم ، ان سلامة الثورة العربية لاتتجزأ . وسلامة الاشتراكية أيضا لا تتجزأ ، وسلامة الحرية لا تتجزأ ..

مهمتنا هنا فى الجمهورية العربية المتحدة ، مهمة هذا الشعب ، فى هذه القلعة المناضلة من أجل الحرية ، ومن أجل الاشتراكية ، ومن أجل الاستقلال ، ومن أجل المبادىء والمثـل العليا ، ما زالت أساسية ..

ونحن نتعرض لاننا نتحمل هذه المسئوليات .. نتعرض لاساليب مختلفة ..

راديو اسرائيـل يدافع عن البعث

اسرائيل مثلا ، مابتهاجمشى أبدا حـزب البعثيين ، اللى بيسـمع اذاعـة اسرائيـل أو بيقرأ اذاعة اسرائيل ، كل الهجوم هنا على الجمهورية العربية المتحـدة ، على شعب الجمهورية العربية المتحـدة ، على الجيش المصرى ، على القوات المسلحة المصرية ..

أما حزب البعثيين ، راديو اسرائيل بيدافع عنه .. لان طبعا راديو اسرائيل بيوجـه كل عداؤه لينا ، حزب البعثيين بيوجـه كل عداؤه لينا ، كل واحد فيهم بيقـول عـدو عدوى صديق ..

راديو اسرائيل بيوجه حملاته الينا ..

اسرائيل قاعدة العدوان

امبارح رئيس وزراء اسرائيـل .. ليفى أشكول بيعمـل حمـلة على مصر مبنية على الكذب ، حملة على بنائنا للصواريخ ، حمـلة على بنائنا للطائرات ، حمـلة لاننـا نستخدم فنيين المان ، ويقول : ان مصر قاعدة العدوان ومصر هى بتعمل الاسلحة وهو بهذا يريد أن يخدع الناس ، عايز يستغفل العـالم كله .

من هى قاعدة العدوان ..؟ من هى قاعدة الاستعمار فى هذه المنطقة .؟

اسرائيل كانت دائما قاعدة العدوان . سنة ٤٨ اسرائيل والاستعمار من ورائها ، كانوا قاعدة العدوان . بعد سنة ٤٨ كانت اسرائيل قاعدة للعدوان . اسرائيل التى تريد التوسع والتى تريد أن تستولى على حقوق العرب . فى سنة ٥٤ وفى سنة ٥٥ اسرائيل هى التى هجمت على غزة وقتلت الشعب الفلسطينى المسالم فى غزة . فى سنة ٥٦ اسرائيل اعتدت على مصر متواطئة مع بريطانيا وفرنسا ومع هذا يريد رئيس وزارة اسرائيل ان يضلل الرأى العام العالمى ، واعتبر ان الرأى العام العالمى ده كله مغفل . وهيصدق كلامه حينما ينادى ، ان مصر هى قاعدة العدوان ..

فلسطين ... فلسطين

اننا نعمل أيها الرجال .. (تصفيق) .. وانتم النهارده وانتم فى المركب الصبح .. وانتم جايين من معركة الشرف فى اليمن ، كنتم بتقولوا فلسطين .. فلسطين ..

ده النداء الى بينادى به كل عربى ، لان فيه عدوان حصل على فلسطين . ثم هناك عدوان تعرضنا له نحن ، وتعرضت له البلاد العربية الاخرى من اسرائيل ..

محاولات الصهيونية فى العالم كلها مركزة ضد مصر ..

فى أمريكا .. الصهونية علشان رحنا ساعدنا اليمن بتحاول تركز حملاتها ضد مصر . ولكنا سنسير فى طريقنا .. سنتحمل مسئوليتنا .. على أساس ان سلامة الثورة العربية لا تتجزأ ، وان ضرب اى ثورة عربية متحررة معناه ضرب باقى الثورات العربية المتحررة .

(تصفيق)

أيها الابطال .. مهمة هذا الشعب واننا نعلم ماتبيته لنا اسرائيل ، وما تبيته للامة العربية كلها ، وان احنا بنبنى نفسناوبنقوى نفسنا علشان نقوم بواجبنا ونسير فى طريق الواجب ..

لا بد من عودة حقوق شعب فلسطين ..

(تصفيق)

دعاية اسرائيل

هذا هو نداء رفعه العالم العربى دائما ، مهما مضى من الوقت .. لا بد لنا من أن نعيد حقوق شعب فلسطين الى شعب فلسطين . ولا بد أن نكون قادرين على أن نتصدى لقاعدة العدوان فى اسرائيل ..

اسرائيل بتعمل دعاية فى كل الدنيا ان احنا بنعمل صواريخ .. اسرائيل بتعمل صواريخ .. بتقول دعاية فى كل الدنيا ان احنا بنعمل طيارات ، اسرائيل بتعمل طيارات . اسرائيل بتعمل طيارات واسرائيل بتعمل صواريخ ، ولكن هم عايزين يعملوا همه طيارات وهمه عايزين يعملوا صواريخ ومش عايزنا احنا ابدا بأى حال من الاحوال نطور أنفسنا حتى نكون قادرين على التصدى لقاعدة العدوان وعلى اعادة حقوق شعب فلسطين الى شعب فلسطين .

(تصفيق) ..

بناء القاعدة

أيها الرجال .. مهمة هذا الشعب هى مهمة أساسية .. وفيه شىء أساسى لا بد أن نعرفه ، هذا الشىء الاساسى حتى نستطيع أن نقوم بمسئوليتنا ، وان نستطيع أن نقوم بواجبنا ، هو بناء القاعدة هنا ، هنا فى مصر ، هنا فى الجمهورية العربية المتحدة ..

اذا أغفلنا يوم واحد عن بناء هذه القاعدة وتدعيمها ، نكون دائما مهددين . اذن لا بد أن نبنى هذه القاعدة ولا بد ان القاعدة هنا ، وان نقطة الارتكاز هنا . وان المنطلق هنا ..

اذا أغلفنا أى يوم عن هذا ، نخطىء فى حق كل معاركنا .

عندنا مسئوليات كبيرة هنا ، فى هذه القاعدة فى مصر ، فى الجمهورية العربية المتحدة ، وهى بناء الجمهورية العربية المتحدة سياسيا واقتصاديا واجتماعيا ..

نحن نبنى البناء السياسى ، نحن الآن فى سبيل الانتهاء من تكوين جميع تنظيمات الاتحاد الاشتراكى الذى يمثل تحالف قوى الشعب العاملة الذى لايمثل دكتاتورية فرد

ولادكتاتورية طبقة ولا دكتاتورية شلة « تصفيق » ولا دكتاتورية عدد قليل من الناس وانما يمثل قوى الشعب العاملة ، العمال والفلاحين ، والمثقفين والجنود ، والرأسمالية الوطنية .

مجلس الامة والبرلمان

ونحن أيضا فى سبيل اقامة مجلس الامة ، اقامة البرلمان ، وقبل منتصف الشهر القادم .. نوفمبر ، سيصدر قانون بدعوة الناخبين الى انتخاب مجلس الامة ، والى تكوين البرلمان .. هيسيروا الخطوتين جنبا الى جنب ..

وبهذا نبنى البناء السياسى الكامل فى بلدنا ، وبهذا نحقق الحرية التى نص عليها ميثاق العمل الوطنى ، كل الحرية لهذا الشعب ، لا تفرقه بين ابناء الشعب ، كل الفرص لابناء الشعب ، جميع أبناء الشعب يمثلوا الاتحاد الاشتراكى العربى .

طبعا اقتصاديا هو تكملة للبناء السياسى واقتصاديا هذا العمل نسير فيه منذ أول يوم من أيام الثورة ..

النهارده نستطيع أن نقول اننا قضينا على الاقطاع ، وأيضا قضينا على الاحتكار وسيطرة رأس المال ، بكل التأميمات اللى حصلت ، اما فى الصناعة ، أو فى البنوك ، أو فى شركات التأمين ، أو فى التجارة ، أو فى القطاعات الاخرى .

وأيضا الادارة الذاتية ، النهاردة تقريبا نص مجلس الادارة حيكون من العمال المنتخبين ابتداء من الشهر القادم صدرت القوانين اللى تمنع فصل ، أو تأديب أعضاء مجلس الادارة المنتخبين من العمال ، أو أعضاء النقابات .. أصبح كل فرد فى هذه الامة يشارك فى بنائها ، اقتصاديا ، واجتماعيا .. العمال شركاء فى الارباح ، العمال شركاء فى مجالس الادارة ، العمال ، والفلاحين ، صغار الفلاحين شركاء فى الجمعية التعاونية ، البلد لاتخدم فئة أو طبقة ، والحكم لا يخدم فئة ، أو طبقة ، ولكن الحكم يتجه الى الشعب كله ..

قبل منتصف نوفمبر سيصدر قانون دعوة الناخبين الى انتخاب مجلس الامة الجديد ، على الاسس الجديدة ، وده ممكن نقول عنه ، ان هوه سيكون أول مجلس أمة فى الدولة الاشتراكية بعد تطبيق القرارات الاشتراكية بتاعت ٦١ ، وبعد تطبيق القرارات الاشتراكية بتاعت أغسطس اللى فات ، وبعد الحراسة اللى طبقت سنة ٦١ ، وبعد ماسرنا مشوار طويل من أجل تحقيق اذابة الفوارق بين الطبقات .

بالعمل والعلم

اجتماعيا : نبنى الجمهورية العربية المتحدة اجتماعيا بالسير فى طريق الثورة فى جميع المستويات وبالعمل وبالعلم أيضا فى جميع المستويات .. طبعا حتى نستطيع أن نحقق هذا المجتمع الحر .. حتى نستطيع أن نحقق هذا الانسان الحر . والوطن الحر .. لا بد أن نتسلح باليقظة والوعى والادراك لمسئوليتنا ..

احنا قادرين على أن نتحرك حركة سريعة ، ولما نتحرك حركة سريعة ، لا نتحرك وحدنا ، ولكن تتحرك معنا أمة عربية كاملة ، ومعها الشعب العربى المؤمن بالمثل العليا .

اننا أيها الرجال نأخذ أعباء الطليعة ده كلام صحيح .. ولكن دورنا يفرض علينا أن نأخذ عبء الطليعة .. وأنتم كنتم تمثلون هذه الطليعة حينما ذهبتم الى اليمن تحملون السلاح للدفاع عن ثورة اليمن وللتصدى للرجعية التى كانت تريد أن تنقض على ثورة اليمن وانتم بهذا لم تساندوا ثورةاليمن فقط .. ساندتوا ثورة اليمن وثبتوا ثورة يوليو ٥٢ هنا فى مصر اللى قمتم بيها واللى هدفتم من ورائها ان تخلقوا المواطن الحر والوطن الحر .

نتحرك مع التيار العالمى

أيها الرجال ..

اننا بهذا نتحرك حتما مع التيار العالمى الذى يطلب السلام والعدل . ومعنا أمم كثيرة تفهم طبيعة معاركنا وتمنحنا كل تأييدها .. اننا نتحرك مع التاريخ السائر فى اتجاه التقدم الانسانى فى كل صوره ..

هذا هو واجبنا .. وهذه مسئوليتنا ..

والله الموفق .. والسلام عليكم ورحمة الله.

زعماء العالم الاسلامى .. فى القاهرة

السيد الرئيس جمال عبد الناصر فى أثناء استقباله للسيد رئيس وزراء زنجبار والوفد المرافق لسيادته

السيد محمد شامامى
رئيس وزراء زنجبار .. والوفد المرافق لسيادته

رئيس وزراء زنجبار يقول :

- عبد الناصر زعيم بذل الكثير من أجل أفريقيا
- الجمهورية العربية .. تقدم جميع المساعدات إلى زنجبار .

استقبل الرئيس جمال عبد الناصر يوم ١٤ أكتوبر محمد شاماتى رئيس وزراء زنجبار والوفد المرافق له ويضم السادة : على محسن مردانى وزير الداخلية والعدل ، وجوما اليابارادى وزير الاقتصاد • واحمد عبد الرحمن بعلوى وزير الصحة ومولودى وشنجانا حاوجى وزير التعليم • وأحمد لامكى سكرتير السيد رئيس الوزراء • وحضر المقابلة السيد أنور السادات عضو مجلس الرياسة • وتناول الجميع العشاء على مائدة الرئيس جمال عبد الناصر • وحضر المقابلة السادة حسين الشافعى نائب رئيس الجمهورية وعضو مجلس الرياسة • ونور الدين طراف وأحمد عبده الشرباصى وكمال رفعت اعضاء مجلس الرياسة •

وقد صرح محمد شاماتى رئيس وزراء زنجبار ورئيس الوفد عقب مقابلة الرئيس جمال عبد الناصر بقوله : لقد تركت مقابلتنا للرئيس جمال عبد الناصر أطيب الأثر فى نفوسنا لانه زعيم بذل الكثير من أجل تحرير افريقيا •

وقال على محسن عضو الوفد : لقد استعرضنا مع الرئيس جمال عبد الناصر نتائج المباحثات التى أجريناها مع وزراء الجمهورية العربية المتحدة فى مختلف القطاعات •

واستطرد قائلا : وخلال زيارتنا للجمهورية العربية المتحدة التى استغرقت اربعة ايام لقينا من المسئولين فى الجمهورية العربية المتحدة استجابة تامة لكل ماعرضناه عليهم وأكدوا لنا أنهم سيقدمون لنا كل عون ممكن وخاصة ان زنجبار والجمهورية العربية المتحدة تربطهما علاقات قوية منذ عهد بعيد •

وأعلن ان الجمهورية العربية المتحدة ستوفد الى زنجبار خبراء فى جميع مجالات النشاط للاطلاع على الأحوال بها وليقدموا لنا المشورة ويقدروا مانحتاج اليه من مساعدات عقب حصولنا على الاستقلال فى ١٠ ديسمبر القادم •

الجمهورية العربية تقدم جميع المساعدات الى زنجبار :

وكان وفد زنجبار قد عقد عدة اجتماعات مع وزراء الجمهورية العربية المتحدة لبحث امكانيات تدعيم التعاون الاقتصادى والزراعى والصحى والثقافى مع الجمهورية العربية المتحدة •

فبدأت المباحثات الاقتصادية بين الجمهورية العربية المتحدة وزنجبار •• ورأس الجانب العربى السيد أحمد زندو وزير الاقتصاد وحضر المباحثات حسين خالد حمدى وكيل الوزارة لشئون التمثيل التجارى والدكتور عادل الجوهرى المراقب بالوزارة ومنصور فهمى مدير ادارة افريقيا •

كما رأس وفد زنجبار محمد شاماتى رئيس الوزراء وحضر معه وزراء العدل والداخلية والمالية والصحة والاسكان والتعليم ومدير الاذاعة •

وصرح وزير الاقتصاد العربى بأن رئيس الوزراء أبدى الرغبة فى توجيه مشترياتهم الى السوق المصرية وذلك لتدعيم العلاقات التجارية بين الجمهورية العربية وزنجبار • وخطوة أولى فى زيادة العلاقات التجارية بين البلدين • وأعربت الجمهورية العربية المتحدة عن تعاونها مع زنجبار فى الدراسات والبحوث الفنية المتعلقة بالتنمية الاقتصادية التى تبغى زنجبار تحقيقها لاسيما انها ستعلن استقلالها فى ديسمبر القادم وستصبح دولة مستقلة ذات سيادة ترعى مصالح أفرادها دون ان تترك مجالا لأى استغلال •

مشروع اتفاق تجارى : وطلب وفد زنجبار ايفاد بعض الخبراء والفنيين العرب لتقديم مساعداتهم فى مجال الاقتصاد والتخطيط وتنفيذ خطة التنمية • وقدمت وزارة الاقتصاد الى رئيس الوفد مشروع اتفاق تجارى مرفقا به بيان الصادرات التى يمكن للجمهورية العربية المتحدة تصديرها الى زنجبار تمهيدا لعقد اتفاقات تجارية بين البلدين •

كما ستستورد الجمهورية العربية المتحدة القرنفل والفلفل وجوز الهند والزيت والدخان والاسماك والليمون والاناناس والجلود ومواد التبغ ٠

كما بحث رئيس وزراء زنجبار مع الدكتور محمد النبوى المهندس وزير الصحة التعاون الطبى بين البلدين ٠ ثم اجتمع بالدكتور محمد لبيب شقير نائب وزير التخطيط وبحث معه العلاقات المالية بين البلدين ٠

واجتمع الدكتور محمد نجيب حشاد وزير الزراعة بوفد زنجبار وشهد الاجتماع وكلاء الوزارة ٠٠ بحث الوزير خلال هذه الزيارة برنامج السياسة الزراعية ثم بحث مدى المعونات التى يمكن تقديمها الى دولة زنجبار من الخبراء العرب لرفع مستوى الانتاج الزراعى ٠

وقد صرح رئيس وزراء زنجبار بان الجمهورية العربية المتحدة وافقت على ارسال عدد من خبرائها الزراعيين الى زنجبار وقال انه ستكون لذلك فائدة كبيرة بالنسبة لنا ولمشروعات زنجبار ٠

كما استقبل الدكتور عبد القادر حاتم وزير الثقافة والارشاد القومى وفد زنجبار وبحثا امكان الحصول على معونة الجمهورية العربية المتحدة لانشاء نظام الاعلام فى زنجبار

الجمهورية العربية المتحدة ستحضر احتفال زنجبار ٠

بيوم الاستقلال فى ١٠ ديسمبر القادم ٠٠

وفى ١٥ اكتوبر ١٩٦٣ ـ غادر القاهرة وفد زنجبار برئاسة رئيس الوزراء بعد زيارة رسمية للجمهورية العربية المتحدة استغرقت أربعة أيام ٠

وكان فى وداع الوفد السيد أنور سلامة وزير العمل نائبا عن الرئيس جمال عبد الناصر والسيد عبد العزيز اسحق مدير الادارة الافريقية بوزارة الخارجية ٠

وقد أشاد محمد شاماتى بشخصية الرئيس جمال عبد الناصر وأعرب عن تقديره لما لقيه من الرئيس جمال عبد الناصر من تعاون أخوى واستعداد الجمهورية العربية المتحدة لتقديم العون لشعب زنجبار ٠ وقال أن الرئيس عبد الناصر قاد أمته فى الطريق الصحيح الذى يوصلها الى التقدم فى جميع المجالات ٠

كما أدلى على محسن وزير الداخلية والعدل فى زنجبار بحديث اعلن فيه ان وفدا من الجمهورية العربية المتحدة سيحضر احتفال زنجبار بيوم الاستقلال فى ١٠ ديسمبر القادم وسوف يتولى رياسة هذا الوفد احد كبار المسئولين فى القاهرة ٠

ثم قال ان رئيس وزراء زنجبار سوف يعقد عقب وصوله الى بلاده مؤتمرا شعبيا كبيرا يتحدث فيه عن يوم الاستقلال ٠ وعن نتائج زيارته للقاهرة واجتماعه بالرئيس جمال عبد الناصر ٠ واضاف ان الوفد قد ناقش مع الرئيس جمال عبد الناصر جميع وجهات النظر التى تهم البلدين ، لقد أحس الوفد بمدى اهتمام الرئيس جمال عبد الناصر بتعزيز العلاقات بين القاهرة وسائر الدول الافريقية ووصف الوزير محادثات الوفد فى القاهرة بانها ناجحة الى أقصى حد وانها حققت ماكان الوفد يتوقعه من استعداد لتقديم المعونات فى جميع المجالات ٠

حديث مع سفير ليبيا فى القاهرة السيد طاهر باكير

سيادة السفير يتحدث عن الجامعة الاسلامية الليبية .. وتاريخ انشائها .. وخطواتها فى سبيل خدمة الاسلام فى ليبيا.

فى السفارة الليبية بالقاهرة .. التقت مجلة منبر الاسلام بالسيد طاهر باكير سفير ليبيا بالقاهرة ..

وجهت لسيادته السؤال التالى .

ـ سبق ان تحدثتم فى مجلة منبر الاسلام عن دور المرأة المسلمة الليبية فى الحياة العامة ونحن الآن نود أن نعرف بعض الحقائق عن الجامعة الاسلامية الليبية ، فمتى أنشئت هذه الجامعة وماهى الخطوات التى قطعتها لخدمة الاسلام فى ليبيا ؟

ـ ان جامعة السيد محمد بن على السنوسى الاسلامية قد أنشئت فى عام ١٩٥٦ والفضل فى تأسيسها يعود الى قائدنا العظيم مولانا الملك ادريس الأول ، فقد رأى ان لاتقف جهود مؤسس الطريقة السنوسية السيد محمد بن على السنوسى والسيد المهدى السنوسى من بعده عند حد معين . لهذا السبب أنشأ هذه الجامعة وهيأ لها من سبل النجاح وامكانيات التطور ما مكنها من قطع خطوات عظيمة فى خدمة الدين وتهيئة جيل مثقف بالروح الاسلامية مؤمن برسالة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ مدرك أن الدين الاسلامى دين تطور وتقدم ، والجامعة الاسلامية يرأسها شيخ يطلق عليه شيخ الجامعة الاسلامية وهو حاليا فضيلة الشيخ منصور المحجوب وللجامعة الاسلامية مجلس أعلى يخطط لها ويرسم برامجها ويشرف على سير الدراسة أو يعد المناهج التى تطبق فى مختلف المراحل الدراسية وهى الابتدائى فالاعدادى فالثانوى فالعالى وقد تضمنت المناهج دراسة اللغات الحية كما يتضمن نظام التعليم الفنى والمهنى على بعض المراحل أما البرامج الرياضية البدنية الكشفية فمطبقة منذ سنتين ، وقد تقرر أخيرا انشاء مدرستين قرآنيتين لتعليم البنات واحدة فى الشق الشرقى من ليبيا والثانية فى الشق الغربى كما تقرر انشاء مدرستين لتحسين الخطوط العربية ، وأنشىء قسم عام للجامعة الاسلامية فى (جغبوب) وآخر فى (طرابلس) والغرض من هذه الاقسام نشر الثقافة الاسلامية واللغة العربية وتمكين وحث الراغبين على التزود من المعرفة فى يسر

وسهولة وقد علمت أن الجامعة الاسلامية الليبية قد قررت بصفة رسمية المساهمة فى انشاء مسجد بمدينة (آخن) فى المانيا الغربية تلبية لطلب اتحاد مسلمى المانيا • والجامعة الاسلامية تعين خريجها تبعا لترتيب درجاتهم وهؤلاء الخريجون يتمتعون بما يتمتع به خريجو الجامعات الحديثة من الامتيازات والحقوق والشهادات العالية فى كليات الجامعة الاسلامية الليبية مساوية تماما لمثيلاتها من الشهادات الجامعية العصرية وقد تضمن مشروع السنوات الخمس انشاء بعض المعاهد والمساجد والمدارس فى المملكة الليبية بحيث يتطور هذا التعليم الى آفاق جديدة مسايرا لنهضة المملكة الليبية فى النواحى المختلفة الأخرى ، وستزود الجامعة الاسلامية بمطبعة وببعض المعامل والاجهزة الفنية والعلمية كما تنوى الجامعة الاسلامية اقامة مدينة جامعية بجوار الزاوية البيضاء وقد بدأت فعلا فى اقامة مبنى ادارة الجامعة هناك • وسيفتتح فى العام الدراسى القادم معهد البعوث الاسلامية بعد أن صدرت اللائحة اللازمة لهذا المعهد • وتضم الجامعة الاسلامية فى مراحل الدراسة المختلفة طلابا من البلاد العربية والافريقية • ويقوم بالتدريس فيها أساتذة متخصصون من ليبيا بعضهم تخرج فى الجامعة الأزهرية وبعضهم الآخر تخرج فى الجامعة الاسلامية ، والبعض الاخر معارون من الجامعة الأزهرية التى لاتضن على الجامعة الاسلامية بأى طلب فى هذا الخصوص •

خلاصة القول أن الجامعة الاسلامية فى ليبيا قد سدت نقصا كان من الضرورى سده وهو نشر الثقافة الاسلامية والشريعة الاسلامية فى بلد متمسك بالدين الاسلامى تمسكا قويا ، هذه مأثرة من مآثر ادريسنا العظيم الذى يعمل بكل قواه لنهضة بلاده وتهيئة الظروف الصالحة لها لتحتل مكانها بين الامم •

٢٥٠٠٠ طالب وطالبة من الجامعات والمعاهد العليا والأزهر الشريف فى المسابقة الصيفية الثالثة •

وصل عدد الطلاب الذين اشتركوا فى المسابقة الصيفية الثالثة التى ينظمها المجلس الأعلى للشئون الاسلامية لطلاب الجامعات والمعاهد العليا والأزهر الشريف ٢٥٫٠٠٠ طالب وطالبة .

وتألفت اللجان لبحث موضوعات المسابقة من السادة أساتذة الجامعات والمعاهد العليا والازهر الشريف وعند انتهاء اللجان من التصحيح سيستدعى الطلاب الذين نالت ابحاثهم تقديرا للاختيار الشفهى .

ميشيل عفلق

يجترئ على مقام سيد المرسلين

فضيلة الشيخ محمد محمد المدنى

أيها الشباب اضربوا على يد الكذاب

يقول الله تعالى فى كتابه العزيز :

« وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا من المجرمين، وكفى بربك هاديا ونصيرا »

ويقول جل جلاله :

« وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الا اذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته ، والله عليم حكيم »

فالآية الأولى تقرر سنة من سنن الله التى لا تتبدل ولا تتحول . وهى أن الخير دائما يقابله الشر ، وان الصلاح يعاديه الفساد ، وأن الحق يناوئه الباطل ، فمهما حاول الناس أن يعيشوا فى عالم من الخير لا شر فيه ، أو فى عالم من الصلاح لا فساد فيه ، أو فى عالم من الحق لا باطل فيه ، فانهم يطلبون محالا ، فان هذه الدنيا هى دار اختبار وابتلاء ، ومن شأن الاختبار والابتلاء أن يقع الشىء ونقيضه ، وان يكون هناك ما تتحقق به استقامة بعض النفوس ، والتواء غيرها ، **« أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ، ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين »** . ولذلك كان من الطبيعى فى هذه الحياة أن يكون **آدم وابليس ، وابراهيم والنمرود ، وموسى وفرعون ، ومحمد وأبو لهب** .. وهكذا .

واذا عرف المصلحون واهل الخير والحق ذلك ، استقرت نفوسهم ، واطمأنت قلوبهم ، وادركوا أنه لا بد لهم من الوقوف أمام عدو مناوىء يحاول التخذيل عنهم ، والتأليب عليهم ، والتثبيط من قواهم ، ووضع الأشواك والعقبات فى طريقهم . انهم حينئذ لا يصدمون بالأمر على سبيل المفاجأة ، ولا يصيبهم البهر أو الخور أو الفزع فينكصون على أعقابهم ، أو يضعفون فى مواقف جهادهم، ولكنهم يعدون عدتهم لجهاد طويل مرير شاق المراحل ، كثير المآزق والمضايق .

تلك هى السنة الالهية التى ترشد اليها الآية الأولى ، ولكن الآية تردف هذه السنة الالهية بتقرير سنة الهية أخرى حيث تذيل

بقوله تعالى : ((**وكفى بربك هاديا ونصيرا**))
فنفهم من ذلك أن الأعلام اذا اشتبهت على أهل الحق والخير والصلاح ، كان عليهم أن يلتمسوا الهداية الى الطريق الواضح المستقيم من الله جل وعلا ، وذلك باتباع أمره ونهيه والنزول على شريعته ومقتضيات الايمان به ، كما أنه اذا اشتد بهم الكرب ، وتأزمت الأزمات فى مكافحة المبطلين ، وجهاد المفسدين ، كان عليهم أن يلتمسوا النصر من الله عن الطريق الذى رسمه الله ، وهو الذى جاء به القرآن الكريم فى قوله تعالى ((**ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز الذين ان مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور**))
فالمجاهد المؤمن يعتقد أن الله تعالى لن يخذله أبدا ، وأن عاقبته مضمونة بشرط أن يكون منطويا على ترسم منهاج الاصلاح والخير والحق فى الجوانب الثلاثة التى تشير اليها الآية اذا مكنه الله تعالى : جانب الاستقامة الروحية وهو المشار اليه بقوله جل ذكره : ((**أقاموا الصلاة**)) وجانب الاستقامة المادية ، وهو المشار اليه بقوله سبحانه ((**وآتوا الزكاة**)) وجانب التضامن فى المسئولية باخلاص النصح لله ورسوله وعامة المؤمنين وخاصتهم ، وهو المشار اليه بقوله تعالى ((**وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر**)) .

ان المجاهدين فى سبيل الله على هذا النحو نية وعملا ، لا بد لهم من نصر الله بعد أن يجتازوا ما جرت سنة الله تعالى باجتيازه من العقبات والصعاب .

والآية الثانية التى ذكرناها فى صدر هذا المقال ، تقرر هذه السنة الالهية أيضا ، فتنبئنا أن الحق والخير والصلاح التى هى اهداف الانبياء والرسل جميعا وأمانيهم التى عقدوا عليها رسالاتهم الاسلامية ، لا بد أن تلقى فى طريقها تلك العقبات التى يبثها الشيطان أشواكا معوقة عن التقدم ، أو شبها محيرة للعقول مبلبلة للافكار ، ولكن ذلك لا يلبث أن يزول وينكشف زيفه وباطله ، ثم يحكم الله مثله ومبادئه التى أوحى بها الى أنبيائه ، وأرسل بها رسله ، وبذلك يجىء الحق ويزهق الباطل ، ويلمع نور الصلاح وتنطفىء نيران الفساد ، ويزدهر نبات الخير ، ويذبل نبات الشر . وهكذا تنبىء الآية الثانية صراحة ، بما تنبىء به الآية الاولى اشارة ، وفى كل منهما تكون العاقبة الحسنى للمؤمنين والعاقبة السوأى للمجرمين .

واذا كانت الآيتان الكريمتان تتحدثان عن الأنبياء والمرسلين ، وعن أعدائهم من الشياطين والمجرمين ، فان المعنى الذى تأتيان به عام فى كل دعوة الى حق ، واتجاه الى خير ، وسعى الى اصلاح ، وسنة الله فى أوليائه ، هى سنته فى أنبيائه ((انا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد)) .

* * *

ولقد شهد العالم العربى فى العهد الأخير ثورة اصلاحية كبرى هدفها الاصلاح ، والخير ، والحق ، وكل مبدأ كريم من المبادىء الاسلامية التى هى فى الواقع مبادىء انسانية سامية تدعو اليها الفطر السليمة ، وتهدى اليها سابقات التاريخ فيما تستقيم عليه أحوال الأمم ، وتسعد به الأفراد والمجتمعات :

كنا نغط قبل هذه الثورة فى نوم عميق ، والعالم من حولنا قائم قاعد بالأعمال والانتاج والثمرات ، ولم يكن يزيد تقديرنا فى وزن العالم على أننا شعوب توزع عليها السلع التى تنتجها المصانع ، وتدور عليها الآلات وينعم بأجورها السخية عمالهم وأصحاب رءوس الأموال فيهم . أجل كنا سوقا لهذه السلع تباع لنا بأغلى الأثمان ، وتفرض علينا فرضا دون أن يكون لنا رأى فى قبولها أو رفضها أو تعديلها .

وأصبحنا بعد الثورة منتجين صانعين مزاحمين فى أسواق العالم ، نسير الى الاكتفاء

الذاتى والتنافس على المستوى العالمى سيرا حثيثا .

وكنا نرى العدو المغتصب لبلادنا جاثما على صدورنا يقيم الحكومات ويعزلها ، ويهدد الملك والوزارات وينذرهم فيسلمون له طوعا أو كرها بما يريد .

والآن قد خرج هذا العدو الى غير رجعة ، ولم يعد لأحد سلطان علينا فى بلادنا ، ولم نعد منطقة من مناطق النفوذ لأحد ، بل أصبح لنا نفوذنا فى العالم كله حكوماته وشعوبه ، وصرنا من الدول التى يحسب لها حساب أى حساب فى رضاها أو غضبها وفى تأييدها أو اعتراضها .

ولو شئنا أن نستعرض على سبيل المقارنة فى كل ناحية من نواحى الحياة ماكنا عليه وما صرنا اليه لطال بنا الاستعراض ولكن الامر واضح لكل ذى عينين ، لا يستطيع أن ينكره الا مكابر لجوج .

فنحن اذن أصحاب دعوة اصلاحية ، تقوم على مبادىء الحق والعدل والخير ، وتعمل على النهوض بالأمة العربية حتى تتبوأ مكانتها عزيزة كريمة بين الأمم .

فلا عجب أن نرى شياطين الشر والباطل والفساد ، يقفون لنا بالمرصاد ، ويضعون فى طريقنا العقبات والاشواك ، فتلك سنة الله التى أوضحناها واستدللنا عليهـا من كتاب ربنا .

ان الرئيس المظفر جمال عبد الناصر تقدم الى الأمة بميثاق يشتمل على مبادىء دعوته الاصلاحية ، وأساليب اقامة صرح المجتمع على دعائمها .

ولقد حرص هذا الميثاق على أن يوضح للعالم أجمع أننا أمة مؤمنة بالله ، معتقدة برسالة الاديان ، واننا ندرك ما للطاقات الروحية وما للايمان بالله والثقة بالنفس من امكانيات تجعلنا قادرين على أن نصوغ حياتنا من جديد وفق امانينا ، ونعيد بناءها على أساس من الحرية والحق ، ومن الكفاية والعدل ، ومن المحبة والسلام .

ولكن المجرمين الذين لا بد أن يقفوا موقف العداء من المصلحين ، يحرصون على تشكيكنا فى ديننا ومقدساتنا .

فهذا هو الافاك الأثيم « ميشيل عفلق » يتجرأ على عقيدة من أقدس العقائد الاسلامية حين يتحدث عن رسول الله وخاتم أنبيائه سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيقول: « انه لم يكن نبيا ولا رسولا من الله ، وانما كان رجلا عبقريا من الأفذاذ المفكرين ، فتوصل بتفكيره ، وهداه عقله الى ما يأتى به من قرآن وسنة ومبادىء تشريعية ، ووصايا خلقية » .

ان ميشيل عفلق يقول هذا وهو بصدد تنوير الشباب ـ كما يزعم ـ فى العالم العربى ضد دعوة جمال عبد الناصر وقديما حورب الرسول محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ نفسه بذلك ، بل حورب به رسل الله جميعا ، فقد كان المجرمون يقولون « أبعث الله بشرا رسولا » ويقولون : « ما أنزل الله على بشر من شىء » .

ان هذا الأفاك الأثيم قد غاظه وهاله وأقض مضجعه أن يعلن جمال عبد الناصر انه يقيم صرح دعوته الاصلاحية الكبرى على أساس الايمان بالله ورسله ، فأراد أن يشكك الشباب فى جدوى هذا الأساس ، وأن يهون من أمره فطعن فى رسالة النبى محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ كأنه يظن أن رسالة هذا النبى الخاتم من الضعف والتخاذل بحيث يستطيع هو وأمثاله أو يستطيع أحد من البشر أن يهاجمها ليقضى عليها .

لا يا عفلق ، وليغفر لى الذين يعرفون معنى كلمة (عفلق) فى لسان العرب اذا كنت أستبيح النطق بهذا اللفظ المستهجن ، الذى لا يليق التصريح به ، فانى مضطر الى ذلك وقد عرف بهذا الاسم دون سواه .

أقول له : لا يا عفلق . ان رسالة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثابتة رغم أنفك ، وأنها حقيقة عملية أظهرها الله تعالى على كراهية من أمثالك المجرمين الذين «يريدون أن يطفئوا

نور الله بأفواههم ، ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون ، هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون » .

بأى شىء يا عفلق اذن تثبت رسالة عيسى او موسى أو اى نبى من الرسل الكرام اذا كنت تعتقد أن نبوة محمد غير ثابتة وانما هى عبقرية .

اتخص محمدا بذلك من بين اخوانه الرسل، او تعمم الحكم عليهم اجمعين .

فاذا خصصته فأنت متعصب احمق ، لايقام لحكمك وزن ، واذا عممت فأنت كافر خارج على رسل الله اجمعين ، مكذب بكل الاديان .

ان العجب العجاب ليس فى أن عفلق يقول ذلك ، والكن فى أن شباب المسلمين يتركه يهذى هذيانه ، ويعتدى على أقدس شخصية فى الاسلام .

أين هؤلاء الذين امتلأت قلوبهم بالايمان فى أرض سوريا الحبيبة ؟ كيف يتركون هذا الرجل دون أن يمزقوا اهابه ويجعلوه فكالا لما بين يديه وما خلفه .

اهان قدر محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ على المسلمين حتى يتركوا هذا الأفاك الأثيم يجترىء على مقامه ؟

ان العالم المسيحى لا يرضى أن توجه اية اهانة حتى للبابا الذى ليس بنبى ولا رسول ، بل انهم ليحترمونه ويهابون شخصه، ويقدرون منصبه ، ولم ننس بعد كيف كانت وكالات الانباء ، والصحف فى كل بلاد العالم ، مهتمة بمرض البابا الراحل ، وكيف كانت الآلاف المؤلفة من المسيحيين يقفون صفوفا متراصة فى ميدان الفاتيكان ليتسمعوا أخبار المريض العزيز ، ويستروحوا نسيم بركاته ، فلما مات دقت جميع الكنائس فى العالم اجراسها حزنا عليه ، ولم يبق فى العالم المسيحى صحيفة ولا ناد ولا جماعة الا رثته وافاضت على ذكراه أعظم عبارات التقدير والتقديس ومر عليه وهو جسد راقد مسجى ملايين المودعين ، وكما عنى العالم المسيحى على اختلاف طوائفه ومذاهبه بالبابا الراحل ، عنوا اعظم العناية باستقبال البابا الجديد ، وكرموه ، وقدسوه ، ورجوا له النجاح فيما هو بصدده من توحيد مذاهب المسيحية وطرائقها .

فهذا هو مبلغ تدين العالم المسيحى ، واحترامه لرجال الدين ، فضلا عن الأنبياء والرسل والأحبار .

فكيف يريد منا « عفلق » الالحاد والفجور هذا ، أن نكفر برسولنا ، وأن ننكر نبوته ؟ واى شىء يبقى لنا لكى نقدسه بعد أن نهدم مصدر القداسة هدما ، وهل فلسفة «عفلق» السوء ، ووعيه البعثى الجديد ، يبعثانه على زلزلة ايمان المسلمين بنبيهم ، بينما المسلمون جميعا يؤمنون بكل الأنبياء والرسل كما يؤمنون بمحمد ـ صلى الله عليه وعليهم أجمعين .

يقول الله تعالى :

« ان الذين يكفرون بالله ورسله ، ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ، ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ، ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا ، أولئك هم الكافرون حقا ، واعتدنا للكافرين عذابا مهينا، والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم أولئك سوف يؤتيهم أجورهم وكان الله غفورا رحيما » .

وحسبنا هذه الموازنة القرآنية العادلة الصادقة لنعرف من هم المهتدون على بصيرة ونور من ربهم ، ومن هم الضالون الزائغون المفرقون بين الله ورسله ، وبين الرسل بعضهم وبعض .

فليهنأ الرئيس جمال عبد الناصر بايمانه بربه وبرسل ربه ، وليخسأ كل كافر بكفره ، وكل زائغ بزيفه « وقل رب أدخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا ، وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا ، وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا » .

الاشتراكية في الاسلام

للأستاذ
حسن كامل الملطاوى
وكيل وزارة الخزانة

محاضرة ألقاها السيد وكيل وزارة الخزانة للتوعية بوزارة الخزانة في ٦ أكتوبر ١٩٦٣

اخوانى ..

انما أردت بهذه المحاضرة أن أقدم لكم صورا رائعة للديموقراطية والاشتراكية والتعاونية فى صدر الاسلام، حين لم يكن عند الشرق أو الغرب علم بتلك المعانى أو تطبيق لها فى ذلك الوقت البعيد .

واذا كان زعيمنا المقدام الرئيس جمال عبد الناصر نادي وعمل لهذه الغايات بكل جهده وملكاته فانما صدق فيما أعلنه من أن هذه المثل العليا نبتت من واقعنا ولم ننقلها عن غيرنا ، وتربط ماضينا المجيد بحاضرنا التليد .

فالشورى ، والزكاة ، والتعاون على البر والتقوى ، واستخلاف الخلفاء بالبيعة ، والحرية ، والمساواة ، والعدالة الاجتماعية ، والتضامن الاجتماعى ، ودفع الضرر الأكبر بالضرر الادنى ، وتعارف الشعوب ، وحفظ كرامة الانسان بلا تعصب ، كل هذه المبادىء السامية أمر بها الاسلام وقام عليها ، فى الوقت الذى كانت فيه الحكومات كسروية وقيصرية ، وكان الفلاحون يباعون مع الأرض التى يعملون فيها للاقطاعيين صفقة واحدة .

والنجاح الذى وصلت اليه الثورة فى تحقيق هذه المبادىء بقيادة زعيمنا العظيم الرئيس جمال عبد الناصر انما كان بفضل الايمان بالله ورسوله كما أعلن الرئيس عندما ندد بالالحاد والملحدين والقرآن الكريم يؤيد ذلك بقوله تعالى : (ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز الذين ان مكناهم فى الأرض اقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور) .

وليت زعماء الشرق والغرب يستنصحوننى فكنت انصح لهم أن يرجعوا اليه ويأخذوا بتوجيهه وأنا واثق انه لا يضن عليهم برايه الصائب فكان يوجههم لخيرى الدين والدنيا ، فبغير الايمان تكون الحياة جامدة جمود الجسد الذى همد لخروج الروح منه بالموت ، ففيه العين ولكنها لا تبصر ، والاذن ولكنها لا تسمع ، واليد ولكنها لا تتحرك ، والرجل ولكنها لا تمشى ، والعقل ولكنه لايفكر ولذلك يسمى ميتا ويوارونه التراب .

وبغير التراحم ، واجتناب الغرور بالمال والقوة ، لا يقوم فى الارض سلام ، ولا تراحم اذا استضعف الاقوياء الضعفاء ، وشح الاغنياء على الفقراء ، وهم اخوانهم فى الآدمية والانسانية ، ومن عجب أن يدعو بعض الرحماء الى الرفق بالحيوان بينما لم يعامل بالرفق بنى الانسان ، وليت القوم يستمعون لما نادى به الاسلام منذ قام : ((المال مال الله والعباد عباد الله وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يعقر فى حجه هديه بيده ويقول : ((اللهم منك واليك)) ويقول للمحتاجين : ((من شاء فليقتطع)) وبلغ هديه الشريف مائة ناقة وهى تكفى لاطعام ثلاثين أو اربعين الفا من ذوى البطون الخاوية .

ذلك اجمال اتبعه بشىء من التفصيل .

صلاحية الاسلام لكل زمان ومكان

جاء الاسلام صالحا لكل زمان ومكان فى أمر الدين والدنيا معا ، ولاعجب فى ذلك فانه من صنع الله الذى اتقن كل شىء وليس من وضع البشر الذين يصيبون ويخطئون .

واقرأوا ان شئتم قوله تعالى : (اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا) .

تسامح الاسلام :

وتعاليم الاسلام سمحة فهى تظل بظلها الاشتراكى الوارف المسلمين وغير المسلمين من أبناء آدم عليه السلام بدليل قول الله تعالى (يأيها الناس انا خلقناكم من

ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم) وقول الله تعالى **(ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا) .**

وقد رسم الله لنا مبدأ اشتراكيا هاما فى قوله الكريم **(انما المؤمنون اخوة)** ، وهذه الاخوة كان لها فى الاسلام أثر بالغ فبفضلها آوى الانصار اخوانهم المهاجرين وقاسموهم ديارهم وأموالهم حتى قال أبو بكر الصديق مادحا للانصار :

همو أدفأونا فى ظلال بيوتهم
ظلال بيوت أدفأت وأظلت

ابوا أن يملونا ولو أن أمنا
تلاقى الذين يلقون منا لملت

وأثنى عليهم القرآن فى ذلك فقال تعالى : **(والذين تبوأوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولايجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون) .**

وبفضل هذه الاخوة علم العلماء الجاهلين **(ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون) .**

وبفضل هذه الاخوة رفع المسلمون قدر الموالى امثال زيد بن حارثة وبلال وصهيب ونافع وعكرمة ، بل واتخذوهم أئمة فى الدين ، ولم يكن للموالى فى الجاهلية شأن يذكر الاخدمة سادتهم من رؤساء القبائل .

وبفضل هذه الاخوة طرح العرب التعصب واقتدوا بائمة من العجم مثل الامام ابى حنيفة النعمان والامام محمد بن اسماعيل البخارى .

واذن فالاسلام سمح ، فلا تعصب فيه للشعوبية ولا للجنس ، وكيف يقوم التعصب مع قوله تعالى **(يأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام ان الله كان عليكم رقيبا) .**

واين هذا التسامح مما يجرى الآن فى جنوب افريقيا وشرق آسيا ، وكم أتمنى ان يستمع المتعصبون للون والدين لما قاله مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم « كلكم لآدم وآدم من تراب » .

الحقوق الطبيعية فى الاسلام :

كفل الاسلام الحقوق الطبيعية التى يتمتع بها المواطن فى أرض الاسلام ومن ذلك :

الحرية : فلا يبيح الاسلام ان يستعبد أحد أحدا ، وكلمة أمير المؤمنين عمر لعمرو بن العاص حين ضرب ابنه أحد المصريين وهو والى على مصر : « متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم احرارا » دوت منذ أربعة عشر قرنا فى مسامع الشرق والغرب قبل أن تقرر هيئة الامم ما سمى بحقوق الانسان .

المساواة : قرر الاسلام مبدأ المساواة والتكافؤ بين العباد فى الوقت الذى كان الاقطاعيون من الرومان يبيعون الأرض ومن عليها من الرقيق صفقة واحدة كما قلت ، وكان الرقيق يعملون فى أرضهم سخرة حين قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ لاصحابه « أدوا للاجير أجره قبل ان يجف عرقه » .

وما أروع موقف المسلمين فى الصلاة كتفا لكتف ، الفقير والغنى ، والحاكم والمحكوم ، والعالم والجاهل .

وما أروع أن يساوى الاسلام بين نفس ونفس فى القصاص فالعالم يقتل بالجاهل ، والغنى يقتل بالفقير ، لا امتياز لواحد على الآخر فى حق الحياة .

وما أروع أن يقوم القصاص فى الحدود بين الجميع دون تفرقة .

وقد جاء أسامة بن زيد يشفع عند رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فى المخزومية التى سرقت ، فقال له ــ صلى الله عليه وسلم ــ مرشدا ومعلما **« أراك تشفع فى حد من حدود الله ، انما أهلك من قبلكم ، انه كان اذا سرق فيهم الشريف تركوه ، واذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ، والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها .**

وانى أجزم بأن المساواة فى أعرق البلاد المتحضرة لم تبلغ ما بلغته فى صدر الاسلام وأدلتى هى :

١ ــ حدث أنس بن مالك خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « كنت أسافر معه صلى الله عليه وسلم لاخدمه فكانت خدمته لى أكثر من خدمتى له » .

٢ ــ أراد بعض الصحابة أن يطبخوا شاة بالتعاون ، فقال أحدهم : « أنا أذبحها » ، وقال الثانى : « أنا أسلخها » ، وقال الثالث : « أنا أطبخها » ، فقال صلى الله عليه وسلم : « وعلى جمع الحطب » فقالوا : « بل نكفيك ذلك يا رسول الله » ، فقال **« انى أعلم انكم تكفوننى ذلك ، ولكنى لا أحب أن امتاز عنكم بشىء » .**

٣ ــ ان النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ كان يستشير أصحابه فيما لم ينزل به وحى ، وكان يأخذ برأى الأغلبية كما حدث فى فداء أهل بدر ، ولو استغنى عقل بشرى عن الشورى لكان العقل المحمدى الكبير ، ولكن الله جعله لنا أسوة وقال له **(وشاورهم فى الأمر)** وحرصوا هم فيما بينهم على التأسى به صلى الله عليه وسلم ، فوصفهم الله بقوله الكريم **(وأمرهم شورى بينهم) .**

٤ ــ ان سيدنا عمر بن الخطاب فى احدى ندواته نهى عن التغالى فى المهور ، فردت عليه احدى السيدات ، **« كيف تمنعنا حقا أعطاه الله لنا اذ يقول (وان أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا أتأخذونه بهتانا واثما مبينا) ، فأجاز أن يكون المهر قنطارا فقال أمير المؤمنين رضى الله عنه فى شجاعة كبيرة « أخطأ عمر وأصابت امرأة » .**

هذا قليل من كثير من روائع المساواة فى الاسلام .

العدالة :

ما أحكم ما يقوله الله تعالى فى كتابه الكريم : **(ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون)**

وهذه الكلمات القليلة جمعت فأوعت ، ووالله لو طبقناها علما وعملا لتمت لنا سعادة الدارين كما تمت لاسلافنا الصالحين حين طبقوها .

فقد سادوا بتطبيقها العالم ، وصاروا أئمة العدل فيه ، فما رحبت بلادبفاتيحها كما رحبت البلادبالمسلمين، ولااصطبغت بلاد بصبغة فاتحيها كما اصطبغت البلاد التى فتحها المسلمون بصبغتهم ، فأخذوا عنهم الدين واللغة والعادات ، ولو أنهم حافظوا على صبغتهم الى اليوم ما تغيرت أحوالهم ، ولكن جاء تغير الأحوال من تغير النفوس لغلبة الأنانية وظلم بعضهم بعضا وقيام العداوة والبغضاء والفرقة بينهم ، وكل هذه فواحش نهى الله عنها فى الآية التى استمعتم اليها .

ولو اقام الناس العدل فيما بينهم ، ما قسا أحد على أحد ، ولا ضن أحد على أحد ، ولا بغى أحد على أحد ، ولعاش الناس فى أمان وايمان .

والمال فى هذه الدنيا على ضرورته فتنة للناس وأية فتنة ، فتنة نبه الله اليها وحذر منها ، فالسعيد من وقى نفسه من الوقوع فيها ، والشقى من غرق فيها واخلد اليها .

استمعوا الى ما يقوله تعالى (**انا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا وأنا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا**) .

ان قوما وقفوا عند الزينة ، فاستهوتهم الأرض والعمارات والذهب والفضة ، فلم يتعدوا الزينة الى ما بعدها ، وهى قوله تعالى (**لنبلوهم أيهم أحسن عملا**) ولم يتدبروا فى مال الشح «**وانا لجاعلون ماعليها صعيدا جرزا**» .

وصدق الله اذن يقول : (**زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب . قل أؤنبكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها وازواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد . الذين يقولون ربنا اننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار . الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالأسحار**) .

اخوانى ، استمع اسلافنا لما وعظهم الله به فشارك الأغنياء والفقراء فى أموالهم بتأدية فريضة الزكاة منذ فرضت فى الاسلام سنة ٦٢٠ ميلادية ولم يكتفوا بأداء الزكاة المفروضة بل تجاوزوها بصدقات البر التى انفقوها طواعية واختيارا وكانوا فى سخائهم يقتدون برسول الله صلى الله عليه وسلم الذى مات ودرعه مرهونة عند يهودى ، وقد كانت فى يده أموال الجزيرة العربية كلها ، وتجبى اليه ثمرات كل شىء . ذلك لأنه أرسل رحمة للعالمين ، فكان قدوة للراحمين ، أو ليس هو الذى علمنا « **يقول ابن آدم : مالى مالى وهل لك يا ابن آدم من مالك الا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأبقيت** » .

ومن عجب أن المسلمين حين كانوا ينفقون فتحت لهم كنوز الأرض فطعموا وأطعموا ، وحين شحت نفوسهم بالخير ذلوا واستعمرهم اعداؤهم .

قام الاسلام وكان فى المسلمين الغنى والفقير والحاكم والمحكوم ، ولكن لم نجد فيهم أول الأمر الظالم والمظلوم لأنهم كانوا كما قال الله (رحماء بينهم) .

ثم لما جاءت خلافة أبى بكر (بالبيعة لا بالوراثة) ، وضنت بعض النفوس بأداء الزكاة ، قاتلهم عليها الخليفة ، وقال قولته المشهورة لأصحاب الشورى حين عارضوه فى قتالهم « **والله لو منعونى عقال بعير كانوا يؤدونه للنبى صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم عليه** » وقد نجح لأن الشر لا يدفع الا بالشر ، والبغى لا يدفع الا برده ، وصدق أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه اذ يقول « ان الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن » وقوله واضح ، لأنه ليست كل النفوس التى تلين للمواعظ .

وجاء من بعد أبى بكر أمير المؤمنين عمر (بالاستخلاف لا بالوراثة) فحكم وعدل ، ولما زلزلت الارض فى عهده ضربها برجليه وقال فى ثقة : « استقرى ألم أعدل عليك » .

ودون الدواوين ، وسجل ايرادات الدولة ومصروفاتها وفرض العطاء من بيت المال للفقراء المستحقين ، وجعل للأعزب حظا وللمتزوج حظين .

ولما فتحت فى عهده أرض الشام والعراق ومصر ، رغب بعض الصحابة فى أن توزع الأرض على الفاتحين ، فأبى عليهم ذلك وقال : انها بهذا التوزيع تؤول لقلة من الناس بينما الدولة تحتاج المال لكفالة المجتمع وحماية الثغور فأبقى حق الرقبة للدولة ، وترك الزراع يعملون على أن يلتزموا للدولة بالخراج ، وكانت الطريقة التى يتبعونها فى حساب الخراج هى أن يترك للزارع قوته وقوت عياله لمدة عام ويؤخذ ما يزيد على ذلك خراجا للدولة ويسمى خراج المقاسمة .

ولم تتصرف الدولة فى بيع هذه الأرض بالثمن الا فى زمن عبد الملك بن مروان الأموى ، وحاول عمر بن عبد العزيز ان يستردها من المشترين فصعب الأمر عليه .

ومن ذلك ترون أن ملكية الدولة لموارد الانتاج كانت الأرض حينئذ أهم مورد للانتاج – عرفها الاسلام قبل أن ينادى بها أهل هذا الزمان بقرون طوال ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

وقد حمى (اقتطع) أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أرضا بالربذة وجعلها مرعى لعامة المسلمين وخاصة فقراءهم ، ومما قاله فى شأنها لعامله : يا هنى أضمم جناحك عن الناس ، واتق دعوة المظلوم فانها مجابة ، وأدخل رب الصريمة والغنيمة – أى مكن صاحب الابل القليلة والغنم القليلة من رعيها فى تلك الأرض ، ودعنى من نعم ابن عفان ونعم ابن عوف (وهما من اغنياء الصحابة) فانهما ان هلكت ماشيتهما رجعا الى نخل وزرع ، وان هذا المسكين (أى صاحب الابل والغنم القليلة) ان هلكت ماشيته ، جاءنى ببنيه يصرخ يا أمير المؤمنين أفتاركهم انا لا أبالك ، فالكلأ أيسر على من الذهب والورق (الفضة) انها لارضهم قاتلوا عليها فى الاسلام ، وانهم ليرون انى ظلمتهم ولولا النعم التى يحمل عليها فى سبيل الله ما حميت على الناس شيئا من بلادهم .

وهذا الذى فعله أمير المؤمنين عمر هو تطبيق لقاعدة اسلامية هامة وهى « يتحمل الضرر الادنى لدفع الضرر الأعلى » وقد دفع الوالى بهذا الحمى ضرر المجتمع وهو ضرر اعلا بضرر ادنى منه وهو التعرض للملاك ارض الحمى .

وما أرق أمير المؤمنين فى عام الرمادة حين وقعت المجاعة وأتاه الناس بالمدينة فآواهم واطعمهم وقال : ان استمرت المجاعة الى العام القادم فانى ارسل واحدا منهم لكل بيت من بيوت المسلمين وانهم اذا – عاشوا بنصف بطونهم لا يموتون .

الا رحم الله أمير المؤمنين عمر الذى خاف حتى فى الحيوان فقال : « لو ان جملا هلك ضياعا على شاطىء الفرات لحاسب الله عليه آل الخطاب » .

وعلى الرغم من الاضطرابات السياسية التى قامت فى أواخر زمن أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه وفى خلافة أمير المؤمنين الامام على كرم الله وجهه (وقد استخلص بالبيعة) ، فان التربية الاسلامية الصحيحة التى ورثها المسلمون غضة من رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين حافظت على حق الفقراء ، فلم ترتفع صيحة من الفقراء بحاجتهم للطعام أو للكساء أو للسكنى ، حيث وسعتهم الزكاة المفروضة ، وصدقات البر التى جبلت عليها نفوس المؤمنين .

وها هو أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه يبين انه انما يكسب المال ليستخدمه فى الصالح العام ، فيقول : « والله لولا انى اخشى ان يكون فى الاسلام ثلمة اسدها بهذا المال ما جمعته » . وحقا ما يقوله

فانه وحده مول جيش العسرة (تبوك) بنحو الف بعير هي وما حملت واعطى كل مقاتل دينارا من ذهب وكانوا عشرة آلاف وصب في حجر النبي - صلى الله عليه وسلم - الف ديناراخرى واخذ - صلى الله عليه وسلم - يقلبها ويقول ما ضر عثمان ما عمل بعدها .

اما أمير المؤمنين الامام على كرم الله وجهه ، فيوجه احد ولاته توجيها ماليا رائعا ، ويوصيه خيرا بالزراع الذين هم مصدر الخراج ، ويبين أثر الخراج في حياة المجتمع ، ويبرز اضرار الفقر بالطبقة العاملة في الارض ، ويوجب عليه رحمتهم ، فيقول لواليه في ابداع بالغ مبينا له سياسته في الخراج :

« تفقد أمر الخراج بما يصلح أهليه (أي الزراع) لان في اصلاحهم صلاحا لمن سواهم ، ولا صلاح لمن سواهم الا بهم ، لأن الناس كلهم عيال على الخراج وأهله ، وليكن نظرك الى عمارة الأرض أبلغ من نظرك الى استجلاب الخراج ، لأن ذلك لا يدرك الا بالعمارة ، ومن طلب الخراج بغير عمارة أخرب البلاد وأهلك العباد ولم يستقم امره الا قليلا ، وانما يؤتى خراب البلاد من اعواز أهلها ، وانما يعوز اهلها لاسراف الولاة على الجمع ، وسوء ظنهم بالبقاء ، وقلة انتفاعهم بالعبر » .

سلطان الوالي في الاسلام :

ان الاسلام يحرض على جلب النفع للمجتمع ودفع الضرر عنه ، وأعطى الوالي في هذا الشأن سلطانا واسعا ، تدلكم عليه مراجع الفقة المستفيضة ، كما يدلكم عليه تاريخ الاسلام الحافل ، وعيبنا اننا لا نقرأ كثيرا في تاريخه ، ولعل ذلك راجع الى آثار الاستعمار فينا ، حيث حجب عنا عمدا روائع ذلك التاريخ حتى لا نحاول ربط حاضرنا بماضينا ، ونتنزع منهم حقوقنا ، المغتصبة ، أما وقد فعلنا وانتزعنا على كره منهم حريتنا فواجب علينا أن نقف على أمجادنا ، ونأخذ بأحسنها ، ونضيف اليها أمجادا يأخذها عنا الخلف كما نأخذ نحن عن السلف .

حماية الوطن :

ومن سلطان الوالي في الاسلام أن يستنفر الاجناد لحماية الوطن اذا داسه الاعداء ، وعندئذ يكون الدفاع فرض عين على القادرين ، **(وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين) .**

طلب المعونة المالية :

ومع اعتراف الاسلام بملكية الافراد للمال فانه اجاز للوالي عند استباحة حرمة الوطن أن يطلب من المواطنين المعونة المالية ، وقد وقع ذلك بالفعل وجاء الناس بما يملكون في الحروب الصليبية التي استتر وراءها المستعمرون باسم الدين المسيحي وهو ابعد ما يكون عن سفك الدماء وكذلك في حرب التتار ، وكل الذى طلبه علماء الدين لاجازة جمع التبرعات الا يكون ثمت مال في بيت المال عند طلب المعونة .

منع الاستغلال :

ويجيز الاسلام للوالي أن يحول بين المستغلين وجشعهم ، فيبيع على المحتكرين السلع التي احتكروها ويتم بيعها بالسعر المعقول ، وذلك درءا لاستغلال المحتاجين ، **والاسلام يحارب الاستغلال بجميع صوره ،** ولذلك حرم الربا ، وتطفيف الكيل ، وخسران الموازين ، وأكل مال اليتيم ، والبخس الخ .. اقرءوا الآيات الكريمة **(واحل الله البيع وحرم الربا) - (ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون واذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون) - (ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا) - (ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين) .**

الحجر على السفهاء :

ولاهمية المال ونفعه للمجتمع ، يحافظ الاسلام على المال من أن يضيع عبثا وسفها من سيء التصرف ، فأجاز الحجر على السفيه ، فقال تعالى **« ولا تؤتوا السفهاء اموالكم التي جعل الله لكم قياما وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا »** كما حافظ على أموال القاصرين من اليتامى فقال **(وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم أموالهم ولا تأكلوها اسرافا وبدارا أن يكبروا ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف فاذا دفعتم اليهم اموالهم فاشهدوا عليهم وكفى بالله حسيبا) .**

حفظ الأمن الداخلي :

وأجاز الاسلام للوالي بل أوجب عليه أن يحفظ الامن الداخلي ، صيانة للمجتمع من الاختلال باعتداء البعض على البعض ، بدليل قوله تعالى **(انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزى في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم) .**

وان اعتدت طائفة على طائفة ، حاول الوالي الاصلاح بينهما والا قاتل التي تبغي حتى تفيء الى أمر الله **(وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى أمر الله فان فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا ان الله يحب المقسطين) .**

حفظ الأعراض :

صان الاسلام أعراض المجتمع ، فحرم الزنا ورمي المحصنات الغافلات ، كما حرم التجسس بالغيبة والنميمة والسخرية ، وللوالي في صيانة الاعراض سلطات معروفة في الفقه من الجلد والرجم والحبس وغيرها .

مقاسمة الأغنياء أموالهم :

وللوالي أن يقاسم الأغنياء أموالهم ان اقتضت المصلحة العامة ذلك ، وقد قاسم أمير المؤمنين عمر بعض الصحابة كابن عباس وخالد بن الوليد ، ويروى في ذلك واقعة طريفة ، وهي أن أبا عبيدة بن الجراح وهو يقاسم خالدا أمواله سلمه خالد فيما سلمه فردة من حذائه ، فقال له أبو عبيدة ولكن هذه لا تصلح الا بتلك ، فقال خالد ولكن هذا أمر أمير المؤمنين ويجب أن يطاع .

كذلك قرأت ان أمير المؤمنين عمر لقى أبا سفيان بن حرب وكان عائدا من زيارة ابنه معاوية بالشام ، فقال له أمير المؤمنين : « اجزنا يا أبا سفيان » قال : « مم أجيزك يا أمير المؤمنين » قال : « مما احضرت من عند معاوية » فقال : « لم احضر شيئا » فمد أمير المؤمنين يده الى خاتم في اصبع أبي سفيان ودفع به للخادم وقال : « اذهب بهذا (كأمارة) الى دار أبي سفيان وقل لهند (امرأة أبي سفيان) ان أبا سفيان ارسلني لآخذ له ما احضر من المال » فأعطته خمسة آلاف دينار وذهب بها لأمير المؤمنين عمر وكان أبو سفيان يجالسه فضمها أمير المؤمنين لبيت المال لتكون في خدمة المجتمع .

أرأيتم اخواني سمو الاسلام وعظمته في الديموقراطية والاشتراكية والتعاونية - حقا انه من صنع الله الذي أتقن كل شيء .

وختاما أحييكم بتحية الاسلام التي يشع منها السلام والرحمة والبركات ، فأقول السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

أساليب القسم في اللغة وفي القرآن الكريم

للدكتور أحمد الحوفي

– ٢ –

تناول المقال السابق النوع الأول من القسم ، وهو الذى لا يقترن معه مقسم به ، وتبين أن هذا الضرب ليس فى القرآن الكريم شىء منه الا اذا كان حكاية عن غير الله سبحانه وتعالى أما النوع الثانى من القسم فهو الذى يصاحبه مقسم به ، لتحقيق غرض من الأغراض .

أغراضه

١ – من هذه الأغراض أن المقسم قد يضطر الى ذكر المقسم به تبرئة لنفسه من الكذب ، أو حضا لها على الوفاء ، فينصب المقسم به شاهدا على صدقه ، وكفيلا له .

وهذا هو الفرض الأصيل لهذا الضرب من القسم ، ولعل ذلك هو السبب فى كثرة مجيئه بالواو والباء ، لما فيهما من العطف والضم والمصاحبة والاسناد ، وربما كانت التاء مقلوبة عن الواو ، كما قلبت فى تقوى وتجاه .

فالنابغة الذبيانى يشهد الله على براءته من التهمة التى نسبت اليه ، اذ يقسم به فى قوله :

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة
وليس وراء الله للمرء مذهب

والمتلمس يقسم باللات والأنصاب أن هجاءه لابد ان يصيب خصمه مهما يحاول الفرار منه فى قوله :

اطردتنى حذر الهجاء ولا
واللات والأنصاب لا تئل

وقد ينوب عن هذا القسم التصريح باشهاد الله على الصدق ، كما فى قول الحارث بن عباد :

لم اكن من جناتها علم الله
ـه ولكنى بحرها اليوم صالى

وكما فى قول عمرو بن معد يكرب :

الله يعلم ما تركت قتالهم
حتى علوا فرسى بأشقر مزبد

وكما فى قول الحارث بن حلزة :

وفعلنا بهم كما علم الله
ـه وما أن للخائنين دماء

ومنه قول النبى صلى الله عليه وسلم فى خطبة الوداع : **ألا هل بلغت ، اللهم اشهد .**

ولهذا ورد الاشهاد يمينا فى قوله تعالى : « اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله ، والله يعلم انك لرسوله ، والله يشهد ان المنافقين لكاذبون » .

فسمى الله شهادتهم يمينا . وفى قوله تعالى : « **ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا ويشهد الله على ما فى قلبه وهو ألد الخصام** »

ووردت الشهادة يمينا فى قوله تعالى : « **ويدرأ عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين** » .

٢ – على أن القسم قد يدل على اعزاز المقسم به ، فى نحو لعمرى ، اى أقسم بحياتى الغالية ، كما فى قول النابغة الذبيانى :

وفى قول زهير :

لعمرى لنعم الحى جر عليهم
بما لا يوانيهم حصين بن ضمضم

وفى قول لبيد :

لعمرى لئن أمسى يزيد بن نهشل
حشا جدث تسفى عليه الروائح

لقد كان ممن يبسط الكف بالندى
اذا ضن بالخير الأكف الشحائح

وكذلك القسم بالمخاطب فى نحو لعمرك أو ما يشبهه ، هو اكرام له ، وتنزيل لعزازته منزلة المقسم نفسه ، كما قال لبيد :

لعمرك ما تدرى الطوارق بالحصا
ولا زاجرات الطير ما الله فاعل

وهذا الضرب من القسم ليس من الايمان الغليظة ، لأنه كثيرا ما يستعمل فى التأكيد فحسب ، لهذا لا يشترط فى المقسم به أن يكون معبودا أو مقدسا ، وان جاء كذلك ايمانا .

٢ ــ ولقد يدل القسم على تقديس المقسم به ، اذ كانت الأمم القديمة توثق ايمانها ، وتؤكد الوفاء بها باقامة الأرباب شهودا على أقوالهم ، يستمدون منها العون على الوفاء بعهودهم ، ويستنزلون سخطها على من يخون ويغدر .

وكان العرب يتعاهدون على النصرة والوفاء ، وربما جمعت المعاهدات قبائل متباعدة النسب ، فكانوا يوثقون عهدهم بالقسم فى الكعبة ، اذ يشهدون الله على ميثاقهم ، ويقسمون به سبحانه ، أو يقسمون عند أنصابهم التى ذبحوا عليها ، أو يكتفون بشهودهم البيت الحرام ، والقسم لديه ، ثم اضطرهم بعدهم عن البيت بأن اكتفوا بالقسم به . أو بشعائر الحج .

فمن القسم بالله قول الحارث بن عباد :

كلا ورب الراقصات الى منى
كلا ورب الحل والاحرام

وقول حسان بن ثابت :

انى ورب المخيسات وما
يقطعن من كل سريخ جدد

وقول الأخطل :

حلفت بمن تساق له الهدايا
ومن حلت بكعبته النذور

ومن القسم بالكعبة وشعائر الحج قول زهير :

فأقسمت بالبيت الذى طاف حوله
رجال بنوه من قريش وجرهم

وقول أعشى قيس :

فانى وثوبى راهب الحج والتى
بناها قصى وحده وابن جرهم

وقول شاس بن عبدة :

حلفت بما ضم الحجيج الى منى
وما شج من نحر الهدى المقلد

وقول غنية الأعرابية فى وصف ابنها :

أحلف بالمروة يوما والصفا
انك خير من تفاريق العصا

ومن القسم بالأنصاب والأوثان قول عبد العزى المزنى :

انى حلفت يمين صدق برة
بمناة عند محل آل الخزرج

وقول أوس بن حجر :

وباللات والعزى ومن دان دينها
وبالله ان الله منهن أكبر

فلما جاء الاسلام زاد الكعبة تعظيما ، فأقسم المسلمون بها .

وأسارع هنا فأنفى أن يكون فى القرآن الكريم قسم مبنى على أن المقسم به مقدس ، الا اذا كان بالله سبحانه ، كما جاء على لسان ابراهيم عليه السلام : **«وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين » وكما فى قوله تعالى : « كتب الله لأغلبن أنا ورسلى » . وقوله : « فورب السماء والأرض انه لحق مثل ماأنكم تنطقون »**

٤ – على أننا نجد فى أساليبهم أقساما بأشياء غير معبودة ولا مقدسة ، يريدون بالقسم بها اشهادها أو الاستدلال بها ، وهذا هو الضرب الاستدلالى من القسم .

ولا غرابة فى أن يخرج القسم عن معناه الأصيل الى غرض آخر هو الاستدلال ، فان الخبر والانشاء يخرج كل منهما عن غرضه الأصلى الى أغراض أخرى ، فالاستفهام مثلا يخرج عن طلب المعرفة الى النفى والتقرير والانكار والتعجب وغيرها ، من هذا قول النابغة الذبيانى :

والخيل تعلم أنا فى تجالدنا
عند الطعان أولو بؤسى وانعام

فهو يفخر بأنهم أقوياء يغلبون أعداءهم ، ولقد يمنون عليهم بالعفو بعد الهزيمة ، ويستدل على هذا بالخيل وهم من عددهم فى الحرب ، وذات صلة وثيقة بالنصر .

كذلك قال عنترة :

والخيل تعلم والفوارس أننى
فرقت جمعهم بطعنة فيصل

وقال الراعى :

ان السماء وان الريح شاهدة
والأرض تشهد والأيام والبلد

لقد جزيت بنى بدر ببغيتها
يوم الهباءة يوما ماله قود

فدل على وضوح المقسم عليه وذيوعه والاقرار به ، حتى ان انتقامه من بنى بدر طارت أنباؤه فى الآفاق ، وتناقلتها الريح ، وتداولتها أقطار الأرض ، حتى بلغت كل بلد ، وتناقلها الزمن . واذا كانت هذه تشهد بذلك وتعلمه وهى غير عاقلة فكيف أهل العقل والسمع والبصر والنفق ؟

ومن هذا قول المتنبى :

الخيل والليل والبيداء تعرفنى
والسيف والرمح والقرطاس والقلم

وقول الفضل بن عيسى فى وعظه :

سل الأرض من شق أنهارك ، وغرس أشجارك ، وجنى ثمارك ، فان لم تجبك حوارا أجابتك اعتبارا .

على أن هذا الأسلوب لم ينحصر فى الاشهاد ، بل تجاوزه الى القسم الصريح ، مثل قول عروة بن مرة الهذلى :

وقال أبو أمامة يالبكر
فقلت ومرخة دعوى كبير

فهو يسخر من استنجاد أبى أمامة بقبيلة بكر ، ويقسم بشجرة صغيرة ضئيلة على أن الدعاء الى النجدة كبير لا تستطيع قبيلة بكر تلبيته ، يريد بذلك أن يتهكم بقبيلة بكر ، كأنه شبههم فى جبنهم وخورهم بمرخة التى أقسم بها ، أو كأنه استدل بضعف هذه الشجرة على ضعف بكر وعجزها عن تلبية المستغيث .

ومن القسم الاستدلالى الصريح قسم الهجرس حين قتل جساسا قاتل أبيه فقال : « وفرسى وأذنيه ، ورمحى ونصليه ، وسيفى وغراريه ، لا يترك الرجل قاتل أبيه وهو ينظر اليه » .

فأقسم بهذه الأشياء للاستدلال بها على أنه ثأر ، لأنها كلها شهدت مصرع عدوه ، وساهمت فى قتله ، فشهادتها صدق .

ومنه قول الحصن بن حمام فى رثاء صديقه نعيم :

قتلنا خمسة ورموا نعيما
وكان القتل للفتيان زينا

لعمر الباكيات على نعيم
لقد جلت رزيته علينا

فأقسم بالبواكى على نعيم ، لأن بكاءهن يشهد بفداحة الخطب وعظم الرزية فيه .

واذا فقد تبين أن المقسم به والمقسم عليه ارتباطا وتناسبا فى جميع الأحوال .

على أن اللغة العربية لم تنفرد بالقسم الاستدلالى ، ففى العبرية واليونانية نظائر له .

جاء فى سفر أيوب : اسأل البهائم فتعلمك ، وطيور السماء فتخبرك ، أو كلم الأرض

فتجيبك ، ويحدثك سمك البحر أن يد الرب صنعت هذا ، الذى بيده نفس كل حى وروح كل انسى » .

وجاء فى خطبة من خطب ديموستين فى أثينا يحض على مقاومة فليب المقدونى : أقسم بالذين خاطروا بنفوسهم فى معركة ماراثون ، والذين كانوا فى الحرب البحرية عند سلامس ، والذين كافحوا الأعداء على فلاطس ، انكم لم تكونوا على الباطل » .

فماذا اراد من قسمه الاستدلالى ؟ اراد تحميسهم ، وأشعارهم بالفخر ، وتذكيرهم بالأبطال من اسلافهم ، وعقد موازنة بين حالهم فى الدفاع بحال آبائهم المجاهدين .

ومثل هذا القسم أن الشاعر يوليوس كان قد أبلى بلاء حميدا فى موقعة ماراثون ، فكللوه كعادتهم ، ثم اتهمه حساده بعد ذلك بأنه ساخط على اليونان ، فبرأ نفسه بقوله :

أقسم باكليلى الذى نلته يوم ماراثون انه لن يرانى شامت أضمر سخطا على اليونان .

ولعله قد تبين من هذا ان القسم الاستدلالى عند العرب وعند غيرهم ليس بالله ، ولا بشىء معبود ، وليس الغرض منه تعظيم المقسم به ، لأن المقسم به كما يكون عظيما يكون حقيرا ، كما راينا فى القسم بمرخة ، وهذا لا ينفى ان المقسم به قد يكون عظيما مصادفة واتفاقا .

وبعد .

فما الفارق اذا بين المقسم المراد به الاشهاد والقسم المراد به الاستدلال ؟

أو بعبارة أخرى أى فرق بين الاشهاد والاستشهاد ؟

يظهر الفرق من أن المراد بالاشهاد اشهاد الخالق سبحانه أو اشهاد الناس أو غيرهم على توثيق القسم وتوكيده والعزم على الوفاء به ، أما المراد بالاستدلال فهو الاستشهاد على صدق المقال ، كالاستشهاد بالسيف والريح والحصان على صدق الدعوى .

للبحث بقية

كلمات

لشيخ الاسلام الهروى مختصر لطيف دقيق فى التصوف ، اسمه : « منازل السائرين الى رب العالمين » ، شرحه شيخ الاسلام الامام ابن القيم بكتاب قيم جليل هو المعروف « بمدارج السالكين » .. وأثناء شرحه لكلام الهروى وقع على ما رآه خطأ .. وكان لابد من اصلاح الخطأ ، أو التنبيه اليه .. وكان لا بد أن يعتذر الى القارىء فى الوقت نفسه من أنه يقوم من الهروى هذا المقام ، فقال فى تواضع الأئمة وصدق المتجرد للحق : « شيخ الاسلام حبيب الى قلوبنا ، والحق أحب الينا من شيخ الاسلام » .

وحبذا ذلك النهج لمن يريد أن يعقب على كلام غيره ، فلا تكون شهوة الجدل ، ولا رغبة التنقص هى الباعثة على التعقيب ، بل حب الحق أولا ، على ما يحسن من تكارم العلماء ، ومودة الزملاء .

وليس كل مخالفة للرأى توجب الاستدراك .. والا كانت الفوضى .. وضياع بهاء العلم ، فما برح الناس مختلفين فى المواهب ، ومابرح مع كل خلاف من هذا القبيل علم ونظر الى الحقائق من زوايا متعددة .. وانما تمحص الحقائق ، ويحاط بما فى الأمور من وجوه المعانى ، باختلاف مدارك العلماء ، وتباين مشاربهم فى تناول الأمور ، ونظرهم الى ألوان المسائل .. فاذا تعقب كل باحث سواه

للحق

الأستاذ البهى الخولى

ـ لمجرد اختلاف النظر ـ فقد شغله بالدفاع عن نفسه ، وعطله عن أن ينتج جديدا ٠٠ وهو مع ذلك عسف قائم على الجهل بحكمة خلق الناس مختلفين ٠٠ وربما ثار الشر مع الجدل فحلت البغضاء والاحن محل ما يجب للعلماء من وقار وكرامة ٠٠ انما يكون التعقيب حين المخالفة الصريحة للحق ٠٠ أو حين يلتبس حق بباطل ، أو حين يكون للحق مقال تتضح به كافة مذاهبه فى مسألة من مسائله ، أو نحو ذلك من ضرورات تجلية الحق ، للحق ، فى نطاق الحب ورعاية حق الزمالة ٠٠

وعلى هذا النهج من الحب وأدب الاسلام أتناول موضوعات ثلاثة غير ذاكر أصحابها ، ولا مشير الى ما يميزهم ، ويحدد أشخاصهم الكريمة ٠

* * *

وأول هذه الموضوعات يتعلق بمكان السنة النبوية من كتاب الله تعالى : هل هى وحى كالقرآن ؟ أو هى من عنده ـ عليه السلام ـ من فيض علمه ، ورجحان مواهبه ، وما آتاه الله من الحكمة ؟

ونبادر فنقول : ان كل ماثبت من سنة رسول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من الأمور التشريعية ، هو شرع واجب الاتباع ولابد ، كالقرآن سواء بسواء ، والله سبحانه يقول : **« وما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا » ٠٠**

فالمبحث لا يتعلق بمدى العمل بالسنة الثابتة ، ففرضية ذلك العمل ، مسلمة باجماع كافة أهل العلم الأمناء على دينهم ، وعلى رسالتهم ٠٠ انما يتعلق المبحث بحقيقة السنة : هل هى وحى من عند الله ، أو هى من بصائره ـ عليه السلام ـ فى فقه القرآن ، وما يرد عليه من الحوادث ؟

يرى الكاتب الكبير الذى عالج هذا الموضوع : أن السنة وحى من عند الله ، كما أن القرآن وحى من عنده ـ سبحانه ـ ونص عبارته : **« من تكرار القول أن نتحدث الى القراء بان سنة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيما يتعلق بالجانب التشريعى ، وحى من عند الله ، كما أن القرآن وحى ، ولا جرم ٠٠ غير أن القرآن وحى بلفظه ومعناه ٠٠ والسنة وحى بمعناها ، أما لفظها فكلام الرسول » ٠**

وذلك وجه من وجوه الرأى فى هذه المسألة ولكن سيادته أيد ذلك الوجه وحده ، ونصره بايراد أدلة كثيرة ، وملابسات توسع من آفاقه ، دون أن ينص فى جلاء أن ما ذكره هو أحد الوجوه التى وردت ، وأن هناك من الائمة من يخالفه ، كأنه هو الوجه الوحيد الذى يجب أن يعتقد ٠٠

وتكملة لما فات سيادته أن ينص عليه بجلاء نقرر : أن ما ذكره ليس هو اجماع الائمة

ولا نشير فى هذا المقام الى أن الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ كان يقضى فى بعض المسائل الخطيرة ، فلا يلبث الوحى أن ينزل بغير ما قضى به ـ عليه الصلاة والسلام ـ ، فلو أن قضاءه الأول كان وحيا ، لما أدركه الخطأ ، ولما تداركه الحق ـ سبحانه ـ بالاصلاح ، لا نشير الى ذلك ، لأنه من قبيل ترجيح رأى على رأى ، وليس ذلك من مرادنا ، انما نقف عندما يفهم به القارىء فى انصاف أن المسألة موضع خلاف بين الأئمة ، فلا يظن فيها رأيا واحدا فقط ، ويكفينا لبيان هذا المراد ما يأتى :

*** أنه استشهد فى بحثه بقول الله تعالى : ((وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم)) مقررا أن التبيين المذكور فى الآية ، هو تبيين القرآن ٠٠ وتبيين القرآن لا يكون الا بوحى علوى يجانسه ، لا بكلام بشر مهما يكن ذلك البشر ، ونص عبارته فى ذلك : « ولا يستقيم فى حساب العقل الواعى أن يكون القرآن فى اعجازه العلوى خاضعا فى بيانه لمجرد الكلام البشرى ، مهما بلغ الانسان فى نضوج تفكيره ٠٠ بل يكون بيان القرآن خاضعا لوحى الهى يجانسه ويصادقه فيما يحتويه » ٠٠**

وهو رأى ـ كما ترى ـ له وجاهته ، ولكنه ليس كل ما قيل فى تفسير الآية ، فالامام ابن كثير يرى أن هذا التبيين يعتمد على علم رسول الله ، وما يكسبه الحرص على الرسالة وصدق تنفيذها والعمل بها من عمق الفقه وسعة المعرفة ، قال هذا الامام الجليل فى تفسيره لهذه الآية (**لتبين للناس مانزل اليهم)) ٠٠ لعلمك بمعنى ما أنزل الله عليك وحرصك عليه، واتباعك له))** ٠٠ أى أنه يرى ان التبيين لا يعتمد على الوحى ٠

*** واستشهد أيضا بقول الله تعالى : « والنجم اذا هوى ، ما ضل صاحبكم وما غوى، وما ينطق عن الهوى ، « ان هو » الا وحى يوحى)) ٠٠ فقال فى تفسير قوله تعالى : ((ان هو الا وحى)) أن ((هو)) ضمير لا يعود على القرآن ، بل يعود على المصدر المستفاد من قوله « ينطق عن الهوى » ٠**

والمعنى على هذا وما نطقه عن الهوى ، ان هو الا وحى يوحى ، ونص عبارته : « ولفظ: « ان هو » مرجع الضمير فيه ليس على القرآن بخصوصه ، فانه غير مذكور معنا ـ أى فى الآية ـ بل هو راجع فى ترجيح العلماء الى المصدر المستفاد من لفظ ينطق ، والمعنى على وجه الحصر ، مامنطق محمد الا وحى » ٠٠ وواضح من النص أنه ينفى عودة الضمير على القرآن بخصوصه ٠٠ وأن ذلك هو ترجيح العلماء ٠٠ ولكن ذلك يخالف ما ذهب اليه أئمة التفسير ، فالامام الطبرى لا يذكر فى تفسيره سوى قول واحد عن عودة الضمير فى قوله « ان هو الا وحى » هو القرآن الكريم، ولم يذكر « النطق » ولم يشر اليه ، ومعروف أن هذا الامام الكبير يورد فى تفسيره أهم الأقوال التى وردت فى تفسير الآية ان لم يوردها كلها ، فلو كان عودة الضمير على « النطق » قولا راجحا ، أو يعدل القول بعودته على القرآن لنص عليه ، فالسكوت عن ايراده له معناه فى أنه قول مرجوح ٠٠ ذلك الى أن الزمخشرى لم يورد فى هذا المقام سوى عودة الضمير على القرآن ، وذلك قوله فى تفسير الآية الكريمة : « وما آتاكم به من **القرآن** ليس بمنطق يصدر عن هواه » ٠٠

وأما الفخر الرازى فيذكر فى مرجع الضمير قولين ، ولكنه يرجح عودة الضمير على القرآن لأنه الأشهر ، ونص عبارته « نقول فيه وجهان . أشهرهما أنه ضمير معلوم **وهو القرآن** ، كأنه يقول ما القرآن الا وحى » ٠٠

والذى يهمنا من ذلك كله أن عودة الضمير على النطق ليست هى الرأى الوحيد فى الآية، ولا الرأى الراجح ، بل هناك غيرها ، بل ما يرجحها ٠٠ أى أنه ليس فى الآية ما يقطع بأن السنة وحى ٠

*ونختم ذلك بأن كتاب « الرسالة » للامام الشافعى تعرض للكلام عن السنة التى

لم يرد بها نص فى القرآن الكريم وحصر وجوه الرأى فيهـــا فى أربعة أقوال ، قال الامام الشافعى ـ رضى الله عنه ـ :

١ ـ فمنهم من قال : جعل الله له ـ بما افترض من طاعته وسبق فى علمه من توفيقه لرضاه ـ أن يسن فيما ليس فيه نص كتاب » .. وهذا القول صريح فى أن السنة ليست وحيا ..

٢ ـ ومنهم من قال : « لم يسن سنة قط الا ولها أصل فى الكتاب » .

٣ ـ ومنهم من قال : « بل جاءته به رسالة الله ، فأثبتت سنته بفرض الله » .

٤ ـ ومنهم من قال : « ألقى فى روعه كل ما سن » ..

ولم يعقب الشافعى ـ رضى الله عنه ـ على تلك الآراء بترجيح قول على آخـر ، بل ترك لكل قوله ، ليرى كل مسلم منها لنفسـه مايريد ..

واكتفى بأن تلك الأقـوال فى السنة لا شأن لها فى اضعاف فرضية العمل بهـا ، وذلك تعقيبه ، أو تعليقه عليها : « وأى هذا كان .. فقد بين الله أنه فرض فيـه طاعة رسوله ، ولم يجعل لأحد من خلقه عذرا بمخالفـة أمر عرفه من أمر رسول الله » .

ولعلنا بذلك قد بلغنا ما نريد من توضيح الاجمال الذى قد يوهم أن الرأى القائل بأن سنة رسول الله وحى ، هو الرأى الوحيد .. بل هو رأى من الآراء .

* * *

والموضوع الثانى بحث فى قصة يوسف ـ عليه السلام ـ ومن أهم ما يوجب التعقيب فى هذا البحث ما يأتى :

أولا ـ أن المؤلف الفاضل ذكر أن يوسف ـ عليه السلام ـ دخل مصر وعمل فيها وزيرا لفرعون اسمه : « الريان بن الوليـد » .. ولا شك أن الأستاذ الكاتب نقل هذا الاسم العربى المبين ، لهذا الفرعون الأعجمى الصميم .. عن أحد كتب التفسير القديمة .. اذ كان من دأب بعض هؤلاء القدامى أن يخترعـوا أسماء لما يأتى فى القـرآن الكريم من ذوات أو شخوص غير مسماة.. ولعلهم لم يخترعوا شيئا بل وجدوا أهل الكتاب الذين دخلوا فى الاسلام ظاهرا ليكيدوا له باختراع الأباطيل وحبكها بذكر أسماء للشخصيات المبهمـة .. وكان من عذر أمثال الامام الطبرى ـ رضى الله عنه ـ فى قبول هذه الأسماء أن تاريخ مصر لم يكن قد حلت رموزه ، وأن هـؤلاء المتعاملين الذين أجادوا اصطناع الورع ومظاهر التقوى هم أرباب معرفة ذلك التاريخ ، فهم بنو اسرائيل الذين يعرفون من شأن يوسف وموسى ويعقوب واسـحاق وابـراهيم وغـيرهم من الأنبيـاء والمرسلين ، ما لا يعرف سواهم .

ولكن اذا كان الطبرى وغـيره اسـتدرج لقبول مثل هذا الاسم « الريان بن الوليد .. أو الوليد بن الريان » فما عذر السيد الكاتب أن ينقله عنهم بعربيته الفصحى اسما لأحـد الفراعنة ، وهو يعلم أن تاريخ مصر القـديم قد ملأ الدنيا ، ويعرف منه الصغار والـكبار أن أحدا من ملوكه لم يكن له اسم عربى قط ؟

ثانيا ـ أن المؤلف تناول نبى الله يعقـوب ـ عليه السلام ـ بما لايليق ، بل بما يحـرم تناوله به ، فقد أرجع سيادته وقـوع الشر بين يوسف واخوته الى أنهم ليسوا جميعا من أم واحدة ، بل من أكثر من أم ، وقال : ان هذا من جناية يعقوب على بنيه .

والجناية ـ كما جاء فى لسان العـرب ـ : «الذنب والجرم ، وما يفعله الانسان مما يوجب عليه العقاب أو القصاص فى الدنيـا والآخرة » ، وجاء فى المصباح المنير : « جنى على قومه جناية ، أى أذنب ذنبا يؤاخذ به » .. فاذا أجزنا الجناية على أنبياء الله فليس لذلك من معنى الا أنهم فى مستوى عامة النـاس الذين يوجبون على أنفسهم العقاب والقصاص بتصرفاتهم المنحرفة عن الصـواب ، ويكونون بذلك فى حاجة الى من يقوم لهم أعمـالهم ، لا أن يتصدوا لتقويم أعمال الناس ، ويبطل بذلك ما أوجب الله علينا من الاقتداء بهداهم ، اذ لا اقتداء بمن يوجب على نفسه العقـاب ،

ويستدعى ذلك – طبعا – اعـادة النظر فى عصمة الأنبياء ، وفى قوله تعالى : « **الله أعلم حيث يجعل رسالته** » .. الخ .

وقد يكون لفضيلة الكاتب رأى فى تعدد الزوجات جره الى هذا التعبير ، ولكن شأنه فى ذلك غير شأن سواه ، فهو يعلم أن أحدا من علماء الاسلام لم يذهب الى أن التعدد جناية أيا كان ، وأن من تزوج بأكثر من واحدة فقد جنى ولابد .. ومع ذلك فهل بحث فضيلته ظروف يعقوب – عليه السلام – قبل أن يحكم عليه بأنه جنى على بنيه ؟.. ان الظروف التى تستبان من نسق القصة فى القرآن تدل على أن العشرة الأول من بنيه من زوجة واحـدة ، وهم أكبر أبنائه ، وأن الحادى عشر ، والثانى عشر – وهما أصغر بنيه – من امرأة أخرى ، فلو أنه – عليه السلام – جمع بين الزوجتين فى وقت واحد ، لتداخلت – عادة – أعمـار أبناء الضرتين بعضها فى بعض ، فمجىء الأبناء على الترتيب الذى ذكرنا لا يدل حتما على أنه جمع بين الزوجتين ، بل ان دلالته على خلاف ذلك ابين .. ومهما يكن من شىء فان جمعه – عليه السلام – بين الزوجتين ليس حقيقة مؤكدة بازاء القرائن التى تثير الشك فيه .. فاذا كان الجمع بين الزوجتين – على ما قد يكون للسيد الكاتب من رأى فى التعدد – بحمل وصف الجناية، فان الشك فى ذلك جدير بأن يدفع عن الرجل العادى تهمة أنه جنى ، فكيف نقتحم به حرمة نبى من أنبياء الله ؟.. ومع ذلك كله فان التعدد كان هو الشرعة السائدة قبل الاسلام بين من يدينون الوثنيـة ، ومن يدينون شرائع السماء ، فلم يك ينكره عرف مجتمع ولا شرع معمول به ، فكيف نعتبر نبيا جانيا لأنه أخذ بما يسيغه العرف ، ويحله الله ؟..

ثالثا – قرر المؤلف أن يوسف – عليه السلام – امتنع عن امرأة العزيز أول الأمر ، ثم لان فأجاب ، لكنه رأى برهان ربه ، فعدل قبل أن يقترف الاثم .. وهذا الذى قرره هو أحد الأقوال التى قيلت فى تحليل هذا الموقف .. وهناك أقوال تثبت له العصمة والامتناع من أول الأمر الى آخره .. ولا ادرى لمـاذا اختار السيد الكاتب رأى المطاوعة والاستجابة دون موقف العصمة والاباء ؟

اننا فى عصر أحوج ما نكون فيه الى شـد عزائم الصدق فى الشباب ، وتمكين التماسك – أمام كافة المغريات – بفضائل التسامى والعفة ، وذلك يدعونا ألا نختار فى توجيههم الا أرشد المواقف الباعثة الى الاقتداء وأشرف المثل .. فاذا لم يختر أحدنا لنفسـه ذلك ، فلا أقل من أن يعرض الرأيين كليهمـا ، أداء لحـق الأمانة .. أما أن يكتفى بالرأى الذى يظهر هذا النبى الكريم فى صورة من لا يثبت على العصمة أمام داعى الاثارة والفتنة ، فهـو يستجيب للاثم ، ولايمنعه من اتمـامه الا طارىء لم يكن فى حسبانه ، فأقل ما فيـه من الخطأ أنه ايحاء للشباب بان عزيمة هـذا النبى لا تمتاز عن أحدهم فى هذا الموقف بشىء .. ودع ماوراء ذلك من التهوين من قدر ما يعرض القرآن من مثل وعبرة .. قال فيهـا سبحانه : « لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألباب : » ، « وكذلك نقص عليك من أنبـاء الرسـل ما نثبت به فؤادك » ، اذ أن العبرة والتثبيت فى موقف لم تثبت فيه ارادة البطل أمام عامل الاغراء والفتنة المثيرة !!

على أننا بعد هذا لا نسلم بصـحة الرأى القائل : بأن يوسف استجاب لداعى غريزته، وتهيأ للجريمة فعلا ، فلم يمنعه من اتمامها الا الطارىء الذى تخيلوه .. لا نسلم ذلك اطلاقا .. لأن نص الآية الكريمة وتركيبها اللغوى بعيد منه كل البعد، ولا ينتج سوى اباء يوسف – عليه السلام – واستعصامه بالذروة العليا من فضيلة العفة ..

ان سياق القصة ينظم هذا الموقف فى قوله تعالى :

« ولقد همت به ، وهم بها ، « لولا » أن رأى برهان ربه » .

ومزلق الاستدراج الذى استغله خبثاء اليهودية فى هذا النظم الكريم ، هو توجيـه

الأفكار الى أن « لولا » مستعملة للاستدراك فى هذا المقام ، فالمعنى على ما زينوا وخيلوا : أنها همت به ، وانه هم بها ، « لكنه » رأى برهان ربه فعدل ٠٠

والفرق بعيد جدا بين استعمال « لكن » واستعمال « لولا » فان « لكن » تستعمل للاستدراك ، قال ابن هشام فى المغنى : « وفسر بأن تنسب لما بعدها ، حكما مخالفا لما قبلها ، ولذلك لابد أن يتقدمها كلام مخالف لما بعدها ، نحو : ما هذا ساكنا ، لكنه متحرك » ٠٠ أما « لولا » فلا تستعمل للاستدراك البتة ، وقد حصر ابن هشام استعمالها فى أربعة أوجه ، ليس منها الاستدراك ، ويهمنا من تلك الأوجه الوجه الذى تستعمل فيه حرف امتناع لوجود ٠٠ أى امتناع شىء لوجود شىء آخر سابق ٠٠ قال ابن هشام انها « **تدخل على جملتين** : الأولى اسمية ، والثانية فعلية لربط امتناع الثانية بوجود الأولى ، نحو: لولا زيد لأكرمتك ٠٠ أى لولا زيد موجود » ٠٠ ويؤخذ من قوله انها تدخل على جملتين ٠٠ الخ ، أن لها الصدارة عليهما كلتيهما ، فلا تتقدمها احداهما ، فاذا وجدنا احداهما ولم نجد الاخرى ، وجب الاستدلال عليها من سياق الكلام وتقدير محلها بعد لولا ‥ فالفرق بين « لكن ، ولولا » من هذه الناحية ، أن لكن تنسب لما بعدها حكما مخالفا لما قبلها ٠٠ أما لولا ، فلا شأن لها بما قبلها ، بل بالجملتين اللتين تردان بعدها ٠٠

فاذا ذهبنا ننظر فى الآية على ضوء تلك المقاييس اللغوية ، وجب :

١ ــ أن نستبعد من أذهاننا أى معنى للاستدراك ، فان لولا هى التى معنا فى الآية ، وليست لكن ٠٠ ولولا كما عرفنا لا تستعمل فى الاستدراك ٠٠ وعلى هذا فمن الخطأ فى الفهم أن نتصور الموقف على أن كلا منهما هم بالآخر « لكن » يوسف رأى برهان ربه ، فعدل ٠٠ فذلك لا تؤديه قوانين اللغة التى يجب أن تكون أساسا لفهم كتاب الله ــ عز وجل ــ ٠

٢ ــ أن تراعى صدارة لولا ، فلابد من دخولها على جملتين : أولاهما اسمية ، والثانية فعلية ٠٠ فان لم نجد الثانية ، وجب استهداء نسق الكلام لتقدير نظم يؤدى المعنى ويحقق شروط الوضع اللغوى ٠٠ والآية هنا تجعل « لولا » داخلة على جملة اسمية فحسب ٠٠ « **ولقد همت به ، وهم بها « لولا » أن رأى برهان ربه** » ــ واذن ــ ، يجب أن نستهدى نظم الآية فى تقدير الجملة الثانية التى يتم بها جواب لولا ، فلا نجده الا فى قوله « **وهم بها** » فهو دليل الجواب المحذوف ، فيكون التقدير: « ولولا أن رأى برهان ربه ، لهم بها » ٠٠ ذلك حكم اللغة الذى يجب أن ننزل عليه فهمنا للآية الكريمة ولابد ٠٠

والمعروف أن ما بعد « لولا » يعرب مبتدأ ، خبره كون مطلق محذوف ٠٠ فتقدير الآية على هذا ــ مع اظهار الخبر ــ هو : « لولا رؤيته برهان ربه كائنة ، أو مستقرة ، لهم بها » ‥ وبما أن لولا حرف امتناع لوجود ، أى يمتنع به مضمون الثانية لوجود مضمون الاولى ، يصير معنى الآية ولا بد : **لقد امتنع همه بها لشهوده برهان ربه كائنا ، أو مستقرا فى ضميره** ٠

وبرهان الله ، هو علمه وهدايته ، على نحو ما قال ــ سبحانه ــ :

« يأيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم ، وأنزلنا اليكم نورا مبينا » ٠

وقد فسر الزمخشرى البرهان بأنه القرآن ٠٠ والقرآن بلا شك ، علم الله وهدايته ٠٠ فاذا ذهبنا نلتمس ذلك البرهان الذى استقر فى ضمير يوسف ــ عليه السلام ــ ألفينا القصة تقول بصريح العبارة : « **ولما بلغ أشده آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزى المحسنين** » ٠٠ والاحسان أن تعبد الله كأنك تراه ، فان لم تكن تراه ، فهو يراك ٠٠ أى أن الله سبحانه أقر فى فؤاده ــ عليه السلام ــ العلم والحكمة والاحسان ، وكلها تؤلف برهان الله الذى عصمه من حكم غريزته ، فما أن عرضت امرأة

العزيز عليه نفسها حتى صاح ذلك البرهان على لسانه بكل قوة : « **معاذ الله ، انه ربى أحسن مثواى ، انهلا يفلح الظالمون** » ، ولو كان مجردا من ذلك البرهان ، لكان فى سيطرة غريزته ، ولاستجاب لما عرض عليه ٠٠ أى لولا رؤيته ذلك البرهان ماثلا فى ضميره ، لهم بها عندما همت به ٠٠ ذلك هو الحق الموافق لقوانين اللغة ،وعصمة الأنبياء ، وتخير المثل للعبرة والقدوة ٠٠ وكل رأى دون ذلك لا تقره لغة ولا دين ٠٠

رابعا ـ انه وقف كأنه يخفف من خطيئة امرأة العزيز ، ويقول ان : رجالا من المفروض فيهم أنهم أقوى ارادة من امرأة العزيز قد جاز عليهم ما جاز عليها وكم من ملك تنازل عن عرشه اجابة لداعى الحب .. الخ . ولسنا ندرى ماذا تكسب الفضيلة من تهوين خطيئة امرأة متزوجة ، أهدرت قيم العفة ، وحقوق الزوج ، وكرامة البيت الذى تعيش سيدة له، والمنصب الذى يشغله زوجها ، مع غلام عزب هو منها فى مقام الولد والخادم ؟٠٠

أما الذى لا نسكت عليه ونأسى له أشد الأسى ، فهو أن يشير المؤلف فى هذا المقام الى أنه كانت لرسول الله محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ قصة ؟ يعنى بها ما افتراه عليه اليهود واستدرج اليه بعض المفسرين من أنه أحب زينب بنت جحش ، زوجة زيد بن حارثة ، حتى زوجه الله اياها ، ومعاذ الله أن يصبو قلب محمد سيد الأبرار الى امرأة سواه، وحاشا لله أن تهون لديه الحرمات فيبارك مثل هذه الصبوة ، فيلقى البغضاء فى قلب كل من الزوجين للآخر ، لتخلص المحبوبة لرسوله العاشق ٠٠ كلام كله اثم مفترى ، يتنزه عنه مقام الألوهية ، ولا يرتفع مثقال ذرة الى عصمة الرسالة ٠٠ ولا دليل له بعد ، ولا شاهد عليه فى حرف واحد من التنزيل الحكيم ٠٠ وقد عرض الأستاذ الامام محمد عبده لهذه الفرية فحطمها بفقه المؤمن ، وعلم الخبير بمرامى اللغة ، ومنطق الحكيم المدرك لأسرار التنزيل وحكمة الشرع ٠٠ فجزاه الله عن الاسلام كل خير ٠

وفى البحث غير ذلك مما يوجب التعليق ، ولكنا ندعه آسفين ، وما تقدم منه ، دليل على ما بقى ٠٠

* * *

والموضوع الثالث بحث عن آدم ـ عليه السلام ـ أو آدم والانسان ٠٠ وفيه مسائل تدعو الى التعقيب ٠٠ منها :

❋ « **فلما أتبع آدم وزوجه طريق الشر عوقبا بالطرد من الجنة** » ٠ والمعروف أن آدم وزوجه تابا الى الله من المعصية ، وقبل الله توبتهما ، **وليس مع قبول التوبة عقوبة «وعصى آدم ربه فغوى ، ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى ، قال اهبطا منها جميعا »** فطلب الهبوط جاء بعد التوبة وقبولها ، ومعاذ الله أن يقبل توبة تائب من معصية ثم يعاقبه عليها .. أى أن الهبوط من الجنة لم يكن عقوبة ، ولا طردا ، بل قدر يمكن أن نلحظ التدبير له فى القصة لو تأملنا فيها، وحبذا لو توفر الباحثون على تجليته بدراسة الآيات فى القرآن نفسه ، لا باستعراض الألفاظ كما ذكر الأستاذ المفكر الكبير ..! وقد عالجناه جهد طاقتنا اليسيرة فى كتابنا آدم عليه السلام ..

❋ ان الخلافة عن الله فى الأرض لا يصلح لها « أى ملاك علوى لا يعقل ، على الرغم من تسبيحه وطاعته لله ، ومع ذلك ليس كل الملائكة مطيعين لله ،لان منهم ابليس الذىعصى ربه » ، فهو ينفى عن الملائكة أمرين : **أحدهما** العقل ، على الرغم من تسبيحهم وطاعتهم لله .. وهذا خطأ ، فان الله سبحانه أخبر أنه « **جاعل الملائكة رسلا** » وانه « **ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده ، ان انذروا انه لا اله الا أنا فاتقون** »، فلو لم يكن لهؤلاء الرسل مواهب قدسية يعقلون بها عن الله علمه القدسى ، لما صلحوا لتلك المهمة الخطيرة ، ولما اختيروا لها ، ولوحملوها وهم جهلة لا يعقلون، لكان بلاغهم عن الله مشكوكا فيه ، ولكان ذلك ثغرة واسعة توجه منها المثالب والمطاعن الى رسالات الله كافة ، وحاشا لله أن يختار لرسالاته رسلا لا يعقلون ، وقد كان هؤلاء الملائكة يعلمون الأنبياء ما نزل اليهم ، وجبريل

كان يقوم من رسول الله مقام المعلم ، والله تعالى يقول فى سورة النجم ! **علمه شديد القوى »** وهذا المعلم الشديد القوى هو جبريل عليه السلام ، فكيف يكون معلما لمحمد أكمل الناس عقلا وهو لا يعقل ؟..

والأمر الثانى الذى ينفيه الأستاذ الكبير عن الملائكة ، أنه « ليس كل الملائكة مطيعين لله لأن منهم ابليس الذى عصى ربه » .. وهذا أيضا خطأ ، لأن الله سبحانه أثبت لهم هذه الطاعة بجلاء ، فهم « **عباد مكرمون ، لايسبقونه بالقول ، وهم بأمره يعملون » « يسبحون الليل والنهار لايفترون » « لا يعصون الله ما أمرهم ، ويفعلون مايؤمرون »** فكيف نتصور عدم طاعة بعضهم لله ، وهو يقول فيهم جميعا بلا استثناء **« وهم بأمره يعملون » . « لا يعصون الله ماأمرهم ، ويفعلون ما يؤمرون »** .

وأما ابليس الذى استشهد بعصيانه على ما يقول ، فالله تعالى يقول فيه انه **« كان من الجن ففسق عن أمر ربه »** ففهم جماعة من ذلك أنه ليس من الملائكة .. وذهب آخرون الى أن الجن الذين هو منهم ضرب من الملائكة يتناسلون ولهم ذرية ، وليسوا ملائكة خلصا ، أى أنه ليس ملكا خالص الملائكية ، لأننا اذا جعلناهم ملائكة خلصا لايكون ثمت معنى لقوله تعالى : **« الا ابليس كان من الجن »** لأن معناه يكون : الا ابليس كان من الملائكة ، وهولفو ينزه أحدنا كلامه عنه ، فكيف بكلام الله المفصل على علم ؟ .. وفى الموضوع خلاف طويل الذيول دخلته الاسرائيليات بكل ما استطاعت من دس مسموم .. والعبرة فى مثل ذلك أن نلتزم منصوص كتاب الله وحده ، ففيه العلم النقى ، والعصمة من الزلل .

*** انه تأثر بما لدى اليهود من أن الشجرة التى حرمت على آدم فى الجنة هى شجرة المعرفة ، أو «رمز طريق الخير والشر»** والأكل منها « رمز للشعور بالذات » ولما تكلم عن معرفة آدم جعل كلامه تحت عنوان « شجرة المعرفة » ولما تعرض لبيان الشجرة قال ان المفسرين اختلفوا فى أمرها ، فمنهم من قال « انها الحنطة ، وقال آخرون انها التفاح، وقال بعضهم الثالث انها « رمز فقط ، انها شجرة المعرفة » . والحق أن أحدا من المفسرين لم يقل هذا القول وليرجع من شاء الى أمهات التفسير المعتبرة ، الطبرى، والقرطبى، والفخر الرازى ، والزمخشرى ، وابن كثير ، وابى السعود والنيسابورى ، والبيضاوى ونحوهم فلن يجد احدا منهم أورد ذلك القول ، انما سيجد أن الآية ١٧ من الاصحاح الثالث من سفر التكوين بالتوراة تقول مانصه « واما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها ، لانك يوم تأكل تموت موتا » .

*** ولما اعترض الملائكة على خلافة آدم « أجابهم الله على اعتراضهم بما يفيد أن آدم أفضل من الملائكة » وأن « الفضل يرجع الى المعرفة التى ترمزالى تسميةالأشياء بأسمائها» .. والمعروف أن سجود الملائكة لآدم ليس سجود عبادة ، ولا سجودا توضع له الجباه على الأرض ، فلكل صنف وجنس من الخلائق سجود يؤديه بما يلائم ناموس خلقته ، وقد كان سجود الملائكة سجود تحية وتواضع ومودة لآدم عليه السلام ، ولم يكن لأنه أفضل منهم ، اذ لا دليل له ، أما المعرفة التى ترمزالى تسمية الأشياء بأسمائها ، فهى سر بثه الله فى الانسان يعرف به خصائص الأشياء فيسميها بأسمائها ، وليست ميزة تفضيل ، والا كانت أمم الغرب الآن أفضل من الملائكة بما عرفوا من خواص الأشياء وكشفوا من قوانينها .. هذا وقدرة العقل على معرفة خواص الأشياء وتسميتها بأسمائها غير قدرة مواهب الروح التى نفخها الله فينا لمعرفة الخير والشر ، فهذه غير تلك .. وبمواهب الروح - لا بمواهب العقل الطبيعى - يترقى الانسان فى آفاق كماله ، ولم يقطع العلماء : هل يصير الانسان بهذا الكمال أفضل من الملك ، أو يكون دونه ؟ ان وراء ذلك بحوثا مستفيضة جليلة تدل على عمق قصة آدم لسنا بسبيل ايرادها ..والله يهدينا جميعا سواء السبيل .**

فقهاء الأندلس وكتب الغزالى

الدكتور عبد العزيز الأهوانى

يذكر المؤرخون الأندلسيون أن محمد ابن تومرت الملقب بالمهدى قام برحلة من المغرب الى المشرق يطلب فيها العلم ، شأن كثير من طلبة العلم المغاربة فى عصره ، حين كانوا يشدون الرحال الى عواصم الشرق الاسلامى فى سبيل لقاء العلماء والاطلاع على المؤلفات ورواية الكتب . وكثيرا ما كانوا يؤدون فريضة الحج فى رحلاتهم العلمية هذه . ويذكر بعض هؤلاء المؤرخين أن ابن تومرت لقى الامام أبا حامد الغزالى فيمن لقى من العلماء ، وأن ابن تومرت وهو فى حضرة الغزالى أخبره أن رؤساء الدولة المرابطية ، التى كانت قائمة وقتذاك فى المغرب والأندلس ، قد أمروا بحرق كتب الغزالى ، ونهوا الناس عن قراءتها وتعرضوا لدارسيها بالأذى الشديد ، فغضب الغزالى لذلك ورفع يديه الى السماء ودعا الله أن يحرق ملك المرابطين ويسقط دولتهم ، كما حرقوا كتبه ، وان ابن تومرت انتهز هذه الفرصة وسأل الغزالى أن يكون هذا السقوط على يديه ، فاستجاب له الغزالى وقال ما معناه « اللهم وليكن ذلك على يدى هذا الرجل » .

والتاريخ يذكر أن ابن تومرت عاد الى المغرب وأخذ يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويحرض الناس للقيام على الدولة المرابطية ، وانه قام فى هذا السبيل بجهد عظيم حتى تم على يديه ويدى خليفته عبد المؤمن بن على اسقاط الدولة المرابطية فى النصف الاول من القرن السادس الهجرى ، وقامت على أنقاضها دولة الموحدين التى جعلت من المهدى ابن تومرت امامها الروحى ، والتى ملكت المغرب والأندلس .

ويشك المؤرخون المحدثون فى أمر لقاء المهدى للغزالى ، وان سلموا برحلته الى المشرق ، ويرون فى أمر اللقاء مسحة قصصية للخيال فيها دور كبير ، ثم انهم يشكون أيضا فى مدى التلمذة الروحية بين المهدى والغزالى ، إذ أن مؤلفات ابن تومرت التى وصلت الينا تختلف فى تعاليمها اختلافا كثيرا عن مذهب الغزالى . وهم يرون أن

المتأخرين من الموحدين أرادوا استغلال أسم الغزالى ، الذى عرف دوره الضخم فى الحياة الدينية الاسلامية ولقب بحجة الاسلام ، استغلالا سياسيا ضد خصومهم من الفقهاء وأنصار الدولة المرابطية .

أما عن واقعة تحريق كتب الغزالى فى الأندلس ، فقد وردت فى بعض المصادر الأندلسية التى أكدت أن ذلك التحريق كان بناء على طلب الفقهاء الأندلسيين ، فاستجابت لهم الدولة وأصدرت أوامرها بتحقيق ذلك .

وقد أطلعنا أثناء وجودنا فى أسبانيا منذ سنوات على مخطوط فى مكتبة دير الأسكوريال يضم فيما يضم رسالة (المخطوط رقم ٥٣٨) صدرت عن رابع الأمراء المرابطين .. وهو تاشفين بن على بن يوسف بن تاشفين .. تتصل بهذا الموضوع . وهى رسالة صدرت فى العشر الأول من جمادى الاولى سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة ، وجهها تاشفين الى أبى زكريا يحيى بن على والفقيه القاضى أبى محمد بن جحاف وسائر الفقهاء والوزراء ببلنسية يقول فيها :

« وأعلموا رحمكم الله أن مدار الفتيا ومجرى الأحكام والشورى فى الحضر والبدا على ما اتفق عليه السلف الصالح رحمهم الله من الاقتصار على مذهب امام دار الهجرة أبى عبد الله مالك بن أنس رضى الله عنه . فلا عدول لقاض ولا مفت عن مذهبه ، ولا يأخذ فى تحليل ولا تحريم الا به ، ومن حاد عن رأيه ، بفتواه ، ومال من الأئمة الى سواه ، فقد ركب رأسه وأتبع هواه . ومتى عثرتم على كتاب بدعة أو صاحب بدعة فاياكم واياه ، وخاصة وفقكم الله كتب أبى حامد الغزالى ، فليتبع أثرها ، وليقطع بالحرق المتتابع خبرها ، ويبحث عليها ، وتغاظ الأيمان على من يتهم بكتمانها »

ويبدو أن هذا الأمر باحراق كتب الغزالى قد سبقه أمر أو أوامر أخرى . فقد تحدث ابن طملس فى مقدمة كتابه عن المنطق الى اضطهاد الفقهاء الأندلسيين لمن يدرسون الغزالى ويعكفون على كتبه وتحريق تلك الكتب ، وذكر أن ممن اضطهدوا فى هذا السبيل أبا بكر بن العربى الفقيه الاشبيلى المشهور الذى زار المشرق من قبل واتصل بالامام الغزالى وتتلمذ عليه فترة غير قصيرة .

ويحق لنا أن نتساءل عن السبب أو الأسباب التى جعلت فقهاء الاندلس يقفون من كتب الغزالى هذا الموقف ، وأن نحاول تفسير هذه الظاهرة التى تتصل بامام من أكبر أئمة المسلمين .

لقد حاول ابن طملس فى مقدمته المذكورة ذلك ، ورد الأمر الى جمود فقهاء الأندلس واقتصارهم من الناحية الثقافية على مسائل الفقه وكتب الفروع ، بحيث صاروا لطول ألفتهم لهذه الكتب يستنكرون كل كتاب يشتمل فى مسائل الدين على غيرها ، فكان الجهل مصدر تعنتهم ، ومن جهل شيئا عاداه . ويضرب ابن طملس مثالا لهذا الجهل وأنه ليس مقصورا لدى فقهاء الأندلس على عصر دون عصر ، فحين جاء الفقيه الأندلسى بقى بن مخلد بمسند ابن أبى شيبة من المشرق ، ثار عليه الاندلسيون حين أطلعوا عليه لأنهم وجدوا فيه ما لم يجدوه فى كتب الاحاديث التى بين أيديهم ، وأنه لولا تدخل السلطان الاموى لساء مصير بقى بن مخلد .

ونستطيع نحن أن نذكر أمثلة أخرى لهذا الاضطهاد ، لعل أوضحها ما تعرض له أبو محمد بن حزم حين أخذ بالمذهب الظاهرى فى الفقه فثار الفقهاء الأندلسيون وحرقوا كتبه واضطروه الى أن يلجأ لقريته بعيدا عن مساجد العواصم الأندلسية الكبرى .. ونحن نعرف أيضا أن المنصور بن أبى عامر حين تولى أمر الاندلس فى آخر القرن الرابع الهجرى جمع الفقهاء وتقرب اليهم باستخراج الكتب الفلسفية والعقلية من مكتبة الخليفة الأموى الحكم المستنصر وأتلفها باعتبار أنها مما لا ينبغى الاشتغال به . ونحن نعلم قبل ذلك ثورة الفقهاء الأندلسيين على الحكم بن هشام ثالث أمراء بنى أمية بالأندلس ، تلك الثورة العارمة التى عرفت بثورة أهل الربض ، حين أنكروا عليه نوعا من التسامح

أو التهاون فى قضايا تتصل بالدين والأخلاق .

بل ان الدولة الموحدية نفسها التى شنت الحملة على الفقهاء وحرقت كتب الفروع لم تستطع الثبات أمام صولة فقهاء الأندلس ، واضطرت الى مجاملتهم كثيرا . ولا نذكر هنا اضطهاد الدولة الموحدية لابن رشد الفيلسوف بعد تشجيعها له ، فربما كان لهذا الاضطهاد أكثر من سبب ، ولكن لا نملك الا أن نذكر تراجع الدولة الموحدية عن فكرة المهدى المعصوم التى أخذت بها أول قيامها ، ثم سكوتها على الفقهاء الذين عادوا لكتب فروع المذهب المالكى فى الفقه يعكفون عليها ولا يرجعون الى غيرها ، بعد اذ أرادت الدولة بعد الرجوع المباشر الى القرآن الكريم والحديث والاجماع وتجنب التعصب لأئمة المذهب المالكى والاقتصار على ما ورد فى كتبهم . بل ان لدينا فيما يتصل بالغزالى نفسه فى عهد الدولة الموحدية ظاهرة تستلفت النظر . فلقد ذكر ابن طماس – كما أشرنا – الى أن الفقيه الاشبيلى أبا بكر بن العربى كان ممن اضطهد فى عهد المرابطين بسبب تلمذته للامام الغزالى . وبالرغم من هذا القول فان بين يدينا كتاب ابن العربى المذكور ، وهو كتاب العواصم والقواصم ، – وأظنه ألفه فى عهد الموحدين – لا يفتأ يحمل على الغزالى ويعترض عليه ويتهمه بما يخالف العقيدة الاسلامية الصحيحة ، لأنه يرى رأى المتصوفة ، ويأخذ بنظريتهم فى المعرفة . ولا يكاد ابن العربى يفتتح كتابه المذكور بالحملة على السفسطائيين الذين ينكرون اليقين فى المعرفة حتى يعرض وجهة نظر الغزالى فى الرد عليهم فيقول :

((وقال أبو حامد الغزالى : ان هذا الاشكال لا يتضح بالدليل ، وانما يروى منه الغليل ويشفى العليل ما يفيض من نفحات رحمة الله على القلوب ، ويشرق عليها من نوره ، حتى اذا انشرحت الصدور تجلت فيها الحقائق مبادىء وغايات وسوابق ولواحق))

ويتبع ابن العربى قول الغزالى هذا بما يأتى : ((وهذه قاصمة أعظم من الأولى ، فانها صدرت عمن اشتهر بالعلم ، وهذا يحط عن المرتبة العليا الى السفلى ويخرج من جملة العقلاء)) ..

ذلك هو موقف تلميذ الغزالى من استاذه .. وهو التلميذ الذى ذكر أن الفقهاء اضطهدوه باعتباره متشيعا للغزالى ، وذلك هو موقف فقهاء الأندلس على اختلاف العصور من أموية وطوائف ومرابطية وموحدية : اتجاه الى التزمت وعزوف عن التسامح وميل لاستخدام العنف ضد مخالفيهم من فلاسفة ومتصوفة وعقليين بل من المذاهب السنية نفسها التى ليست من المذهب المالكى الذى ارتضوه أصلا وفرعا .

ولعلنا نستطيع تفسير هذه الظاهرة اذا تذكرنا ان الكنيسة الكاثوليكية الاسبانية خلال تلك العصور كانت أيضا من أكثر الكنائس تزمتا واستنكارا لكل رأى يخالف رأيها . ولا يتسع المجال للحديث عن رجل الدين المسيحى فى أسبانيا ومقارنته برجل الدين الاسلامى فيها ، الا أنه من الثابت أن رجال الدين فى العصر الوسيط كان لهم فى أسبانيا شأن يفوق شأنهم فى جميع البلاد ، يستوى فى ذلك المسيحيون والمسلمون . وانما جاء هذا النفوذ من أن تاريخ أسبانيا خلال تلك العصور كان تاريخا للصراع الطويل بين العالم الاسلامى العربى المشرقى من جهة وبين العالم المسيحى اللاتينى الغربى من جهة أخرى . كانت الأندلس ملتقى هذين العالمين الكبيرين ، وكان للقضية الدينية المحل الأول فى النضال ، وكانت الدولة بكل قواها العسكرية وراء هذا الصراع . فمن الطبيعى أن تكون الزعامة فى بيئة كهذه وفى ظروف مثل هذه الظروف لرجل الدين ، تهابه الدولة وتطيعه ، ويرى فيه الشعب رمزا وممثلا للقضية الكبرى التى تقرر مصيره . ورجل الدين فى هذه الظروف هو الفقيه الذى يلى القضاء ويحكم بين الناس ويفتى الحاكم ويؤم الناس فى الصلوات ويخطب على منابر المساجد داعيا الى الجهاد آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر . وفى هذا الجو النفسى يعتبر الاشتغال بالخلافات العقائدية

والخوض فى القضايا الفلسفية ومناقشة الأصول التى يناقشها المتكلمون والصوفية ، وان كانوا من رجال الدين فى الاسلام ، تعويقا وتفريقا للكلمة ومثارا للخلاف والانشغال عن القضية الكبرى ، التى هى قضية الصراع حول الأندلس نفسها أتبقى مسلمة أم تصير مسيحية . لكأن الأندلس كانت حسب اصطلاح المعاصرين فى حالة حرب ، ومثل هذه الحالة لا تتسع الصدور فيها للخلافات فى الآراء وتعدد وجهات النظر .

ورسالة تاشفين التى ذكرناها ، حين نستعرض ما اشتملت عليه من موضوعات ، تلقى ضوءا على المسألة ، وتبين ان القضية لا تخص الغزالى وحده . فالرسالة لم تشر الى مذهب عقلى أو عقائدى للغزالى وانما ذكرت المذهب المالكى وأمر الفتوى والقضاء ، كأنما القصد هو تدعيم مركز الفقيه فى الأندلس ونفى كل ما يثير الشك فى قيادته وزعامته ، لا سيما والرسالة فى فصولها الأولى تتحدث عن الجهاد وتعظم أمره وتنهى فى آخرها عن استخدام أهل الذمة فى شئون المسلمين . فاشارتها أولا للجهاد الدينى وآخرا لأهل الذمة ، فيه الدلالة الواضحة على أن التعرض للغزالى جاء فى اطار أشمل وأوسع هو اطار الصراع بين المعسكرين حول القضية الكبرى .. أى قضية المصير .

واذن فرد المسألة الى جمود الفقهاء الأندلسيين وجهلهم بهذه العلوم التى ظهرت فى المشرق وهو ما فعله ابن طملس ، لا يفسر المسألة الا فى حدود التفسيرات الجزئية التى لا تستقيم ولا تتضح الا اذا ارتبطت بقضية أشمل وأوسع . فلو سئل ابن طملس : ولم جمد الفقهاء فى الأندلس جمودا فاقوا فيه نظراءهم فى المشرق ؟ ولم كان لهم على الدولة والشعب سلطان أربى على سلطان زملائهم فى المشرق ؟ لما استطاع أن يجد حلا أو تفسيرا بأن يقول ان الوضع السياسى والحربى فى الأندلس استلزم ما لم يستلزمه وضع المشرق . حقا لقد عرف المشرق الجهاد الدينى وتعرض لأخطار الغزو الخارجى ، ولكنه لم يشعر بخطر الزوال الذى كان يشعر به الأندلسيون ، ولم يخطر ببال أهل الاقطار المشرقية أن يتعرضوا للفناء أمام قوة خارجية ، كما خطر ذلك للأندلسيين وليس أدل على أن هذا الخوف والترقب والاشفاق على الأندلس الذى فصل بينها وبين العالم الاسلامى بحر ، وعلى أن الخوف من المصير ظهر مبكرا جدا ، ومن موقف عمر ابن عبد العزيز الخليفة الأموى حين فكر - والفتح الاسلامى للأندلس لم يمض عليه الا سنوات - فى أن يسترجع المسلمين من الأندلس ويعيدهم الى بلاد جنوب البحر الابيض ، ولقد ذكر المؤرخون انه هم بذلك وناقش فى الأمر ، فأرجأ المسألة ليعيد فيها النظر ، ولكن عاجلته المنية .

لقد عرف المسلمون للغزالى مكانته وقدروا علمه ، ولم يضره أن يحرق فقهاء الأندلس كتبه وينهوا الناس عن قراءتها ، فلا زالت الى اليوم تقرأ . .ولعل قراءها يعجبون أو يسخطون على موقف الأندلسيين منها ، ويطلبون لذلك تفسيرا ، ولعلهم يجدون التفسير أو بعضه فى تمثل القضية الأندلسية الكبرى وفى الظروف التاريخية التى أحاطت بذلك القطر ، فنجمت عنها تلك المأساة الانسانية الدامية الطويلة .

الدين وعلم الاقتصاد

أصول الاقتصاد من القرآن الكريم

الدكتور عيسى عبده

يكاد الاجماع أن ينعقد على حتمية الفصل بين علم الاقتصاد وبين أحكام الدين .. هذا عند الفرنجة الذين لا يدرون ما هو الاسلام .. والذين يؤسسون قولهم هـذا على وقائع التاريخ عندهم ، وتطور الفكر فى ظل الحضارة المادية التى غرق فيها الغـرب من عهد الثورة الصناعية .. أى فى نحو مائتى عام مضت من وقتنا الحاضر .

ولم يكن موقف علمـاء الاقتصـاد من « الدين » موقفا فريدا أو خاصـا بهم ... بل كان نظيرا لمواقف العلماء جميعا .. الا قلة نادرة .. وحين يعرضون لهذا الأمر (أى لفصل العلم عن الدين) يسوقون الكثير من الحجج ، ويضربون الأمثـال .. بما وقـع (مثلا) للباحث الايطالى « جاليليو » حين تعرض لبعض الظـاهرات الطبيعيـة وعلى الأخص دوران الأرض ومـا تعـرض لـه « جاليـليو » هـذا .. من عنت الـكنيسة واضطهاد رجال الدين .. حتى ألجأوه الى السجود لسلطانهم واعلان كفره بما وصـل اليه من حقائق علمية ..

فى تاريخ العلم الحديث ، اذن ، نمـاذج تحمل على الأسى .. لما كان من صدام سافر بين رجال الدين ورجال العلم . .وقد تكاثرت هذه النماذج ، حتى نشأ العلماء المحدثون (من أواخر القرن التاسـع عشر وأوائل العشرين) ، نشأ هؤلاء العلماء فى بيئة غلبت عليها الحضارة المادية الخالصة ، وطغى فيها غرور الانسـان حتى ظن بأنه وحـده قادر على تسخير كل شىء لصالحه .. بطاقاته الخاصة .. وأنه قادر على التحكم فى البداية والنهاية .. وأنه سيصل قريبا أو بعيـدا الى خلق الخلية الحية وبث الروح فيهـا .. وظن هؤلاء أن المسألة لا تزيد على عنصر الوقت وتكرار التجارب فى المعامل وتحسين الأدوات والأجهزة .. الى آخر ما هـو مأمول من تقدم كل من التجربة والبحث النظرى .. على نحـو يطمئن اليه المؤمن .. لأنه يدل على آثار قدرة الخالق .. ويضل به المتعـالم السطحى النظر . .حتى يصل الى الالحـاد

التام .. ثم يتفاخر بذلك ، ويدعو غيره الى طريق الضلالة .

وحين نرجع ، مثلا ، الى كتابات جورج سارتون وبرتراند راسل وجوليان هكسلى ، نجد ثباتا على ما تقدم بيانه من اصرار على الفصل بين الدين والعلم ، كما نجد هذا الثبات عند الباحثين فى علم الاقتصاد ... الذين يحرصون على تنبيه القارىء الى ضرورة احترام النظرية الاقتصادية ورفعها الى مستوى العلوم المستقرة على أسس من المنطق السليم .. وفى هذا يقول « كولتون » أستاذ التاريخ الوسيط بجامعة لندن .. ان خضوع أوروبا خلال ألف عام متصلة .. لعقيدة غامضة ذاهلة قد ألقى بها فى ظلام مستمر الى عصر النهضة .. وحين اتجه المفكرون الى الخلاص من وصاية رجال الدين .. قاوم هؤلاء مقاومة يائسة منها رمى المفكرين والعلماء بالكفر .. ومنها صب اللعنة الأبدية على من يخاصم الكنيسة فى الرأى .

كان حتما اذن أن يجىء رد الفعل عنيفا ، فخرج العلماء من قيود البركة وتكاليف ملكوت السماء (فى زعم رجال الدين) الى حرية الفكر وتركيز الطاقات على البحث والتنقيب والأخذ من هذه الدنيا بنصيب يعود بالرفاهية على المنتج وعياله .. عندئذ خبا صوت الدين وهان رجاله .. ولم يحفل العالم (ومن ورائه الرأى العام تدريجا) بالخروج على الكنيسة ومواجهة غضبها .. ثم تحول الخروج على الكنيسة الى فصل بين الأولى والآخرة .. وفصل بين الدين والعلم ..

ويجوز القول بأن علماء الاقتصاد ـ بوجه خاص ـ لهم العذر ان هم بالغوا فى هذا الاتجاه .. ذلك أن موقف رجال الدين من النشاط الاقتصادى .. كان عجيبا .. كانوا يحرمون المتاع على الناس .. طلبا لخلاص النفوس .. وفى الوقت ذاته يتربعون على عروش الاقطاع .. غارقين الى الآذان فى فساد شديد .. كانوا يحرمون التجارة والقرض . .وكانوا يمارسونها سرا فى داخل الاقليم .. أو بعيدا عن رقابة المؤمنين .. بالمشاركة فى تجارة خارجية ، يباشرها علنا .. ملاحون وقراصنة ومغامرون وتجار للرقيق ..

ولكن الذى لا يجوز .. هو جرأة كثير من العلماء على القرآن الكريم والاسلام .. بالقياس على ما انتهوا اليه من حكم على رجال الدين عندهم .. لقد نادوا بالفصل بين الدين والعلم .. استنادا الى ما جمعوه من عيب أو ذنب أو فساد وقع فيه بعض رجال الدين .. فهل هذا هو المنهج العلمى الذى يزعمون ؟ أفتكون المسيحية السمحاء خصما للعلم .. لأن بعض المنتسبين اليها قد فعل كذا وكذا ؟ وهل يجوز لكاتب مثل « جورج سارتون » أن يسخر من محاولة بعض الكتاب .. أن يقرن بين الانجيل والعلم .. ثم يخرج من هذا .. الى الحكم على القرآن الكريم بما ارتآه للانجيل من حكم ؟ وهل كان « برتراند رسل » يلتزم المنهج العلمى .. وحين وصف محاكمة « جاليليو » تفصيلا .. ثم سخر من المجمع المقدس ورجاله .. وخلص من هذا كله بنتيجة عجيبة .. حين قال « لهذا كفرت بالمسيحية وبالشيوعية وبالاسلام جميعا » ، فأى منطق هذا الذى يدعيه مفكر له سمعته .. حين يحمل على موقف المجمع المقدس من البحث العلمى .. ثم يرتب على ذلك دعوة سافرة الى الالحاد ؟ وما هى الرابطة الجامعة بين الشيوعية والاسلام ؟

على أن الأمر بالنسبة للمشتغلين بدراسة الاقتصاد ، من المسلمين ، أجل وأخطر من كل ما تقدم .. لأن فلاسفة الغرب وعلماءه مهما بلغ اطلاعهم .. لا يعلمون عن القرآن الكريم والاسلام ما يكفى للحكم على الربط أو الفصل بينهما .. وبين قواعد علم الاقتصاد .. فهل يجوز لنا نحن المسلمين

.. أن نتبع أهواء الغرب والشرق .. أو أن نقبل حكم العلماء (الجاهلين بالاسلام والمنكرين له) بحتمية الفصل بين الدين وبين تدبير المعاش وما يتصل به من دراسات ومشكلات ؟

لا أقول بأن هذا لا يليق بعلمائنا .. ولا أقول بأنه لايجوز .. بل أقول بأن السكوت على هذه الحال .. تقصير كبير من الحاملين لأمانة العلم والتعليم .. وقد ترتب على هذا التقصير ان نشأ الجيل الحاضر وهو يؤمن بما قال به الفرنجة من ضرورة الفصل بين الدين وبين مشكلات الثروة والايراد .. ومستويات الرفاهة والحرمان .. ونظرية النقود وصور المعاملات .. الى آخر التفصيلات التى يفخر بها علماء الاقتصاد .. ومنهم من يقول بأن مفاهيم الاقتصاد هى من صنع الانسان وابداعه .. وليس للدين فضل ولا دخل .. ومن هؤلاء الاقتصاديين « ايريك رول » فى كتابه عن تاريخ الآراء الاقتصادية .. ثم انه يضرب الأمثال فيقول : لا شأن للدين بالكلام عن التوازن والقيمة والدخل والثروة القومية والأسعار والاحتكارات ، الخ .. فهذه من نتاج العقل البشرى ..!! وبمثل هذه النظرة السطحية تأثر بعض أبناء الأمة الاسلامية فتابعوا هذا القول .. دون أن يحاولوا النظر فى التراث الاسلامى بوجه عام .. وفى القرآن الكريم والسنة الصحيحة بوجه خاص .. حتى يكون الرأى الذى يقولون به مستندا الى العلم الصحيح بمصادر التشريع الاسلامى ..

قال باحث عربى مسلم ، فى رسالة دكتوراه حصل عليها من جامعة أجنبية .. بأنه اعتمد فيما ذهب اليه .. على رأى للفقيه البيداوى (بالدال المهملة) وبقليل من النظر فى هذا الادعاء .. يتضح أن الباحث المحقق يريد (البيضاوى المفسر) وقد نقل كل ما قال به .. عن كاتب أجنبى .. وتحمل وزر هذا الرأى ، وهو لا يعلم عن المصدر شيئا .. حتى ولا اسم صاحبه ! ومن رحمة الله تعالى بهذه الأمة أن هذا الطراز من الباحثين قليل .. ونرجو ألا تزحف كتائبهم على ميدان المال والاقتصاد .

فى تقديرى ، اذن ، أننا تابعنا معلمينا من رجال الجيلين الأخيرين ونقلنا عنهم .. وهم من قبل ما نقلوا عن الفرنجة فأصبحنا الآن نضطرب اذا واجهنا مشكلة تافهة كمشكلة الفائدة .. ومن ثم تفشانا الخشية من الفشل .. فنسارع الى تلمس الحيل والمخارج من أزمة لا وجود لها .. مخافة أن ينكشف تخلف حكم الدين .. عن متابعة موكب الحضارة !!

وهم أساسه الفراغ الفكرى الذى استبد بالأمة الاسلامية فى الجيلين الاخيرين ... وترتب عليه انصراف رجال الشريعة عن مناقشة شبهات الحضارة المادية .. وصلتها بصور مستحدثة من المعاملات .. وتوزيع الدخل واقتناء الثروة .. كما ترتب عليه أيضا .. ظن المتفرنجين منا .. أن العلم كله .. لا يخرج عن دائرة الكشوف المعاصرة للثورة الصناعية .. ومن حيث أن عمرها مائتا عام .. وكذلك علم الاقتصاد الوضعى .. فلا بد أن يكون هذا اللون من المعرفة غريبا على الاسلام ، كما يدعى كتاب الفرنجة !!

ولسد هذا الفراغ .. ندعو الى دراسة الاقتصاد من جديد .. ثم نعرضه على حكم الاسلام ..

الاقتصاد الوضعى ، ما هو ..؟

الأصل فيما يعرف الآن بلفظة « اقتصاد » أنه وضعى أى من وضع الناس .. وهو فكر ورأى .. ونظام وسياسية .. وعقيدة ومذهب .

هذه هى المفاهيم الستة التى تجمع ما يقال له « اقتصاد » فى زمننا هذا ..

ومن جملة هذه المفاهيم .. نحصل على نظرية اقتصادية .. هى عماد العلم .. ثم نسعى الى تطبيق هذه النظرية على شتى الميادين .

فالقيمة مثلا .. مفهوم نظرى .. يدخل فى عناصر علم الاقتصاد ، أما دراسة

« البقية ص ٥١ »

رحلتي إلى تونس

حول الخط المغربي ورسم المصحف الشريف

فضيلة الشيخ منصور رجب

كنت قد نشرت فى العدد الاسبق - جمادى الاولى سنة ١٣٨٣ - اكتوبر سنة ١٩٦٣ - نبأ اقتراحين تقدمت بهما الى الجهات المسئولة عندنا عقيب عودتى من تونس ومنها وزارة الاوقاف :

أما الاول فليس لى بل هو أمانة حملنيها فضيلة الاستاذ الجليل الشيخ محمد العزيز جعيط شيخ الاسلام السابق فى تونس .. وملخصه رجاء أن تعمل القاهرة وهى أم البلاد العربية على ايجاد متخصصين فى الخط المغربى للاخذ بيد المغرب العربى فى حركة التأليف والنشر لان المطابع عندهم لاتفى بحاجتهم مما يضطرهم الى الالتجاء الينا وخطهم لا يقرأ عندنا . والله فى عون العبد مادام العبد فى عون أخيه .

وأما الاقتراح الثانى فلى . وملخصه دعوة الى توحيد رسم المصحف الشريف لان المصحف فى المغرب يختلف عنه عندنا فى النقط وفى الشكل . الامر الذى يتعذر معه على من لم يحفظ القرآن الكريم منا أن يقرأ فى المصحف المغربى . والعكس بالعكس . واستدركت على هذا بان اقتراحى ليس معناه منع قراءة صحيحة . فالقراءة شىء ورسم المصحف الشريف شىء آخر . فجاءتنى من وزارة الاوقاف هذه المذكرة ردا على مذكرتى أسجلها للتاريخ . وها هى ذى :

بسم الله الرحمن الرحيم

وزارة الاوقاف
الادارة العامة للدعوة / مساجد
فضيلة الاستاذ الشيخ ..
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته
وبعد

فقد تلقينا بمزيد من الشكر كتابكم المتضمن اقتراح فضيلة الاستاذ الشيخ محمد العزيز جعيط شيخ الاسلام الاسبق الذى يقول :

لما كانت المطابع فى تونس محدودة مما يضطر المؤلفين والناشرين الى الاتجاه بمؤلفاتهم الى مصر أم البلاد العربية . ولما كان الخط المغربى لايقرأ كما ينبغى فى الشرق . فهو يقترح ايجاد من يتخصص فى الخطين حلا لهذه المشكلة .

وبالدراسة والبحث رأينا أن أنسب الحلول وأوفقها هو العمل على زيادة المطابع فى تونس نفسها حتى تتمكن من طبع المخطوطات القديمة التى كتبت بخط مغربى وأن يقوم التونسيون أنفسهم بتحقيق هذه المخطوطات والمؤلفات .

أما ماتقترحونه من توحيد طبع المصحف الشريف نظرا لما لاحظتموه فى الطبعة المغربية من اختلاف عن المصحف العثمانى فى النقط وفى الشكل .

فنحن نرى أن المصحف المغربى طبع حسب قراءة قالون . وهى قراءة سبعية صحيحة تبلغ فى صحتها القراءة التى يقرأ بها فى مصر وهما متواترتان . والناس يقرأون بهما وبغيرهما من القراءات المتواترة منذ أربعة عشر قرنا ولم يحدث أن وقع خلاف بين المسلمين فى ذلك الشأن .

فليس ثمة مايستدعى طبع المصحف طبعة موحدة حيث ان لكل جهة قراءتها ومصحفها المطبوع حسب هذه القراءة .

ونحيطكم علما بأن الوزارة تتجه الى العناية بالمصحف المطبوع فى القاهرة والتوسع فى نشره . وهذا كفيل بمرور الوقت بتعميمه فى جميع بقاع الارض دون حاجة الى اثارة الموضوع . وهو دقيق وحساس . على أنه

لامانع من موافاتنا ببعض المصاحف المطبوعة طبعة مغربية ليمكن الاطلاع عليها بواسطة أحد علماء القراءات ومعرفة مدى موافقتها لقراءة قالون .

وشكر الله لكم هذه العناية الكريمة بكتاب الله والمحافظة عليه .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته
١٩٦٣/٩/١١
« ع . ح »

مدير عام
الادارة العامة للدعوة
امضاء
صلاح أبو على
١٩٦٣/٩/١٢

هذه هى المذكرة أسجلها للتاريخ أما أنا فلقد بلغت . واللهم فاشهد .

غير أن هناك مسألة فى هذه المذكرة تطلب ايضاحا فقد أكد لى من حولت عليه هذه المذكرة لبحثها ودرسها أنه عندما اقترح أن تزاد المطابع فى تونس نفسها اقترح أيضا بجوار ذلك أن تقوم مصر بهذه المطابع معاونة منها لشقيقتها العربية فى سبيل نشر الثقافة وانماء تراثنا الروحى الخالد .

أما موافاة الوزارة ببعض المصاحف المطبوعة طبعة مغربية فآسف لانى لست أغنى من وزارة الاوقاف على أنها تستطيع أن تكلف ساعيا من سعاتها ليحضر لها بعض هذه المصاحف من مكتبة الحلبى ، وهى منها على خطوات .

« علماء الزيتونة كما رأيتهم »

علماء الزيتونة الذين تعرفت بهم وجلست اليهم . وتحدثت معهم . من أعرق آل تونس نسبا . وأشرفهم حسبا . وأنقاهم دما . وأكرمهم عنصرا . يمتازون بصفاء السريرة وكرم الضيافة . وبشاشة الوجه ونزاهة اللسان . وعمق الادراك . وهم فوق ذلك من أغير الناس على دين الله تبارك وتعالى . وأحرصهم على حفظه . والاعتصام به بادمغة نيرة . وقلوب مبصرة . وعقول واعية . وليس ذلك اغراقا منى فى المدح . ولا مبالغة فى الاطراء . وانما هى الحقيقة رأيتها عن قرب فأسجلها للتاريخ تسجيل انسان بعيد عن الهوى منزه عن الشهوة والغرض .

وللقارىء الكريم منهم باقة كورد الرياض لكل فيها عبير .

١ - الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور

حامل لواء العلماء فى زمانه . وامام وقته تفسيرا . وحديثا . وفقها . وكلاما . وأصولا . ومنقولا ومعقولا ذلك هو الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور جمع بين الوظيفتين : وظيفة شيخ الجامع - جامع الزيتونة - ووظيفة شيخ الاسلام بتونس . وشيخ الاسلام هو رئيس المجلس الاعلى الشرعى . أو كان لان هذا النظام الغى مع المحاكم الشرعية فى سنة ١٩٥٧ . وكان ينظر فى :

١ - الاحوال الشخصية

٢ - الاوقاف

٣ - الاستحقاق « أى كل خلاف فى ملكية »

أما مشيخة الجامع فاختصاصها - أو كان أيضا - الاشراف على التعليم الزيتونى . ولفضيلته من المؤلفات :

١ - تفسير القرآن الكريم ويقع فى نحو من ثلاثين جزء .

٢ - تعليقات على مشكلات أحاديث الموطا

٣ - المقاصد الشرعية ويقع فى جزء متوسط .

٤ - حاشية على التنقيح لشهاب الدين القرافى .

٥ - ديوان بشار بن برد : شرحه . ونشره . وقدم له . وكمله .

٦ - تعليقات على ديوان الحماسة .

٧ - كتاب فى الخطابة والانشاء .

وفضيلة الشيخ الطاهر من أولئكم العلماء الذين قابلوا الشيخ محمد عبده عند زيارته لتونس بالحفاوة والتكريم ومن الذين حضروا درسه فى مدرسة ابن خلدون . ومن الذين كتب اليهم الشيخ محمد عبده بعد أن غادر تونس وقد نزل الشيخ عبده ضيفا فى تونس بدار السيد خليل أبو حاجب زوج الاميرة نازلى وقد رأيتها قريبة من دار الشيخ الطاهر بجهة المرسى .

والشيخ الطاهر من زملاء المرحوم الشيخ الخضر حسين شيخ الجامع الازهر الاسبق . فقد ولد رحمه الله فى جنوب تونس من بلدة يقال لها : « نفطة » التابعة لولاية « قفصة » وتلقى علومه فى جامع الزيتونة . وكان الاول فى شهادة التطويع . ولكنه سقط فى المناظرة فخرج من تونس مهاجرا . فشاء له ربى وربك أن يكون فى مصر للازهر شيخا .

والشيخ الطاهر فوق علمه الغزير يمتاز بالشجاعة والوفاء والصبر .

فلما توفى المرحوم الشيخ مصطفى عبد الرازق شيخ الجامع الازهر أصدر أمرا بتعطيل الدراسة فى جامع الزيتونة مشاركة لمصر فى دمعتها على شيخها النبيل متحديا بذلك فرنسا تلك التى كانت تعمل جاهدة على قطع كل صلة بين مصر وتونس فى ذلك الزمان الاغبر .

ولما توفى تلميذه الشيخ محمد بن عبد الجواد قاضى المهدية والقيروان ذهب الى قرية « قصيبة » المديونى - يوم ١٠-٤-١٩٦٣ - ليقدم واجب العزاء على الرغم من أن هذه القرية تبعد عن تونس بحوالى ١٦٠ كيلومتر وعلى الرغم من أنه الآن فى العقد التاسع من عمره السعيد المديد ان شاء الله ولكنه الوفاء .

قابلته لاول مرة بعد ظهر يوم الجمعة ١٥-٣-١٩٦٣ فى قصره العامر بالمرسى من ضواحى تونس : اجتزت اليه بوابة كبيرة تؤدى الى حديقة فسيحة جميلة منسقة . فيها أشجار عتيقة باسقة مما يدل على ان المنزل قديم . وكيف وقد آل الى الشيخ من جده رئيس وزراء تونس السيد / محمد بوعتور . وعلى يسار الداخل وفى ركن من أركان الحديقة جلست فى الجناح المعد للزوار من الرجال مع فضيلة ولده الاستاذ الشيخ محمد الفاضل ابن عاشور . وبعد قليل دخل رجل نظيف البزة قوى البنية يحمل صينية عليها معدات الشاى . وما أن وصل الينا حتى ركز كل انتباهه وجمع كل قواه ليضع أمامنا الشاى بمعداته وملحقاته من الكعك الجميل المحشو بفسدق « صفاقس » الممتاز . وبعد حوالى عشر دقائق سمعنا وقع أقدام آتية . فقال فضيلة الشيخ الفاضل : ها هو ذا الشيخ قد قدم . وما أن نهضت من مكانى حتى كان معنا بطلعته المهيبة الوقورة المشرقة . ولما كنت من المدرسة التى تربت على أن تقبل

أيدى شيوخها ومن فى منزلتهم قبلت يد الشيخ فقبلنى فضيلته على رأسى وربت بيده على كتفى وجلست قريبا منه . فقلت له : انى أحمل اليك من على ضـــفاف النيل أسمى آيات التحية والتبجيل من صديقنا الاستاذ الجليل الشيخ أحمد حسن الباقورى . فشكرنى وأثنى على فضيلته ثناء عاطرا .

وقلت لفضيلته : ومن توفيق الله أن يضمنى مجلسكم وأن أسمع حديثكم كما ضمنى من قبل مجلس زميلـكم أستاذى الشيخ الخضر حسين شيخ الجامع الازهر فقد درست عليه تاريخ الاندلس فى قسم التخصص . فترحم على زميله وذكره بكل خير .

ثم سألنى فضيلته عن مستوى الطلبة فى الكليـــة الزيتونية .. وعن محاضراتى : هل بدأتها ؟ .. وعن المدة التى سأقضيها فى تونس ؟ ..

وتطرق الحديث الى الشيخ محمد عبده فعرفت ـ كما قلت سابقا ـ انه قابله . وتعرف به . وتحدث اليه . وكاتبه . وأنه ألقى درسا ـ عن العلم والتعليم ـ فى مدرسة ابن خلدون الى آخر ماقلنا عن الشيخ محمـد عبده فى تونس . وفى أثناء الحديث سألنى الشيخ الفاضل : هل عندما كنت طالبا فى الازهر كانت الاكثرية ضد الشيخ عبده أو معه ؟ .. فقلت بل كانت ضـده وانعكست الآية الآن بفعل التطور فامنوا على كلامى .

وأظن أنه ليس منا الا من قد سمع تلك الحـكايات المتواترة بين الشيخ عليش والشيخ عبده منها : أن الشيخ عليش كان يخرج من زاويته يدب على عصاه بجـوار الازهر متوجها الى الرواق العباسى يقول : « دعونى أقتل لكم هذا الفاجر » يريد الشيخ محمد عبده وأثبتت الايام أن الشيخ محمد عبده لم يكن فاجرا . وانمـا كان يريد الخير كل الخير للاسلام والمسلمين . وانما ضيق التفكير فى ذلك الزمان هو الذى جعل من الشيخ عبده وأضرابه فجارا . وماكانوا فجارا بل يدينون بما يروى عن النبى صلى الله عليه وسلم لابى ذر رضى الله عنه : « على العاقل أن يكون بصيرا بزمانه » والشيخ عبده ومن على شاكلته كانوا على بصر شديد بالزمان .

وعندما ودعت منصرفا أمر الشيخ الفاضل الى بسيارته ، وأبى أن يرجع حتى اركب . وأمر السائق بان يطوف بنا فى الحى لارى بعض مشاهد تونس الجميلة . فقد وهبها الله تبارك وتعالى من جمال الطبيعة ما أكسب أهلهاصفاء السريرة والبسهم لباس الانبساط والاستئناس وباعد بينهم وبين لباس الانقباض والاحتجاز . فـزرت جهة « قامرت » ورأيت من على بعد جبل « قربص » ثم قصر « السعادة » وهو من قصور الحكومة . ثم رأيت قصر السيد / خليل بوحاجب : ذلك الذى نزل فيـه الشيخ محمد عبده ضيفا عندما زار تونس . ثم قصر الباى محمد الامين آخر باى فى تونس . وبجواره قصور صغيرة كثيرة متناثرة لابنائه وأقاربه والمقربين اليه . ورجعت الى تونس حيث أقطن .

والشيخ محمد الطـاهر ابن عاشـور أبيض مشرب بحمره ليس بالطويل ولا بالقصير نحيف له لحية كثة كأنها اللبن الحليب يسمع أكثر مما يتكلم . واذا تـكلم ترجم عن فكره وحسه بكلمات محكمات تنطلق من بين شفتيه كما ينطلق السهم عن القوس قوة ورنينا . ولعينيه اشعاع تحس اذا تحدث أنه اتخذ الى قلبك سبيلا .

ومن عادات الشيخ وأهل بيته أنهـم يتخذون من شهر رمضان شهر عبادة وتبتل حتى أن الشيخ الطاهر نفسه يصلى فى رمضان « التراويح » وحده لانه يقرأ القرآن الكريم كله فيها فى رمضان . أما ابنـه الشيخ الفاضل فانه يؤم كل من فى البيت رجالا ونساء صغيرا وكبيرا فى هذه الصلاة . حتى لايحرمهم من فضـيلة الجماعة . ولا يمكن أبدا أن يشغلهم شاغل فى رمضان عن هذه العبادة التى يتخذون منها سلما لقوة اليقين وكثرة الانوار والفتح .

ولما كان الشيخ يتبع نظاما خاصا فى أكله وشربه . فانه يجتمع باهل بيته كلهم على الشاى بعد الغداء من كل يوم ، حتى لايحرمهم ويحرم نفسه من أن يرى بعضهم بعضـا مدة يوم كامل ، وهـو لايسـمح لنفسـه أبدا أن يخل بما اختط لنفسه من نظام حتى لما تناولنا طعام العشاء على مائدته وكان من بين الحاضرين الاستاذ السيد « أحمد فتحى رضوان » سفير الجمهورية العربية المتحدة فى تونس . وبعض المقـربين الى الاسرة كنت أجلس على يساره . فلم يتناول شيئا أصـلا ولما سألته : لماذا ؟ .. قال : أن لى نظاما خاصا غير أن الواجب يحتم على أن أجلس معكم حتى تأكلوا . وما أن انتهى من واجبه حتى أسرع على مهل الى محرابه فى مخدعه . فقلت مع القائل :

وما حجبـوا الا عــلى أكمه غــدا
عميا عن البدر المنيـــر الاكمـــل

٢ ـ الشيخ محمد العزيز جعيط

من أئمة المسلمين وفقهائهم بلا منازع . وممن جمـع أيضا بين الوظيفتين : وظيفة شيخ الاسلام بتـونس . ومشيخة الجامع الاعظم جامع الزيتونة : ذلك هو السيد محمد العزيز جعيط .

قابلته لاول مرة بعد ظهر يوم الثلاثاء ـ ٤ـ٥ـ١٩٦٣ـ ولى مع هذا الشيخ الجليل قبل أن ألقاه قصة : قصة سيرمينى بها بعض القراء بالدجل أو النصب . ولـكنى أرويها للتاريخ كما رأيتها غير عابىء بما قد يدور حولها وأشهد الله على أنى فيها صادق .. والمسألة : هى أنى لما سمعت عنه ، وأنه من أعيان علماء الزيتـونة وأئمتهم رغبت فى أن أراه وأن أتحدث اليــه . فقال لى أخى وصديقى فضيلة الاستاذ الشيخ محمد الشـاذلى ابن القاضى أحد أساتذة الكلية الزيتونية . سآخذ لك منه موعدا نزوره فيه . فاخبرونى بالموعد قبل اليوم المحدود وفى الليل رأيت فيما يرى النائم رجلا رسخ فى ذهنى سمته . وشكله حتى لون زيه وشكل عمامته ووقفتـه أمام حجرة تعلو عن الارض ببضع درجات من ردهـة البيت . فقال لى فى المنام شخص لا أعرفه : « هــذا هو السيد » . ولما حان الوقت المحدود وذهبت لمقابلة الشيخ ودخلت ردهة داره . وأخذت أصعد فى الـسلم لما يشبه « السلاملك » كدت أقع على ظهرى حين رأيت أن هذا الرجل نفسه هو عينه الذى شاهدته فى المنـام تماما فى وقفته ولون ملابسه . وشخصه . وملامحه . حتى شكل عمامته . ووجهه الممتلىء ولحيته البيضاء . فقصصتها يومئذ على الشيخ الشاذلى وانشرح لهـذا اللقاء صدرى .

وتحدثنا فى مسائل متعددة منها :

أن هدف التشريع الاسلامى انما هو مصلحة الانسان وهذه المصلحة تختلف باختلاف الزمان فمثلا نزل النص الكريم باعطاء المؤلفة قلوبهم من الزكاة فقال تبـارك وتعالى ـ فى سورة التوبة « آية ٦٠ » ـ انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من

الله والله عليم حكيم » فاعطاهم النبى – صـــلى الله عليه وسلم – بالفعل . وأعطاهم أبو بكر رضى الله عنـه بالفعل . أما عمر رضى الله عنه فانه قد منع : كل ذلك للمصلحة .

فقال فضيلته : وقال رسول الله صلى الله عليـه وسلم : « لاتمنعوا أماء الله مســاجد الله » ثم قالت عائشة رضى الله عنها بعد ذلك : « لو أدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أحدثه النساء لمنعهن الخروج » رواه البخارى .

وقال فضيلته : ونص الفقهاء على أنه يجوز بيـــع الاوقاف للمجاعة : فالاوقاف أصلا لايجوز بيعها . ولـكن ظرف المجاعة غير الحكم .

ومما قاله فضيلته حكاية عن ابن العربى : انالشعراء لا يحتج بقولهم . وتمثل بهذا البيت .

ولولم تلامس صـفحة الارض رجلهـــا
لمـــا كنت أدرى عـــــلة للتيمم

ثم تطرق الحديث الى الخط المغربى فحملنى فضيلته الى المسئولين هنا فى مصر ذلك الاقتراح الذى نشرته فى المقال الاسبق وبهذه المناسبة أقول : اذا كان الخط المغربى يختلف عن الخط عندنا على النحو الذى قدمت – أى أن الفاء تنقط نقطة واحدة من تحت . والقاف تنقط نقطة واحدة من فوق – فان الخط العربى فى أندونيسيا يختلف عن الخط عندنا وفى المغرب على نحو بحيث ترتفع الاحرف العربية فيه من ٢٨ حرفا الى ٣٢ حرفا . وذلك على النحو الآتى :

١ – الكاف تنقط نقطة واحدة من فوق لتنطق « جى »

٢ – العين تنقط من فوق ثلاث نقط لتنطق « نيا » من الانف .

٣ – الياء تنقط ثلاث نقط من تحت لتنطق « نيـا » من الانف تقريبا .

٤ – الجيم تنقط ثلاث نقط من تحت لتنطق «تشى»

وهذا مثل آخر من أمثلة التفرق فى الخط العربى. واذا كان رفع الواقع محالا كما يقولون فانى لا أطمع فى تغيير هذه الحال بين يوم وليلة . بل ولا حتى فى جيل واحد . ولكن الذى أرجوه هو أن نأخذ فى السبيل نحو وحدة الخط العربى ووحدة رسم المصحف الشريف . وهذا يتطلب منا عملا هادئا متواصلا مستمرا لنجنى ثماره بعد أجيال بل قرون . وذلك ليس بكثير فى عمر الامم فهل لنا أن نفكر فى ذلك تفكيرا جديا من الآن ؟ ..

أرجو ولقد بلغت .. ونعود بعد هذا الاستطراد الى ماكنا فيه .

وذهبت لاسلم على السيد الشيخ جعيط قبيلمبارحتى تونس فبادرنى حين رآنى بهذه الابيات قبل أن أجلس

قالوا : يزورك أحمـــــد وتزوره
قلت : الفضـائل لاتفـــارق منزله
ان زارنى فبفضـــــله أو زرته
فلفضـــله فالفضـل فى الحالين له

فشكرت لفضيلته هذا اللقاء الجميل . وبعـد قليل أخذت أستأذن منصرفا فأبى قائلا : حتى نتفرق عـلى ذواق . فقد ورد أن أصــحاب رسول الله صــلى الله عليه وسلم كانوا لايتفرقون الا على ذواق .. فقلت : أولا يكفى هذا الذوق المعنوى ؟ فقال ولد الشيخ – وهو شاب نابه فى العقد الرابع من عمره تقريبا ولا يحضرنى الآن اسمه – بل والحسى أيضا . فتفرقنا على نوع من حلوى تونس الجميلة . وهكذا يقضى أدب علماء الزيتـــونة الافاضل الكرام الامجاد .

ومما سمعته من فضيلة السيد أن سائلا سأل الامام عبد السلام سحنون عن معنى الحديث الشريف : « المؤمن يرى بنور الله » فطرده . فقيل له : لم تطرده ؟ .. فقال : لانه لو كان يؤمن بهذا الحديث لما سأل عنه .

وقمت أحمد الله تبارك وتعالى على أن رأيت هـــذا السيد الجليل فى عالم الارواح قبل أن أراه فى عـالم الاشباح .

٣ – الشيخ محمد الفاضل ابن عاشور

ومن علماء الزيتونة الافاضل الذين تزدان بهم المحافل رجل زاده الله تبارك وتعالى بسطة فى العلم والجسم. ووهبه من الخلق العظيم والادب الرفيع ماجعله محــل ثقة أهل المشرق والمغرب : فهو فى المغرب مفتى الديار التونسية وعميد الكلية الزيتونية للشريعـــــة وأصـول الدين . وهو فى المشرق عضو مجمع الخالدين : مجمـع اللغة العربية ، وعضو مجمع البحوث الاسلامية للازهر : ذلك هو فضيلة الاستاذ الجليل الشيخ محمد الفاضل ابن عاشور . وصدق من قال : ان الذين يقومون بواجبهم دائما ينالون المكافأة العظيمة . وهل هناك مكافأة أجل من اختياره لمثل هذه الوظائف الكثيرة الجليلة الخطيرة؟ يجيد الفرنسية كأهلها ويتكلم بلغات أخــرى غيرها . يتقن فن معاملة الناس من الكبير الى الصغير . عالم . فقيه . أديب واسع الاطلاع حاضر البديهة . قـــوى الذاكرة . نظيف البزه . خطيب مرتجل . ومحاضر قوى الحجة ينفذ الى القلوب ببرهانه ويسحر الناس ببيانه.

سمعته يحاضر عن الشاعر اقبال ساعة كاملة منالزمان فما تلعثم مرة . ولا كرر كلمة . ولا ارتج عليه برهـة . حتى ملك القلوب . وملأ الاسماع . وأثار الاعجاب .

والشيخ الفاضل رجل يفهم معنى الحياة لذلك يرتفع بنفسه عن التافه من الامور : فلا تشعر له فى الكليـة برياسة أبدا . بل تراه مع الاساتذة أخا كريما . وبين الطلبة أبا رحيما .

وهو لايستمد قيمته الشخصية من وظائفه الـــكثيرة الجليلة الخطيرة . ولا من كونه ابن عالم جليل . أو حفيد رئيس وزارة سابق . وانما يستمد قيمتهالشخصية فى الهيئة الاجتماعية من كونه نابغة فى فهم الدنيـــا وأساليب الحياة : تناولنا طعام الغداء على مائدته مرة فى « أوتيل » الفراتى وهو فندق سياحى من الدرجـة الاولى الممتازة فى بلدة الحمامات على شاطىء البحر الابيض المتوسط . فكان سائق سيارته يجلس عـــلى أعيننا كما نجلس .. يأكل مما نأكل . ويشرب كمـا نشرب . ومن هنا لاتتعب كثيرا فى أن تعرف السر فى رضا أهل تونس جميعا عنه . وحبهم له واقبالهم عليه .
والشيخ الفاضل يمتـــاز بحسن الاستماع وحسن الاجابة . وهما لمن أعظم الكمالات التى يستطيع انسان احرازها .

« زيتون من قبل الفتح »

وكثيرا ما خرجنا مع فضيلته فى نزه جميلة شـيقة ممتعة : ذهبنا مرة الى بلدة « قربص » وفى الطـريق أخبرنا سيادته ونحن بين شجر الزيتون الجميل أن هذا

الشجر معمر بل منه عندنا فى تونس شجر من قبل الفتح الإسلامى ويسمى « الادولى » يعنى الذى عاصر الدول فرغبت فى رؤيته . وبالفعل حول السائق اتجاه السيارة اليه . وعنده وقف السائق - عم محمد - فقال : هاهو ذا شجر الزيتون « الادولى » فتفضلوا . فنزلنا وأمام روعة القدم وقفنا بجوار شجرة نستوحى منها ما فعله بها الزمان من الرومان الى الآن . فوقفت أفكر : لو قصت علينا هذه الشجرة ما رأت من الزمان وقدمته الينا فى وصية ذهبية مختصرة فماذا تقول ؟ .. أظنها تقول مع من قال : « الحياة رواية مضحكة للمتأمل ومحزنة لمن يشعر » نعم : مضحكة لمن يتأمل أن هذه الشجرة تمتعت بالهواء . والشمس . والنور أكثر مما تمتع به الملوك والاباطرة . وصمدت للظلمة والزوابع والعواصف مالم يصمد بعشر معشاره الرؤساء والاكاسرة . ومحزنة لمن يشعر بظلم الانسان لاخيه الانسان . وهو عن آخرته عمى .

عينان متناقضان

وحولنا اتجاهنا بعد أن زودنا أنفسنا بعبرة عابرة من هذه الشجيرات الماثلة . فاخذت السيارة تنهب بنا الارض نهبا فمررنا على قرية « سليمان » وهى من انشاء الاندلسيين فى القرن الحادى عشر الهجرى . وبها مسجد من انشائهم أنفسهم فتحركت عواطفى نحو هؤلاء الذين جعلوا قطعة من الرمال تزدحم بالحياة والجمال وسارت السيارة حتى وصلنا الى مدينة « قربص » وهى ضاحية جميلة جدا تؤثر فى نفسك اطول وأعمق من تاثير الكتاب . وتجعلك تؤمن ايمانا لايتزعزع برب الارباب . وكيف وفى أمتار مربعة عينان اثنان متناقضتان : واحدة ماؤها معدنى فى درجة الغليان . والثانية مثلج يروى الظمآن ولقد شربت من الثانية وغمست يدى فى الاولى فسجد قلبى لهادى الحيران . ومدبر الاكوان رب العظمة والقدرة الله رب العالمين .

وكل مساكن « قربص » ملك لشركة والسكن فيها بالاجر اليومى . وفى المدينة حمام معدنى دخلناه ، وتفقدنا حجره . وأخذنا فكرة عن كيفية الاستحمام به

وتشرف على ضاحية قربص ربوة عالية تطل على البحر الابيض المتوسط . وعليها قصر منيف بناه المسيو « كاربانتى » وكان له فى تونس جريدة هى لسان حال الاستعمار تسمى « لادى بيسن لاتربان فانظر كيف كانت تسكن النفوس الغادرة فى أجمل بقعة من بلادنا الباهية ؟.. حقا عهود بنى الانسان : اليوم خضراء ناضرة . وغدا سوداء كاسفة . فلو أن هذا الذى ركبه الاستعمار استطاع أن يسيطر على أهوائه وعاش معنا بعقله وقلبه لعاش بجانبنا له مالنا وعليه ما علينا لكنه جرحنا فى قلوبنا والجرح فى القلب لايندمل أبدا .

١١٤ زاوية

من الهوارية الى نابل

وفى عودتنا من قربص مررنا بجهة « الهوارية » فقلت للشيخ الفاضل : ان عندنا فى صعيد مصر قبيلة تسمى « الهواره » مشهورة بركوب الخيل . فقال الشيخ : وكذلك هذه القبيلة عندنا . ثم قال : ومن الهوارية هذه الى بلدة نابل ١١٤ زاوية . وهذه الزوايا الكثيرة فى هذه البقعة القليلة المساحة ان دلت على شىء فانما تدل على ماكان لاهل تونس من عقيدة فى رجال الطرق الصوفية أولئكم الذين كانوا يهدون الناس بافعالهم قبل أن يهدوهم باقوالهم .

وبهذه المناسبة أقول : ان الزوايا أغلبها فى الجمهورية التونسية استولى عليها الحزب الحر الدستورى الذى يحكم البلاد وجعلها مقرا لصالح الشعب الحزبية التابعة للحزب أو لمصالح أخرى كالكشافة مثلا .

المركز الثقافى الدولى

وبعد أن تناولنا طعام الغداء على مائدة فضيلة الاستاذ الجليل الشيخ محمد الفاضل ابن عاشور فى فندق الفراتى . وأخذنا بعده الشاى الاخضر الجميل فى احدى صالونات النادى ذهبنا لمشاهدة المركز الثقافى الدولى وكان أولا قصرا للمسيو « سبستيال » فسمى باسمه . وهو رجل سويسرى . وقد أفرغ فيه كل مايتصوره الانسان من فن . والقصر من الظاهر عادى بل يشبه بيتا ريفيا متوسطا غير أنه من الداخل قطعة فنية رائعة ممتازة ودرج سلمه الذى تصعد فيه الى الدور الاعلى من الرخام الايطالى الاسود الفاحم الجميل الممتاز . وفيه نزل ضيفا ملك انجلترا جورج الخامس . والمستر تشرشل وفى الطابق الاول قاعة كبيرة اعدت لكبار المحاضرين : حاضر فيها فى شهر رمضان الماضى السيد الاستاذ حسن حسنى عبد الوهاب عضو مجمع اللغة العربية وكان المفروض أن يحضر هذه المحاضرة زميله الاستاذ الشيخ محمد الفاضل ابن عاشور غير أن تقليد بيتهم فى تونس هو أن لا يشغلهم شاغل أبدا مهما كانت الظروف عن صلاة التراويح فى رمضان : فرمضان عندهم شهر عبادة وبر وخير واحسان وانقطاع الى عبادة الملك الديان .

تازركه ووحشية الفرنسيين

ومررنا فى عودتنا من هذه الرحلة الشيقة المتعة بقرية « تازركه » واذا ذكرت تازركه هذه فى تونس ذكرت وحشية الفرنسيين - فقد اعتدوا فيها - فى سنة ١٩٥٢ - على الاهالى الآمنين حتى بلغ من قسوة هذه الموقعة وفظاعتها أن تحول كثير من الفرنسيين أنفسهم من العطف على أبناء جنسهم الى تأييد التونسيين فى مطالبهم ضد دولتهم القاسية الغاشمة الظالمة . وسواء أكانوا صادقين بدافع العدل أم مموهين بدافع الخوف من شعب تونس الفتى القوى الباسل فان تصرفهم هذا لم يكن علاجا لما نال اخواننا التونسيين من ألم بقدر ماوهبهم من جلد وثبات وثبات وصبر فى المطالبة بحقهم المهضوم وتازركه هذه أنجبت الاستاذ وزير التربية والتعليم - الان - أو على حد تعبيرهم كاتب الدولة لشئون التربية والتعليم السيد محمود المسعودى .

بنى خيار والقرآن الكريم

ومن القرى التى مررنا عليها قرية « بنى خيار » وهى مشهورة بان حفاظ القرآن الكريم فى تونس أغلبهم منها وهى قرية صغيرة من قرى « نابل » وتبعد عنها بنحو ستة كيلو مترات واذا كانت قرية بنى خيار الفرع مشهورة بحفظ القرآن الكريم فان نابل الاصل مشهورة بالفخار والحصير . فسبحان من قسم الحظوظ فجعل حظ هذه فى فخارها وحصيرها . وتلك فى كتابه الذى لا يأتيه الباطل من بين ولا من خلفه . وهكذا يحمل القدر لكل نصيبه فى هذه الحياة التى لاتعد ناجحة الا اذا شع منها نور العمل والايمان بالله رب العالمين . فعش مع الناس عاملا بقلب صاف من الخبث والالحاد والزيغ تمض بك الحياة الى الظل الظليل والنعيم المقيم .

بوقرنين

نسيت أن أقول : اننا فى بداية رحلتنا هذه مع فضيلة الشيخ الفاضل مررنا بجبل مرتفع تكسوه الخضرة من كل جانب . فصعدنا فيه فى طرقات معبدة

جميلة تدور حوله حتى قمته تقريبا . ونزلنا من السيارة الى المناظر الطبيعية الجميلة الاخاذة الفاتنة . والجبل يشرف على ضاحية حمام الانف المشهور بمياهه المعدنية التى تقصد من كل حدب وصوب .. وفى أعلى الجبل – جبل بوقرنين هذا – مقهى يعتبر بالنسبة لموقعه وطيب هوائه من أجمل أمكنة الدنيا قاطبة . وأمام المقهى مكان فسيح متسع أعد لتشنيف آذان الجالسين بنغمات الموسيقى التى تلين القلوب القاسية . ولتمتيع أبصار الحالمين من الشباب بتلك الحركات الايقاعية كما يحلو للدكتور « حسين فوزى » أن يسميها .

ان جبل بوقرنين موسيقى متجمدة تحس وأنت بين خضرته بانه قد أضاف الى شعورك شعورا جديدا يطهر قلبك ويرقى ذوقك ويهذب حسك . انه يوحى اليك بافكار تعجز كل لغات البشر عن أن تترجم لك عن معانيها .

ان هذا الجبل فى تونس احدى المعجزات . انه يغمرك بالسعادة . حين تستسلم الى تأملاتك فيه بين خضرة الشجر . وزرقة السماء . وبياض المساكن فى حى حمام الانف . فمما تمتاز به تونس أن اتخذت مساكنها البياض شعارا .

الى بنزرت

والكلام عن الشيخ الفاضل يطول شرحه ويحلو ذكره ويجمل رسمه : فبعد أيام من رحلتنا تلك الى «قربص» صحبنا فضيلته فى رحلة ثانية الى « بنزرت » وبنزرت هذه آخر نقطة فى شمال أفريقيا : غادرنا اليها تونس فى الساعة العاشرة وخمسة أدراج تقريبا – يوم ٣–٤–١٩٦٢ – فمررنا على بساتين منوبه وهى على بعد ستة كيلو مترات من تونس . فقرية الطاهر ابن عمار أوسبالة ابن عمار . وكان ابن عمار هذا رئيسا لوزراء تونس مرتين : مرة تم على يده فيها الاستقلال الداخلى واخرى تم فيها الاستقلال التام . وبعد الاستقلال سجن ابن عمار وحكم عليه بمبلغ خمسين مليون فرنك فدفعها . وكان عضوا فى المجلس التاسيسى . وهو – يومئذ – خارج السجن وحر فى فلاحته وأكبر تهمة وجهت اليه هى : « الاثراء على حساب الدولة » .

وأخذت السيارة تنهب بنا الارض نهبا بين خضرة تونس الجميلة الباهية الخلابة وبين حديث فضيلة الشيخ الفاضل بلسانه الذليق ولفظه الانيق حتى وصلنا الى قنطرة بنزرت فترجلنا : وهذه القنطرة تعتبر الحد الفاصل بين ولاية تونس « العاصمة » وولاية بنزرت . وهى مقامة على نهر « مجردة » هذا الذى ينبع من الجزائر ويصب فى غار الملح فى شمال تونس . والذى بناها المشير الثانى محمد باشا – ١٢٧٦ هـ – وعلى القنطرة من على يمينك وانت متجه الى بنزرت لوحة من رخام أبيض نقشت عليها قصيدة أولها :

صبح المسرة ساطع متبلج
والشكر تعليه الشفاه وتلهج

وبيت التاريخ الاخير :

فاسم مكمله مع التاريخ بل
اكماله صدق التوكل منهج

وفى الناحية الاخرى المقابلة لوحة رخامية ثانية عليها قصيدة مطلعها :

شاهد ضخامة ماترى وجماله
واشهد بانك مارايت مثاله

وكان الشيخ الفاضل أسرع منى فى قراءة هذه الابيات . وفى الطريق شاهدنا اول مرسى للفينيقيين فى شمال تونس قبل قرطاجنة . وتسمى « اوتيك » وهى كلمة فينيقية وكانت قديما تسمى عتيقة .

وكم من مناظر ومشاهد وزوايا وقرى ومدن شاهدناها فى ذهابنا الى بنزرت وفى رجوعنا منها الى تونس .. فقد ذهبنا اليها من طريق ورجعنا من آخر

شاهدنا فى ذهابنا عدا ماذكرت « غار الملح » وقرية « سونين » فى الطريق الى هذا الغار . وقرية « زواوين » نسبة الى زواوة فى الجزائر . وقرية « عوسجة » العوسج الشجر . يقال : ان العوسج قد أثمر . ورأينا زاوية « سيدى على المكى » وهى على رأس جبل . وتزار وأصلها رباط – أى محل لحراسة الثغور – ورأينا قبر الامير « ابراهيم الشريف » وهو آخر قبر للامراء المراديين . وكان قد فر الى صقليه فاحتالوا عليه حتى أرجعوه وقتلوه . وهو يرى فى سفح الوادى قريبا من « غار الملح » ومررنا على قرية « رفراف » وجهتها مشهورة بالعنب المسكى ، ورأينا قرية « رأس الجبل » ، وهى قريبة من « بنزرت » مشرفة على البحر ومشهورة بطيب هوائها حتى للمصابين بالسل ورأينا قرية « منزل جميل » .

وأخيرا عبرنا القناه – قناة بنزرت – الى المدينة : عبرناها على « معدية » أشبه بالتى توصلك من السويس الى بورفؤاد . وقناة بنزرت هذه تبلغ حوالى أربعة كيلو مترات وتوصل البحر الابيض المتوسط ببحيرة بنزرت . وهى سر عظمة هذه المدينة لان قطعا من الاسطول تستطيع أن تضرب وتختفى فى هذه البحيرة . وكانت القوة الفرنسية البحرية تابعة لمقر القيادة فى بنزرت . فالاميرال الفرنسى كان مقره بنزرت . ولقد رأيت بعينى آثار ضرب الرصاص الكثير فى حوائط وبيوت بنزرت ، وهى شاخصة حتى الساعة كأنها خطيب قائم يدعو أهل تونس الحبيبة الى الاعتزاز بكرامتهم والامتناع عن التراخى والكسل أيا كان الامر .

وتناولنا طعام الغداء على مائدة الشيخ الفاضل فى « كازينو » البلدية على شاطىء القناة قريبا من البحر الابيض المتوسط . ثم جلنا جولة على « كورنيش » بنزرت . وتفادينا « المعدية » فرجعنا من طريق غير الذى جئنا منه . وهو طريق « منزل بورقيبة » ومنزل بورقيبة هذا كان اسمه أولا « فيرى فيل » باسم قائد فرنسى . وكان تسعة أعشار سكانه من الفرنسيين فلما استقلت البلاد غير اسمه فسمى « منزل بورقيبة » وأصبح سكانه من اخواننا التوانسة . وهكذا يضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون .

وللسيد الحبيب بورقيبة فى منزله هذا تمثال كما ان له تمثالا آخر رأيته فى منزل تميم .

وفى عودتنا شاهدت زاوية سيدى « عثمان الحداد » وهى فى واد سمى باسمه وهو فى الطريق الى الجديدة وعندما سمعت هذا الاسم – الجديدة – تذكرت بلدة الجديدة فى محافظة الشرقية بجوار بلدة الزنكلون : تلك التى ينسب اليها أستاذنا المرحوم الشيخ على سرور الزنكلونى .

ومررنا على قرية « تبرية » وهى قرية كبيرة . وترى على هذا الطريق قنوات فوق الارض تسقى زراعة الخضروات وماؤها مجلوب من وادى الليل ونهر مجرده .

ورأينا قناطر « الباطان » على نهر مجرده ، ورسالتها غسيل صوف الطرابيش . وهى من صنع الاندلسيين .

وهذه القناطر مقامة على حوالى عشرين عينا . وبجوارها رايت كتابة الدولة للفلاحة وبها مصلحة لتربية الخيل. وبجوار ذلك ترى مصنع ابن عياد للطرابيش . ومررنا على قرية « الحبيبة » وهى للتجارب كمديرية التحرير عندنا .

ومررنا على « القصر السعيد » وفيه أمضيت الحماية على تونس . فسألت الشيخ الفاضل : لم تسمونه السعيد وقد أمضيت فيه الحماية ؟ .. قال سمى بهذا من قبل .

الحنايا

ومن الآثار العظيمة التى رأيتها فى تونس فى هذه الرحلة « الحنايا » وهى قناطر رومانية تمتد الى ٥٠ خمسين كيلومترا تحمل المياه مبتدئة من عين فى جبال زغوان الى مدينة قرطاجنة . وقد أمر بها «ادريانوس» الرومانى – فى القرن الثانى بعد المسيح عليه السلام – بمناسبة زيارته الى تونس · هذه الحنايا مصدر الهام لشعراء العربية · كان « المستنصر الحفصى » هو الذى أوصل هذه القناطر الى « قرطاجنة » فقال حازم القرطاجنى قصيدة مشهورة يصف فيها القناطر .ويمدح المستنصر . ويستنجد به الى الاندلس منها :

وطود زغوان دعوت ماءه
فمازغا عن طاعة ولا ونى
وكفرت طاعته لمسلم
طاعته لكافر فيما مضى

وفيها يقول الشاعر :

باكرصبوحك ليس الوقت بالدون
واجعل غبوقك فى باب ابن سعدون
ترى الحنايا كسطر النخل مدبه
سطرا بسطر كمجبى العراجينى
أو خرد وقفت للرقص فاعتنقت
كى لاتجىء برقص غير موزون

ومن العجائب التى شاهدتها فى هذه الرحلة جبل وسط بحيرة اسمها « شكل » سمى الجبل باسمها ·

ومن الاماكن التى زرناها يومئذ « الديوان القومى للصيد البحرى » وهو ديوان منسق منظم على أحسن وأحدث طراز . وبعد أن طفنا فى أرجائه قدم لنا المشرف عليه دفتر الزيارة فسجلنا احساسنا نحوه . وأهدانى المشرف بهذه المناسبة « منفضة سجاير » مما يخرج البحر ·

وكان مما تحدثنا فيه فى ذلك اليوم السعيد عدا ما تقدم :

١ – « الانسان لايصنع الانسان » وهذا هو شعار الانجليز على مجلس العموم · ومن هنا يحترمون الحرية الشخصية وتدور سياستهم على ترك كل انسان يصنع نفسه بنفسه .

٢ – الشيخ سالم بوحاجب . كان من كبار علماء الزيتونة المعمرين . وكان شيخا للاسلام ومن كبار المؤيدين لحركة الشيخ محمد عبده .

٣ فى مدينة سر من رأى مزاد يسمى « باب المهدى » وكان يأتى له مطوفون من الشيعة . فاحتج أهالى البلدة وهم سنيون فأخذوا هذه الوظيفة . وظلوا يشرفون على هذا المزار . الامر الذى يدل على طغيان المادة على المبدأ .

وموعدنا مع الشيخ الفاضل أيضا فى الرحلة الثالثة الى صفاقس .

يتبع

بقية مقال « أصول الاقتصاد من القرآن »

السكان .. فانها عمل تطبيقى ، يحاول الافادة بقواعد علم الاقتصاد .. حال مواجهة المشاكل المترتبة على تكاثر الناس ..

فاما النظرية الاقتصادية .. فتنقسم الى شعبتين رئيسيتين احداهما نظرية للانتاج والأخرى نظرية للتوزيع .. ثم التصق بهما جميعا نظرية حديثة (من نحو سبعين عاما) يقال لها نظرية النقود ..

وأما ميادين التطبيق فكثيرة .. منها السكان ، وأعمال المصارف والبورصات والتجارة الداخلية والتجارة الخارجية والقروض ومشكلات الأجور ، وعوامل التخلف ، ومقومات التنمية .. هذه كلها ميادين للبحث .. لا يقدم الكاتب عليها الا اذا اتضحت عنده النظرية الاقتصادية .

اذن لكى نستطيع أن نبحث فى جدوى نظام الفائدة .. لا بد لنا أن نعرف الأساس النظرى لهذا النظام .. قبل أن نتكلم عن مشكلات تطبيقه وآثار العدول عنه الى غيره .. أما أن نقتحم بعض ميادين التطبيق .. دون الاحاطة بقدر مناسب من الأسس النظرية لعلم الاقتصاد .. فانه يؤدى الى مزيد من الغموض .. كلما تقدم البحث ..

وكذلك الحال .. حين يتولى المختص بدراسة الاقتصاد فى المراجع الأجنبية وحدها .. الحكم على شرع الله تعالى .. أهو يتسع لمشكلات الاقتصاد أم يضيق بها !!

وفى المقال التالى ان شاء الله تعالى ، سأعرض لماهية الاقتصاد الوضعى بأصوله وفروعه .. بنظريته وميادين تطبيقه دون أن أزعج علماء الاقتصاد .. بالربط بينه وبين الدين .. وسأرجىء بعض الوقت .. بيان تفاهة الفكر الانسانى .. حين يقاس بالأوضاع والمعايير التى يجدها المسلمون فى الكتاب الكريم والسنة المطهرة .

الإمام الشافعي والفكر اليوناني

"ما جهل الناس ولا اختلفوا إلا لتركهم لسان العرب وميلهم إلى لسان أرسطو" الشافعي

الدكتور عبد الحليم محمود

ولسان أرسطو الذى يعنيه الشافعى ، رضوان الله عليه ، انما هو : الفكر اليونانى : فى « المنطق » ، وفى « ما وراء الطبيعة » ، وفى « الأخلاق » .

ولقد بدأ الاسلام بعيدا عن هذا اللسان البشرى ، لأنه وحى الهى ، واستمر المسلمون عشرات السنين لا يعرفون الا الوحى المنزل ولا يصدرون الا عنه .

أما ابتداء دخول الفكر اليونانى فى الجو الاسلامى : فان الكتب الاسلامية القديمة تروى فى ذلك أخبارا هى أشبه بالأساطير ، فى سذاجتها ، تؤرخ لنشأة تسرب الفكر اليونانى الى الجو الاسلامى ، وتعلل لذلك .

وهى ، على سذاجتها ، وعلى ما تلبسه من صورة قد تثير الابتسام : فانها عميقة المغزى ، قوية الدلالة :

يروون ، مثلا : أن سبب خروج كتب اليونان من أرض الروم الى بلاد الاسلام ، انما هو : يحيى بن خالد بن برمك .

« وذلك : أن كتب اليونانية كانت ببلد الروم ، وكان ملك الروم خاف على الروم : ان نظروا فى كتب اليونانية أن يتركوا دين النصرانية ويرجعوا الى دين اليونانية ، وتتشتت كلمتهم وتتفرق جماعتهم ، فجمع الكتب فى موضع ، وبنى عليها بناء مطمسا بالحجر والجص حتى لا يوصل اليها .

فلما أفضت رياسة دولة بنى العباس الى يحيى بن خالد ـ وكان زيد قد بلغه خبر الكتب التى فى البناء ببلد الروم ، فصانع ملك الروم الذى كان فى وقته بالهدايا ، ولا يلتمس منه حاجة .

فلما أكثر عليه جمع الملك بطارقته وقال لهم : ان هذا الرجل خادم العربى : قد أكثر على من هداياه ، ولا يطلب منى حاجة ، وما أراه الا يلتمس حاجة ، وأخاف أن تكون حاجته تشق على ، وقد شغل بالى ! !

فلما جاءه رسول يحيى قال له :
قل لصاحبك ان كانت له حاجة فليذكرها .

فلما أخبر الرسول يحيى ، رده اليه وقال له :

حاجتى : الكتب التى تحت البناء ، يرسلها الى ، أخرج منها بعض ما أحتاج وأردها اليه .

فلما قرأ الرومى كتابه استطار فرحا ، وجمع البطارقة والأساقفة والرهبان ، وقال لهم :

قد كنت ذكرت لكم عن خادم العربى : أنه لا يخلو من حاجة ، وقد أفصح بحاجته ، وهى أخف الحوائج على .

وقد رأيت رأيا فاسمعوه ، فان رضيتموه أمضيته ، وان رأيتم خلافه تشاورنا فى ذلك حتى تتفق كلمتنا ، فقالوا :

وما هو ؟ قال :

حاجته : الكتب اليونانية ، يستخرج منها ما أحب ويردها ، قالوا :

فما رأيك ؟ قال :

قد علمت : أنه ما بنى عليها من كان قبلنا الا أنه خاف ، ان وقعت فى أيدى النصارى ، وقرأوها كان سببا لهلاك دينهم وتبديد جماعتهم . وأنا أرى أن أبعث بها اليه وأسأله ألا يردها ، يبتلون بها ونسلم نحن من شرها ، فانى لا آمن أن يكون بعدى من يجترىء على اخراجها الى الناس .

فيقعوا فيما خيف عليهم .

فقالوا : نعم الرأى رأيت أيها الملك فامضه .

فبعث بالكتب الى يحيى بن خالد .
فلما وصلت اليه جمع عليها كل زنديق وفيلسوف .
فمما أخرج منها : كتاب : « حد المنطق » .

قال أبو محمد بن أبى زيد :

وقل من أنعم النظر فى هـــذا الكتا بوسلم من زندقة .

وتروى هذه القصة ـ على اختلاف فى الاسماءوالزمن مع اتحاد فى الجوهر ـ على أنحاء شتى ، منها : رواية الصلاح الصفدى فى شرح لامية العجم :

حكى : أن المأمون ، لما هادن بعض ملوك النصـــارى ـ أظنه صاحب جزيرة قبرص ـ كتب يطلب منه خزانة كتب اليونان ، وكانت عندهم مجموعة فى بيت لا يظهر عليه أحد .

فجمع الملك خواصه من ذوى الرأى واستشارهم فى ذلك ، فكلهم أشار عليه بعدم تجهيزها اليـــه الا بطراقا واحدا فانه قال : جهزها اليه ، فما دخلت هذه العلوم على دولة شرعية الا أفسدتها وأوقعت بين علمائها .

أما جهل الناس بسبب ميلهم الى لسان أرسطو وتركهم لسان العرب ، فان معناه يحتاج الى ايضاح .

وانه لمن الغريب ، فيما يبدو : أن تكون المعرفة للجوانب النظرية اليونانية : جهلا ، وأن تكون زيادةالعلم بها ، مع ترك لسان العرب : زيادة فى الجهل .

والناس يرون الآن أن الثقافة اليونانية النظرية انما هى ثقافة ممتازة لا غنى لمثقف عنها .

بيد أن الميدان الذى تحدث عنه الشافعى ، رضوان الله عليه : انما هو : ميدان الغيب ، انه : ميدان ما وراء المادة ، ما وراء الكون ، ما وراء المحس ، أى أنه : الميدان الذى لا تتأتى المعرفة فيه بانعام النظر واعمال الفكر ، اذ أن انعام النظر واعمال الفكر : لا يتأتى الا فى المجالات التى تمدنا فيها الحواس بالأساس وبالأصل الذى نبنى عليه ونستنتج منه ، ونبحث فيه .

وبدون هذا الأساس الحسى والأصل المادى : لا يقوم بناء عقلى ولا رأى نظرى سليم .

والالهيات ، أو عالم الغيب ـ على حد تعبير القرآن ـ ليس ماديا ، وهو اذن : لا يقع تحت الحس ، وليس للحس فيه مجال .
وهو ، من أجل ذلك : حجر محجور على العقل :

يقول ابن عبد البر المتوفى سنة ٤٦٣ هـ :

« ان الله : ليس كمثله شىء ، فكيف يدرك بقياس أو بانعام نظر ؟ ! » .

واذا ما حاول الانسان اذن ، أن يصـل الى عالم الغيب : عالم المجردات ، بانعام النظر : فانه يحاول السير فى طريق مغلق ، انها محاولة الجاهل ، انها محاولة بنيت على أساس خاطىء ، فكل ما تصل اليه من نتائج انما هو تخبط وضلال وجهل ، وكلما أمعن الانسان فى الطريق العقلى محاولا معرفة عالم الغيب فانه لايزداد بذلك الا حيرة وجهلا .

ومن البديهى : أن الانحراف فى الوسيلة يؤدى الى الانحراف فى النتائج » والأساس المنهار : لا يبنى عليه قصر مشيد ! !

وقد حاول اليونان : أرسطو ومدرسته ، والمدرسة الابيقورية ، والمدرسة الرواقية ـ أن يقيموا مذاهبهم ، فيما وراء الطبيعة ، على العقل ، وكانت النتيجة التى انتهت اليها هذه المدارس : مجموعة من الآراء المتضاربة المتعارضة ، المتناقضة ، المتأرجحة بين النفى والاثبات ، وبين الشك واليقين .

أيها أصح ؟ أيها أقوم سبيلا ؟ أيها أهدى طريقا ؟

اذا أردت الاجابة على هذه الأسئلة « عقليا » فليس هناك من مناص من الحيرة ، والشك ، والتردد ، ثم الوقوف عن ابداء الرأى ، اذا أخلصت لمنطق العقل ، وليس معنى ذلك الا الجهل .

واذا مال الانسان ، اذن ، الى لسان أرسطو ، أى اذا انصرف الى الفكر اليونانى ، فيما وراء الطبيعة ، أى اذا اتخذ العقل أساس المعرفة فى عالم ما وراء الطبيعة ، فان معرفته : انما تكون جهلا وعلمه يكون وهما :

نهاية اقدام العقــول : عقـــال
وغـاية ســـعى العالمين : ضلال

« عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا الا من ارتضى من رسول .. »

والرسول الذى ارتضاه سبحانه وتعالى وجعلهخاتما للرسل وتكفل بحفظ الكتاب الذى أنزله عليه ، هو : **محمد بن عبد الله ، صلوات الله وسلامه عليه .**

أرسله الله بلسان قومه ، وهم العرب ، وأرسله بكتاب يتضمن كل ما يحتاجالانسان الى معرفته من عالم الغيب ، وهو كتاب : « **أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير** » ، « **لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد** » .

وكشفه عن عالم « **ما وراء الطبيعة** » اذن : انما هو : كشف الحكيم العليم ، فاذا ما تمسكنا به فانما نتمسك بالعصمة المطلقة ، بالحق الواضح ، بالصراط المستقيم ، والمعرفة به : معرفة صحيحة ، والعلم به : علم لا ريب فيه ، والعدول عنه : انما هو عدول عن المعرفة الى الجهل ، وعن العلم الى الوهم .

أما المعرفة به على وجهها المستقيم : فانها تتأتى أضوأ ما تكون وأسنى ما يمكن ، اذا انصرف الناس الى لسان العرب :

يقول السيوطى ، فى تعليقه على كلام الشافعى ، رضى الله عنه :

ولم ينزل القرآن ولا أتت السنة الا على مصطلح العرب ومذاهبهم فى المحاورة ، والتخاطب ، والاحتجاج ، والاستدلال ، لا على مصطلح اليونان ، ولكل قوم لغة واصطلاح ، وقد قال تعالى :« وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم » .

فمن عدل عن لسان الشرع الى لسان غيره وخرج الوارد من نصوص الشرع عليه : جهل وضل ولم يصب القصد » .

هذا هو ما عناه الامام الشافعى بجهل الناس . أما ما عناه باختلافهم ، حينما يميلون الى لسان أرسطو ، فلشرح ذلك مجال آخر .
وبالله التوفيق .

عناصر الحيوية في الدين الإسلامي

فضيلة الشيخ عبدالله المشد

عموم الدعوة الاسلامية :

(ب) بينت لك فى المقال السابق مظهر عموم الدعوة الاسلامية فى امتدادها الافقى ، وتخطيها حواجز الجنس واللون ، واثبات وجودها وصلاحيتها فى كل البيئات ، ومناسبتها لكل المستويات . وفيما يلى بيان عمومها فى امتدادها الطولى ، بمعنى أنها هى الدعوة الخالدة على مر الزمن ، الصالحة لكل عصر وجيل ، لا ينقضى مفعولها ، ولا تنسخها شريعة أخرى .

وعنصر الحيوية واضح فى هذا المجال ، فهو دليل على امتداد عمرها وبقاء حركتها ونشاطها ، والنشاط والحركة هما مظهر الحياة ، وطول الأمد دليل اصالة هذه الحياة وقوتها ، ومناعتها ضد العوامل المعوقة ، والدعوة الاسلامية هى دعوة الاجيال كلها حتى يرث الله الارض ومن عليها ، وليست كالدعوات السابقة التى ينتهى أثرها بظهور دعوة أخرى ، فقد كانت تلك الدعوات مؤقتة ، يتحتم على اتباعها الايمان بالدعوة الجديدة التى تأتى بعدها ، وكان الرسل أنفسهم يقرون بتوقيت رسالتهم ويبشرون بالرسالة التى تلى رسالتهم لترافق البشرية فى سيرها الطويل نحو غايتها من الكمال . قال تعالى : **« واذ قال عيسى بن مريم يابنى اسرائيل انى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشرا برسول ياتى من بعدى أسمه أحمد »** .

وكانت الدعوة الاسلامية متميزة عن غيرها بخاصية الخلود لأنها كانت نهاية تطور الأديان وذروة رقيها ، تبعا لترقى البشرية وبلوغها الحد الذى يؤهلها للانطلاق القوى نحو الكمال . وقد قرر القرآن الكريم أنها خاصة الرسالات ، ونهاية الهداية الالهية للبشر ، وليس من المعقول أن تختم الهداية برسالة مؤقتة بزمن معين ، والا فمن الذى يرشد الناس بعد هذه الفترة ، ومن الذى ينظم لها حياتها فى أجيالها المتعاقبة ؟ ان الله سبحانه – وهو الرحيم بعباده – لن يتركهم سدى ، وهو الذى علق المسؤولية على العالم بالتكاليف التى يرسل بها الرسل « وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا » « رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل » .

وقد أخبر الله سبحانه بانه أكمل الدين وأتم النعمة **« اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا »** وليست هناك حاجة بعد ذلك الى رسالة أخرى تكملها ، ويعجبنى فى هذا قول الدكتور **نظمى لوقا فى كتابه « محمد الرسالة والرسول »** « ذلك لان طور الاسلوب العقلى المجرد هو اخر أطوار البشرية ، وقد تمت فكرة التوحيد وثم خطاب العقل وتم البلاغ للناس كافة ، وتمت كرامة الانسان وصلته بربه وبدنياه ، وتركت لهم مصالحهم المرسلة يعالجونها على

هذا الاساس ، حسبما يستجد لهم من الامور ، فكل رسالة بعد ذلك قول معاد » .

يقول الله سبحانه « **ماكان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين** » .

اى الذى ختمت به النبوة وانتهت . وقد قال بعض المفسرين. ان الخاتم لا يدل على الختام ، فقد يكون معناه انه زينة الانبياء ، وأشرفهم كالخاتم للذى تحلى به الاصابع ، ولكن المعنى الاول هو الذى تشهد له الاحاديث الصحيحة التى ستأتى بعد .

فقد روى البخارى عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « كانت بنو اسرائيل تسوسهم الانبياء ، كلما هلك نبى خلفه نبى ، وانه لانبى بعدى »

وفى حديث البخارى ومسلم عن أبى هريرة جاء قول النبى صلى الله عليه وسلم « مثلى ومثل الانبياء قبلى كمثل رجل بنى بيتا فاحسنه وأكمله الا موضع لبنة من زاوية من زواياه ، فجعل الناس يطوفون به ويتعجبون له ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة !! فانا تلك اللبنة وانا خاتم النبيين » وقد روى هذا الحديث أيضا عن جابر ، وروى مسلم عن أبى هريرة حديث « فضلت على الانبياء بست : أعطيت جوامع الكلم ، ونصرت بالرعب ، وجعلت لى الارض مسجدا وطهورا ، وأرسلت الى الخلق كافة ، وختم بى النبييون » . وروى مسلم أيضا عن سعد بن أبى وقاص قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلى « أنت منى بمنزلة هرون من موسى ، الا أنه لانبى بعدى » وفى رواية « الا أنه لا نبوة بعدي » وروى أحمد والترمزى والحاكم باسناد صحيح عن أنس مرفوعا « ان الرسالة والنبوة قد انقطعت ، فلا رسول بعدى ولا نبى »

وهذه الاحاديث تقطع بأن رسالة الاسلام باقية الىيوم الدين ، وتقطع بكذب الذين قاموا بدعوات باطلة ارادوا أن يلبسوها مسحة التقديس فأوهموا العامة انهم أنبياء وأن النبوة لم تنته برسالة محمد ، وهذه الدعوات قديمة ظهرت فى أيام النبى ومن بعد عهده مباشرة ، وقد ذكر التاريخ الجهود التى بذلها الصحابة فى القضاء على هذه الاباطيل ، والصراع العنيف الذى دار من حول هذه الادعاءات وأثره فى تمزيق وحدة الأمة واثارة الفتن والاضطرابات . وقد جاء فى الاحاديث مايدل على قيام هذه التنبؤات الباطلة ، **روى الترمذى وأبو داود عن ثوبان عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « لاتقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتى بالمشركين ، وحتى يعبدوا الاوثان ، وانه سيكون فى امتى ثلاثون كذابا كلهم يزعم أنه نبى ، وأنا خاتم النبيين ، لانبى بعدى » .**

ومما يؤيد خلود الدعوة الاسلامية وبقاء هذا الدين قائما برسالته قول النبى صلى الله عليه وسلم ، كما رواه مسلم عن جابر بن سمرة « لن يبرح هذا الدين قائما يقاتل عليه عصابة من المسلمين حتى تقوم الساعة» وفى رواية عن ثوبان « لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتى أمر الله وهم كذلك » . وقد قال العلماء : ان أمر الله هنا ريح لينة تقبض أرواحهم فلا يبقى على الأرض من يقول لا اله الا الله فتقوم الساعة ، كما ورد ذلك فى الأحاديث ، ويوضحه ما رواه جابر بن عبد الله : سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول « لا تزال طائفة من أمتى يقاتلون على الحق ظاهرين الى يوم القيامة » .

وقد تكلم العلماء عن هذه الطائفة ، فرأى البخارى انهم أهل العلم ، ورأى أحمد بن حنبل أنهم أهل الحديث

ورأى النووى ان هذه الطائفة مفرقة بين انواع المؤمنين منهم شجعان مقاتلون ، ومنهم فقهاء ومنهم محدثون ، ومنهم زهاد وآمرون بالمعروف وناهون عن المنكر ، ومنهم أهل أنواع أخرى من الخير ، ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين بل قد يكونون متفرقين فى اقطار الارض .

وهذا الرأى وجيه ، فان أنواع الهجوم على الدين كثيرة ، والاسلحة التى يجب أن تقاوم هذا الهجوم لابد أن تكون منوعة ، ونحن محتاجون الى قوة فى كل الميادين الثقافية والسياسية والحربية والاقتصادية وغيرها ، لندافع بها عن كياننا ضد الهجمات التى توجه للاسلام من كل الخصوم . وهذا الرأى الذى رآه النووى دليل قوى على حيوية الاسلام وعنايته بخلق أجيال وجنود نشيطة فى كل الميادين ، وعلى أن دين الاسلام ليس علاقة روحية خالصة بين الانسان وربه ، بل هو دين متفاعل مع أحداث الحياة متجاوب مع الزمن ومقتضيات الظروف .

ومما يدل على خلود الدعوة الاسلامية الحديث الذى رواه مسلم عن أنس « **بعثت أنا والساعة كهاتين** » **قال: وضم السبابة والوسطى** ، وقد فسر العلماء ذلك بأن بينهما شيئا يسيرا كما بين الاصبعين فى الطول ، أو بقرب مجاورتهما كتجاور الاصبعين ، وهذه المسافة ليست فى حاجة الى رسالة جديدة مادامت طائفة من أمة النبى ستكون موجودة فى كل عصر تدفع عن الدين وتجدد له شبابه ، **كما جاء فى حديث أبى هريرة الذى رواه الحاكم وصححه ، وأبو داود فى سننه والطبرانى والبيهقى « ان الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها » .**

ولعل بعض الناس يقول : كيف تختم الرسالة بالاسلام وتنتهى النبوة بمحمد ، مع أن الاحاديث الصحيحة دلت على أن عيسى عليه السلام سينزل اخر الزمان ، أليس فى هذا نسخ للدعوة الاسلامية وانهاء لمهمتها ؟ فقد جاء فى صحيح مسلم « ليوشكن الله أن ينزل فيكم ابن مريم حكما مقسطا ، فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية » وقد أجاب العلماء بأن عيسى عليه السلام سينزل حاكما بشريعة الاسلام ، ولا ينزل نبيا برسالة مستقرة وشريعة ناسخة ، بل هو حاكم من حكام هذه الامة ، وما ورد فى الحديث من أحكام الجزية قررها الاسلام وجعل نهايتها نزول عيسى وليس عيسى هو الناسخ لها ، بل ان النبى صلى الله عليه وسلم هو المبين للنسخ ، كما أشار اليه النووى فى شرح مسلم ، ومما يشهد بان عيسى سيكون حاكما بشريعة الاسلام لا مغيرا لها أو قاضيا عليها ، ماجاء فى الحديث الذى رواه مسلم عن جابر يبين فيه أن عيسى سيعترف بشخصية الامة الاسلامية ولن يمسها بسوء ، يقول النبى صلى الله عليه وسلم « لاتزال طائفة من أمتى يقاتلون على الحق ظاهرين الى يوم القيامة ، قال فينزل عيسى ابن مريم صل الله عليه وسلم فيقول أميرهم : تعال صل لنا ، فيقول لنا : ان بعضكم على بعض أمراء ، تكرمة الله هذه الامة » .

وبعد ، فان سؤالا يثار هنا ، وهو كيف تكون الدعوة الاسلامية صالحة للبقاء على مر الزمن ، مع أن الاجيال تتطور ، وحوادث البشر تتجدد ، والظروف والمقتضيات دائما فى تغير ، وكيف يتناسب تشريع نزل فى الصحراء منذ عدة قرون مع حضارة امم بلغت من الرقى حدها الكبير ؟

الجواب على ذلك هو ما سنفصله فى المظهر الثالث لعموم الدعوة ، فالى اللقاء فى العدد القادم .

وحدة العرب دين

فضيلة الشيخ عبد الله العزازى

أيها القارىء الكريم :

صوت العرب .. يرسله عربى من اقليم عربى فى دولة العرب الصناديد وأبطال الفداء .. يرسله صرخة من أعماق الاعماق ، مدفوعة بقوة الايمان والاخلاص ، من سويداء القلب تكاد تصل الى «القلب» قبل «السمع» ولا شىء الا أن تسائل « الكرم » فى أوسع نطاقه ، وأسمى معانيه ، وأقوى أحواله .

استعرضه فى شتى مظاهره وأبهج الوانه فانك لن تجد الا اقوى جواب فى أصدق تعبير :

تجده بذلا للفداء وللكساء فى ايثار وتضحية .

تجده استرخاصا للارواح عند الطلب يوم أن ينادى النفير ينذر بالحرب دفاعا عن النفس والوطن وحماية للجار وردا للمعتدى حتى تستقر الاوضاع ويرفرف السلم على البقاع .

تجده هذا .. وتجده شجاعة يوم الزحف فى قوة وعنف تجده انكارا للذات وصوما عن الدنايا والسقوط وترفعا فى عزة وشموخا فى انفة وحزما وعزما .

تجده لينا ورحمة وعقلا وشدة وسلما وسلاما وتحية واكراما .

تجده حربا وحرابا وعددا وعددا وارواحا طهرت وقلوبا قويت لا تهاب الموت فلقد قدت من حديد نتيجة ايمان قوى فتى .

تجد الكرم هذا وأكثر يتسع معناه حتى يضم كل الحميد من الخصال وكل القوى من الفعال ..

تجده كذلك ، ولكن ليس بالغريب أنك تجده قد تجمع بكل معانيه فى الامجاد الكرام فى العرب الاسود والفر المحجلين ، والابطال الميامين .

فان أردت — أيها المستعمر — دليلا ، ان لم تكن تعلم، فالتاريخ اصدق شاهد ، وحياة العرب أقوى برهان

فهى سلسلة كفاح ونضال ، لم تلن لهم قناة ولم تتحطم لهم صفاة ، فهم بحبل الله معتصمون ، ولم تعرف الفرقة لهم سبيلا ، ولا الضعف لهم طريقا . وما كان مما كان ما هو الا نزعة شيطان — شيطان الاستعمار — ومن بهم دخل وضعف من خونة لم تسلم منهم دولة ولم يخل منهم عصر فى تاريخ الانسان .

ولكن ما كان مضى .

واليوم غير الامس .

وغدا قوة فى ولايات متحدة وعزة ومجد فى انفة وعظمة . غدا كل هذا بالصبر العميق الطويل العريض القوى وبالعمل الدائب السريع العاقل المنتج المفيد المنظم الجبار .

لقد سارت السفينة والربان « جمال » ماهر مخلص أمين والبحارة فدائيون يقظون محتاطون لكل زوبعة ولكل عاصفة .

سرت السفينة بسم الله مسراها ، وجرت وبرعايته مجراها ، تشق العباب ، ولن تلعب بها الامواج العاتية المزمجرة ، وهى الى شاطىء السلامة — باذن الله — واصلة . غدا كل هذا أيها المستعمر ، وان غدا لناظره قريب ، فلقد صام العرب .

نعم — أيها المستعمرون — لقد صام العرب عن الفرقة فهى ليست من طبعهم ولا فى تاريخهم ، بل انتم باعثوها فى صفوفهم ، ومرسلوا سمومها فى بلادهم على يد من خان الاوطان بالاصفر الرنان ، فسجل التاريخ له الميراث الاسود وأورث العار والشنار لاسرته وأولاده واحفاده فبئساه من ميراث !

نعم .. لقد صام العرب عن الراحة والهدوء والكسل والخمول ، وهم منها براء فانتم خالقوها فى بلادهم ، ومعلموها — فى دهاء — للخونة والعملاء .

صام العرب لا عن فقر وبخل بل فى عزة وانفة عن كل دنىء ، فطبع العربى الاصيل أن يكون من الخيانة برىء .

فأنت - ايها المستعمر - أنت الفقير الجائع ، والا فلماذا هجرتم بلادكم ورضيتم ان تعيشوا عالة على غيركم ؟. ليس الا أن أرضكم قد جفت من الخير وقست طبيعتها فلم تجد عليكم بضرورات الغذاء والكساء فرضيتم بالهجرة وعشتم شذاذا فى بلاد غير بلادكم تستجدون القوت فى صور خلابة ومظاهر براقة تسترون بها الخزى والعار ، خزى الفقر فى بلادكم ، وعار الجوع فى أوطانكم .

والا فاين حرثكم وزرعكم وما تجودون به على غيركم ؟ ان هو الا من الغير اغتصابا وبثمن بخس واليهم منة وبغالى الاثمان .

نعم .. لقد صام العرب حتى يستردوا حرياتهم ويطردوكم من ديارهم فى غير ماذلة ولا هوان بل فى شموخ وعظمة وتضحية وفداء وبلاء .

نعم صام العزب عن وعودكم ، وعن عهودكم وأحلافكم فلقد أثبتت الايام وسجل التاريخ لكم نقض العهد وخلف الوعد والكذب واللف والدوران وكسب الوقت، وشعاركم فى كل هذا « فرق تسد » فعرفكم العالم عن تجربة ، واتضحت له نياتكم بعد أن عجم العود فلم يجد الا المر والحنظل فعرف « من اين تؤكل الكتف » .

فلقد أصبحتم سخرية الوجود وأعداء البشر وسوسا ينخر فى عظم الانسانية . فلا مال لكم ولا عدد كما لاقوة لكم الا بما اغتصبتموه من غيركم ولا كان لكم نصر فى حرب الا بشباب مستعمراتكم .

ولا فضل لكم فى سلم فأنتم ألد أعدائه وأقوى خصوم لوجوده ، وعلى السلم حرب ضروس .

والتاريخ أصدق شاهد وفى الوجود عدول يشهدون وأنتم فى طيات أنفسكم تعلمون علم اليقين أنكم ظالمون « وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون » .

لقد تفتحت العيون واستيقظت القلوب وآمن الناس - كل الناس أن خير كل بلد لابد أن يكون أولا وآخرا لاهل البلد لهم حلالا طيبا ، وعلى غيرهم حراما وسما زعافا ، ولن تجدوا بعد اليوم يوما مما مضى ، وتسلم المخلصون زمام الامور وساروا بشعوبهم فى طريق الكرامة والعزة والوجود الصحيح ثم أقسم العرب ألا يفطروا من صومهم حتى تعودوا الى بلادكم صاغرين ويصبح العرب كتلة قوية فى ولايات متحدة تعيد الامجاد وتسود البلاد .

ثم ماذا يازعماء العرب وياشعوب العرب ؟

لاشىء الا اننا معشر العرب لنا امجاد وفينا قواد وبيننا رواد ولنا عقول ان لم تزد ادراكا وفهما عن عقول الغير فلا أقل من ان تساويها . ولنا من موقع بلادنا وخيراتها وكنوز ملأت من الارض الظهر والبطن ولم يبغ زعيم او قائد ان يستعمر او يستبد او أن يستغل - لا والله - انما كل الامل ان نتخذ من الماضى المشرف سندا وأن نضع أقدامنا فى طريق المستقبل الاغر الابلج الوضاح الجبين وأن يعيش العرب وقد حرموا على أنفسهم الاعتماد على الغير ، فى كل مطالب الحياة ، وأن يعيشوا مرهوبى الجانب تسمع كلماتهم الصم ويهدي أعمالهم العمي وتتفزع من هيبتهم الافلاك ويلتفت الدهر ، وان يكونوا فى المقدمة ائمة لا أن يعيشوا ذيولا وامعات ، فلهم كل الامكانيات ولا سبيل الى الوصول الا بوحدة الراى والكلمة .. وحدة الكلمة مفروضة عليهم وواجب مقدس فى أعناقهم وحق لشعوبهم عليهم فلقد نادت بها السماء فى كل الكتب المقدسة وأيدتها الانبياء والرسل فى سلسلة بدأت بآدم وانتهت بابن عبد الله محمد - صلى الله عليه وسلم - : « واعتصموا بحبل الله » « لاتختلفوا فان من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا » .

فوحدة الكلمة لاتكلف من الامر عسرا ، فلا شىء الا ايمان بالله والا الضمير الحى الذى يؤنب المتأخرين فتكون نتيجة هذين ايمانا قويا فتيا بحق الشعوب عند القادة والرؤساء ومن وراء هذا حب الشعوب لهم والتعلق بهم وبذل الارواح رخيصة فى سبيلهم فمن عاش من غير حب شعبه كانت حياته موتا أبديا وخطرا محققا ومهما طال أجله فى الحكم فلابد للبركان يوما من أن ينفجر واذا انفجر دمر الخونة المستبدين .

اذن وحدة الكلمة واجبة ومطلوبة فى الاسرة والا كان الضياع وكانت أصابع الفتنة تمس القلوب فتفرق بين الابن وابيه والاخ واخيه ولا غرابة فى ان يقتل احدهما الآخر .

وحدة الكلمة واجبة فى القرية والمدينة حتى يعيش أهلها فى مأمن من الشرور والآثام . وحتى يرفرف عليهم الحب والوئام .

وحدة الكلمة واجبة فى الدولة والا ضاعت مصالح الشعب وفتكت به أمراض الجهل والفقر والمرض والحرمان وكانت الدولة لقمة سائغة وطعاما سهلا للمتربصين الجائعين .

وحدة الكلمة أوجب وأوجب بين الدول ذات التاريخ الواحد والرباط الواحد والهدف الواحد .

واذا اتحدت كلمة العرب كان لها القوة والمنعة والوجود الصحيح .

كان لها هذا ، وكانت مرهوبة الجانب عزيزة المنال وهزت العالم بما لها من قوة وكرامة . والا أكلتها سباع الاستعمار وفتكت بها وحوش الاستبداد والاستغلال من ذوات الانياب الزرق التى لا يعرف السوس لها سبيلا . أكلتها واحدة بعد الاخرى وهى تبرق بكرة من ذهب لكل دولة على حدة وتملؤها املا بأن نصيب الاسد سيكون لها وحدها .

ولو علم اولوا الامر فى العرب حقيقة النهاية لما كان ما كان والذى سيكون - ان لم ينتبهوا - فسيقول آخرهم بعد فوات الاوان « أكلت يوم أكل الثور الابيض »

فابتسامة الاسد تمهيد للوثوب والفتك

اذا رايت نيوب الليث بارزة
فلا تظن ان الليث يبتسم

وبعد .. فان العرب الذين لهم هذا الاسهام القوى فى الكرم وصدرت عنهم يمين لا حنث فيها بصومهم عن كل ما يدنس أو يضعف ويؤجل ويؤخر ويخرب ويدمر .

من فيهم هذه الطباع ولهم كل الوسائل فلا يمكن ان يتأخروا عن وحدة الراى والكلمة واذا تمت الوحدة كانت قوة الوجود وكانت المعجزات .

عقبة ابن نافع

الأستاذ عمر الدسوقى

ولد فى حضن النبوة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واكتحلت عيناه لأول عهده بالدنيابنورها الباهر ، وكان الاسلام لا يزال غضا يانعا ، ونور القرآن يتبلج فى صدور المؤمنين ، وتلهج به ألسنتهم هديا كريما ، تطامنت له نفوسهم ، واستل من قلوبهم أدواء الجاهلية واحقادها وعصبيتها القبلية ، وعنجهيتها وتفاخرها الفردى الكاذب ، ونظمهم أمة واحدة كالبنيان المرصوص ، وأعدهم ليحملوا رسالته العظيمة لهدى الانسانية فى مشارق الأرض ومغاربها ، يتقدمون الى البشرية بمثلهم العليا ، مثل الاسلام دين الرحمةوالأخوة والمساواة الحقيقية بين الناس .

ورأى فى حداثته ، وقبل أن ينتقل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الرفيق الأعلى كيف عنت وجوه العرب الجفاة لهذا الدين الكريم ، وكيف جاء نصر الله والفتح ، ورأى الناس يدخلون فى دين الله أفواجا . وكيف كان الاسلام يصهر هذه النفوس العربية لينفى عنها الخبث ويعدها للأحداث الكبرى التى غيرت وجه العالم ،وبدلت نظم التاريخ .

وكان له مع رسول الله صحبة ، وان كان حدثا صغيرا ، لكنه كان منذ نشأته متفتح القلب والعقل يعب تعاليم الدين السمح عبا ، وكان ذا همة وطموح تنبأ له رسول الله صلى الله عليهوسلم بأنه سيكون مجاب الدعوة ، وكأنى به عليه السلام كان يرى فى ملامح الفتى عقبة ، وفى دخيلة نفسه تلك الهمة العلياء وتلك النفس المخلصة المؤمنة التى نذرت حياتها لله وفى سبيل الله ، وأن على يديه سيكون نشر هذا الدين فى أقطار عديدة ، وضم شعوب ذات بأس وصولة الى رحابه يؤزرونه ويعملون على نصرته ، فباركه عليه السلام ودعا له . وقد روى عن الرسول الكريم بعض الاحاديث ، رواها عنه أنس وغيره ، مع أنه كان لا يزال فى يفاعته حين توفى رسول الله عليه الصلاة والسلام .

كان عقبة بن نافع بن عبد القيس من قريش قبيلة النبى عليه السلام ، وقريش وان قاومت الدعوة لأول عهدها ، واعتزت بجاهها ومالها وأصنامها ، الا أن المهاجرين الكرام كانوا من قريش ، ومنها حكم الخلفاء ، وقادة الجيوش ، لأن العرب كانت تعرف لهم مكانتهم ، ولأن المسلمين الأوائل الذين أيدوا الدعوة ووقفوا فى وجه التحدى والتعذيب ، وثبتوا للمحن الشداد كانوا من قريش .

وكان عقبة ابن خالة عمرو بن العاص ذلك الداهية الذى عرف للاسلام مكانته فى السنة السابعة للهجرة فهاجر الى المدينة مذعنا مؤمنا بعد أن قاومه ما شاءت له جاهليته ، وهو الذى قاد الجيش الذى فتح مصر فى عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وكان الفتى عقبة فى زمرة جيشه ، خرج وهو فى ميعة الصبا ونضارة الشباب مجاهدا فى سبيل الله ، بقلب لم يتدنس منذ وجد فى هذه الحياة بأوضار الشرك والجاهلية وبنفس تشربت الاسلام وروحه من ينبوعه العذب الكريم الصافى على يد رسول الله ، فتمكنت فيها تعاليمه الكريمةقوية راسخة ، وسرعان ما أتت أكلها شهيا طيبا اخلاصاوايثارا وفداء وجهادا ، وبطولة .

وميز الفتى عقبة نفسه بشجاعته وبلائه فى الجهاد فعهد اليه عمرو بن العاص والى عمر بن الخطاب على مصر أن يغزو افريقية وهو الاسم الذى أطلقه العرب على ما يعرف اليوم بليبيا وتونس ، وسار عقبة سنة ٢١ من الهجرة وهو بعد فتى على رأس جيش عرمرم من مصر لنشر دين الله فى برقة وطرابلس . ولم يكن الأمر هينا ولا سهلا ، فقد كانت هذه البلاد فى حوزة الروم ، ولهم فيها حاميات قوية مقيمة اقامة دائمة ، وهناك أهل البلاد من البربر وهم شعوب متبدية شديدة المراس ، فيها عناد وصلابة ، ولها كبرياء وقوة ، وكانوا يعيشون فى نظام قبلى شأن العرب فى جاهليتهم ، فلا بدع اذا كان لهم نفس طباعهم وقوة شكيمتهم ، وشدة عصبيتهم . هذا وقد كان الروم شديدى الحفاظ على هذه البلاد بعد أن أخرجوا من الشام ومصر عنوة وكرها ، وبعد أن شربوا كأس الهزيمة فيهما حتى الثمالة ، فعززوا حامياتها بالأساطيل البحرية ، وأمدوها بالجند المدربة ، وربما كانوا يأملون أن يستعيدوا سلطانهم المفقود فى مصر عن طريق برقة وطرابلس ، اذا لاحت لهم عزة ، وواتتهم فرصة .

وأنى لفتى فى مثل سن عقبة أن يضطلع بهذه المهمة ، وامامه كل تلك العقبات ، ولم يكن العرب عنها غافلين . ولكنه الايمان والاعتقاد ان النصر من عند الله ، وليس بالجيوش الكثيفة المدربة ، والحاميات القوية والحصون المنيعة ، وانما بالنفوس المؤمنة التى باعت نفسها فى سبيل الله ، وتعجلت الشهادة ، وكان الموت أحب اليهم من الحياة . ولولا أن عقبة كان أهلا للقيادة وهو فى هذه السن ما سمح عمر بن الخطاب أن يكل اليه شئون المسلمين يقودهم فى غزاة شديدةالأخطار وفى بلاد بعيدة عن مركز الخلافة .

وقد حقق عقبة أمل المسلمين فيه وفتح برقة وطرابلس وطرد حاميات الروم منهما ، وكان له من البربر مواقع هائلة ، وبخاصة قبائل لواته وهوارة ونفوسة ، ولكنه ثبت فى المعارك الدامية كالعواد الأشم حتى دانوا له بالطاعة ، ولم يكن هم عقبة الغزو والفتح وتوسيع رقعة الخلافة الاسلامية ، وانما كان همه الغالب هو التبشير بالدين الجديد ، وهداية هؤلاء القوم الى الطريق القويم واخراجهم من ظلمات الجهالة الى نور الاسلام . وقد عمل عقبة من أول يوم نزل فيه هذه البلاد على تحقيق تلك الغاية الكريمة ، فأخذ يبشر بالاسلام ، ويستميل اليه قلوب البربر المغلقة ، فآمن على يديه عدد كبير من تلك القبائل . وقد أقام اقامة دائمة فى برقة ، يدرس طبيعة هذه البلاد ، ويدعو للدين الكريم ، ولم يكن طامعا فى ولاية أو عمالة حيث كانت افريقية تابعة فى قيادتها وسياستها لوالى مصر من قبل الخليفة .

وقد أراد عمرو بن العاص أن يستمر قائده عقبة فى سيره صوب الغرب فاتحا غازيامجاهداحتى يستأصل شأفة الروم من تلك البلاد ويفتح عاصمتهم بها وهى (قرطاجنة) فاستاذن عمر بن الخطاب فى هذا فلم يأذن له وقال له : انها ـ أى هذه البلاد ـ المفرقة أى التى تغدر بغزاتها . ولعل عمر رضى الله عنه أشفق على جيوش المسلمين أن تبعد بعدا كبيرا عن مركز الخلافة ، فتنقطع بهم السبيل . على أنه كان فى ذلك الوقتمشغولا بالتمكين للفتوحات الاسلامية فى الشرق فى فارس والشام ، فراى بثاقب نظرة الا يشتت جهد المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها .

فلما كان زمن عثمان رضى الله عنه زين له والى مصر عبد الله بن سعد بن أبى شرح غزو افريقية غزواحقيقيا ، غير مكتف بما فتحه عقبة من برقة وطرابلس . وقد التقت جيوش المسلمين بالروم والبربر فى شبيطلةبعيدا عن قرطاجنة وكانت معركة فظيعة ، انتصر فيها المسلمون نصرا مؤزرا ، واضطر الروم لطلب الصلح ودفع الجزية وفى هذه المعركة قتل عدد كبير من بينهم الزبير جرجير أمير الروم فى هذه البلاد ، فتضعضعت قواهم ، وآذنت دولتهم بالزوال .

ولكنا لا نسمع ذكرا لعقبة فى هذه المعركة ، مع أنه كان مقيما ببرقة فى طريق الجيوش القادمة من مصر للغزو ، وأغلب ظنى أنه لم ينثن عن الجهاد ، وان لم تكن له القيادة ، لأن الجيش الذى نهد للروم فى هذهالمعركة كان يضم عددا كبيرا من أبناء الصحابة وأعلام قريش فشغل التاريخ بهم ونسى عقبة . ولكنه كان يدخره لعمل أكبر ، ومواقف أعظم . وان كنت أعتقد أنهم لم يهملوا راى عقبة فى خطط الغزو وهو الخبير بهذه البلاد ، الدارس لطباع أهلها وعاداتهم ، والملم بما للروم من حاميات وأعوان ، وبما فى الصحراء من مسالك ودروب .

وتمضى السنون ، وعقبة مرابط فى برقة بالشمال فى زويلة بالجنوب ، ثم نراه يتألق مرة ثانية فى هذا الميدان ويكل اليه معاوية بن أبى سفيان تثبيت أقدام المسلمين فى هذه البلاد ، لانها كانت كثيرة الانتقاض ، فما أن تبرحها جيوش المسلمين حتى تعود الى ما كانت عليه من وثنيتها وشغبها وتألبها عليهم .

فكان لعقبة غزوات فى هذه البلاد لعدة سنوات ، ولكنهرأى أن المسلمين ليس لهم قاعدة حربية يركنوناليها وتحميهم شر غارات البربر والروم على السواء ، وأن خطوط مواصلاتهم وامداداتهم طويلة ، فبدا له أن ينشىء معسكرا ثابتا حوله مدينة كبيرة ، لتكون تلك القاعدة ، واختارها فى مكان متوسط لا هو بالقريب من الشاطىء ، ولا الممعن فى الصحراء ، ولا هو بالقريب من برقة ولا بالبعيد عنها بعدا شاسعا وانما يتوسط المسافة بين برقة وساحل المحيط الأطلسى ، فأسس مدينة القيروان !

ويروى التاريخ أن عقبة اختارها فى موضع غيضة ملتفة الاشجار كثيرة الاحراش بها عدد وفير من الوحوش الضارية والحيات ، ولكنها مزدرع لو أجال فيه المسلمون أيديهم بالاصلاح والتعمير كفل مئونتهم وزود جيوشهم بما تحتاجه ابان الغزوات . وقد حذره الناس أمر هذه الضوارى التى ربما فتكت بالمسلمين وتذكر عقبة دعوة النبى عليه السلام له ومباركته اياه ، وأنه مجابالدعوة ، فوقف على هذه الغيضة ونادى بأعلى صوته : « انا نازلون فاظعنوا عزين » فلم يبق من وحش أو حية الا خرج هاربا وقد يتشكك بعض الناس فى هذه الحالة ، ولكن اثبات التاريخ لها ، وانتشارها ان دلا على شىءفعلى ان عقبة ذو عزيمة ماضية وايمان عميق وروحانية فياضة ، ولم ينته عما انتواه وصمم عليه ما قيلمنوجود الضوارى والحيات فى الغيضة التى اختارمكانها معسكرا لجيوشه ، لتوفر مياهه ، وكثرة أشجاره ، وصلاح تربته .

أسس عقبة مدينة القيروان سنة خمسين من الهجرة بعد أن أخضع قبائل البربر الثائرة وعلى الأخص قبيلة مزاته فرع تواته ، وأعاد سيطرته على المدن الساحلية فى طرابلس ، ومضى لطيته حتى فزآن ، بل وصل الى غدامس على حدود السودان ، ومنها وصل الى جنوب تونس ، وهناك أسس القيروان فى احد الأودية البعيدة عن الساحل حتى لا تدركها مراكب العدو . ولعل اسم القيروان مأخوذ من الكلمة الفارسية « كروان » أىالقافلة التى صارت فى الانجليزية Crawan ولعل هذا المكان كان من قديم ملتقى القوافل القادمة من الجنوب والشمال والشرق والغرب . وتقع القيروان اليومفى بلاد تونس ، وقد أسس بهاعقبةمسجدا لا يزال يعرفباسمه ، ودارا للامارة وكل معالم الأمصار الأخرى ، وبنى حولها سورا متينا يثبت لهجمات الأعداء ، ويبعث الطمأنينة فى قلوب جنده أيام السلم والحرب . وبذلك صار للعرب معسكر كبير متقدم فى افريقية يقف شامخا كالقلعة الحصينة أمام قبائل البربر الرابضة فى جبالأوراس ، وأمام الروم الموتورين المطاردين فى كل مكان ، والذين يحاربون حربا يائسة .

ورأى عقبة بعد أن استقر به المقام فى القيروان أن الروم لايزالون يتربصون به الدوائر وأناساطيلهم البحرية تتخذ من الجزر القريبة من الساحل ، والمنتشرة فى البحر الأبيض المتوسط قواعد يشنون منها الهجوم على حاميات العرب على طول الساحل . ورأى معاوية بنأبى سفيان بشن الغارات البحرية على هذه الجزر ومنها جزيرة صقلية القريبة من الساحل الافريقى ، فمن له أن يسهم فى تخضيد شوكة الروم ، وأن يخوض المعارك البحرية كما خاض المعارك البرية فيروى التاريخ أنه غزا جزيرة رودس ، وكانت هذه ولا شك مغامرة جريئة من عقبة ، فرودس أقرب الى الساحل الأسيوى ، ولكن

يظهر أنها كانت مكان تجمع السفن البيزنطية الخارجة من القسطيطينة ، والاستيلاء عليها يحرم الروم هذه الميزة ، فتبعد سفنهم فى البحر وتتعرض لمطاردة السفن العربية . ولكن كتب التاريخ لم تحدثنا طويلا عن هذه الغزاة التى قام بها عقبة ، وان كانت ذكرت انه استولى على رودس .

ولم يمض وقت طويل حتى عزل عقبة من قيادة الجيوش العربية فى افريقية ، ولم يأت عزله من قبل الخليفة ، ولكن من قبل واليه على مصر مسلمة بن مخلد ، وكان له مولى اشتهر بالشجاعة والكياسة اسمه أبو المهاجر فولاه القيادة فى افريقية بدلا من عقبة ، وأمره اذا جاء القيروان أن يشتد فى معاملة عقبة وأن يسىء اليه ما استطاع الى ذلك سبيلا ، فوضع فى رجليه القيد وسجنه ، وأساء اليه اساءة بالغة ، وهو ذلك الصحابى الجليل ، والفاتح الذى نذر دمه وحياته للجهاد فى سبيل الله ، ومن أسلم على يديه آلاف من البربر فأنقذ نفوسهم من الشرك ، وجعلهم من جنود الاسلام .

ولست أدرى ماذا كان ذنب عقبة لدى مسلمة بن مخلد ، وهو الرجل الذى قبع فى أفريقية لا يبرحها منذ وطئت قدماه أرضها وهو فى الحادية والعشرين من عمره على عهد عمر بن الخطاب ؟ ولعلها ترة قديمة ، أو لعله الحسد على ما نال عقبة من شهرة ومجد . وان لم يسع الى ذلك المجد ، ولم يكن من همه ، حتى صار اسمه مقرونا بافريقية .

وقد شمت البربر بعقبة وعلى رأسهم كيلة زعيم قبيلة أوربة والمعروف بابن الكاهنة : لان عقبة قد خضد شوكتهم وسلبهم سلطانهم ، وضم الى صفوف المسلمين أكبر أعوانهم .

وما أن سمع معاوية بما حدث لعقبة حتى غضب غضبا شديدا ، وأمر بالافراج عنه واشخاصه اليه ،فشكا له عقبة مالاقى من جنف وظلم ، وأمضى عقبة عدة سنين يتربص الفرصة المواتية ليعود الى الجهاد ، ويتم ما بدأه من ضم افريقية كلها الى رحاب الاسلام والعروبة ، ولكنه ظل مقصيا عن القيادة المدة الباقية فى عهد معاوية ، وان كان معاوية قد وعده بالعودة للجهاد ، ولكن يظهر أن مسلمة بن مخلد آثر مولاه أبا المهاجر ولم يشأ معاوية أن يغضبه وقد مكن له من حكم مصر بعد أن كانت قد خرجت عليه فى أثناء النزاع على الخلافة مع على كرم الله وجهه .

وفى أول عهد يزيد بن أبى سفيان يعود عقبة الى قيادة جيش افريقية كما كانت تسمى بلاد المغرب حينذاك ،وما أن وصل القيروان حتى أخذ يعد العدة للجهاد ، ويعمل على تحقيق أمله الكبير فى نشر الاسلام بكل ربوع أفريقية الشمالية ولم يشأ أن يعامل ابا المهاجر كما عامله ، وآثر أن يستعين به وبخبرته وباعوانه حتى لا يوجد فرقة بين صفوف المسلمين وهم خارجون فى هذه الغزاة الكبيرة ، وان ذكر بعض المؤرخين انه وضعه فى القيد وأخذه معه فى غزوته هذه لبلاد البربر ، ولكن النصوص المعتمدة تنفى ذلك ، وطبيعة عقبة تأباه ، وسنرى فيما بعد ما يؤيد رأينا هذا . ودع عقبة أولاده وأوصاهم وقال لهم « انى بعت نفسى من الله تعالى » ورحل فى عسكر مجد وخرج معه أبو المهاجر . واتجه عقبة من القيروان صوب الغرب ، ولكنه تحاشى فى طريقه قرطاجنة عاصمة الروم فى هذه البلاد وأكبر حصونهم ووصل الى الزاب ومنها الى تاهرت ثم اجتاز الممر الضيق المحصور بين هضبة بلاد الريف وجبال الاطلس ، متجنبا الساحل حتى لا يصطدم بحاميات الروم ، اذ لم يكن همه كما ذكرنا آنفا الفتح وانما كان أكبر همه هداية أكبر عدد من البربر الى الاسلام ، فلم يهتم بالروم كثيرا ، اذ كان يعتقد أن البربر اذا أسلموا ضمن خروج الروم زميعا من هذه البلاد ، اذ سيكونون والعرب يدا واحدة على هؤلاء الذين احتلوا بلادهم واستغلوهم أمادا طويلة .

وصل عقبة الى أقصى وادى السوس على المحيط الأطلسى حيث تسكن قبائل بربرية بترية متوحشة ، ممعنة فى بداوتها ، فتصدوا لعقبة وأرادوا أن يحولوا بينه وبين المضى فى طريقه عابرا بلادهم ، فقاتلهم عقبة فى معارك دامية وانتصر عليهم وشق طريقه عنوة حتى وصل الى ساحل المحيط ، ووقف يتأمل هذا العالم الذى لا يرى له ساحلا ، وقال كلمته المشهورة : « يارب لو كنت أعلم أن وراء هذا البحر شيئا لمضيت مجاهدا فى سبيلك » ، وعاد عقبة أدراجه ، ولم تكن العودة سهلة ، بل صادفته معارك عظيمة ، لأن البربر لم يخضعوا بسهولة ، وكانوا يضمرون له الغدر فى طريق عودته ، وقد أدت هذه المعارك المستمرة الى أن فقد عقبة كثيرا من أصحابه فى معركة يعرف مكانها اليوم « بموضع الشهداء » ، ولكن ذلك لم يفت فى عضده ، بل كان مظفرا فى كل معركة خاضها ، ولما قرب من القيروان ، أخذ يرسل جنده المشتاقون الى الراحة والى الأهل أفواجا أفواجا ، وظل هو فى الفوج الأخير مع قلة من جنده وأصحابه ومنهم أبو المهاجر سلفه فى القيادة .

وكانت هناك عين غادرة ترقب عقبة ، عين لم تنعم بالراحة منذ عاد عقبة الى القيادة فى افريقية ، كانت هذه عين كسيلة البربرى زعيم قبيلة أدربة ، فحشد جموعا عظيمة من البربر . وكمن لعقبة فلما رآه فى قلة من جنده ، وأنه عاد مظفرا بعد غزاه استمرت ثلاث سنوات ، تعرض له فى تهوذه ، وهى أرض على حافة الصحراء بعيدة من جبال أوراس لقبيلة عرفت بهذا الاسم . ولم يسع عقبة الا ان يقاتل هذه الجموع البربرية الغادرة ، وهو يعلم أن مصيره الموت لا محالة ، اذ لم تكن لديه الجنود البواسل الذين اكتسحوا بلاد المغرب حتى المحيط ، بل كان قد سرحهم من قبل رأفة بهم ، قاتل عقبة ومعه أبو المهاجر وقلة من الجند هم الفوج الأخير من الجيش العظيم ، وقاتل ببسالة فائقة موطنا نفسه على الشهادة التى طال اشتياقه اليها ، ورأى جنده يلقون مصارعهم الواحد تلو الآخر ، ولم يبق معه الا أبو المهاجر ، ثم كانت النهاية اذ استشهد عقبة وأبو المهاجر وسيفاهما ينضحان دما فى يديهما ، فنال عقبة ما طالما تمناه ، وقتل فى سبيل الله سنة ٦٣ من الهجرة .

ولكن دم عقبة لم يذهب جبارا ، بل أن دمه ودم أصحابه الشهداء الصالحين هو الذى روى أرض تلك البلاد ، وغذى البذور الاسلامية العربية التى وصفها عقبة فى بلاد المغرب ، والتى صارت فيما بعد أشجارا فينانة ، لقد خضب دمه ودم أصحابه ثرى ليبيا وتونس والجزائر والمغرب فصبغها صبغة عربية اسلامية وصارت من أعز ما تباهى به الأمة العربية فى ماضيها وحاضرها .

رحم الله عقبة بن نافع الفهرى ورضى عنه لقد كان بطلا مغوارا نفاذ البصيرة ، وداعيا ومبشرا بدين الله ، أسلم على يديه الوف الألوف من البشر ، وصاروا جندا من جنود الاسلام عاونوا فيما بعد على فتح الأندلس ، ومن القيروان التى بناها خرجت الحملة التى استولت على صقلية وجنوب ايطاليا وجزائر البليار وصيرت البحر المتوسط عربيا .

ان أثر عقبة عميق فى التاريخ ، وأياديه البيضاء على تاريخ الاسلام وحضارته لا تزال يهمى نداها حتى يومنا هذا ، وكان من حقه علينا ، بل من حق تاريخنا فى هذه النهضة العربية الفارعة ان تنشر هذه الصفحة التى تبلج بنور الايمان والجهاد والإستشهاد .

الاشتراكية العربية

والآداب المهنية

الدكتور أحمد الخشاب

نحن نؤمن بالشخصية الذاتية المتكاملة للاشتراكية العربية ، فهى فى تصورنا نظرية اجتماعية ، تجمع بين الاهتمامات المادية والعناصر والقيم الروحية والاخلاقية التى تنظم العلاقات الانسانية ، فى مجتمع تخفى فيه مظاهر السخرة والاستغلالية الطبقية والانتهازية والوصولية الفردية فى الوقت الذى تغرس فيه منميات الغيرية والتكافلية بين المستويات الاجتماعية والاقتصادية المتعاونة فى اطار الوحدة الوطنية والقومية .

وهى فى تقديرنا ليست مجرد تأملات نظرية وفلسفية اجتماعية ، وانما هى فوق ذلك خطة منهجية للتطبيقات العملية لمواجهة مقتضيات التحول من المجتمع الاقطاعى الرأسمالى الى المجتمع الاشتراكى الديموقراطى التعاونى . وأخص خصائص الاشتراكية هو أسلوبها فى تقييم الجهد البشرى ، وفى تأكيد الكيان الانسانى ، وفى اشاعة الوعى بضرورة التساند والتكافل الطبقى وسيادة السلم والامن الاجتماعى .

هذا ومن طبيعة مرحلة الانتقال من المجتمع الاقطاعى الى المجتمع الاشتراكى أنها تستلزم بالضرورة اعادة ترتيب الاوضاع الاجتماعية – على أسس الاخلاقية الاشتراكية ، التى تستهدف استتباب آداب مهنية ، تخفف من حدة التوترات التى قد تسود العلاقات الصناعية والانسانية ، وتعمل على تحقيق التوازن والتكامل والتكافل بين مكونات ومقومات انتفاضتنا الصناعية على نحو يسمح بتقريب التفاوتات فى الحقوق والالتزامات وفقا لتفاوت المستويات .

ولما كانت الثورة الصناعية هى أهم الدعامات الاساسية فى تكييف اوضاعنا الاجتماعية على أساس الافادة من التنمية الاقتصادية لتحقيق الاهداف الاشتراكية من الناحية الانتاجية والاستهلاكية التوزيعية ، كان علينا أن ننبه الاذهان الى ضرورة تهيئة الجوانب الانسانية فى المؤسسات والمنظمات الصناعية ، والنقابات العمالية ووحدات المجالس الشعبية عن طريق منميات الآداب والاخلاقيات المهنية التى تلائم احتياجات ومتطلبات انتفاضتنا وانطلاقتنا التصنيعية .

ومن الخير أن نقرر بادىء ذى بدء أن آدابنا المهنية لابد وأن تعكس القواعد المثالية التى تحددها المنظمات والمؤسسات والنقابات المهنية للاعضاء المنتمين اليها ، لارشادهم وتوجيههم الى خير الطرق الممكنة لمطابقة مناشطهم ومواقفهم وآداب سلوكهم لمبادىء الاخلاقية المهنية النابعة من الضمير المهنى ، تلك المبادىء التى تنمى فيهم روح الفهم المتبادل للمسئولية الديموقراطية من ناحية الكفاية الانتاجية ، وتغرس فيهم التوعية بأهمية المشاركة الديموقراطية فى استنهاض الامكانيات والمهارات والاستعدادات والخبرات لتقوم بدورها الايجابى الطليعى فى عملية الانشاء والبناء الاجتماعى .

ويهمنا فى هذا المقام أن نشير بصفة عامة الى بعض الركائز الاساسية التى تحدد آدابنا المهنية والتى تلائم أهدافنا الاشتراكية فى البيئات الصناعية ، ولعل فى مقدمة هذه الركائز ضرورة العمل على خلق أو تقوية الانطباع الذى مؤداه أن المصالح العامة لكل من العمال واصحاب الاعمال ورؤساء مجالس ادارات المؤسسات والشركات هى فى توافق تام مع مصالح المجتمع بأسره ، بمعنى أنها ليست مصالح شريحة محددة معينة أو طبقة خاصة. ومن شأن هذا الانطباع أن يقلل من المغالاة فى اذكاء حمية الحماسة الطبقية التى قد تؤدى فى بعض الاحيان الى الهاب المشاعر الطبقية المتعارضة ، وخاصة فى المراحل الانتقالية التى صاحبت تضخيم الحاجات الضرورية للقوة العاملة ، بعد التحول الذى طرأ على المكانة الاجتماعية لاصحاب المهارات اليدوية والتباعد الاجتماعى بين القائمين بالاعمال الانتاجية والمهيمنين على الاجهزة البيروقراطية .

ويترتب على هذا الانطباع نتائج عملية من طبيعة أخلاقية فى نطاق الآداب الاجتماعية ، وخاصة التوحيد النوعى والنمطى فى تكافؤ حظوظ الانتفاع والاستفادة من السلع المنتجة بين كل مستويات المنتجين وكل مستويات المستهلكين ، اذ أن المجتمع الاشتراكى يقوم على أساس الوسط العادل فى العلاقات التبادلية بين المستهلكين والمنتجين ويقتضى هذا أن يسير التخطيط الانتاجى فى المجتمع الاشتراكى وفق حاجات الاستهلاك وضرورات

الخدمات ، وليس وفق ما يحققه الانتاج من أرباح ومن الآداب المهنية التى تستتبعهذه المسألة هوتيقظ الضمير المهنى الى ضرورة انتاج السلعة الجيدة للمستهلكين من المواطنين ، ذلك لان الانتاج لا يتم على الطريقة الاقطاعية بهدف مقابلة متطلبات أقلية رأسمالية ، وانما يهدف الى خدمة قومية واشباع حاجات الفئات الشعبية ، ولهذا وجب أن تعادل جودة السلعة الثمن المدفوع فيها كمظهر من مظاهر التعاطف الاخوى والوفاق القومى بين المنتج والمستهلك ، فضلا عما ينطوى عليه الانتاج النمطى من قيمة اخلاقية ، اذ أنه سبيل عملى لتحقيق العدالة الاجتماعية عن طريق ايجاد الفرص المتكافئة للحصول على السلع الضرورية والكمالية بأسعار فى حدود القدرة الشرائية للفئات والمستويات المتفاوتة ، الامرالذى يسهم مساهمة ايجابيةفى اذابة مظاهرالتفاوت الطبقى فى البناء الاجتماعى الاشتراكى ويقتضى هذا بالضرورة القضاء على عوامل البذخ والاسراف فى اقامة المصانع والابتعاد عما هو كمالى ومظهرى والاقتصار على ما هو ضرورى حتى تقلل ما أمكن تكلفة الانتاج بحيث تصبح أثمان السلع والمنتجات فىمستوى القدرة الشرائية لاكبر شريحة ممكنة من القاعدة العريضة للقوى العاملة .

ومن الحرى أن يدرك المهنيون أن الدولة الاشتراكية التى تخطط على أساس محاولة بلوغ هدف الكفاية الانتاجية والعدالة التوزيعية ، قد ألقت على عاتق القوى البشرية العاملة مسئولية المساهمة ايجابيا فى تحقيق الزيادة المرجوة فى السلع المنتجة من أجل رفع الدخل القومى وبالتالى المستوى المعيشى والاجتماعى ومن أجل هذا كان فى طليعة الآداب المهنية تعميق الادراك بضرورة ممارسة واجب زيادة الانتاج فى سبيل الصالح العام . ويتطلب هذا استنبات محفزات ومنميات القدرات المعنوية التى تساعد على تجنب عوامل التعويق والابطاء فى العملية الانتاجية نتيجة ما قد ينشأ من توترات فى العلاقات الصناعية بعد ادخال التطويرات الآلية .

على أنه لا شك أن هذا الاعتبار ليس هو الاعتبار الوحيد فى تحديد الاخلاقيات والآداب المهنية فى البيئة الصناعية ، فان الذى يحدد هذه الاخلاقيات والآداب هو ذلك الموقف العام الذى يتخذه العامل اتجاه عمله واتجاه أقرانه وزملائه واتجاه رؤسائه ومديرى مشروعه أو مؤسسته أو شركته ، أكثر مما تحددها الاعتبارات المادية التى تنعكس فى الاجور وساعات العمل والاجازات والمكافآت .

فللاعتبارات المعنوية أهميتها القصوى وخاصة ما تعلق منها بالرضا النفسى عن المحيط الاجتماعى الذى يمارس فى نطاقه أعماله ومناشطه . ويجدر أن يستقر فى الاذهان ان غاية ما ينشده العامل هو مزيد من الضمان ، ومزيد من الزمن ، ومزيد من الأجر ، ومزيد من التقدير والفهم ومزيد من الشعور الانسانى ، ومزيد من القدرة على التعبير الذاتى والنقد المصلحى .

وفى تقديرنا انه يمكن تهدئة هذا المناخ الاجتماعى فى محيط المجتمع الصناعى عن طريق حسن الادارة والاهتمام بالعنصر الانسانى فى العلاقات الصناعية التى تسود جو الشركات والمؤسسات الانتاجية . وسبيل ذلك الاخذ بمبدأ الكفالة والتكافل الاجتماعى بدلا من التسلط والتعالى من جانب الادارة ازاء القوة العاملة المنتجة ، والاحساس من جانب العامل بالمسئولية الاجتماعية ازاء العمل بوجه خاص والانتاج القومى بوجه عام ، فى مقابل منحه الاهلية ، من جانب الادارة ، للمشاركة فى حسم القرارات والامور الحيوية التى تتصل بانتاجيته ، وبأمنه ومستقبل مهارته وخبرته الفنية ، وبرفع الحواجز والحدود والعوائق التى تحرمه الحصول على حظوظه المشروعة من الرعاية الاجتماعية والبرامج الترشيدية وما الى ذلك من الاستمتاعات التى تخفف ما يمكن أن يتعرض له العامل من مضايقات أو توترات فى بيئته الصناعية .

ولا ريب أن دولتنا الاشتراكية قد أدركت أهمية مراعاة الجوانب المعنوية فى العملية الانتاجية ، فان التغيير الثورى فى الحقوق العمالية التى كفلتها قوانين يوليو الاشتراكية تهدف الى جانب مكاسب العمال المادية ، الى رفع روحهم المعنوية التى تؤثر بالتالى فى رفع مستوى الكفاءة الانتاجية ، كما ألقى الميثاق على عاتق المنظمات الشعبية والنقابات العمالية مسئولية الاعداد الروحى للوجدان والضمير المهنى فنص على أن النقابات العمالية تستطيع ممارسة مسئولياتها القيادية عن طريق الاسهام الجدى فى رفع الكفاية الفكرية والفنية ، ومن ثم رفع الكفاية الانتاجية للعمال ، كذلك هى تستطيع ممارسة مسئولياتها عن طريق صيانة حقوق العمال ومصالحهم ، ورفع مستواهم المادى والثقافى ويدخل فى ذلك اهتمامها بمشروعات الاسكان التعاونى ، والاستهلاك التعاونى ، وتنظيم الاستفادة الجدية صحيا ونفسيا وفكرية من أوقات الفراغ ، بما يساهم فى تحقيق الرفاهية للجموع العاملة ، ولذلك فانه يبدو واضحا أن التثقيف والترشيد العمالى أصبح ضرورة من ضرورات الآداب الاجتماعية المهنية ، فيجب على الهيئات المعنية أن تعمل على رفع مستوى العمال الفنى والثقافى والقومى والدولى الى مستوى القوانين الثورية التى وضعتهم فى مجالس الادارة والقيادة والصدارة ، فالعامل العربى له دور اجتماعى فى التحول الاشتراكى ودور قومى فى سبيل تحرر العامل فى الوطن العربى ، ودور انسانى دولى يمس الكيان العمالى العالمى ، الامر الذى يستلزم الوعى بالحركة العمالية وترجمة التطلعات الجماعية الى تقنينات موضوعية متى استجابت البناءات الاجتماعية للتعديلات والممارسات والتشريعات التى تهدف الى تحقيق ما يمكن أن يسمى « بالسلم فى المجال الصناعى »

ومن الواضح أن هذا السلام المهنى لا يتحقق بصورة فعالة وأكيدة الا اذا ارتكزت العلاقات الصناعية والانسانية ، داخل المؤسسات الانتاجية على زيادة الفهم المتبادل بين مستويات التنظيم الصناعى ، مما يشيع الرضا النفسى للعامل الذى يعتبر عاملا أساسيا فى احباط التفكير فى أى سلوك عدوانى أو اجراء تعويقى أو تخريبى .

وعند هذا الحد ينبغى لنا أن نشير الى ضرورة الاخذ بالأساليب العلمية والتوجيه المهنى والترشيد الصناعى فان هذا يساعد فى الواقع على تجنب وملافاة وأحيانا علاج حالات التوتر فى البيئة الصناعية ، على أنه لا بد أن يكون الهدف هو تنمية الاحساس بالمسئولية المهنية بمعنى أن من أهم الواجبات على القيادات المهنية توجيه العمال الجدد الى العمليات الجزئية والفرعية التى سيمارسونها وتعويدهم على ممارسة التعاون بين الوحدات الانتاجية والتضامن بين عمال البيئة الصناعية ، وتبصيرهم بكيفية الاستفادة من الرعاية الاجتماعية بصورة تقوى روحهم المعنوية وتزيد كفاءتهم الانتاجية وتساعدهم على ملاءمة قدراتهم الخاصة مع المواقف الاجتماعية التى تتطلب رفع مستوى العمليات الانتاجية باعتبارها وحدات متكاملة تهدف الى تحقيق أهداف قومية وانسانية ، ولابد من استنهاض الوجدان المهنى لتغذية الرغبة الجماعية فى أن تأخذ الانتاجية الوطنية مكانها المرموق بالنسبة للانتاجية العالمية من حيث الجودة الصناعية والسمعة التسويقية والشهرة الدولية العالمية .

خواطر مستشار

مقارنات بين الشريعة الإسلامية والقوانين الوضعية .

مقارنة بين الاشتراكية فى الإسلام وبين القوانين الاشتراكية سنة ١٩٦١ وماتلاها

المستشار

على على منصور

هذه القوانين لا تتنافى مع قواعد ديننا بل هى أقل ما يفرضه علينا النظام الاقتصادى الاسلامى من تكافل اجتماعى ورعاية لحق الفقير وتقريب الفوارق بين الطبقات .

الاشتراكية فى الاسلام :

موضوع واسع الجوانب فسيح الرحبات ومحال أن نلم بأطرافه فى الوقت المحدد لهذه الاحاديث - ومنذ أن صدرت القوانين الاشتراكية فى يونيو سنة ١٩٦١ بتأميم بعض المرافق تأميما كاملا وبتأميم البعض الآخر تأميما جزئيا - ولا حديث للناس سوى هذا الموضوع ولا بدع فى ذلك فهو موضوع الساعة وهو أخطر وأجل ما جد من أحداث للأمة العربية خلال القرون العشرة الأخيرة بعد استثناء القرون الثلاثة الأولى من التاريخ الاسلامي .

ولذلك فهو حقيق بتكرار القول ارساء لقواعده الاصلية . ولا تزال فى جوانبه مناح للقول فيها بعض الجدة مما ينفى عنها وصف المكرور أو الممجوج .

البعض ينادى بقفل هذا الباب :

ولا يستسيغ بعض الكتاب والباحثين الخوض فى هذا الموضوع وحجتهم فى ذلك أن نسبة الاشتراكية الى الاسلام أو نسبة الاسلام الى الاشتراكية افتئات على خصائص الاسلام وقياس له بمقاييس أجنبية عنه ومنهم الاستاذ الفاضل عميد كلية الشريعة بجامعة دمشق فقد أهدى الى مشكورا نسخة من محاضرة القاها هناك تكلم فيها عن الاسلام فى العصر الحديث وقال انه مر بثلاث مراحل .

المرحلة الاولى وعنوانها - (الاسلام فى قفص الاتهام) وقال ان كتاب هذه المرحلة وعلى رأسهم الامام محمد عبده دافعوا عن الاسلام كما يدافع المحامى عن المجرم فدبجوا المقالات فى أن الاسلام لاينافى العلم والعقل والاسلام لا يتعارض مع الرقى والتقدم .

والمرحلة الثانية : قال عنها أن الاسلام اخرج منها من قفص الاتهام ولكنه أصبح

يقاس بمقاييس غيره ويقوم بغير قيمة كقول الكتاب **(الاسلام صالح لأنه مبنى على الديمقراطية) (والاسلام يستحق البقاء لأنه قابل للتطور) ومعنى ذلك فى رأى الاستاذ العميد أننا نؤمن بمذاهب معينة خارجة عن الاطار الاسلامى على أنها مسلم بها أو نحاول بعد ذلك أن نقوم الاسلام بهذه القيم .**

والمرحلة الثالثة : التى يدعو اليها الاستاذ العميد هى وجوب المحافظة على ذاتية الاسلام حين التصدى لمثل هذه البحوث .

ولعل الاستاذ العميد يلتقى معنا أو لعلنا نلتقى معه اذا علمنا أن كتاب الغرب ومن نهجوا على الاسلام فى القرن الماضى هم الذين وضعوه موضع الاتهام فنسبوا اليه ظلما وافتراء انه يعادى العلم وانه يعارض التطور ولا يساير مصالح الناس فهب الاستاذ الامام ومن بعده محمد فريد وجدى لتفنيد هذه المفتريات ، وكان لا بد أن تأخذ كتاباتهم طابع الدفاع ورد التهم على النحو الذى تبودلت به الرسائل بين محمد عبده وهانوتو وغيره من كتاب الغرب **أما الخشية من أننا حين نتحدث ـ عن بعض المذاهب الحضارية المعاصرة ونتحدث عما فى الاسلام من اشباه ونظائر لها فاننا نقيس الاسلام بمقاييس أجنبية عنه فمردودة ـ هذه الخشية ـ من عدة ـ أوجه :**

١ ـ من أن الله يأمرنا بطريق معين للدعوة حيث يقول : **(أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة) .**

٢ ـ من أن رسولنا صلوات الله عليه وسلامه بين معنى الحكمة فى الدعوة فقال : **(أمرت أن أخاطب الناس على قدر عقولهم)** فاذا أردت أن تخاطب ملحدا أو ماديا لا يعترف الا بسلطان المادة والعلم التجريبى وما ينتجه من نظريات وحقائق فعليك أن تذكر له أن النظريات متغيرة أما الحقائق العلمية التى استقرت واصبحت غير منازع فيها ككروية الأرض مثلا وأطوار الجنين فى بطن أمه وامكان النفوذ الى أقطار السموات بصاروخ أو غيره سبق القرآن الكريم بذكرها وقبل أن يكشفها العلم الحديث بقرون متطاولة وهذه الطريقة فى الخطاب طريقة حكيمة وهى من نوع المجادلة بالتى هى أحسن .

٣ ـ ومن أن فقهاء الاسلام قالوا بنظرية المصالح المرسلة : وقعدوا لها القواعد وفرعوا عليها الفروع من ذلك قولهم (اذ وجدت المصلحة فثم شرع الله) وفتحوا باب الاجتهاد فيما ليس فيه نص فى الكتاب أو السنة الصحيحة أخذا بحديث الرسول الى معاذ بن جبل حين بعثه الى اليمن وسأله (بم تقضى يا معاذ ؟ قال بكتاب الله ، قال فان لم تجد ؟ قال فبسنة رسول الله .. قال فان لم تجد ؟ قال أجتهد برأيى فأقره على ذلك) . وكان لا بد من ذلك حيث قال الفقهاء : **لابد من ان تجد للناس احداث أى مشاكل لم تحدث لأسلافهم فلا بد من ايجاد الحلول لها فى اطار الشريعة السمحة والنكوص عن ذلك تضييع لمصالح الناس ودفع له بالتماس الحلول من غير الشريعة ومثال ذلك هل المعاملات المصرفية حلال أم حرام ، وهل عقود التأمين على المتاجر والمخاطر حلال أم حرام .**

مجمع البحوث الاسلامية : ولهذا فاننى ارى أن من خير ما استحدث فى العصر الحالى من الاصلاحات انشاء مجمع للبحوث الاسلامية يرأسه شيخ الازهر ويضم خمسين على الأقل من جلة علماء الاسلام يمثلون جميع البلاد الاسلامية وتخصيصه للفتيا فى أمور الدين ومشاكل العصر الدنيوى وفى هذا التخصيص منع لكل من هب ودب من أن يتعرض للفتوى دون أن يتوفر فيه شرطها وهو الاحاطة بعلوم اللغة والدين . وفيه جمع للمسلمين عامة على كلمة سواء .

فى هذا الاطار وفى حدود هذا النطاق اسوق حديثى عن الاشتراكية فى الاسلام وأرجو أن يلاحظ انى لم اطلق عليه ما ينبو به عن الحدود التى التزمتها فلم أقل انه

حديث عن (الاسلام يقر الاشتراكية) أو عن (الاشتراكية لاتتنافى مع الاسلام) والا لدخلت الاشتراكية الشيوعية فى مدلول اللفظ .

ومقصودى من هذا الحديث أن ما أصدره ولى الأمر من تشريعات وصفت بأنها اشتراكية لا تتنافى مع قواعد ديننا بل هى أقل مما يعرضه علينا النظام الاقتصادى الاسلامى من تكافل اجتماعى ورعاية لحق الفقير وتقريب للفوارق بين الطبقات .

ويقتضينا المقام أن نعرض عرضا سريعا للقواعد العامة للنظم الاقتصادية فى الاسلام ونتحدث عن المفاهيم الاشتراكية فيها بحسب ما يسمح به المقام .

ضرورات الحياة فى نظر الاسلام خمس :

١ ـ حفظ النفس
٢ ـ حفظ النسل
٣ ـ حفظ العقل
٤ ـ حفظ المال
٥ ـ حفظ الدين

وكل ما أدى الى حفظ هذه الضروريات يعتبر من مقاصد الشرع ..

يقول الشاطبى فى كتاب الموافقات :

تكاليف الشريعة ترجع الى حفظ مقاصدها فى الخلق وهذه المقاصد لاتعدو أن تكون ضرورية أو حاجية أو تحسينية . أما الضرورية فمعناها أنه لابد منها فى قيام مصالح الدين والدنيا بحيث اذا فقدت لم تجر مصالح الدنيا على استقامة . بل على فساد وتهارج وفوت حياة وخسران مبين فى الآخرة ومجموع الضروريات خمس وهى : **حفظ الدين والنفس والنسل والعقل والمال) ..**

ويعلق الامام الغزالى : على الضروريات بقوله (فكل ما يحفظ هذه الاصول ـ الخمسة فهو مصلحة وكل ما يفوت هذه الاصول فهو مفسدة ودفعها مصلحة)

والاجماع على ذلك منعقد بين جميع فقهاء الاسلام ..

وفرعوا على ذلك أن لكل مواطن حقوقا طبيعية خمسة :

أولا : حق الحياة : وهو مستفاد من نصوص قرآنية كثيرة منها :

(وأنه هو أمات وأحيا) سورة النجم ٤٤

(انا نحن نحيى ونميت والينا المصير) سورة ق : ٤٣

مقتضيات حفظ الحياة :

١ ـ **تحريم القتل** (ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق) الأنعام : ١٥١

٢ ـ **القصاص** (كتب عليكم القصاص فى القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى) سورة البقرة ١٧٨

٣ ـ **الانتحار محرم** : (ولا تقتلوا أنفسكم) النساء : ٢٩

(وما كان لنفس أن تموت الا باذن الله)

حق الحياة للحيوان : هذا الحق مصون فى الشريعة وفرعوا عليه أن من امتنع عن اطعام حيوان له وجب عليه اما أن يبيعه أو يسيبه الى حيث يجد مأكله أو يذبحه ان كان مما يؤكل . فان امتنع اجبره القاضى على ذلك .

وفى الحديث : (دخلت امراة النار فى هرة حبستها فلا هى أطعمتها ولا هى تركتها تأكل من خشاش الأرض)

(ودخل رجل الجنة فى كلب أجهده العطش فتدلى الى بئر فسقاه)

(سئل الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ أئن لنا فى البهائم لأجرا ؟ قال فى كل كبد رطبة)

(وما من شك فى أن هذه الشريعة العادلة التى تحفظ للحيوان حياته **تأبى كل الاباء أن يموت الانسان جوعا كما كان يحدث فى بلادنا على نحو ماقيل عند مناقشة الميثاق فى المؤتمر الوطنى وسيجىء الكلام عن أن للجائع أن يقاتل من أجل طعامه وشرابه)**

ثانيا : حق الحرية :

ونحن فى سبيل تعداد لا فى سبيل الشرح يكفى أن نشير الى أن أرقى ماوصلت

اليه البشرية ونصت عليه هيئة الامم المتحدة فى ميثاق حقوق الانسان بالقول : (الناس يولدون احرارا متساوين سبقه بثلاثة عشر قرنا قول عمر بن الخطاب لعمرو بن العاص (متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا) وقرن ذلك القول بالعمل فاستقدم عمرو بن العاص وابنه من مصر الى المدينة وأمر المصرى أن يضرب بن عمرو بالسوط قائلا له اضرب ابن الأكرمين وبعد أن أتم القصاص أمره أن يضرب عمرو بن العاص نفسه بالسوط على صلعته .

الاشتراكية عدل وكفاية .. هذا ماورد فى الميثاق ..

ومن العدل والكرامة تساوى الناس أمام القانون (ولكم فى القصاص حياة) والاسلام يقرر قتل العالم بالجاهل والعظيم بالحقير ويقتص السوقة من الامير لأن الجميع شركاء فى أنهم خلق الله وأنهم ولد آدم وانه لا تفاضل بسبب الحسب أو النسب أو الجنس أو اللون وانما التفاضل بالتقوى .. وفى الحديث الشريف (أيها الناس كلكم لآدم وآدم من تراب لا فضل لعربى على أعجمى ولا لأبيض على أسود ولا أحمر على أصفر الا بالتقوى) وفى القرآن الكريم (يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم) .

ثالثا : حق العلم من الحقوق الاشتراكية فى الاسلام :

هذا الحق مجمع عليه من فقهاء الاسلام كفرع من فروع الضرورة الاولى من مقاصد الشرع وهو حق لجميع أفراد الشعب ويكفينا ونحن فى سبيل السرد لا التفصيل أن نشير الى انه ما من دين بلغ ما بلغه الاسلام من عناية بالعلم وحض عليه واشادة بالعلماء فأول ما نزل به الروح الامين من وحى رب العالمين .

(اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم) ..

ثم اقسم رب العزة بالدواة والقلم وكل ما يكتب فقال :

(ن والقلم ومايسطرون) وقال (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات) ..

والاحاديث الشريفة كثيرة نشير منها الى :

(اطلبوا العلم من المهد ـ الى اللحد) ،

(واطلبوا العلم ولو فى الصين)

(يوزن مداد العلماء ودماء الشهداء يوم القيامة) (قليل العلم خير من كثير العبادة)

العلم الدنيوى والأخرى سواء :

أجمع علماء الشريعة الاسلامية على ذلك وقالوا ان تعلم احكام المعاملات فرض عين على كل من يمارسها وكذا كل من اشتغل بمهنة أو حرفة يفرض عليه تعلم أصولها وأحكامها حتى يحسنها ولا يضر بالناس ولا يقع فى الحرام ، **فعلوم الدنيا فرض عين** كأحكام العبادات تماما فى مثل هذه الحالات .

ومن العلوم ما يعتبر تعلمه وطلبه **فرض كفاية ان قام به البعض سقط الاثم عن** المجموع والا اثم الجميع ومنه تعلم الطب والهندسة والرياضيات والكيمياء وغير ذلك من ضرورات الأمة .

ومن العلوم ما يعتبر تعلمه **مندوبا** أو مباحا) وهو ما زاد عن ذلك من فروع الثقافة والتوسع .

حق العلم مشاع يشترك فيه الجميع :

العلم حق لكل فرد سواء أكان غنيا أو فقيرا ذكرا أو أنثى وواجب الدولة أن تيسره للجميع حرصا على تكافؤ الفرص ويكفى فى رأى معظم الدول أن تجعل التعليم الابتدائى فى متناول الجميع بغير مقابل والقليل منها يجعل ذلك فى جميع مراحل التعليم ونحن والحمد لله صرنا من هذه القلة التى جعلت التعليم بالمجان فى جميع مراحله .

للكلام بقية عن حق التملك فى الاسلام (الملكية الفردية) .

الإسلام إصلاح وتنظيم

الدكتور محمد غلاب

« قوانين الاسلام أتت لتطبق على الأرض ، ولتجد حلولا للمشكلات الانسانية ، ولتنظم حياة البشر » .

من كلمة السيد حسين الشافعي نائب رئيس الجمهورية المنشور فى عدد مايو سنة ١٩٦٣ من مجلة « منبر الاسلام » الفرنسية .

ان السير التقدمي الذى تحققه ثورتنا المتعقلة باطراد ، يجعلنا فى المستوى الذى نستطيع أن نشرف منه على نهضات بقية الأمم العربية والاسلامية على السواء ، وأن نلاحظ أن منها ما يسير نحو الغاية المرموقة بخطى متواصلة سريعة لا تمنعها سرعتها من أن تكون فى جميع جوانبها حكيمة متزنة كما هى الحالة الراهنة فى نهضتنا العظيمة التى يخيل الى المتأمل فيها أنها مدفوعة بكائنات غير مرئية تبدو منتجاتها دون أن تعلن عن نفسها .

ومنها ما يتعثر فى سيره أو ما يصطدم بعوامل خارجية أو داخلية مشئومة تحمل – مع الأسف الشديد – شارات المواطنين الذين تقضى طبائع الأشياء بأن يكونوا ملتهبين شوقا الى الرفعة الحقيقية ، متسلحين بأمضى أسلحة الحماسة والحرارة والشغف برؤية بلادهم على قمم الثقافة والحضارة والارتقاء ، وهى الغاية التى يطالب بها الضمير الجماعى ويجعلها شرطا أساسيا للاعتراف بالعزة للفرد والكرامة لمجتمعه بين صفوف الانسانية كما تنص مبادىء الاسلام على أنها عناصر الفوز والنجاح فى جميع نواحى الحياة .

ومن ثم كان من الخير أن نستعيد هنا تلك العبارة الصريحة التى وردت فى احدى الخطب الأخيرة التى ألقاها السيد رئيس الجمهورية فى هذه الأيام . وهى : ان ثورتنا ثورة دينية علمية اجتماعية ، وانها قد وضعت منذ مبدئها تحت حماية الاسلام الذى ينعشها ويقويها بمبادئه الأساسية .

وفى الحق أن هذه التصريحات هى أنجع الوسائل لتثبيت الحقائق فى روع الجماهير وتغلغلها فى عقول أفراد الشعب وجماعاته ، لأننا نشاهد فلول العهد المقيت البائد تحاول أن تعكر الجو بشائعات زائفة ، مؤداها تصوير جهودنا العلمية والثقافية والاجتماعية والايجابية النشيطة بصورة أجنبية مأخوذة عن امم الغرب ولا تمت الى الاسلام بأية صلة .

بينما أن الحقيقة القاطعة التى لا مماراة فيها هى أن هذه الجهود نفسها ، تمثل روح الاسلام فى شبابه الأول مسلحا بأسلحة القوة الاقناعية المؤسسة على الحجج اليقينية التى هى تطبيق صحيح للمنطق القويم ، ولكن قد شاءت لهم أغراضهم الدنيئة أن يركبوا رؤوسهم فى البعد عن الحقيقة الى هذا الحد المكشوف . ومن أدلتهم المألوفة على هذه الدعوى الباطلة ، أن الاشتراكية قد سبكت فى مسابك الغرب ، وأن أشنع هذه المسابك وأبشعها مظهرا وقاعا – وهو مسبك كارل ماركس – يدعى بالاشتراكية ، وأن هذا المذهب هو أبعد المذاهب عن روح الاسلام ، واننا نخرج فى كل أنظمتنا الاجتماعية وبحوثنا العلمية عن محاكاة الغرب وفقدان شخصيتنا فيه ، وأن بدعة الاتحاد والوحدة لم يرد لها أصل فى الاسلام ، وأن الكتاب الذين يؤيدون هذه المبادىء هم وصوليون نهازون لا يرمون الا الى منافعهم الشخصية .

ولما كنت أحد هؤلاء الكتاب الذين أيدوا هذا العهد منذ فجر الثورة بل أيدوا مبادئها قبل اشتعال جذوتها بسبعة أعوام فى فصول نشرتها لنا الصحف تزيد على ستين فصلا فى تلك الأعوام العصيبة القاسية التى يتبين فيها الفرق بين الكاتب النهاز الذى يكتب لينتفع ويستفيد ، والكاتب المؤمن الذى يكتب ليدافع عن الحق والوطن ، والذى يهاجم الطغيان فى وقت ارهاب الطغيان ، ويسدد السهام المسممة الى الاستعمار فى حقبة تسلط الاستعمار ، ويحمل على الظلم والعسف فى عهد الاقطاعية الظالمة المتعسفة ، ولما كنا دائما لا نعتمد فى تأييدنا الا على المصادر الأصيلة التى لا يعتورها الشك

ولا يتطرق اليها الارتياب ، وكنا – فى استشهاداتنا الاسلامية – نعتمد على مبادىء الاسلام التأسيسية التى سجلت فى القرآن الكريم أو فى الأحاديث الشريفة التى لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها ، فقد أبدنا فى فصل نشرته لنا مجلة منبر الاسلام منذ ستة عشر شهرا ، مبادىء التأميم ونزع الملكية الجشعة أو الضارة ، وأثبتنا أن النبى الجليل قد نزع ملكية من صاحبها عندما أصر على الاضرار بجاره ، ولم يجد معه الترغيب ولا الترهيب نفعا ، وأن عمر بن الخطاب ذلك الخليفة الحازم العظيم قد أمم بعض الملكيات وجعل كلاها مباحا لخيول الكافة ، وانه صادر ملكيات ارتاب فى مصادرها حتى ثبتت نظافتها ، وأن ابنه شخصيا كان بين ملاك تلك الثروات المصادرة ولم يسمح له بالتصرف فى ثروته الا بعد أن تبين شرفه ونزاهته ، وأن هذا الخليفة الخالد هو الذى خلق قانون « من أين لك هذا ؟ » وأخيرا انتهينا من هذا الى أن الملكية التى تتجاوز حد الاعتدال الى الجشع أو الاستغلال أو الاضرار بالغير تفقد حرمتها وتهدر كرامتها ، وتقضى على قداستها بيدها ، وأن تأميمها أو مصادرتها أو الاستيلاء عليها لا يصير فى تلك الحالة من الأمور المباحة لولى الأمر فحسب ، بل يصبح فى مقدمة واجباته .

واذن فنحن نقتبس هذه الأنظمة من مبادىء الاسلام التأسيسية ، لا من مذهب كارل ماركس ولا من أشياعه الذين اتجهوا بآرائه نحو الاعتدال أو مالوا بها الى الانحراف ، فاننا نسخر من كل هذا سخرية تامة .

ومن أنصع الآيات الدالة على أننا نقتبس من أنوارنا ، وننتهل من أنهارنا ، ونترفع عن أن نكون أذنابا لغيرنا أو عالة على سوانا ، أننا نقف اليوم وقفة قصيرة عند الأحاديث والمناقشات التى دارت فى المؤتمر الاسلامى الأول الذى انعقد فى مكة فى حج سنة ١٣١٦ هجرية و سنة ١٨٩٨ م والذى اجتمع فيه من صفوة المثقفين المسلمين من يمثلون ثلاثا وعشرين دولة متباينة . وقد نشرت تفاصيل ما دار فى ذلك المؤتمر فى المجلد الخامس من مجلة « المنار » لسنة ١٣٢٠ هجرية .

ولقد كانت المسألة الأساسية التى شغلت أولئك المؤتمرين الممتازين النزهاء هى البحث عن الأسباب الأساسية لضعف العالم الاسلامى الذى كان فى عصره الذهبى قويا منتصرا الى أبعد حدود القوة والانتصار .

ومن بين هذه الاجابات التى سجلت فى ذلك المؤتمر أربع تعتبر من الأهمية بموضع ملحوظ لا سيما أنها من أخطر مشكلات الساعة الراهنة .

فأولاها اجاب بها ممثل مكة . ومجملها أن جميع أمراء البلاد الاسلامية وعلمائها مسئولون عن هذا الانحدار مسئولية تجعلهم ملومين بل مستحقين للعقاب لأنهم لا يتحدون ولا يعملون للهدف الأعلى الذى هو انهاض البلاد الاسلامية من كبوتها ، وبعثها من رقدتها التى طال مداها ، وأن منازعاتهم الشخصية قد صيرت الاتحاد عسيرا ان لم يكن مستحيلا بين تلك الشعوب البائسة التى لا تزال تئن تحت نير جهل عميق مرهق هو السبب فى كل آلامهم وكوارثهم .

وثانيتها اجابة المندوب الكردى الذى ذكر لهذه الحالة الأسيفة سببا آخر قد يكون أهم من سالفه وألصق بما نحن بصدده الآن . **وملخصه** أن منشأ الشر كله هو أن علماء الاسلام قد ضيقوا آفاقهم بتصرفاتهم الجامدة ، وحصروا أنفسهم فى نطاق العلوم الدينية وجزئية صغيرة من العلوم الرياضية ، ونبذوا الجانب الأكبر من تلك العلوم الرياضية وجميع العلوم الطبيعية ، وأن آثار العلماء الذين كانوا يعنون بتلك المعارف فى عهد العظمة الاسلامية قد فقدت ، وأن المتنطعين والمتعصبين قد محوا منتجات أسلافهم العظماء خاضعين لتلك القاعدة الخالدة وهى : « **الناس أعداء ما جهلوا** » .

وليس هذا فحسب ، بل لو أراد أحد اليوم العناية بتلك المنتجات العلمية القيمة ، لحكم عليه أولئك المتعصبون بأنه فاسق أو زنديق . **ومع ذلك فان هذه العلوم هى التى أخذها الغرب عن المسلمين** ، وأنها هى التى نمت لدى الغربيين وأنتجت تلك الثمار الباهرة فى حياتهم الاجتماعية والاقتصادية والعلمية ، وهى التى صيرتهم شموس المدنية الحاضرة بينما أن المسلمين الذين هجروها قد انحدروا الى الدركة الدنيا اذا قيسوا بالغربيين فى الصناعة والزراعة الآلية والفن والتربية والأدب وسياسة الحكم ، وما ذلك الا لأنهم – بهجر تلك العلوم – قد ابتعدوا عن الروح الحقيقية لدينهم الحنيف .

وثالثتها اجابة مندوب الأفغان . وموجزها أن القرآن قد نص على أن الفقراء وذوى العاهات والعاجزين عن العمل لهم عند الأثرياء حقوق مقدسة لا تحلل منها ولا فكاك عنها بأية حالة ، ولا تحت تأثير أى ظرف مهما كانت خطورته : « **والذين فى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم** » ولكن المسلمين الآن ، قد قلبوا الآية وشوهوا وجه الحقيقة ، فجعل الأثرياء العاطلون منهم يعيشون على حساب عمل الفقراء الكادحين . واذن فقد أصبح للأثرياء العاطلين « حق معلوم » فى انتاج العاملين المجدين ، وهو قلب لأنظمة المجتمع رأسا على عقب .

ومن هذا يتبين جليا معنى قول رئيس الجمهورية : « ان ثورتنا ثورة دينية ». اى انها ثورة مؤمنة ترمى أول ما ترمى الى تطهير المبادىء الاسلامية من الأدران التى علقت بها أثناء عصور التدهور والانحطاط اللذين أصابا العالم الاسلامى من جراء الاستعمار وما اليه من العوامل الأجنبية عن أصقاعه الدخيلة على تعاليم دينه . واذا تبين معنى هذه العبارة التى وردت أخيرا فى احدى خطب السيد الرئيس وجب أن يصمت أولئك الذين استظلموا كلمة « ثورة دينية » اذا كانوا مخلصين للدين والوطن .

وينبغى أن ننوه هنا الى أن ذلك المندوب الأفغانى قد سبق ثورتنا الرشيدة الى تقرير هذه الحقيقة بأكثر من ستين سنة ، وأنه قد اقتطعها من مبادىء الاسلام الجوهرية . وفى هذا رد قاطع حاسم على المتخرجين الذين يزعمون أننا اقتبسنا هذا من المذاهب الغربية « **كبرت كلمة تخرج من أفواههم ان يقولون الا كذبا** » .

ورابعة هذه الاجابات ، اجابة مندوب انجلترا ، وملخصها : أن المسلمين لو حرصوا على أن يكونوا مسلمين حقا ، لوجدوا فى دينهم كل ما ينبغى لهم فى تحصيل أحدث العلوم وتحقيق أرقى الأنظمة الاجتماعية ، لأن فريضة الزكاة تعطى الفقراء الحق فى جزء لا يستهان به من ثروة الأغنياء ، فلو أنهم نفذوا قوانين دينهم لتحققت للفقراء حياة كريمة تتفق مع العزة الانسانية ، ولكانت النتيجة الحتمية لذلك ، سيادة السكينة والاطمئنان والمحبة وسير العمل فى نظام وانسجام . وأكثر من ذلك أن المساواة المعتدلة التى أتت بها جميع المذاهب الاشتراكية الأوروبية التقدمية التى ظهرت حديثا هى موجودة فى الاسلام ، بل نابعة من قانونه ذاته . ولكن

« البقية صفحة ٧١ »

القرآن الكريم وأثره في نفوس العرب

الدكتور احمد شلبى

رسمنا فى المقال السابق صورة لبعض **« قادة قريش »** وقد وقفوا حيارى بين جلال **القرآن** واعجازه ، وبين **جاههم وأموالهم** وحقدهم على محمد ، ورأينا كيف كان القرآن يشدهم الى **الايمان** ، وكيف كان حقدهم وحرصهم على المال والجاه يجذبانهم للبقاء فى زمرة **الشرك** ، وانتصر جانب الشر فيهم فبقوا بعيدا عن المحيط الاسلامى ، ولكنهم مع هذا لم يستطيعوا أن يقاوموا اعجابهم بالقرآن وشغفهم بسماعه ، فكانوا يتسللون فى جنح الظلام ليستمعوا لتلاوة القرآن الكريم تنبعث من كوى بيت الأرقم بن أبى الأرقم حيث كان الرسول صلوات الله عليه يجتمع بأصحابه ليقرأ لهم من الذكر الحكيم .

هؤلاء جماعة جبنوا عن الاعتراف بما يعتقدون ، وعاشوا فى عزلة عن أفكارهم ومعتقداتهم وأعوزتهم الصراحة فنصروا الباطل وهم يعرفون أنه باطل ، وحاربوا الحق وهم يؤمنون بأنه الحق ، فلندع هؤلاء الآن ،ولنتكلم عن جماعة آخرين يشتركون مع الأولين فى أن القرآن هزهم وأثار اعجابهم ، ولكنهم يختلفون عنهم فى أنهم أبوا الانقسام فى شخصياتهم ، وكانوا صرحاء مع أنفسهم ، فأعلنوا ما اعتقدوه، وقادهم القرآن الكريم الى الدخول فى دين الله وراحوا يتغنون بجمال القرآن واعجازه ، وأنه من مستوى لا يرقى لمنافسته العقل البشرى .

سنقص فى مقال اليوم قصصا عن هؤلاء الذين شدهم القرآن الى الاسلام فاستجابوا ، وجذبهم الى دعوة محمد فأطاعوا . ولا شك أن زعيم هذه الجماعة هو الخليفة طيب الذكر عمر ابن الخطاب ، ولاسلامه قصة مشهورة ، وقصة أخرى أقل شهرة وذيوعا وكلتاهما يرويها ابن هشام عن ابن اسحق ، ونحن بدورنا نرويهما عنه ، قال ابن هشام :

كان عمر شديدا على المسلمين ، وخرج مرة متوشحا بسيفه ، فلقيه نعيم بن عبد الله فسأله : الى أين بسيفك ؟

قال عمر : اريد أن اقتل محمدا ، ذلك الذى فرق امر قريش ، وسب آلهتها .

قال نعيم : خير لك أن ترجع الى أهل بيتك فتقيم أمرهم ، فقد التحقت أختك فاطمة وزوجها سعيد بن زيد بمحمد .

فثار عمر عندما سمع ذلك ، وقصد دار أخته وزوجها ، فلما شارف الدار سمع صوت تلاوة ، اذ كان عندهما خباب بن الأرت يقرئهما سورة «طه» فأيقن عمر صدق سمعه عن أخته ، واندفع الى الدار غاضبا ، فلما أحس به خباب اختفى ، وأخفت أخته الصحيفة ، فصاح عمر بأخته : ماذا كنتم تقرءون ؟ فاضطربت أخته ، فلطمها ولطم زوجها . فصاحت به أخته أنه ليس من حقك أن تلطمنا ٠ وسال من ثناياها الدم ، فأدرك عمر خطأه وهدأ ، ثم طلب أن يرى هذه الصحيفة ، **فقرأ فيها : « طه ، ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ، الا تذكرة لمن يخشى ، تنزيلا ممن خلق الأرض والسموات العلا ، الرحمن على العرش استوى ، له ما فى السموات وما فى الأرض وما بينهما ، وما تحت الثرى ، وان تجهر بالقول فانه يعلم السر وأخفى الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى** ٠٠ وكان عمر مثالا فى البلاغة والفصاحة ووزن الكلام ، فأدرك ما فى هذا الكلام من روعة وجلال واعجاز ، فقصد محمدا وأعلن اسلامه » .

أما الرواية الأخرى عن اسلام عمر فيرويها ابن هشام عن ابن اسحق عن عمر نفسه ، قال عمر : كنت للاسلام مباعدا ، وكنت صاحب خمر فى الجاهلية ، وكان لنا مجلس يجتمع فيه رجال من قريش ، فخرجت يوما أريد جلسائى ، ولكنى لم أجد أحدا منهم فى المجلس الذى اعتدنا أن نلتقى فيه ، فانحدرت الى خمار لأشرب عنده بعض الخمر ، فلم أجده ، فتحولت الى الكعبة لأطوف بها قبل عودتى للبيت ، فلما جئت المسجد رأيت رسول الله قائما يصلى ويقرأ القرآن فى صلاته ، فقلت : والله لو أنى سمعت من محمد الليلة حتى أرى ما يقول ؟ فدنوت منه ولكنى لم أرد أن أروعه ، فدخلت دون أن يرانى تحت أستار الكعبة ، وجعلت أمشى رويدا رويدا بين الكعبة وأستارها حتى قمت مواجها الرسول وليس بينى وبينه الا ثياب الكعبة ، وجلست استمع اليه ، وطالت قراءته وعمقت نبراته ، وطال استماعى وعمق تأثرى ، وأيقنت صدق محمد ، ولم أزل قائما فى مكانى ذاك حتى قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاته ثم انصرف ، فلحقت به ، وأعلنت له اسلامى ، فكبر وحمد الله .

وابن هشام بعد أن يروى عن ابن اسحق هاتين الروايتين يروى عنه أيضا خاتمته التى تعود أن يقولها وهى : والله أعلم أى ذلك كان . ويمكننا طبعا أن نتصور حدوث الحادثتين جميعا ، وقد تكون احداهما حدثت فرق قلب عمر للاسلام ودنا منه ، ثم حدثت الأخرى فأعلن دخوله على أثرها فى دين الله .

والذى يهمنا هو الاشادة بصراحة عمر نفسه ، وصراحته مع الناس ، فلم يخدع عمر نفسه ، ولم يخدع الناس كما فعل أبو سفيان وأبو جهل والأخنس بن شريق أبطال المقال السابق الذين اعتقدوا شيئا وحاربوه ، وآمنوا بشىء وأنكروه .

وفى قصة الاسراء والمعراج برز جلال القرآن واعجازه ، وتروى لنا المراجع التاريخية صورة العواصف التى أثارها المشركون عندما أشرق الصبح وأخذ محمد يحدث الناس بأنه أسرى به الى المسجد الأقصى ، ثم عرج به الى السماء ، وعاد من ليلته ، فقد ظنت قريش أن محمدا أفرط فيما ادعى ، وحسبت أن هذه مبالغة جاوزت الحد ، ويمكن أن تكون سببا ينفر أصحاب محمد منه ، ويمكن كذلك أن تكون سببا يرد المترددين عن التفكير فى اللحاق بمحمد والتسليم بدينه .

واشتدت العاصفة ، وزمجر الشر ، وتجمعت جموع المشركين فى مرح وهرج ، يتندرون بما سموه الكذبة الكبرى ، ويسخرون مما ظنوه بهتانا وزورا ، وبينما جموعهم حول الكعبة فى صخب وعربدة ، اذ رأوا رجلا يأتى من

بعيد مسرعا نحوهم ، وعباءته تصارع الريح من شدة سرعته ، وهو ينادى ولكن صوته غير واضح للمسافة التى تفصل بينه وبين القوم ولما مس حنجرته من بحة لكثرة ما نادى على طول الطريق ، وتطلع له القوم ، وصمتوا ليستمعوا اليه ، ووصلهم الرجل فى شبه اعياء ، وجلس قليلا يسترد انفاسه ، والتفت حوله الجموع لترى ما جاء به من أخبار لعلها تزيد من سرورهم وتقوض من دعائم الدين الجديد . ووقف الرجل وصاح .

يا قوم لقد ظننتم حديث الاسراء والمعراج خرافة وكذبة كبرى ، ولكن محمدا جاء بالدليل القاطع .

وصاح به الناس : دليل قاطع ؟ كيف ؟ وما هو ؟ مستحيل .

وأجاب الرجل :

اسمعوا ياعرب الآيات التى سأتلوها عليكم ثم قولوا بعدها ماتشاءون ، وأخذ الرجل يتلو قوله تعالى : والنجم اذا هوى ، ما ضل صاحبكم وماغوى ، وما ينطق عن الهوى ، ان هو الا وحى يوحى علمه شديد القوى ، ذو مرة فاستوى ، وهو بالأفق الأعلى ، ثم دنا فتدلى ، فكان قاب قوسين أو أدنى ، فأوحى الى عبده ما أوحى ، ما كذب الفؤاد ما رأى ، أفتمارونه على مايرى ، ولقد رآه نزلة أخرى ، عندسدرة المنتهى ، عندها جنة المأوى ، اذ يغشى السدرة مايغشى ، ما زاغ البصر وما طغى ، لقد رأى من آيات ربه الكبرى .

وهدأ القوم ، وطأطئوا الرءوس ، ولم يعد الاسراء والمعراج حدثا يتندر به أحد ، وجذبت هذه الآيات كثيرين من المترددين الى ساحة الاسلام ، فنعموا بدين الله وجاهدوا فى سبيله .

الاسلام اصلاح وتنظيم (بقية)

اهمال ولاة أمور المسلمين فى تأدية واجبهم المقدس من جهة ، وشح الأثرياء أو حرصهم من جهة أخرى قد تضافرا على منع القانون الاسلامى من بلوغ غايته المثلى .

واذا كان لنا أن نعلق هنا على رأى هذا المندوب الذى يجزم بأن أرقى المذاهب الاجتماعية الحديثة المتشبعة بالانعطاف الاشتراكى موجودة فى روح الاسلام ، فاننا نقرر أنها فى هذا الدين الحنيف ليست فى حاجة الى مقارعة الحجج أو الى الكفاح والحفيظة واصطدام الطبقات كما تقضى الضرورة الحتمية بأن تنتهى هذه المذاهب الغربية الى تلك المعارك الطاحنة ، لأن الاسلام يحتوى على كل ما ينبغى لضمان النظام الاجتماعى البعيد عن الافراط وسوء استعمال الحق ، والتعسف فى استخدام السلطة ، وأن مبادئه تحقق المساواة المعتدلة لكل فرد وجماعة وتضمن لهما الأخذ بنصيب عادل من خيرات هذا العالم وتحقق لهما الحياة الكريمة والمساهمة فى النشاط الذى تقوم به الانسانية نحو الكمال .

والآن نحسب أننا لسنا فى حاجة الى أن ننبه الأذهان الى أن هذه الآراء السديدة التى أعلنها أصحابها فى ذلك المؤتمر منذ أكثر من نصف قرن قد سبقت الفكر الحديث الى محيط الحقيقة الناصعة ، وأنها هى عينها التى انتهت اليها نتائج البحوث فى هذه الآونة الحاضرة ، لأنها صادرة عن عقليات ممتازة من جهة ، ولأن الحقائق لا تزول ولا تحول من جهة أخرى ، وانما هى تختفى أحيانا تحت ستار الطغيان فلا يتحدث عنها الا كل شجاع لا يخشى فى الحق سلطانا ولا يرهب صولجانا ، ونزيه لا يرمى من وراء نطقه أو صمته غاية خاصة أو علة شخصية . أما بعد انقشاع سحب الطغيان ، فان المتحدثين عن الحقيقة الشائكة يتجاوزون العد ويفوقون الاحصاء .

بان من كل ما تقدم أن أولئك المندوبين المؤتمرين قد لمسوا حقائق الاسلام بازاء هذه المشكلات الخطيرة التى هى مشكلات الساعة ، وأنهم ليسوا كغيرهم من المسلمين الذين يعيشون فى الأوهام ، وهذا يعيد الى ذاكرتنا ما جاء فى كلمة السيد حسين الشافعى نائب رئيس الجمهورية المنشورة بعدد مايو سنة ١٩٦٣ من مجلة منبر الاسلام الفرنسية والتى يقول فيها : « ان قوانين الاسلام قد أتت لتطبق على هذه الأرض ولتجد حلولا للمشكلات الانسانية ولتنظم حياة الناس .

أما ما يرموننا به من أننا خلقنا بدعة الاتحاد أو الوحدة ، فانه يستحق الرثاء أكثر مما يستوجب النقض أو الرد . ولكن حسبنا أن نتلو عليهم – فى اشفاق ورحمة – تلك الآية التى تقطع فى هذا الصدد قول كل خطيب ، وهى : « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا » . أو ذلك الحديث الشامل الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وهو : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا »

على أننا اذا تركنا الأمر لحكم العقل السليم وحده ، فهل يستطيع ذو مسكة من صواب أن يجحد أن الاتحاد يرهب الأعداء ويضمن الانتصار فى كل شأن من شئون الحياة ؟ والا فلماذا كانت تلك الأحلاف والمعاهدات التى لجأت اليها الطوائف والجماعات والقبائل البدائية والدول الراقية منذ أقدم عصور التاريخ حتى الساعة الحاضرة ؟ ولماذا ينزعج أعداؤنا من شبح الوحدة ويسعدون كلما رأوا فيها ثغرة تؤذن بفشلها ولا قدر الله ؟ .

الاسلام فى معركته الكبرى

-٦- السلفية والصوفية

بقلم الأستاذ أنور الجندى

عندما ينظر الباحث فى تطور الاسلام واتساعه فى العصر الحديث يجد أن هناك حركتين غاية فى الضخامة والقوة هما مصدر هذه القوة الجديدة التى جددت شباب الاسلام ، واستطاعت بغير شك أن تقاوم الحملات العنيفة التى وجهت اليه عن طريق الغزو السياسى والعسكرى والثقافى الذى قام به الغرب للعالم الاسلامى منذ أوائل القرن التاسع عشر مستهدفا القضاء عليه ، وقد كانت حملات الاستشراق والتبشير جزءا هاما من هذا الغزو التغريبى فقد ارتبطت هذه الحركة الى حد كبير بالتربية والتعليم والصحافة والكتابة ومختلف وجوه الأعلام ، واستطاعت بمؤازة النفوذ الغربى والقوى المادية أن تنطلق فى مناطق كبيرة من العالم العربى الاسلامى .

غير ان حركتى **(السلفية)** و **(الصوفية)** معا على الرغم من اختلاف وجوه الرأى بينهما، قد جددتا شباب الاسلام وأمدتاه بالقوة والحيوية وقاومتا كثيرا من هذه الاندفاعة التبشيرية التغريبية فى مراميها البعيدة ،بل واستطاعت الحركة الصوفية بالذات أن تكسب للاسلام مناطق نفوذ جديدة بقوة شخصية التاجر المسلم المتنقل من مكان الى مكان يحمل مع بضاعته ، صورة رائعة ومثلا فريدا من الخلق والمعاملة والسماحة يجمع اليه الناس ويدفعهم الى اعتناق دينه .

ويمكن القول بان « السلفية قد جددت الاسلام تجديدا افقيا ، من ناحية تصحيح مفاهيم الاسلام بعد أن سيطر عليها كثير من الزيف والخرافات ، وان « الصوفية » قد حددت الاسلام عرضيا بتوسيع نطاق الدعوة اليه فى المنطقتين الجديدتين : وسط وغرب أفريقيا وجنوب شرقى أسيا .

أما ((السلفية)) فقد بدأت بالحركة الوهابية فى قلب الجزيرة العربية ثم اتسع نطاقها وتطور مفهومها وتطور بحركات متعددة قام بها الشوكانى فى اليمن والألوسى فى العراق وجمال الدين فى ايران وتركيا ومصر ومحمد عبده فى مصر والمغرب وندوة العلماء فى الهند والمنار فى تونس وشمال أفريقيا .

وكانت دعوات الخلدونية فى تونس وجمعية العلماء بزعامة عبد الحميد بن باديس فى شمال الجزائر وبيوض ابراهيم فى جنوبها وابى شعيب الدكالى فى المغرب ، كلها لاتعدو فى الحقيقة أن تكون فروعا لدعوة واحدة هى (السلفية) التى تدعو الى عودة الاسلام الى بساطته الأولى وفتح باب الاجتهاد وتصحيح المفاهيم الخاصة بالعقيدة والتوحيد . وكانت كل هذه المؤسسات تؤمن بالحقيقة الكبرى ، وهى أن الاسلام قابل لمواجهة الحضارات والثقافات المختلفة وانه لاينافى المدنية ولا يعترضها ولكنه يتقبلها ويسيغها ويلتقى بها

حركتان متكاملتان لمقاومة الغزو الغربى

ويحولها الى وجهه الواضح وملامحه الصريحة، دون أن يضيع فيها أو ينصهر فى بوتقتها وقد كانت الصحافة جزءا هاما من أركان هذه الدعوة ويمكن القول بأن « المنار » الذى أصدره الشيخ رشيد رضا (٣٤ عاما) منذ عام ١٨٩٨ كان مدرسة ضخمة تأثر بها مسلمو تونس والمغرب والهند ، وحمل بصدق أراء الشيخ محمد عبده وتفسيره العصرى للقرآن وان الحركة السلفية التى ظهرت فى المغرب كانت منبثقة من هذه المدرسة ، وقد أطلق أصحابها على أنفسهم اسم المدرسة العبدية ــ نسبة الى الشيخ عبده ــ وكان أبرز أعمالها مقاومة الاستعمار الفرنسى والقضاء على المنحرفين من أصحاب الطرق : دعاة الخوارق والكرامات الذين استغلهم الاستعمار واتخذهم وسيلة للسيطرة على الناس وقتل روح الجهاد فيهم .

وقد عملت المدرسة السلفية فى ميدانين كبيرين (١) أحياء الدين وتصحيح مفاهيمه واجلاء روحه الناضر النابض والكشف عن حقائقه (٢) وتجديد اللغة العربية وحمايتها باعتبارها أداة هذا الدين ووعائه

وكانت « الشهاب » التى أصدرها « عبد الحميد بن باديس » فى « الجزائر » عملا هاما نشأت فى ظله جماعة العلماء التى كان لها الفضل فى حفظ اللغة العربية فى الجزائر بانشاء ثلاثمائة مدرسة فى المساجد .

وكانت دعوة « ابن باديس » انطلاقا مع التيار السلفى المستنير فى تحرير المفاهيم وتصحيح الاصول . وكان لجماعته أثر فعال فى تنوير الرأى العام ، ونشر الثقافة العربية، وتطهير العقيدة الاسلامية من الخرافات ، واحياء اللغة العربية ، وتقوية الشعور بالشخصية العربية فى الجزائر فى الوقت الذى كان الاستعمار الفرنسى جادا فى القضاء على (١) اللغة العربية (٢) والاسلام (٣) والشخصية الجزائرية ، ومن ذلك قول ابن باديس : اننا نرى الامة الجزائرية موجودة ومتكونة على مثال ماتكونت به سائر أمم الأرض ، وهى لا تزال حية ولم تزل ، ولهذه الأمة تاريخها اللامع ووحدتها الدينية واللغوية، ولها ثقافتها وتقاليدها . هذه الأمة الجزائرية ليست هى فرنسا ولاتريد أن تصبح هى فرنسا ومن المستحيل ان تصبح فرنسا »

وقد أثبتت هذه الجماعة فى مختلف أنحاء الجزائر وكان لها مدارسها وصحفها بالعربية والفرنسية وقد قامت دعاة الطرق الذين استغل الاستعمار الفرنسى بعض رجالها ضد الحركة التحررية ، وخاصة حرب الريف سنة ١٩٢٧ .

وفى مراكش انبعثت الصيحة السلفية على يد « أبى شعيب الدكالى » الذى تلقى هذه الدعوة فى المشرق ــ كما تلقاها من قبل ابن باديس ، وقد جمع حوله عددا من الشباب النابغ ووزع عليهم الكتب التى كان يطبعها السلفيون فى مصر . ثم ظهر على نفس الخط « محمد بن العربى العلوى » وواجهت الحركة فى المغرب ــ كما واجهت فى المشرق أيضا عندماحمل لواءها جمال الدين والشيخ عبده ــ حربا من الرجعيين ، كما احست الحماية الفرنسية انها موجهة للقضاء على نفوذها ، وقد أثرت هذه المرحلة فى تطوير العقلية المغربية وامتزجت الدعوة السلفية بالدعوة الوطنية ، وكان لها من جراء هذا الامتزاج من النجاح مالم يصل اليه جمال الدين ومحمد عبده .

وفى المغرب ـ كما يورد ذلك علال الفاسى فى كتابه الحركات الاستقلالية حملت السلفية (١) لواء الدعوة الى الاصلاح الشامل ومقاومة الجمود فى كل فروع الحياة (٢) تطهير الدين من الخرافات والعودة الى روح السنة المطهرة (٣) احياء الشخصية الاسلامية على أساس المبادىء التى جاء بها الاسلام . كما تناولت المجهود الفردى لصالح المجتمع ، وفتح الذهن البشرى لقبول ما يلقى اليه من جديد وقياسه بمقياس المصلحة العامة لارجاع

المجد العظيم الذى كان للسلف الصالح .

ومن أهم آثارها : الاعداد الفردى لتقوية التضامن بين الجماعة الاسلامية على أساس الاخاء الاسلامى والانسانية ، والعمل على أن تتوافق أساليب الثقافة فى وسط المسلمين وجعل اللغة العربية صالحة لان تكون لسان العالم الاسلامى .

وفى الهند : اتخذت « ندوة الاسلام » نفس الطريق واتجهت الى انشاء مدرسة كبرى للعلوم فى مدينة (لكنو) أمها المسلمون من كل مكان وكان عملها أساسا هو « نشر المعارف واعادة مجد اللغة العربية فى بلاد الهند ، ومحو البدع التى يجرى عليها العامة باسم الدين » .

وكان السيد أحمد خان مؤسس كلية عليكرة وسيد أمير على وشبلى النعمانى ومحمد اقبال فى مقدمة هؤلاء الدعاة الذين آمنوا بأن التربية والتعليم والثقافة هى الوسائل الأساسية لازالة كل داء اعترى الامة وحجزها عن سبيل الرقى وعندهم أن أمر التربية أعظم خطرا من التعليم .

وقد لقى هؤلاء الدعاة من رجال الدين التلقيدين عنتا .

وهكذا برزت موجة « الحركة السلفية » فى المشرق والمغرب والهند وكانت ذا أثر واضح فى تنقية مفاهيم الاسلام ودفعه الى الامام لمواجهة الحضارة والتطور والكشف عن جوهر الثقافة العربية الاسلامية الأصيلة القادرة على الحياة فى كل جيل وفى كل بيئة .

أما « الحركة الصوفية » فقد كانت ذات أثر بعيد فى نشر الاسلام فمنذ عام ١٧٥٠ تقريبا بدأت النهضة الجديدة للاسلام على أيدى مشايخ الطرق ، وكان التصوف يعنى تطهير النفس من الماديات والارتفاع فوق المطامع الخاصة وبذل الروح فى سبيل الفكرة والتسامى عن الاهواء .

وقد كانت هذه النهضة مقابلة للغزو الذى قامت به حركة التبشير فى أفريقيا والعالم الاسلامى كله وكان للقادرية والشاذلية والتيجانية أثر كبير فى شمال أفريقيا .

ثم كانت الحركة المهدية فى السودان ١٨٨١ حين تمكن « محمد أحمد » من حشد خمسين الف مقاتل من المؤمنين المتحمسين لهزيمة النفوذ العثمانى الممثل فى الجيش المصرى ـ اذ ذاك ـ والاستيلاء على قاعدة كردفان وبربر مفتاح بلاد النوبة ومحاصرة الخرطوم التى استولى عليها ١٨٨٥

وقد امتدت الحركة بعد وفاة المهدى (١٨٨٥) حتى أغسطس ١٨٩٩ عندما تغلبت القوات التى يقودها كتشنر وقضت على حكم الدراويش .

وكانت « الحركة السنوسية » أشد قوة وأكثر سماحة واتصالا بتعاليم الاسلام بقيادة محمد على السنوسى ١٨٥٦ ، ولما كان السيد السنوسى جزائريا أصلا وقد عاش تجربة احتلال الفرنسيين للجزائر فقد انصبت دعوته أصلا على مقاومة التوسع الغربى فى شمال أفريقيا ايا كان نوعه . ولذلك جعل قاعدة الجهاد وجمع كلمة المسلمين على مقاومة العدو العام أساسا لعمله .

ولم تكن طريقته صوفية محضة ، بل كانت مفاهيمه قريبة من السلفية ، وفى برقة بنى الزاوية البيضاء ، وكثر أتباعه فى واحة الفرافرة وفى طرابلس وفى ثوات وفى السودان .

وتعددت الزوايا فى الصحراء وانبثت واتسع نطاق الحركة التى امتدت الى شرق وجنوب افريقيا ، وفى جغبوب جعل مركز

القيادة حيث أصبحت أعظم مدرسة لمبشرى الاسلام فى أواسط أفريقيا ومنها امتدوا حتى بلغوا النيجر الادنى ، وكان لهم أبعد الاثر فى هداية عشرات القبائل الى الاسلام مما جعل بحيرة « تشاد » مركزا عاما للاسلام فى أواسط أفريقيا .

وبلغ عدد دعاتهم أكثر من اربعة ملايين ، حيث كانوا يسرحون كل من يتوسمون فيه الخير الى جغبوب ليستطيع بعد دراسات مستفيضة للاسلام أن ينضم الى مئات المبشرين المنبثين فى كل مكان من نواحى أفريقيا حتى سواحل الصومال شرقاوسواحل السنغال غربا . وقد استطاعت هذه الحركة أن تضم الى الاسلام أكثر من ٥٠ مليونا .

ويؤكد الباحثون الغربيون المنصفون أن مريدى الطرق هم الذين سعوا فى نشر الاسلام ووفقوا اليه فى أفريقية تارة بهيئة تجار وطورا بهيئة مبشرين . وقد اسسوا سلطنات رابح واحمد وساموری .

وقد واجهت « الدعوة السنوسية » كبرى **الحركات الصوفية النقية خصومة عنيفة من الاستعمار الفرنسى الذى خصص مبالغ طائلة لمقاومة سلطانها .**

وجعلت السنوسية اساس عملها : الاجتهاد فى فهم الدين ، وفهم الاحكام من الكتاب والسنه ، وتشييد الحصون فى الصحراء ، وصنع البارود وادخار الاسلحة المجلوبة من اوربا .

وكان هذا العمل الذى يمزج بين الثقافة الاسلامية واعداد ادوات الحرب وانشاء أول مصنع أسلحة فى العالم العربى الاسلامى فى العصر الحديث للقتال عملا مجيدا .

وكان ايمان السنوسية يقوم على اساس أن الدفاع عن الوطن جزء من الدفاع عن الدين

وقد كان محمد على السنوسى غاية فى الذكاء والنبوغ ، فقد اجتهد فى الدين ولم يتقيد بمذهب من المذاهب وعمل وفق اسلوب يناسب الصحراء وجمع بين الدين والسياسة ومن أصول حركة احياء الارض وغرس الاشجار واقتناء السلاح والاستعداد للمدافعة والمقارعة عند الحاجة .

وقد أخذ من السلفية والصوفية ومزج بينهما ولم يستطع أحد أن يتهم هذه الحركة بانها والت المستعمر ، فقد ناهضته دوما وكان دورها فى العمل بعد ذلك شاقا عندما هاجمت ايطاليا سواحل طرابلس عام ١٩١١ وهب السنوسيون القتال العنيف وأذالوا من الفزاه وهزموهم فى عشرات المواقع .

واذا كان هذا هو الدور الضخم الذى قامت به الحركات الصوفية فى نشر الاسلام فان بعضا من « رؤساء » هذه الطرق قد انحرف بها تحت ضغط الاغراء لموالاة الاستعمار . وكان ذلك فى مصر والمغرب وتركيا . وقد كانت الدعوة السلفية عنصر مقاومة لهذه الانحرافات ، واذا وجه الاتهام الى بعض رؤساء الطرق فان ذلك لايشمل الحركة الصوفية النقية وانما ينصب على الانحراف الذى ادخله بعض هؤلاء البؤساء الى الصوفية بالمغالاة فى الخوارق والكرامات من ناحية والتسليم للاستعمار باسم اطاعة ولى الامر من ناحية أخرى .

أما الصوفية الحقة الخالصة فقد كانت تعاليا فوق المطامع والاهواء ، وحربا على الحكام الظالمين ومقاومة للاستعماروالاستبداد معا . والدعوة للاسلام ونشرها فى كل مكان

هذا بينما كانت السلفية عملا للتحرر من القيود التى وضعت فى عصور الاضطراب والظلام وعودا بالاسلام الى منابعه الاولى وفتح باب الاجتهاد .

ومن هنا كانت كلتا الحركتين أساسا هاما للعمل الايجابى ، احداهما على مستوى الاتساع والاخرى على مستوى العمق .

وكما كان بعض الصوفية حلفاء للاستعمار فقد كان بعض العلماء حلفاء للاستعمار والاستبداد وكان أخطر ما دعوا اليه هو اغلاق باب الاجتهاد وذلك هو موضوعنا القادم .

من دعاة الإصلاح الدينى

الأستاذ على الجمبلاطى

لقد تجلى فى مستهل القرن العشرين أثر الحضارة الغربية فى دعوات كثيرة برزت من بينها ثلاث شغلت الرأى العام .

أما الدعوة الاولى فكانت تطالب بكفالة الحرية الشخصية وبالحياة النيابية .

والدعوة الثانية تطالب بتحرير المفكرين من سلطة رجال الدين . وذلك بفصل السلطة المدنية عن السلطة الدينية على النمط الذى قامت عليه النهضة الاوربية الحديثة .

والدعوة الثالثة كانت تطالب بتحرير المرأة من الجهل والحجاب .

وكانت الشعوب الاسلامية - ومصر واحدة منها - تعيش فى حالة تشبه حالة أوربا فى العصور الوسطى فقد كان الجهل السائد يجعل السلطان ومن ورائه رجال الدين ومشايخ الطرق يستغلون نفوذهم الدينى فى اقرار سلطتهم واضطهاد الداعين الى الاصلاح فبدأ كثير من المفكرين يطالبون بالتحرر من سلطان رجال الدين الذين يدسون أنوفهم فيما لا علم لهم به ويفتون بتحريم العلوم الطبيعية والفلسفية ولا يرون فيما زاد على علوم الدين الا اشتغالا بما لا يعود على المجتمع الا بالفساد فى العقيدة .

والى جانب هذه الطائفة التى كانت تحاول النهضة بمصر وبالشرق وبالمسلمين عن طريق الاخذ بأساليب الحضارة الغربية التى أثبتت نجاحها .. **كان هناك فريق آخر** يرى أن الامم الاسلامية ان سقطت تحت أقدام الغرب لا يمكن أن تنهض على أساس اعتناق مبادىء الغرب لانها ستفنى فيه ولا تجد حافزا يدفعها الى التخلص منه . **وانما النهضة الصحيحة لا تقوم الا على أساس التمسك بديننا وتقاليدنا .**

واننا يجب أن نجارى الغربيين فى الاخذ بأسباب القوة لأننا أحق منهم باتباع ما جاء به الاسلام وشرع هؤلاء المصلحون يبينون للناس أن الاسلام فى جوهره يختلف عما هو شائع بين العامة والجهال وعما تزعمه الطائفة التى ادعت لنفسها صفة الوصاية على الدين فاتجهوا الى تخليصه مما شابه من أوهام وما خالطه من معتقدات مفسدة وأخذوا يهاجمون البدع والخرافات والادعياء الذين يتاجرون باسم الدين وفى هذا يقول رئيسنا المفدى جمال عبد الناصر فى ميثاقه الوطنى .

« ومن عجب ان هذه الفترة التى ظن فيها الاستعمار والمتعاونون معه أنها فترة الجمود كانت من أخصب الفترات فى تاريخ مصر بحثا فى أعماق النفس وتجميعا لطاقات الانطلاق من جديد . لقد ارتفع صوت محمد عبده فى هذه الفترة ينادى بالاصلاح الدينى وارتفع صوت قاسم امين ينادى بتحرير المرأة وكانت تلك كلها مقدمة موجة ثورية جديدة ما لبثت أن تفجرت سنة ١٩١٩ » .

وقد تزعم الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده حركة الاصلاح الدينى والدعوة الاسلامية ، وقامت مدرسته تدعو الى أن الاسلام بعد اصلاحه هو خير الاديان من جميع الوجوه وأكثرها صلاحية للعصر الحاضر ، ولذا أخذ أنصار الامام واتباعه يعملون على اظهار صلاحية الاسلام فى كل مناسبة . وقد أظهروا فى هذا كفاية عظيمة ومقدرة على الابتكار ولم يجدوا صعوبة ما بين التوفيق بين نصوص القرآن وغيره من المصادر الاساسية فى الاسلام وبين أكثر الآراء العلمية تقدما فى العصر الحاضر .

وكان على رأس الاتباع الشيخ جاويش الذى قام يوفق بين الدين وحاجات الحياة والاستاذ عبد القادر المغربى الذى عمل على التوفيق بين الدين والمدنية « والشيخ طنطاوى جوهرى » الذى زاد عليهما بالتوفيق بين الدين والعلم ، وهو الداعية الاسلامى الذى نعنيه فى هذا المقال فقد كان السائح الشرقى اذا رحل الى مصر يسأل عنه كمفخرة من مفاخر مصر والاسلام ، وقد قرظ تواليفه فلاسفة الأمم الناهضة فرنسا وانجلترا وألمانيا وايطاليا ، وكان أهل «تركستان» يسمون مدارسهم وجامعاتهم وكتبهم باسمه فيقولون « جامعة طنطاوية » و « مدارس جوهرية » و « عقائد جوهرية » لما يرون فيه من رمز لحجة الاسلام .

ونعود فنقول ان مدرسة الامام استطاعت أن تحقق منهاج الاصلاح الذى رسمه ويقول البارون **«كراديفو»** فى كتابه **« مفكرى الاسلام »** فى الفصل الذى يبين فيه

المظاهر الرئيسية لتطور مصر الحديثة « **منها العناية الشديدة التى أظهرها رجلان من رجال الدين وهما الشيخ محمد عبده والشيخ طنطاوى جوهرى فى تمثيل الدين الاسلامى وتأثيره فى النفوس للنهوض بها الى التطور الحديث** » .

وقد ذهب « **هارتمان** » الى أن الشيخ طنطاوى من أتباع الامام محمد عبده وأيد ذلك العلامة « **تشارلز آدمز** » فى كتابه « **الاسلام والتجديد فى مصر** » حين ترجم للشيخ طنطاوى ككاتب له مؤلفات عدة فى نصرة الدين والدفاع عنه وأنه أحد تلاميذ الامام الذين عملوا على التوفيق بين المدنية الغربية والعلم الغربى وبين الحياة الاجتماعية والدينية فى مصر وجعلوا الكيان ذلك كله طابعا اسلاميا صحيحا .

بل قد أيد الدكتور «**هارتمان**» ما ذهب اليه بالموازنة بين آراء كل منهما فى مصنفاته فقال :

« **لقد فصل الشيخ طنطاوى وأسهب فى تفسير الآية « ١٥٩ » من السورة الثانية التى تبين آيات الله فى الكون وهى التى حركت همته الى درس العلم الطبيعى وهى نفسها احدى الآيات الاساسية التى استند اليها الشيخ محمد عبده فى الدعوة الى معرفة الله من آثاره فى الكون بدلا من الركون الى الجدل النظرى والمناقشات الكلامية** » .

ويردد الشيخ طنطاوى فى تفسيره لهذه الآية جميع الصيغ التى ألفنا وجودها فى تعاليم الاستاذ الامام مثل قوله : الاسلام دين العقل والفهم لا التقليد ، وان العلم اذا أحسن فهمه يصبح أداة صالحة لفهم الدين ، ومثل مناهضته للمغالاة فى تقديس الاولياء ، ومثل قوله بأن الاقتصار على اتباع مذهب واحد من مذاهب الفقه سبب للجمود والتأخر فى الاسلام ، وأن الاجتهاد هو خير حل لجميع العلل .

ونقول لو أراد الدكتور « **هارتمان** » التمادى فى هذه الموازنة لوجدها واضحة فى آراء الشيخ طنطاوى فى كتابه « **نهضة الامم وحياتها** » فقد كانت آراء كل منهما أقرب الآراء الى آراء حجة الاسلام الغزالى وأنهما أحاطا باللباب الجوهرى من أقوال الفلاسفة المسلمين .

ومباحثهما تدل على علم بآراء الفلاسفة المتأخرين من الاوربيين وان الامام محمد عبده ترجم عن الفرنسية « **كتاب التربية** » للفيلسوف سبنسر وكذلك فعل الشيخ طنطاوى حين ترجم «**كتاب التربية**» عن الانجليزية للفيلسوف كانت وكلاهما تحدث عن اصلاح الازهر **وتجد المشابهة واضحة بين رأيهما فى هذا الاصلاح اذا قرأت كتاب أستاذنا العقاد عن « محمد عبده » وما أورد فيه من آراء الامام فى اصلاح الازهر .**

ثم هو يقوم بدور المدافع عن الدين الاسلامى حين رد على ما يدور فى أنحاء أوربا والشرق من أن المسلمين متعصبون ودينهم ينفر من المدنية والحضارة وعلوم العمران الى آخر ما ردده « **كرومر** » حين قال ان الاسلام ناجح كعقيدة ودين ولكنه فاشل كنظام اجتماعى وقد رد الشيخ طنطاوى على ذلك فى كتابه « **نهضة الامم وحياتها** » ردا مفحما مؤيدا بالآيات القرآنية والتاريخ القديم والحديث كما فعل أستاذه الامام ، وكذلك انبرى للرد على ما شاع عن فرنسا فى أقطار المعمورة بأن لا دين لها وأن الشرف فى التغاضى عن دعوته فتحدث الناس بالاستغناء عن الدين بالوطن وقد أفاض فى رده على تلك المفتريات بما يحقق رسالة مدرسة الاصلاح الدينى .

وتحدث الامام محمد عبده عن الرشوة وكذلك فعل الشيخ طنطاوى حين ندد بالمرتشين بشتى الصور ، وتناول فى ذلك الحديث عن الزكاة والحكمة منها وأن الرشوة قلبت الامر فأدلى الفقراء بأموالهم الى الاغنياء والحكام .

وتحدث الاستاذ الامام عن البدع والضلالات ، ونرى الشيخ طنطاوى يتناول فى كلامه عن « **العقول والاوهام** » بعدم تصديق ما أوجبته قرانات الكواكب والمنامات والكهانة والشعوذة والاخبار بالغيب ونفى الاسلام عن الدجالين والكهان .

وكما كانت « **الفتوى الترنسفالية** » مثار ما كتبه الشيخ الامام فى لبس القبعة وأكل طعام أهل الكتاب وأداء الصلاة وراء كل امام يدين بالاسلام كانت «الرسالة القازانية » مثار اجابة الشيخ طنطاوى عن سؤال أحد شبان القازان الذى يقول « أبلغ علماء المسلمين المتقدمين النهاية فلا نفكر نحن بعدهم أم بقى لنا مجال للتفكير فى أمر الدين ؟ »

وكانت مقالاته الثلاث التى رد بها هى خير ما كتب عن العلوم التى نسبها الغربيون الى أنفسهم وهى من كتب العرب ، وقد جعل مقدمة مقاله ما كتبه « سديو الفرنساوى » فى هذا الشأن ، وفى مقاله الثانى يقول لقد أضاع الاسلام ملك ظالم وصوفى طامع وفقيه جاهل وأوضح كل ذلك ، وفى مقالته الثالثة يقول اذا أعوزتنا الايام الى ابرة أو مدفع مما عمل سوانا فذلك اثم كبير على المسلمين يعذبون به مرتين فى الدنيا والآخرة .

وقد دعا الاستاذ الامام الى تعلم اللغات الاوربية وكذلك دعا الشيخ طنطاوى الى تعليم اللغات الاجنبية مؤيدا دعوته بالبراهين .

ولعل فيما سلف من عرض موجز سريع ما يثبت أن الشيخ طنطاوى كان من مدرسة الامام محمد عبده ومن العاملين المفكرين المؤمنين بفريضة الاصلاح ورسالة التقدم وكان كأستاذه يكافح الجمود من جهة ويكافح التفرنج الذميم من الجهة الاخرى . وقد سلك سبيل الامام فى الدعوة الاسلامية فحارب أولا ما استولى على المسلمين من ضعف وفتور العزائم والانصراف عن الدنيا وعن مكافحة العدو والتخلص من الاستعباد بمقالاته وكتبه وخطبه ثم خروجه على الناس بحملة تقدمية كبرى فى تفسيره العلمى ثم برده على ما يتهم به الاسلام من أنه دين متخلف فأعرض عنه الشباب حتى جمع الشيخ بينه وبين أساليب العلم والمدنية ثم مشروعه الذى تقدم به لاصلاح الازهر ووصله بالحياة المعاصرة ثم تلك الفتاوى التى كان يرد بها على كل من سأله فى مشكلات الدين سواء فى الدروس أو فى الصحف ، وكذلك آراؤه التى كان يذيعها عن طريق الندوات التى كان يعقدها فى منزله أو منازل مريديه أو الجمعيات الدينية التى يعمل بها ثم اتصاله بالشرق عن طريق كتبه الدينية التى ترجمت الى كل اللغات الشرقية ثم كتاباته لكل علماء العالم وعظمائه فى الشرق والغرب واتصاله بكل وافد شرقى وبالشبيبة من أبناء الشرقين الاوسط والاقصى فى «جماعة الاخوة الاسلامية » التى أسسها لتجمع طلاب المسلمين من الشرق الاوسط ومن الشرق الاقصى .

كل هذه الوسائل التى سلكها المفكر الاسلامى الشامخ وغيرها جعلته على رأس القائمة حين يذكر دعاة الاصلاح الدينى فهو مسلم ارتفع اسلامه الحنيف عن القعود والتواكل وعن خزن ما فى صدره فعمل حتى لم يبق بلد شرقى يجهل مؤلفاته أو يغفل عما كان له من فضل مشكور وجهاد مبرور .

الوشيجة الخلقية بين الله والناس

فضيلة الشيخ عبد اللطيف السبكي

١ ـ حدثناك عن الوشيجة الروحية ـ بين الله والناس ـ فى مقال أول ثم حدثناك عن الوشيجة المادية كذلك بين الله والناس فى مقال ثان ونتحدث ـ اليوم ـ عن الوشيجة الخلقية .

ولئن كان الجانب الخلقى ناحية من الوشيجة الروحية ، فان لهذه الناحية شأنا وعناية خاصة بقدر فى نظر الدين من خطر هام فى قوام الحياة .

٢ ـ ومن آثار النبوة فى جانب الخلق قول النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ **تخلقوا بأخلاق الرحمن »** ، **وقوله كذلك « أقربكم منى مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا .. »**

وهكذا مما .. يدور على لسان الرسول والأنبياء والرسل من قبله . وهو ما يتجاوب مع آيات القرآن .

والقصد من أخلاق الرحمن ـ فى حديث الرسول ـ عليه السلام ـ الأخلاق المقتبسة من صفات الله ، ويجمل بالناس أن يتقلدوها تجاوبا مع دعوة القرآن : كصفة العدل ، والرحمة ، والعفو ، والحلم ، والكرم الخ .

وليست الصفات الخاصة التى يستأثر الله بها لنفسه ، ولا يأذن لعباده أن ينازعوه فيها : كصفات الألوهية ، والكبرياء ، والامتنان بالنعمة ، ونحو هذا من مظاهر سلطانه سبحانه .

٣ ـ وليس غريبا أن تكون لله ولرسوله عناية خاصة بناحية الخلق مما اشتملت عليه توجيهات الدين .

فان محاسن الأخلاق هى الغاية المنشودة أكثر من سواها بجانب العقيدة ، والعبادة

فما كانت العقيدة ـ التوحيد ـ فى حقيقتها الا لونا صادقا من ألوان الاخلاص لله فى العبودية له ، وافراده بوصف الألوهية والربوبية .

وبهذا الاخلاص يتمثل العبد ربانيا ، موحدا ، يعيش فى كنف الله وحده ، وعلى هديه ، وفى ظلال نعمته بعيدا عن الضلالات ، والأباطيل فى دينه ، وعن التخبط فى دنياه .

وما كانت العبادة : من صلاة ، وزكاة ، وصوم ، وحج ، ونحوها من ضروب الطاعات الا اعرابا — كذلك — عن العقيدة الخالصة المضمرة فى دخيلة النفس ، ووسيلة ظاهرة ، تتجلى بها علاقة الانسان بربه ، وتتهذب بها نفسيته ، وتكون رابطة له بالناس من طريق التجانس الروحى ، والالتفاف معهم حول راية التوحيد : فى تماثل منسجم ، ينتظمه منهج الدين فى الأقوال ، والأعمال .

٤ — وحينما يدين الناس ، أو كثرة منهم بعقيدة التوحيد ، ويتأثرون بها فى الاتجاه الصحيح على منهج العبادة المرسومة ، والأخلاق المنشودة : ترى مسالك الناس فى الحياة غير متنافرة ، وترى أخلاقهم متلاقية فى اطارها الدينى ، ومتشابهة فى طابعها الاسلامى المعتدل .

وترى اهدافهم فى الدنيا بعيدة عن الانانية ، والطغيان ، وروح الاخاء غالبا عليهم .

وفى هذا المحيط تكون وجهتهم الى الله ، والى الدنيا على سواء ، وعلى صراط مستقيم وهذه ثمرات التدين فى المظهر الخلقى الذى يهدف اليه الدين فيما وضع من تشريعات ونظم .

فلا يكون مبالغة منا ازاء ذلك أن نعتبر الخلق وشيجة بذاتها بين الله وبين الناس .

٥ — ثم اذا حاولنا استيعاب الأخلاق التى التى تعتبر مدارج للكمال الانسانى فسيطول بنا الحديث على القارىء ، ونحن نرمى الى تقريب الهدف دون شطط .

فحسبنا أن ننظر فى اجمال الى ناحية القرآن ، وأن نلتفت الى شخصية الرسول ، وليس بعد ذلك منهل نطمع منه فى المزيد .

أما القرآن فقد عنى بتربية الفرد والجماعة على غرار كريم ، ولم يقف بنا عند جانب التعبد فى رسومه القولية ، والعملية .

بل هذب اللسان ، والجوارح ، والسريرة ، وصاغ للانسان قالبا مثاليا اذا شاء لنفسه الخير ، واختار لها الوضع الكريم .

هذب اللسان عن الخوض بتتبع العورات ، وعن التنابز والمعايرة بالألقاب والأسماء المثيرة لشىء من الخجل ، كما كان يفعل سفهاء قريش ، بل كف اللسان عن مجرد الكلام واللغو الذى لا يكون مجديا ، ولا ضارا ، ومع ما فى القرآن من آيات تفصيلية تخص كل شأن من هذا كله .

فقد جمع الله كل ذلك فى قوله — سبحانه — « **يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا** — صدقا نافعا — **يصلح لكم أعمالم ، ويغفر لكم ذنوبكم ..** »

كما شنع على غير المسلمين بما تقولوه من اسفاف « **وانهم ليقولون منكرا من القول وزورا ..** »

والنبى — صلى الله عليه وسلم — يجمع مثالب القول فى نهيه الرشيد فيقول : « **من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا ، أو ليصمت — ليسكت** »

وكذلك هذب القرآن بقية الجوارح ، فنهى عن النظرة الخائنة .. وهى النظرة الى ماحرم الله من الأجنبيات ، ونهى عن الغمز بالعين نحو الغير للغض من شأنه ، وعن اللمز بما يفيد السخرية ، ونهى عن قضاء شهوة البطن ، أو الفرج من غير حلال .. وهكذا .

وعنى القرآن بتربية الضمير ، وتنقية السرائر من الحقد ، والنفاق ، والمكر ، والخداع وسوء الظن بالناس دون سبب يقتضى هذا .

وكثيرا ما يتحدث القرآن عن مناقب الأخيار . وفضائل المتخلقين بالمكارم ، ويصفهم بأوصاف ميمونة .

فهم الكاظمون للغيظ ، وهم العافون عن الناس مع قدرتهم على الانتقام ، وهم الموفون بعهدهم اذا عاهدوا ، وهم الصابرون فى البأساء والضراء .. وهكذا من مكارم لا يجهل قيمتها أولوا الألباب .

٦ — وانه ليكفينا عن الاسهاب أن نرجع الى شخصية الرسول — صلى الله عليه

وسلم – فانه المثل التطبيقى لكل ما ذكر القرآن من مكارم .

وقد تفضل الله على محمد – عليه السلام فأضفى عليه من الكمال ما لم يكن لبشر قبله ، ولا مطمع فيه لأحد بعده ، حتى صار محمد – وحده – فى أعلى مشارف الانسانية ، وعلى درجة من السمو لا ترقى اليها نقيصة .

وأدرك هو من أمر نفسه أن الله بوأه فى الخلق مقاما علويا ، ، فكان يتحدث بهذه النعمة ، ويقول : **« أدبنى ربى ، فأحسن تأديبى »** .

ثم شهد الله له شهادة لم يظفر بها قبله انسان **« وانك لعلى خلق عظيم »** .

وبهذه التزكية يكون محمد أسبق الناس فى الحظوة الكمالية من جانب الله ويكون القدوة لمن عداه من الناس ، والناس بحاجة فطرية الى القدوة التى تدنيهم من الخير ، وتجتذبهم اليه ، وتحببه الى نفوسهم ، فان للتقليد أثره الايجابى فى مسالك الانسان ، خيرا كان الأثر ، أو شرا .

وهذا ما رسمه الله لنا فى قوله تعالى : **« لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر »** .

وفى قوله على لسان رسوله : **« .. ان كنتم تحبون الله فاتبعونى ، يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم ، والله غفور رحيم »** .

وما يعدل عن القدوة بمحمد فى خلقه ، وفى كل شمائله الا مرذول ، ناقص التفكير .

وكل انسان جانب محمدا ، ولم يفطن الى كماله ، أو زعمه مشوها بنقيصة فهو الناقص – ولا شك – وهو البعيد عن هداية الله كما ابتعد عنها وشط فى ضلاله ابليس .

والله تعالى يسجل ذلك فى قوله لمحمد : **« ان شانئك هو الأبتر »** . يعنى ان من يفضبك ، ويجهل قدرك هو الناقص فى مداركه وفى حظه ، وفى كل ما يرفع من شأنه .

٧ – هذه المامة موجزة ، ولكنها فضفاضة الجوانب ، وفيها من التزكية ما يتسع للاسهاب الصادق عن محمد صلى الله عليه وسلم – ولا اسهاب فى جانب انسان اصطفاه ربه خاتما لمن اختارهم لرسالته ، وخصه من بينهم بمحبة ، وتزكية ، وتكريم وحسبك ان الله يضفى عليه من صلاته

وحسبك ان الله يضفى عليه من صلاته ورحمته ، ومن صلاة الملائكة وتمنياتهم له ما لا ينتهى فيضه من جانب الله .

وحسبك أن الله أوجب علينا أن نصلى ونسلم عليه فى اخلاص له ، وايمان به مما يركز ايماننا به ، وبشريعته ، ويقربنا الى الله .

« ان الله وملائكته يصلون على النبى يأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما »

وقد تنبه واحد من علماء اليهود يوما الى كمال النبى فى أخلاقه ، والى تقدير الصحابة له فقال للامام على – رضى الله عنه – : هل تستطيع أن تصف لى أخلاق محمد » ..

فقال له على : وهل تستطيع أنت أن تصف لى متاع الدنيا ؟

فأجاب اليهودى ان وصفى الدنيا فى متاعها مستحيل .

فقال له على : ان وصف الدنيا فى اعتبارك مستحيل مع أن الله الذى خلقها يقول عنها : « قل متاع الدنيا قليل » .

فكيف تطلب منى أن أصف لك أخلاق محمد ، وقد قال الله فيه : « وانك لعلى خلق عظيم » .

فكان هذا جوابا كافيا فى اقناع اليهودى .

٨ – فرض الله على الناس أن يقتدوا بمحمد .. حتى منعهم أن يتقدموه فى الحديث حين كان حيا فيهم ، ومنعهم من أن يسبقوه الى عمل فى الدين لم يكن عمل به وفرض عليهم ، الا يرفعوا أصواتهم فوق صوته فى الحديث معه .

بل منعهم من أن يجهروا له بالقول كما يجهر بعضهم لبعض .. وحذرهم أن ينحرفوا عن

ذلك ، لئلا يكون هذا الانحراف محبطا لأعمالهم الطيبة ، كما يحبط الكفر أعمال الكافرين :

« يأيها الذين آمنوا ، لا تقدموا بين يدى الله ورسوله ، واتقوا الله ، ان الله سميع عليم .. يأيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى ، ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون » .

هذا جانب من الاشادة بالرسول ، وفيه توجيه الى ناحية الأدب معه فى الحديث ، بحيث لا يكون رفعا لصوتهم فوق صوته ، ولا جهرا مثل جهر بعضهم لبعض ، ويكون المطلوب غضا من الصوت حتى يكون خافتا عنده وقد صار هذا الأدب شعارا اسلاميا بين الصحابة وامتدحهم القرآن به ، **« ان الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله ، أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى ، لهم مغفرة وأجر عظيم »** يعنى : هؤلاء هم الذين محض الله قلوبهم من شوائب النفاق ، والنقص ، وجعلها مقرا للايمان الخالص ، وللتقوى ، وهؤلاء استحقوا بسبب تأدبهم مع الرسول مغفرة الله وأجره العظيم .

والقدوة بالنبى ، وبما كان من سلف الصحابة معه تقتضى أن نسير على هذه الجادة فيما نتخلق به حين زيارتنا لروضته ، وحين جلوسنا فى مجلس حديثه ، والاستماع الى سنته ، فان هذا هو الأدب نحوه حيا وميتا .

بل هذا شعارنا نتخلق به فى أوساطنا ، ومع أولى العلم ، وأصحاب المقام فينا ، ليكون ذلك النمط ظاهرة من ظواهر الأدب الاسلامى المطلوب ، وهو المقصود من حكاية القرآن لما يحكيه .

٩ – ومن هذا كله يتبين أن الخلق الكريم ركن اصيل فى كياننا الدينى وفى قوام الحياة الاجتماعية .

ولايكفى لامرىء منا أن يتعبد وهو سىء الخلق ، ولا يسوغ أن يزعم المسلم لنفسه مكانة عند الله ما لم يكن متجملا بكرم الخلق كما كانت القدوة فى محمد – صلى الله عليه وسلم – .

وربما كان الخلق الطيب موروثا من أبوة ، أو أمومة أو كان مكسوبا من تربية ، أو من مخالطة فى البيئة ، فيكون خلقا محمودا فى ذاته ، ومقبولا فى المجتمع ، وتكون لصاحبه شخصيته الكريمة .

ولكن الخلق لا يكون صحيحا دائما ، ولا قائما على أصول حقة الا اذا كان قبسا من الدين ، ومستمدا من جانب الله فيما شرع ، فان ذلك هو التوجيه الرشيد المأمون .

وربما كانت للمرء عبادة كثيرة ، ويكون بها مغرورا فى نفسه ، ولكنه فى الخلق على غير ما يهدى اليه الدين . فيذهب هذا بذاك ، ويكون العمل باسم الدين هباء منثورا .

قال الصحابة يوما لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – ان فلانة تعبد الله كثيرا لصلاحها ، وتقواها ، فحكم النبى بظاهر هذه الشهادة ، وقال : انها من أهل الجنة .

فقالوا له : ولكنها تؤذى جيرانها ، فألهمه الله الحكم الحق وقال : انها من أهل النار .

فانظر كيف ضاعت العبادة فى هوان ، بسبب سوء الخلق .

فاللهم : اصلح شأننا ، وحسن اخلاقنا ، كما حسنت خلقتنا .

القلب في الطب وفي القرآن

الدكتور ابراهيم حسن

القلب آية من آيات الله في الجسم وكم لله من آيات في جسم الانسان . القلب عضلة تختلف فى تركيبها عن العضلات الارادية كما تختلف أيضا عن العضلات اللا ارادية فهى اذن بين هذه وتلك . والقلب ينبض منذ وجوده فى جسم الجنين فى بطن أمه ويستمر ينبض كذلك حتى آخر رمق من حياة الانسان . انه لا يكف عن النبض لا ليلا ولا نهارا ولا يمكننا بحال من الاحوال أن نوقفه نهائيا عن النبض مادام فيه حياة ومادام يجد الغذاء اللازم لاداء هذا المجهود المستمر .

فلو فصلنا القلب عن الجسم فانه يظل ينبض بصفة منتظمة ، وهذا يحدث يوميا مع طلبة الطب والصيدلة فهم يفصلون قلب حيوان كالضفدعة أو الارنب ويعلقونه فى جهاز خاص ويمدونه بالغذاء اللازم فيستمر فى نبضاته ثم يجرون عليه من التجارب ما يشاءون فيضعون عقارا يزيد فى عدد نبضاته أو آخر يزيد فى قوتها وهكذا . ويمكن أن تستمر التجربة ساعات بل يمكن أن يظل القلب ينبض أياما بل شهورا أو سنين .

ولو قطعنا القلب قطعا صغيرة فان كل قطعة منه تظل تنبض بصفة منتظمة طالما وجدت الظروف الملائمة والغذاء الكافى .

لقد حار الطب فى معرفة سبب نبضات القلب وعضلاته المقطعة ولكن الطب يقول انها خصائص خلقية فى عضلة القلب فارغة يظل ينبض حتى ولو أبعد عن الجسم أو عن سيطرة الاعصاب عليه وله خصائص أخرى كثيرة يعرفها الاطباء ولا مجال لشرحها فى هذا المقال .

أما وظائف القلب فقد عرفها الطب بعد تجارب لا تحصى وعرف أن وظيفة القلب الرئيسية هى وظيفة ميكانيكية آلية بحتة فهو يتلقى دما غير نقى من جميع أجزاء الجسم تصل الى الاذين الايمن للقلب ثم تدفع الى البطين الايمن الذى يدفع الدم بدوره الى الرئتين حيث ينقى ويخزن من الرئتين نقيا يصل الى الاذين الايسر ومنه الى البطين الايسر الذى يدفعه الى الشريان الابهر أو الاورطى حيث يوزع على جميع أجزاء الجسم .

ان هذه العملية تهيمن عليها مراكز عصبية فى المخ عن طريق أعصاب خاصة تصل الى القلب . ولكنها على كل حال عملية آلية محضة .

ولقد استطاع العلماء استبدال هذا القلب بآلة ميكانيكية غيره تقوم بوظائفه أثناء اجراء العمليات على القلب وسميت بالطب الشرعى . وهى تقوم بوظيفة القلب تماما لمدة طويلة .

ان هذا القلب لا يعقل ولا يفقه ولا يبصر ولا يدرك أنه غير القلب الذى أشار اليه القرآن فى قول الله تعالى : « فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور » . حتى ولو حدد مكان القلب بأنه فى الصدر ، لان القلب الذى يفقه والذى يعقل والذى يبصر موجود فى الجسم كله ولذلك يقول الله تبارك وتعالى : « ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه » .

ان القلب الذى يعنيه القرآن هو تلك القوة المدركة فى الانسان العاقلة المدبرة السميعة المبصرة ، ان هذه القوة لو تركت الانسان فانه لا يسمع ولا يبصر ولا يعقل ولا يدرك رغم سلامة حواسه وسلامة صلتها بالمخ ومراكز الاحساس .

فالنائم لا يسمع كلام من حوله ولا يفهمه ولا يدركه رغم سلامة أذنيه وسلامة أعصابها ومراكز احساسها وهو كذلك لا يبصر . فلو فتحنا عينيه ووضعنا أمامهما صورة فانه لا يبصرها ولا يعرف أنها وضعت أمامه وذلك رغم سلامة عينيه وسلامة أعصابهما ومراكز احساس البصر فى المخ ولكنه لو استيقظ أو أوقظ عادت اليه القوة المدركة فيسمع ويرى .

ان القوة المدركة فى الانسان لم يتعرض لها الطب ولا يعرف عن كنهها شيئا فالطب يعرف أداة السمع وأداة البصر وأداة الشم والذوق والاحساس ويعرف تركيب كل منها جيدا وطرق اتصالها بالمخ ولكنه لايعرف كيف انها هى التى تدرك .

ان القوة المدركة فى الانسان التى حار فيها الطب حار فيها أيضا الفلاسفة والعلماء والناس أجمعون ، انها الروح « ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى » انها النفس ، انها العقل انها السر انها كل ما أشار اليه الفلاسفة والمتصوفة .

ان ماهيتها لا تدرك وان كنا عرفنا شيئا من حقائقها . انها اذا فارقت الانسان كانت حياته كحياة النبات ، ويحدث ذلك عند النوم ، فالنائم فى حكم الميت تماما : « وهو الذى يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار » « الله يتوفى الانفس حين موتها ، والتى لم تمت فى منامها .. » ولذلك تسقط التكاليف عن النائم حتى يستيقظ .

دعنى أصور لك هذه القوة المدركة هذه الروح أو النفس أو العقل ، انها فى جسم الانسان بلا تحيز ، انها كالنور الذى وضع داخل زجاجة فان كانت الزجاجة معتمة لم يظهر من هذا النور شىء ، وان كانت شفافة ظهر النور فيها وخارجها فهل هذا النور اتصل بالزجاجة أو انفصل عنها أو تحيز فيها كلا .. انه لم يتصل بها ولم ينفصل عنها ولم يتحيز بها ، لانه لطيف وهى كثيفة واللطيف لا يحس ولا يمس ولا ينظر ولا يسمع ولا يتحيز ولا يتميز ولا يحتاج الى مكان بل ولا يحده الزمان ولا المكان .

ولو أدركنا حقيقة هذه القوة المدركة أو هذا النور لكان ذلك هو الباب الى معرفة الله « من عرف نفسه عرف ربه » .

ولقد أشار الى ذلك العارف بالله سيدى المعز بن عبد السلام بعبارة لطيفة مبسطة فقال :

« اذا عرفنا أن الروح فى الجسد ليس شىء أقرب اليها من شىء ، وليس شىء أبعد عنها من شىء عرفنا أن الله فى الكون ليس شىء أقرب اليه من شىء ، وليس شىء أبعد عنه من شىء »

ولو عرفنا أن الروح فى الجسد واحد علمنا أن الله واحد لا شريك له .

ولو عرفنا أن الروح فى الجسد لا تعلم أن لها ماهية ولا كيفية علمنا أن الله سبحانه وتعالى لا تعلم له ماهية ولا كيفية .

ولو عرفنا أنه لا يتحرك جزء من الجسد الا بعلم الروح وارادتها علمنا انه لايتحرك شىء فى الكون الابعلم الله وارادته .

ولو عرفنا أن الروح فى الجسم ليس مكانا ولا يخلو منه مكان علمنا أن الله ليس له مكان ولا يخلو منه مكان تنزه سبحانه وتعالى عن المكان .

ولو عرفنا أن الروح لا يمكن أن يوصف بأنه متصل بالجسم ولا ينفصل عنه علمنا كذلك أن الله سبحانه وتعالى لا وصف بأنه متصل بشىء ولا منفصل عن شىء ولا حل فى شىء سبحانه وتعالى .

الى غير ذلك مما أشار اليه العارف بالله فى كتابه المسمى « زبد خلاصة التصوف » .

ولا جدال فى أن القوة المدركة أو الروح أو العقل أو النفس هى سر من أسرار الله أودعه فى الانسان وهى المهيمنة على حركاته وسكناته وانها اذا تجردت عن الجسم فانها تسمع بكل أجزائها وتبصر كذلك بكل أجزائها وتشعر كذلك بكل جزئياتها انها الحاسة السادسة التى يتكلم عنها علم النفس والتى عرفها كثيرون وشعر بها كثيرون وآمن بها كثيرون .

وفطن الى خصائصها المتصوفون بل عرفوا عنها الكثير وذلك بعد أن شفت أجسامهم التى مثلناها بالزجاجة بأن جلوا هذه العتامة وهذا الصدأ وهذا العفن الناتج عن الصفات المذمومة سواء الحسية كالبخل والجبن والفتنة والنميمة وغيرها أو المعنوية كالحقد والحسد والغل وغيرها . وأحلوا مكانها السخاء والشجاعة وحسن السيرة والمحبة لجميع خلق الله .

لقد تخلوا عن الصفات الذميمة وتحلوا بالصفات الحميدة فشفت الاجسام وظهرت أنوار الروح واضحة فكان كشف الحجاب وكان العزوف عن الدنيا وزينتها وكان العلم اللدنى الاختصاصى وكان الصفاء وكان الاحتياط وكان الانصراف عن المبانى وتذوق المعانى وكان اختفاء العبارات والاكتفاء بالاشارات فقد لاحت لهم بوارق لا تدرك بما سطر فى الأوراق لأنها أذواق . لقد عرفوا فسكروا وجدوا واجتهدوا وصابروا وصبروا حتى انتهوا منتهى علم ومعرفة

وكوشفوا ببديع السر اعلانا
يرون فى الناس سكرى من معارفهم
كذلك من عرفوه راح سكرانا

اما اذا اعتلت تلك القوة المدركة واذا ما ضلت هذه القوة العاقلة عميت عن سواء السبيل « فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا » .

بل ان اعتلال هذه القوة له أثر على جسم صاحبه ، ولو أردنا أن نسرد ما ينجم عنه لاحتجنا الى كتاب ضخم يحوى أكثر الامراض التى يعانى منها الناس فى الوقت الحاضر مثل ضغط الدم ومرض السكر والربو والارتكاريا والاكزيما والصدفية فى الجلد وتصلب الشرايين والجلطة فى القلب أو المخ وجميع الامراض النفسية التى لايظهر لها أثر واضح على أعضاء الجسم وكلها أمراض ثبت أن سببها الاقوى نفسانى وانها لا تحدث لنفس راضية مطمئنة . فالقلب الذى عناه الله فى كتابه العزيز هو القلب الذى عناه الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله : « ان فى الجسم لمضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسم كله ألا وهى القلب » .

الإسلام والمذاهب الاشتراكية

الدكتور محمد على أبو ريان

لقد أحس لفيف من قادة الفكر الاسلامى المعاصر بأن الشباب المسلم فى هذا الجيل يواجه ضغطا متزايدا من التيارات الفكرية الأجنبية الغربية على معتقده الدينى ، فكان لزاما عليهم أن يكشفوا القناع عن اتجاهات هذه التيارات وأهدافها ، وقد تناول بالفعل كتابنا هذا الموضوع بالدراسة المستفيضة ، وأشاروا الى أن الاستعمار وغوائله يكمن وراء حركة التهجم على الدين وتعطيل شعائره ، تارة بحجة تطعيمه بمناهج العصر ونظمه وتارة أخرى بحجة التحرر الفكرى من أى سلطة غير سلطة العقل .

والذى يعنينا فى هذا المقال هو أسلوب المقارنة الخبيث بين الاسلام وغيره من الأديان حينما تواجه فكرة الدين بمفهومها العام بتحد سافر من دعاة الالحاد الخارجين على سلطة السماء ، فليس الاسلام كالمسيحية مثلا فيما يتعلق بالموقف العقائدى والظروف التاريخية ، وعلى هذا فان اخضاع دراسة الأديان جميعا لمنهج واحد لا يحترم الاختلافات البارزة والسمات المشخصة لكل دين على حدة ، كما يفعل علماء ((**الدين المقارن**)) أو فلاسفة الأديان انما يتضمن مغالطة صريحة مصدرها هذا ((**التعميم**)) الذى لا يتفق مع حاجات الدراسة العلمية الحقة .

ومن قبيل ذلك التعميم الذى يحمل فى ثناياه خطرا جسيما على العقيدة الاسلامية ما يدعيه نفر من المتشدقين بقشور الثقافة الغربية من أن الدين فى جوهره معارض للنزعات الاشتراكية القائمة على الالزام القانونى ، وأنه انما يقترب بعض الشىء من اشتراكية الخير أو الاحسان كتلك التى نادى بها ((**السانسيمونيان**)) فى فرنسا ، وكذلك أضرابهم من دعاة المدن الفاضلة .. والمخططات الخيالية البعيدة عن الواقع الاجتماعى والسياسى للشعوب .

وقد حمل دعاة اشتراكية اليسار المتطرف الشعار المعروف ((**الدين أفيون الشعوب**)) ، ووقف الاشتراكيون الغربيون من الدين على وجه العموم موقف الحذر والريبة والشك ، والمعتدلون منهم أظهروا عدم الاكتراث بمسلماته ، والتزموا منه موقفا حياديا لا يتسم - على الاقل - بطابع التحدى والمعارضة .

هذه المواقف فى مجملها تجمعت منها الخطوط العريضة بصورة رجل الدين الغربى كأنه أداة فى يد الرأسمالية تستخدمه لتخدير ارادة الطبقات الكادحة حتى ترضى بأوضاع الاستغلال البغيضة القائمة فى الدنيا ، وتقنع بما ينتظرها من سعادة الآخرة ، وقد أراد المتشدقون ان تنسحب هذه الصورة المضللة على رجل الدين أينما كان وفى جميع الأديان على السواء ، ولكن الظروف التاريخية للحركة الدينية فى الغرب لها ملابساتها التى أدت الى تكوين هذه الصورة التى ما زالت عالقة بأذهان الاشتراكيين الغربيين المعاصرين وعلى الأخص لدى دعاة المادية التاريخية منهم . وليس من الانصاف فى شىء أن يزج بالاسلام تحت هذا المفهوم الخبيث .. فضلا عن أننا هنا فى الوطن العربى نعتنق ايديولوجية اشتراكية عربية غير منقولة عن الغرب بل تنبع من ظروفنا ومن واقعنا الفكرى والروحى والاجتماعى ، **وقد أشار السيد الرئيس مرارا الى أن أهم ما تمتاز به اشتراكيتنا العربية انها اشتراكية تؤمن بالقيم الروحية وتضع الدين فى مرتبته السامية المرموقة كأساس وكحافز للتطور الاجتماعى .**

ونحن اذا رجعنا للظروف التاريخية للدين فى الغرب وجدنا أنها تختلف عن الظروف التاريخية للاسلام فلا يغيب عن بالنا حركة الاضطهاد الدينى فى أوروبا ومذابح البروتستانت والتنكيل بهم أينما كانوا ، ثم الصورة البشعة لمحاكم التفتيش وديوانها الذى كان يتعقب رواد الفكر ورواد العلم الاوائل من أمثال غاليليووكوبر نيتس ، بل كان وراء حملات الارهاب والتنكيل بفلول المسلمين الذين غلبوا على أمرهم فى أسبانيا بعد سقوط غرناطة .

وليس من شك أيضا فى أن الثورة الفرنسية العارمة ضد الاقطاع والملكية الفاشمة كان من أهم أسبابها تحالف رجال الدين مع الرجعية الغاشمة واستغلال رجال الدين لوظائفهم الروحية فى الاثراء على حساب الشعب باصدارهم لصكوك الغفران ومساندتهم للحكام فى ارتكاب أبشع الجرائم ومباركتها باسم الدين . وعلى هذا فقد لفظت الطبقة الوسطى التى تزعمت الثورة الفرنسية ، الدين ورجاله .

وتلفتت الطبقات الكادحة بدورها فى القرن التاسع عشر ابان الثورة الصناعية فلم تجد لها نصيرا فى مواجهة عنت الرأسمالية واذلالها للعمال ولم تجد نصائح الاشتراكيين الخياليين فتيلا فى اصلاح الموقف ، وازداد رجال الدين ارتباطا بعجلة الرأسمالية بحيث أصبح الموقف ينذر مرة أخرى بالثورة على الدين فى شخص رجاله الذين ربطوا مصيرهم بعجلة الرأسمالية ، وكان أن انفجرت الشرارة الفكرية المدمرة للقيم الروحية ، وذلك فى صورة مذهب كارل ماركس ، ثورة عارمة ضد المسلمات الدينية ، واهدار للقيم الدينية ، واهمال لأماكن العبادة ورجال الدين .. الخ ..

لقد تبين لنا اذن كيف أدت الظروف التاريخية للدين فى أوروبا الى وقوف الاشتراكية موقف الانكار له والتحدى لرجاله ، فأين هى اذن أمثال هذه الظروف بالنسبة للاسلام ؟!

لقد عاصر الاسلام الحركات التحررية فى العالم العربى ، ووقف سندا ونصيرا للشعوب المهضومة الحق فى مختلف العصور ، أليس رجال الدين الاسلامى هم الذين حموا العالم العربى من همجية التتار .. وذلك بتنفيرهم الناس للجهاد بل وشاركتهم فيه ، وفى الحروب الصليبية لم يكن دورهم بأقل من ذلك الدور . وفى عصور الظلام فى مصر لم يكن يجد الشعب ملاذا له فى مواجهة قسوة حكم المماليك واستبدادهم سوى رجال الدين الذين سجل لهم التاريخ مواقف مشهورة فى نصرة الشعب .

وحينما غزا الفرنسيون مصر قام رجال الدين على رأس الحركة الوطنية ، فأسماء الشرقاوى وكريم وعمر مكرم قد سجلها

تاريخ الكفاح فى مصر بحروف من نور .. وفى عصر محمد على كان رجال الدين هم الذين تحملوا عبء الدفاع عن الشعب المصرى ولسنا فى حاجة الى أن نذكر مواقف رجال الدين فى الحركة العرابية وفى ثورة سنة ١٩١٩ .

وفى نطاق العالم الاسلامى نجد صورا عديدة تؤكد قيام رجال الدين الاسلامى بواجبهم فى مناصرة قضايا الشعوب سياسيا واجتماعيا . ولسنا ننسى فضل جمال الدين الافغانى وهو رجل دين أولا على الحركات التحررية فى العالمين الاسلامى والعربى .

واذا تطلعنا الى صور الكفاح الاجتماعى والسياسى فى العالم الاسلامى فى أيامنا هذه ، فاننا نجد الاسلام ورجاله فى ايران مثلا يقاومون حكم الشاه الظالم المستبد الذى ما فتىء يزج فى السجون بالعشرات من اتباع الكاشانى الذى ربط الكفاح الوطنى والاجتماعى بالعقيدة الدينية ، ولم تغب عن ذاكرتنا حوادث العراق وقومة كربلاء والنجف وعلمائها انتصارا للشعب وحقوقه فى عهد قاسم الطاغية .

وأينما ولينا وجهنا فى العالم الاسلامى المعاصر فاننا نجد الاسلام يساير ركب الحضارة ويسند الحركات التحررية والاجتماعية ، رغم ما يوجهه البعض من انتقادات سطحية ترجع الى أن أصحابها انما يتلهفون على حدوث الطفرة فى المضمار الحضارى ، وهذا أمر قد يؤدى الى النكسة اذ التعديل أو التطور لا بد من أن يخضع لمنطق كامن يستشفه العقل وتؤيده التجربة .. أما الاندفاع والتسرع فلا ينتج عنهما سوى الضياع والتخبط والارتماء فى أحضان حضارات زيفاء تسلبنا أسمى قيمنا الروحية .

والامر الذى لا مراء هو أن الاسلام كدين له تاريخه الطويل ، ممثلا فى خيرة رجاله الذين تحمل لهم الشعوب الاسلامية ذكريات مجيدة ونحن انما نقول فى حكمنا هذا على الغالب الأعم ، وعلى هذا فحينما رفعت أعلام الاشتراكية فى مصر لم نجد من يدير ظهره للدين ولم يجرؤ داعية واحد على أن يقف موقف التحدى أو المحاسبة لرجال الدين لا بسبب سلطتهم الروحية بل لأن تاريخ الحركة الدينية هنا يتضمن سجلا مشرفا وأمثلة رائعة للبطولة والبذل .. فلا مجال اذن للمقارنة بين ظروف الدين فى العالم الغربى وظروفه هنا فى مواجهة الاشتراكية ، فالأمر مرتبط بالاحداث التاريخية التى عاصرت الدين هنا وهناك ، وهى التى حددت موقف الاشتراكيين منه سواء فى الغرب أم فى الشرق الاسلامى .

دول
إسلامية فى
أفريقيا

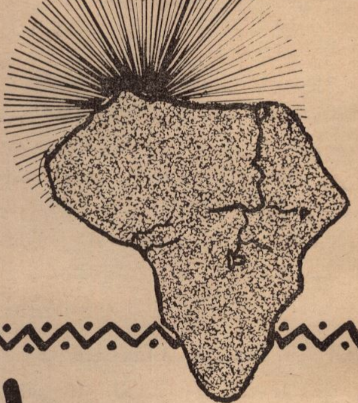

اليوروبيون

الأستاذ عبده بدوى

يذكر المؤرخون أن « اليوروبيين » من الكنعانيين ، ويذكرون أنهم قدموا الى « نجيريا الحالية » من الجزيرة العربية ، واليوربيون أنفسهم يذكرون فيما يذكرون أنهم قدموا من مكة ، ومن صعيد مصر ، وقد يعممون فيذكرون أنهم قدموا من الشرق .

على أن مايرتاح اليه كثير من المؤرخين انهم قدموا من احدى المناطق التى كانت متأثرة حضاريا بمصر القديمة ، ويدل على هذا أنهم يشبهون فى طرق الدفن تلك الطرق التى كان يتبعها قدماء المصريين ، وأن الوطنيين كانوا يعبدون فى أول الأمر ملوكهم ، كما كانوا يعبدون الشمس ، ويذهبون الى الاعتقاد فى أن الأرواح باقية ، وأنها بعد أن « تغيب » عن الحياة تعود الى الشمس « لتسطع » من جديد .

ولعل ما يؤكد هذا أيضا أن الملك كان يلبس قناع كبش ، وأن السكان كانوا يستخدمون البرونز ، والنحاس ، والحديد نفس الاستخدام وبنفس المهارة التى كانت معروفة عند السكان على امتداد النيل .

وقد حدد البعض « منطقة التأثير » هذه بمنطقة « كوش » التى كانت تقع جنوب مصر ، وأن فجر الرحلة قد بدأ عن هذه المنطقة فيما بين عامى ٦٠٠ ، ١٠٠٠ بعد الميلاد ، ولعل مما ساعد على هذا سقوط الدولة « المروية » بالسودان ، **على أن ما يلتقى عنده المؤرخون هو أنهم لم يكونوا من أصل زنجى ، وأن ماحدث**

من التلقيح بعد ذلك كان من أثر المخالطة والاندماج في الزنوج بعد عملية التحرك التى بدأت من النيل .

وقد استمر هؤلاء فى سيرهم حتى وصلوا الى مدينة « ياربا » Yarpa بمعنى أن رحلتهم كانت من نهر الى نهر ، أو بمعنى آخر من النيل الى النيجر ، ومعهم فى كل ذلك تأثرات من أمون ، ومن تقاليد الناس فى هذه المنطقة .

والرأى معقود على أن هؤلاء « اليوربيين » قد عاشوا حياة خصبة فى هذه المنطقة التى يمكن تحديدها حديثا الآن بما بين مصب النيجر شرقا ، وبين داهومى غربا .

ولكن هذا البريق الذى حملوه من الحضارة المصرية القديمة ، ما لبث أن خفت ، وأصبحت الحياة من حولهم جافة وقاسية ، وغير جديرة بأن تعاش ، ذلك لأن الناس كانوا فى حاجة الى نوع من « الرحابة النفسية » والى تفتيح نوافذ جديدة فى حياتهم حتى تكون الحياة جديرة بأن تعاش .

وقد تحقق هذا فى واحد من دعاة الحوصة فى القرن الحادى عشر ، فقد أراد اكتشاف هذا العالم الغريب فى الجنوب ، وأراد أن يحدث ولو ثقبا صغيرا يمكن أن يتسرب منه الاسلام ، وكان أن ساقته قدماه الى مدينة « ايف » الوثنية ، وفى قلب هذه المدينة القاسية كان يرفع صوته بآيات من القرآن ، وببعض الأحاديث النبوية ، ثم يرفع صوته اخيرا ليقول : (هلم نعبد الله الذى خلق الجبال والوهاد وخلق كل شىء وخلقنا !! »

ولكن كل هذه النوايا الطيبة قد ذهبت بددا لأنه كان يتكلم بالعربية وبالحوصية ، وهكذا وقفت اللغة دون حماسة للاسلام الى أن عثر عليه ميتا فى أحد منازل مدينة « ايف » ومن فوقه نسخة من القرآن الكريم .

على أن الأمر لم يقف عند هذا ، لأن كثيرا من الحوصيين والفلانيين قد طرقوا البلاد كتجار ودعاة ، مما دعا الملك الوثنى «أفونجا» الى الاعجاب بسلوكهم ، والى اعلان الرغبة فى ارسال فقيه من الشمال ليطلعه على الاسلام .

وقد كان هذا بدء السباق لتغلغل القوى المسلمة فى البلاد ، مما جعل الملك يسلكهم فى سلك الجيش ، ويدفع بهم كغزاة الى اعدائه ، ولكن الملك « أفونجا » ما لبث أن ارتجف من امتداد نفوذهم ، ومن اقتداء الناس بهم ، وبخاصة فى مدينة « ايلورين » ، مما جعله يعمل على تدبير الوقيعة بهم ، وعلى اخراجهم من البلاد .

ولكنهم لم يكونوا غافلين عما يدبره الملك ، ومن هنا أسرعوا الى التخلص منه ، والى أحكام قبضتهم على قوى الجيش ، والى مطالبة الملك الجديد بالاسلام ، ولكن الملك ومن حوله ومن كانوا يمثلون الطبقة العليا فى المجتمع عملوا على الاحتكاك بهم ، وكان لابد من تصفية الموقف الذى انتهى أخيرا بانتصار هذه القوى الجديدة .

وفى ضوء هذا أسرعت هذه القوة الجديدة ـ التى كان الجيش أوضح ملامحها ـ الى الالتحام بالشعب ، والى حل المتناقضات فى هذا المجتمع ، والى الدعوة الى الاسلام فى أرجاء الدولة ، الى حد أنه يمكن القول بأنهم كانوا يمثلون فى منتصف القرن الثامن عشر قوة جديدة استطاعت مد حدودها ، ثم تثبيتها بذكاء عند « داهومى » غربا .

وقد ساعد على هذا تأييد مسلمى « مالى » لهم ، ووضعهم أنفسهم فى خدمة الاسلام ، كما ساعد أيضا ذلك التقليد المتوارث الذى كان لايقبل من القائد الا (النصر !) فاذا ماانهزم سحب الشعب منه ولاءه وحبه ، مما يضطر القائد معه الى التوارى عن أنظارهم فى«أويو» أو الانتحار .

ولكن هذا التقليد جر على الدولة بعد ذلك خطرا كبيرا ، لأن « القائد المنتصر » كان يعمل على تثبيت نفسه على ولاية ، ولأن القائد المهزوم .. كان يعمل من جديد على فرض نفسه على بعض الجماعات الصغيرة حتى تتاح له فرصة الانتصار مرة أخرى .. مما أصبح كلاهما يمثل خطرا على « الملك » الذى كان يجب أن يكون كل الولاء له .

وقد ترتب على هذا أن القرن التاسع عشر قد رأى هؤلاء المنتصرين والمهزومين معا يشهرون عداءهم للملك ، ويطالبون بعدم الاقتراب من مناطق نفوذهم ، ويمتنعون عن تقديم « الخدمات » للملك .

كما أن بعضهم قد سحب ولاءه من الملك ، ودفع به دفعا الى أمراء « الفلانى » فى الشمال ، مما اضطر الصراع الداخلى الى أن يخفى عن أعين المواطنين حقيقة الصراع الخارجى الذى كانت تقوم به الدول الأجنبية فى الثغور ، ومما جعل الملك يبرم مع الانجليز معاهدة بحجة حفظ البلاد من الفرنسيين ، ومن الخارجين عليه .

وحين تنبه الملك الى حقيقة هذه المعاهدة وأراد أن يتحرك لم يستطع ، وهكذا جاء عام ١٨٩٥ ليشهد تسلط الانجليز التام على كافة امارات « اليوروبيين » .

وفى القرن العشرين كان المسلمون يعتصمون بالمدن المسورة ، ويمثلون طبقة من التجار والزراع ، وبمعنى آخر كان الاسلام يقف عند حدود المنطقة الاستوائية ، والمنطقة شبه الاستوائية ، ولكن حين عبدت بعض الطرق ، وقطعت بعض الأشجار المعوقة ، واختفت كذلك بعض الأمراض المستوطنة ، رأينا هؤلاء المسلمين اليوروبيين يخرجون الى الناس فى قراهم ، وعلى حدود غاباتهم ، ويكونون معهم علاقات جديدة باسم الاسلام ، وباسم « الطريقة التجانية » .

على أن هؤلاء الدعاة المسلمين ، سرعان ما اصطدموا بالمبشرين المسيحيين حول قلوب هؤلاء الذين لم يهتدوا الى دين بعد ، ورغم أن السلطة الحاكمة وقفت وراء المبشرين ، الا أن الاسلام كان يتفوق على المسيحية فى هذه المنطقة ، مما جعل المسيحيين أنفسهم يؤكدون هذا فى تقاريرهم ، ويذهبون الى أن الاسلام « دين افريقى » والى أن الميدان سيخلوا له فى نهاية الأمر .

واليوم ونيجيريا الموحدة تأخذ مكانها تحت شمس الحرية ، نلمح فى ملامحها نقاء الاسلام ، وثوريته ، وقيمه الصالحة لكل زمان ومكان .

الإسلام

يضع الأسس لبناء الوطن

فضيلة الشيخ عبد الحميد بلبع

ولقد تولى الاسلام علاج النفس الامارة بالسوء ورسم لها طرائق هذا العلاج الذى يكفل تطهيرها من رواسب الفساد . وتثقيفها من نوازع الشر . وتوجيهها الى ماهو خير محض وذلك بوضع الاسس التى تساعد على اقتلاع بذور الشر منها وغرس قوى الخير فيها .

وأول مراتب هذا العلاج اتهام النفس ووضعها فى مكان الحيطة والحذر لا فى مكان الاطمئنان والثقة على نحو ما أشرنا اليه فى المقال السابق . ثم اشعارها بعد ذلك بان لها ربا تفرد بالالوهية واستأثر بالكبرياء والعظمة . له السلطان والحكم . وله الخلق والامر وسع كل شىء علما يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور . ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر الا هو معهم أين ماكانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة ان الله بكل شىء عليم . اشعارها بأن لها ربا يحصى على الانسان كل ماقدم ثم يحاسبه عليه ويجازيه على الاحسان احسانا وعلى الاساءة مقتا وخذلانا « أحصاه الله ونسوه والله على كل شىء شهيد »

هذه هى العقيدة الاسلامية وهى الاساس الاول لتكوين القوة المعنوية عند الشخص والتى ينبنى عليها تقرير مصير الانسان وبيان درجته فى منازل الصالحين حسب حال يقينه قوة وضعفا بساطة وعمقا فاذا استيقنت النفس هذه العقيدة واستوحت منها عظمة الخالق . واستشعرت ذل عبوديتها له وأدركت خطورة مسئوليتها بين يديه .. اذا حققت النفس هذا كله تخلت من مألوفها من الشر واقلعت عن معتادها من الفساد وتغضت عن دوافعها الى الرذيلة وتهيأت لما يوحى اليها من توجيهات وأصغت فى امعان لما يلقى عليها من نصائح وعظات وهذه هى المرحلة الاولى احدى المراحل الثلاث التى اشرنا اليها فى المقال السابق والتى تنتقل فيها النفس من ظلمات الرذائل والفتن الى رحابة الفضيلة ودماثة الخلق على أساس من الايمان واليقين ثم أنظر الى الدين بعد ذلك كيف يتعهدها بالتربية وكيف يوجهها الى طرائق الخير وللدين فى ذلك أسلوبه العجيب ووسائل ايضاحه البديعة فمرة يسلك بالنفس طريق التخويف والترهيب وأخرى ينهج معها منهج الرجاء والترغيب فانت تراه يقف بها عن مصائر السابقين ليريها عاقبة من استسلم لنفسه وأسلس قياده لهواه ولديها كذلك نهاية من وقف من نفسه وهواه موقف الاعتدال والاتزان لترى اى الفريقين خير مقاما وأحسن نديا فهاهو ذا يتحدث عن ارباب هذه النفوس فيقول « أولم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا اشد منهم قوة وأثاروا الارض وعمروها أكثر مما عمروها وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ثم كان عاقبة الذين أساءوا السوأى أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزءون » ويشرح فى موضع آخر تلك العاقبة فيقول « فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا دمرناهم وقومهم اجمعين فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا ان فى ذلك لآية لقوم يعلمون وانجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون » والنفس طبيعتها الخوف كما أن طبيعتها الشر بيد ان طبيعة الخوف ذات سلطان على الغرائز الاخرى فى النفس فاذا تكاملت أسباب الخوف وتوفرت عوامله لدى النفس وقفت النفس عند حد الاعتدال وكمنت فيها نوازع الشر والفساد وها هو ذا القرآن الكريم يصور لنا حالة النفس عند الخوف فيقول « هو الذى يسيركم فى البر والبحر حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين » ترى فى هذه الصورة ان النفس لما أحاطت بها عوامل الخوف نسيت متعها ولذائذها وتطامنت فيها بواعث شهوتها ونهجت منهج الطاعة والاستسلام وتعرفت الى الله ضارعة اليه « لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين » . وهذه هى المرحلة الثانية التى تحمل النفس على اجتناب الرذائل وتعويدها على الفضائل والمكارم وأساسها الخوف من الله عز وجل ، فان الخوف من الله يقمع الشهوة وينسى اللذة ويجعل محبوب النفس مكروها كما يكره الطعام لدى من يشتهيه اذا عرف أن فيه سما

ولايجاد الخوف من الله فى نفس الانسان بواعث تحركه ودوافع توجده أعلاها درجة وأسماها منزلة معرفة الله عز وجل والعلم به قال تعالى : « انما يخشى الله من عباده العلماء » والناس فى معرفة الله تعالى والعلم به

درجات متفاوتة كل حسب استعداده الروحى والفطرى فمن كان أكبر معرفة لله وأكثر علما بالله كان أعظم خوفا منه قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « والله انى لاعلمكم بالله وأشدكم خشية » وقال « والله لو تعلمون ماأعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وماتلذذتم بالنساء على الفراش ولخرجتم الى الصعدات تجأرون الى الله عز وجل » ومن أجل هذا كانت صفة الخوف من الله من أكرم الصفات التى يدعو اليها الدين قال تعالى : « وخافون ان كنتم مؤمنين » وقال : « واياى فارهبون » وللخوف من الله ثمرات طيبة مباركة جديرة بأن يعمل الانسان ما استطاع للحصول عليها فانها تورث المؤمن ثقة واطمئنانا وأجرا مضاعفا واحسانا قال تعالى : «وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى » وقال « ولمن خاف مقام ربه جنتان » وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « قال عز وجل وعزتى لا أجمع على عبدى خوفين ولا اجمع له أمنين أن أمننى فى الدنيا أخفته يوم القيامة وأن خافنى فى الدنيا أمنته يوم القيامة » .

ومن بديع التربية الدينيـــة انها لم تقف فى تهذيب النفس عند عامل الخوف فحسب بل أتخذت عوامل أخرى تقوم بمثل مايقوم به الخوف بل يأتى بثمرة اعظم من ثمرة الخوف لان الخوف وحده يوجد عند النفس كبتا ويميت فيها روح النهوض والنشاط ولان الخوف وحده انما يصرف النفس عن خبائث الامور ورذائل الاخلاق ولا يوجه النفس الى فضائل الاعمال من أجل ذلك استعملت التربية الدينية مع الخوف عوامل أخرى لها ماللخوف فى تهذيب النفس من آثار حسان بل أكثر منه وذلك كتأميل الانسان ووعده بالحصول على شىء محبوب تتطلع اليه النفـوس الكريمة لقاء مايقوم به من عمـــل كلفه الله بادائه أو اجتنابه فان ذلك يدفعه الى العمل الصالح برغبة وجد لان فى القيام بالتكليف أداء أو تركا ثقلا على النفس لايهون عليها الا الأجر الموعود به على القيام بهذا التكليف فاذا علم المكلف أن وراء الجهد الذى يبذله فى تحصيل الامر الذى كلف به ربحا يرضى نفسه حمله ذلك على السلوك الحسن القويم واقرأ ان شئت قوله تعالى :

« ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لايحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسـبه » وقوله « فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسـل السماء عليكم مدرارا ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا » وقوله - صلى الله عليه وسلم « من أراد أن يبسط له فى رزقه وينسأله فى أجله فليصـل رحمه » وغير ذلك كثير وهذه هى المرحلة الثالثة التى تحمل النفس على السلوك الاجتماعى المستقيم والتحلى بالخلق الفاضل الكريم ولاجرم أن انتقال النفس من مرحلة الى أخرى من هذه المراحل يحتاج الى جهد يبـذل والى سياسة حكيمة تتبع لان النفس صعبة المـراس وعرة القيادة وجهادها فى حكمة غاية العقل وتركها سادرة فى غيها منتهى الجهل قال - رسول الله صلى الله عليه وسلم - « الكيس من دان نفسه وعمـل لما بعد المـوت والجاهل من اتبع نفسه هواها وتمنى علىّ الله الامانى » كما ان جهاد النفس عنوان الايمان الكامل وأنه الرجولة الحقة قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم « لايؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به » وقال « ليس الشديد بالصرعة انما الشديد الذى يملك نفسه عنـد الغضب » وبالتامل فى توجيه الدين كتابا وسنة للنفس نرى أن الدين وقف بجانب ابن آدم حيال نفسه موقف الحارس الأمين يفلت به من انياب عدوه أو موقف الطبيب المعالج من مريضه يأخذ بيده الى سبيل السلامة والعافية كى ينجو به من مخاطر المرض من أجل هذا امتدح الله من استجاب لدعوة الدين ووقف من نفسه موقف الناقد الحكيم اذ يقول فى معرض الحديث عن النفس « قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها » ويقول « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين »

فاذا اجتازت النفس مراحلها الثلاث وجنت مافيها من ثمرات أصبحت نفسا مطمئنة راضية مرضية تحب الخير وتسعى اليه وتستهدف الفضيلة وتعمل لها تالف وتؤلف وتبنى علاقاتها مع غيرها على أساس من الاخلاص والود وتشيدها على دعائم المساواة والتعاون والحب وتعتمد فى سلوكها على التواصى بالحق وأداء الواجب الاجتماعى من رغبة واسداء المعروف فى شغف وبهذا تصبح النفس لبنة صالحة فى بناء مجتمع مترابط متماسك الافراد والهيئات موحد الرغبات والغايات لا يشعر فيه مقل بفاقه ولاضعيف بذلة ولا ذو حاجة بعوز ولا يظهر فيه ثرى باثره ولا ذو جاه بكبريائه ولا أنفه، مجتمع لا ترى فيه أثر للاثرة والطماعية ولا للحقد والحسد والكراهية ولامكان فيه للاستغلال ولا الاستعباد ولا حب الذات مجتمع سام فى مبادئه نبيل فى مقاصده . تنظر الى أفراده كانهم جميعا ابناء رجل واحد متحابون متوادون متراحمون متواصلون متعاطفون متعاونون تراهم على نحو ماوصف الرسول اذ يقول « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتواصلهم كمثل الجسد اذا اشتكى عضو منه تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » وكل هذه صفات تبعث فى المجتمع روحا قوية وتحمى فيـه المثل العليا وتدفعه الى النهوض والتطور ومسايرة الأمم الحية فى حضارتها ومدنيتها حتى لايكون مجتمعا متخلفا عنها ، ومجتمع هذا شأنه يكون قوى البنيان وطيـد الاركان عميق الدعائم جدير بحماية وطنه وصيانته والعمل على اتساع رقعته والاتجاه به الى حيث مضرب الامثـال دينا وثقافة وسياسة واقتصادا ونبوغا فى كل فن يوجه الانظار الى مصدره .

وهاهى ذى مصر وطننا العزيز تعبر عن هـذا المعنى أصدق تعبير فلينظر كل منا اليها بين عهـدين قريبين مرابها عهدها قبـل ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ وعهـدها بعد هذه الثورة الى سنة ١٩٦٣ ويقارن بين حاليها فى العهدين وهنا يسكت القلم وتنطق الأحـداث ويحكم المنصفون .

والله ولى التوفيق والهادى لاقوم طريق

الاسراء والمعراج

معجزة النبوة والتاريخ والعلم

الأستاذ سليمان نجا الابيارى

تحدث الناس كثيرا عن الاسراء والمعراج – وكتب عنهما العلماء والباحثون : المتقدمون منهم والمتأخرون – وذهب كل فريق منهم الى رأى معين ارتضاه ٠٠ واقتنع به وحاول الدفاع عنه – واقامة الدليل عليه –

والذى أميل اليه من تلك الآراء ، وأعتقد صوابه لادلة واضحة وبراهين ساطعة فى ذلك : ان الاسراء كانت بمكة المكرمة قبل الهجرة – وبعد الرسالة ، وعقب عودته – صلى الله عليه وسلم – من الطائف التى كان قد هاجر اليها وعاد منها يشكو الى ربه ماهو عليه من ضعف وهوان – وما يلاقيه من أذى قومه وعنتهم وتكبرهم وجبروتهم وتنكرهم لقبول دعوته التى جاء بها من رب العالمين – فأراد الله سبحانه وتعالى – أن يسرى عنه ٠ وان يريه دلائل قدرته ومكانة عظمته ، وأنه قادر على نقله الى أى بلد يعيش فيها قرير العين ، رغيد العيش سعيدا ٠٠

ولكن ليس هذا هو المقصود والهدف من بعثه ٠ ورسالته ، بل ان الغرض منها هو حمل الامانة ، وتبليغ الرسالة ، ونشر الدعوة للدين الجديد الذى جاء به كتاب الله الذى لا اله الا هو العزيز الحكيم ٠٠

وأيضا لعلمه جل شانه انه ما من نبى ولا رسول جاء من قبله الا لاقى الكثير من العنت والصلف والادعاء والكبرياء ، ولكنهم جميعا صمدوا وصبروا حتى أتم الله تعالى عليهم نعمته ، وفتح عليهم فتحا عظيما ، ونصرهم نصرا مبينا ٠

وأنت يامحمد ياخاتم الرسل والنبيين – لست أقل منهم شأنا – ولا أقل قدرا – بل انك تفوقهم منزلةوعلوا ومكانة عند ربك – فاصبر على ماأصابك – وجاهد فىسبيل دعوتك ، وأد أمانتك ، وأتمم رسالتك على الوجه الذى حملك الله اياها ، واعلم أن النصر لك ، وأن العاقبة للمتقين ٠

وسواء تم الاسراء « بالروح » فقط كما يقول البعض ، أم « بالروح والجسد » كما يقول البعض الآخر – وهو الرأى المفضل عندى – فان هدف الاسراء والمعراج ٠ كان كما ذكرنا – وللغرض الذى بينا ٠٠

ولا عبرة بقول من قال : ان الاسراء والمعراج كانا قبل الرسالة ، فهو قول يعوزه الدليل ٠

وينفيه أن جبريل عليه السلام وهو الذى رافق النبى الكريم – صلى الله عليه وسلم – فى الاسراء والمعراج ، فلو أن ذك وقع قبل الرسالة ، لكان النبى – صلى الله عليه وسلم – قد عرفه يوم بدء الوحى والرسالة ، لانه رافقه من قبل وتحدث اليه وعرف كل منهما صاحبه ، فما كان هناك من مبرر لذلك « الخوف » الذى ظهر على الرسول – صلى الله عليه وسلم – عند مجىء «جبريل» اليه بغار حراء ، وما كان هناك من حاجة لاستشهاده « ورقة بن نوفل » فى أمر ذلك على الوجه المعروف ٠

وكذلك لاعبرة بما يقوله البعض من أن الاسراء والمعراج كانا بالمدينة ، لان صريح لفظ « القرآن » يخالف ذلك كل المخالفة ، ولأن مانسبوه الى عائشة – أم المؤمنين – رضى الله عنها من قولها ان جسده – صلى الله عليه وسلم – لم يفارقها فى تلك الليلة – فقول مردود لما ذكرنا ولما فى هذا الحديث المزعوم من ضعف فى التخريج ، والاسناد والرواية يجعله من الاحاديث الموضوعة التى لايؤخذ بها ٠

ولان البعض قال : ان الاسراء كانت حتى قبل ولادة عائشة نفسها ، فكيف بها بعد زواجها ..

والثابت أيضا أن الاسراء والمعراج تما معا وفى ليلة واحدة .

بخلاف ماذهب اليه البعض من أنهما كانا فى ليلتين منفصلتين .

وهذا خلاف الواقع . لان قوة المعجزة فى أن يتم « الاسراء » من « المسجد الحرام » إلى « المسجد الاقصى » ثم « العروج » الى مابعد « سدرة المنتهى » ، ثم « النزول » الى الارض ، ثم العودة » الى مكة المكرمة .

كل ذلك فى شطر ليلة واحدة - وهكذا كان - وهكذا تمت المعجزة الكبرى .

واختيار « المسجد الاقصى » بالذات هدفا للاسراء - كان ولاشك لان المسجد الاقصى مبارك فيه لانه مقر الانبياء ومهبط الملائكة ، وقبلة الانبياء قبل نبينا - صلى الله عليه وسلم - وقد كان فى وقت من الاوقات«قبلة» للمسلمين كما لايخفى ، والمسجد الاقصى هو « بيت المقدس » وسمى بذلك لبعده عن المسجد الحرام .

وليس هذا الذى ذكرناه هو هدفنا من هذا المقال . فكل ذلك مقدمات مدروسة ومعروفة ولم نقصد بذكرها الا توقيف من فاتته فرصة الاطلاع على تفاصيلها،ليتعرف الى الحق والواقع من أمر الاسراء والمعراج .

ولكن الذى نقصده ونهدف اليه من هذا المقال . انما هو تحليل هذه المعجزة الكبرى . والقاء ضوء عليها من نواحيها المختلفة .

فما السبب فيها ، وما دلالتها ،وهل اقتصرت حجتها على ذلك العصر - عصر النبوة والرسول - أم أن تلك المعجزة الكبرى ما زالت - ولن تزال - معجزة الزمن والتاريخ والعلم الحديث ؟!

اشتد ايذاء قريش للنبى - صلى الله عليه وسلم - جحدوا دعوته ، وأنكروا رسالته ، ورموه بالخبل والعته والجنون ، والسحر والشعوذة ، وراحوا يؤذونه فى نفسه وفى اتباعه حتى ضاق بهم ذرعا ولجأ الى ربه وخالقه وباعثه ومرسله ، يشكو اليه ضعف قوته وقلة حيلته وهوانه على الناس فى دعائه المشهور - فكان لابد من « أمر عظيم » يرد أولئك « الجهلة » الى « الحق والصواب » وكان لابد من « معجزة كبرى » تقنعهم بأن مادعاهم اليه محمد - عليه الصلاة والسلام - انما هو من عند الله وانه رسول الله الذى اختاره لحمل رسالته ونشر دعوته وأعلاء كلمة الاسلام فى كل مكان :

وتم أمر الله وحصلت المعجزة الكبرى -معجزة الاسراء والمعراج - فى تلك الليلة المباركة التى شرحها الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم - وفصل ماوقع له فيها - فى حديث طويل رواه الامام البخارى - رضى الله عنه -

ويعرف « بحديث المعراج » وهو حديث معروف ومشهور واختتم المولى عز وجل آية الاسراء الكريمة بقوله تعالى : « انه هو السميع البصير » - أى السميع لدعائه له ولشكواه من قومه ، البصير بأفعالهم وما أحاطوا النبى - صلى الله عليه وسلم - من أذى ومكروه .

أسرى بالنبى - صلى الله عليه وسلم - على « البراق » - ولا ندرى على التحديد ما هو ، وكيف كان لان الزمن والعلم للآن لم يكشفا عن كنهه وصورته ، ولا زال أمره معجزا للناس وللتاريخ والعلم الى يومنا هذا وربما إلى آلاف أخرى من السنين .

ورحم الله شاعر العروبة « أحمد شوقى » حينما وصف البراق فى لباقة وفى فصاحة ، وأجمل قصة الاسراء والمعراج فى قصيدته العصماء الخالدة « نهج البردة » فقال :

أسرى بك الله ليلا اذ ملائكه
والرسل فى المسجد الاقصى على قدم

لما خطرت به التفوا بسيدهم
كالشهب بالبدر أو كالجند بالعلم

صلى وراءك منهم كل ذى خطر
ومن يفز بحبيب الله يأتمم

جبت السموات أو مافوقهن بهم
على منورة درية اللجم

مشيئة الخالق البارى وصنعته
وقدرة الله فوق الشك والتهم

وتم الاسراء ، وتم العروج الى السماء ، وارتقى - صلوات الله عليه - الى الدرجات العلى ، واجتاز السموات السبع . ثم سدرة المنتهى ، ثم ارتقى الى مقام العرش حيث رأى الذات المقدسة وكلمه ربه وفرض عليه الصلوات الخمس ، وأفاض سبحانه وتعالى على نبيه - صلى الله عليه وسلم - ماأفاض من رعاية واكرام ورجع النبى الكريم الى مكة وهو مأخوذ مما سمع ورأى وما ناله من رعاية وتكريم .

وأخبر قومه بما رأى . فاعتقدوا أن الفرصة قد سنحت لهم لتدعيم ما افتروه عليه من سحر وشعوذة وخبل وجنون - فراحوا يكذبونه ويعلنون استحالة ذلك ماديا وعقليا .

ولكن النبى - صلى الله عليه وسلم - وقد عاد من رحلته المباركة مزودا بشحنة روحية عظيمة رفعت جميع معنوياته وطابت بها نفسه ، وارتاح اليها فؤاده واعتقد جازما ان عين الله ترعاه وانه ولا شك بالغ ما اراده له الله ، فصمد لهم فى قوة وحزم وزاده الله قوة وتثبيتا، فوصف لهم المسجد الاقصى فى دقة وتفصيل أذهلت عقولهم وبلبلت أفكارهم - ثم صرع باطلهم بوصف قافلتهم التى كانت فى الطريق الى مكة وحدد موعد وصولها وذكر لهم من حاديها ، ومن فى أولها ومن فى وسطها ، ومن فى آخرها وصفا دقيقا تحققوه عند وصول القافلة فكان ذلك سببا فى دحض باطلهم ، وبطلان مزاعمهم ومفترياتهم ، واعتقد الكثير منهم بصدق الرسول - عليه الصلاة والسلام - فدخلوا فى دين الله أفواجا وكان ذلك « فتحا مبينا » وبداية طيبة لتصديق الرسالة ، وقبول الدعوة والدخول فى الاسلام.

أما دليل الاسراء من « القرآن » . ففى الآيات الاولى من « سورة الاسراء » ، ودليل المعراج فى الآيات الاولى من « سورة النجم » .

وأما الاحاديث الصحيحة بشأن الاسراء والمعراج . فكثيرة جدا يطول بنا المقام لو حاولنا اثباتها هنا . فليرجع اليها من شاء فهى مشهورة ومتوافرة ومعروفة .

أما أولئك الذين لاحيلة ، لهم ولا حجة عندهم الا مجرد الانكار وقولهم ان ماحدث من اسراء ومعراج لايقبله العقل ولا يرضى عنه الواقع ، ولا يسلم به المنطق والعلم .

هؤلاء قوم أعمى الله أبصارهم ، وختم على قلوبهم وأضلهم الله على علم .

لان العقل والمنطق والعلم . أصبحوا لايجحدون ذلك ولا ينكرونه ، بل انهم الآن يعملون جاهدين متضافرين لاثبات ذلك وتحقيقه .

فها هو « العلم الحديث » قد جد واجتهد واستعمل كل القوى وجميع الامكانيات حتى توصل أخيرا وبعد أربعة عشر قرنا الى أنه لا استحالة فى الذهاب من مكة الى بيت المقدس والعودة منها ثانية فى نفس الليلة .

وهاهى النفاثات وغيرها تحقق ذلك وأمثاله بل وأكثر منه والعقل يؤيدها - والعلم يساندها والمنطق يقول . أن ذلك حسن ومقبول .

وهاهم العلماء يحاولون ويجربون كى يصلوا الى أقرب الكواكب المحيطة بنا والقريبة منا ويحشدون لذلك كل الجهود والامكانيات ، ولكنهم للآن ورغم كل ذلك . لم يكتب لهم النجاح ومازالوا يدرسون ويحاولون .

ثم ها نحن نرى من حولنا اختراعات أخرى تكثر وتنتشر وتزداد وتتعدد ، وكل واحد منها يحير العقل ويبلبل الفكر ، ولولا أنها حقيقة واقعة وامر ملموس لظنه الناس من عمل المردة والشياطين ، ولكن العلم أثبت امكان حصولها وصدقة العقل وصفق له المنطق .

فان قلت : كل ذلك كان نتيجة لدراسة وخبرة وتجارب ومحاولات وجهود وامكانيات . فانى ذلك كله أو بعضه لمحمد - عليه الصلاة والسلام - وفى عصره بالذات .. ؟

قلت لك : ان ماحدث للنبى - صلى الله عليه وسلم - ولكل نبى ورسول من قبله كان بأمر الله وبارادة الله . وارادته تعالى لاتقف عند حد وهى فوق التهم والشبهات ، وأمره سبحانه وتعالى اذا أراد شيئا ان يقول له كن فيكون دون علم أو بحث أو تجارب أو امكانيات - فهذه قدرة الله وارادته . لا قدرة « العلم » و « الانسان » .

فهل بعد هذا الذى ذكرنا - وبعد ذلك الذى بينا نجد من يجرؤ على القول بأن الاسراء والمعراج غير صحيحين لانهما من « خوارق العادات » وأن العقل والعلم لايقررانهما ؟

وهل كان العقل والعلم الى زمن وجيز يقران الكهرباء وما اشتق منها من عجائب وغرائب لازالت للآن تتوالى وتكثر وكلها خارق للطبيعة وخارق للعادات ؟!

ان بعض المستشرقين من أعداء الاسلام حاولوا فى كل العصور التشكيك فى هذه المعجزة الكبرى والرحلة المباركة ، فأثاروا حولها أقاويل كثيرة كلها شك وافتراء ، ولكن ماظهر ووقع من اختراعات وماتوصل اليه العلم حديثا من محاولات وتجارب ، كل ذلك أخرس ألسنتهم وأبطل أقاويلهم ورد كيدهم الى نحرهم - فقد أثبت العلم والواقع امكان ماوقع للرسول الكريم ، وأثبت أن قدرة الله سبحانه وتعالى فوق كل شىء وأن معجزة الاسراء والمعراج خالدة على الزمن والتاريخ وأنها الآية الكبرى على قدرة الله تعالى وعلى رسالة نبينا - صلى الله عليه وسلم - وصدق دعوته .

واننا نختتم كلمتنا هذه بالقول بأن الاسراء والمعراج على أرجح الاقوال وأصحها كانا فى « شهر رجب » الحرام وفى ليلة السابع والعشرين منه ، وبذلك تكون تلك الليلة ذكرى عطرة طيبة لليلة مجيدة مباركة من ليالى النبوة والاسلام الخالدة - تجلت فيها قدرة الله تعالى وتمت فيها ارادته سبحانه وتعالى ونال فيها النبى - صلى الله عليه وسلم - مانال من خير وتكريم وكفى بتلك الليلة بركة ومفخرة أن تمت فيها آية الآيات ، ومعجزة المعجزات - وفرضت فيها الصلوات ، وأصبحت بكل ذلك خالدة على الزمن والتاريخ .

فهنيئا لمن أحيا ذكرها . فقام ليلها وصام نهارها وتفكر فى قدرة البارى سبحانه وتعالى وارادته . فانه بذلك يزداد ايمانا ويزداد اطمئنانا ، وتطمئن نفسه ، ويرضى قلبه ويعلم أن لاشىء الا ماأراده الله ، وأن قدرة الله تعالى فوق الشك والتهم ..

واننا بمناسبة ذكرى هذه الليلة الطيبة المباركة نتوجه الى المولى عز وجل أن يعيدها وأمثالها على الامة الاسلامية والعرب أجمعين بالخير والبركة وأن يوحد كلمتهم ويشد من أزرهم ويجمع شملهم ويجعلهم أمة واحدة قوية عزيزة الجانب فى ظل رائد العروبة وبطل الحرية السيد الرئيس « جمال عبد الناصر » - حفظه الله -

القرآن

والعلم الحديث

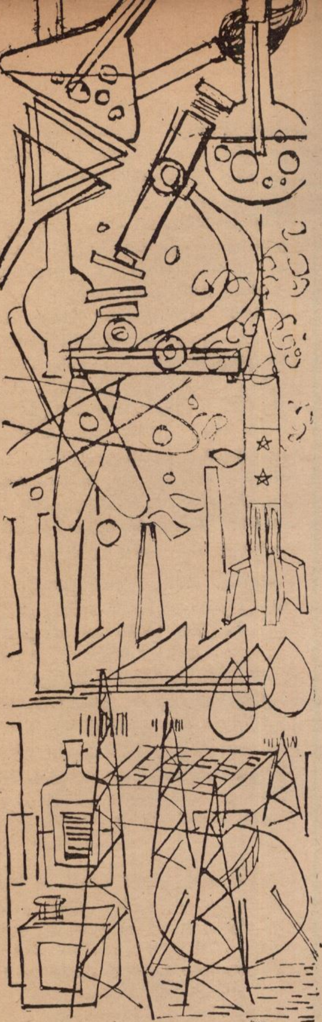

الأستاذ محمود أبو الفيض المنوفي

« قل سيروا فى الارض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشىء النشأة الآخرة » « أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت والى الجبال كيف نصبت والى الارض كيف سطحت » وفى هاتين الآيتين تكلم القرآن عموما عن كيفية خلق السموات والارض وحث على النظر فى الكائنات اجمالا وذلك هو الهدف الاعظم للعلم ووضح مراده سبحانه وتعالى فى تلك الآية الكريمة حيث يقول « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق » أى ما نزلناه اليهم على لسان رسولنا مدعما بوحينا هو الحق الجامع بين هدى الايمان والوحى وهدى الفلسفة الصحيحة والعلم وقد تقدم ان تكلمنا عما يحويه القرآن اجمالا من قواعد العلم الصحيح أصولا وفروعا وقبل أن نتكلم عن تفصيل ذلك بعض التفصيل أردنا أن نبين الاتفاق الحاصل بين الدين والعلم لاسيما الدين الاسلامى دين الفطرة ودين الوعى وان لاخلاف ولا شقاق بين العلم وبين الدين الا فى أدمغة المفترين القائلين بأن الدين عموما لا يتفق والعلم وذلك قياسا على ديانات سابقة كانت بدائية لمقتضى تطور العقل فعمموا القاعدة وافتروا على العلم أقوالا لايقول بها وعلى الدين أباطيل هو برىء منها وقد قدمنا أن العلم فى حقيقته ناحية تأملية وتجريبية كأنها ناحية من نواحى الادراك ممهدة للدين أو باعثة عليه وذلك حينما يضطر العالم عقله اضطرارا لاستطلاع ماوراء دائرة تجاربه العلمية التطبيقية من آفاق عليه أو غيبية تضطره الى ذلك ألفة العقل والحصول على اليقينية العلمية التى تربط بين الأسباب ومسبباتها ، فالدين وهو مهد اليقين ونهاية المعتقد فى آية صبغة سواء أكانت الصبغة الاعتقادية آية من منهج العلم أو منهج الفلسفة أو المنهج الدينى فالمعتقد على كل حال هو النتيجة الغائبة لسائر قضايا العلم الصحيح والفلسفة المنتجة المجددة والدين من أخص معانيه اللغوية كل ما أيقن به الانسان ودان له فأصبح عنده عقيدة ذاتية وعلى الأخص الدين الاسلامى الذى هو صديق العلم ونصير الفلسفة ان كان المقصود بالفلسفة معناها المطلق وهو النظر فى الكائنات بحثا عن الحقيقة وبغية التعرف الى علة العلل وسبب الاسباب وهو الله ـ سبحانه وتعالى ـ وحسبك فى ذلك السياق قوله تعالى « شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم » .

ثم ان كلمة « فلسفة » فى أصلها اليونانى تقابل كلمة الحكمة أو الحكيم أو محب الحكمة فى مفهومها العربى . وما العلم الحديث فى أصله سوى نظريات تاملية وفروض امكانية أو ضرورية طبقت على الواقع الخارجى الذى يشغله الكيان الطبيعى وما كان للعلم أن يثبت أو ينفى ما يجهله من الحقائق اللاهوتية الكامنة وراء المظاهر الكونية وتلك الموضوعات من أخص خصائص الدين ومن أهم وظائفه والامر الذى لاشك فيه عند سائر الفلاسفة ومحققى العلماء أن العلم بداية الدين والدين نهاية العلم والفلسفة هى الوسيط أو الجسم الموصل بين العلم والدين ولكن ماذا تصنع مع صغار المتعلمين الذين لم يستقوا من معين العلم الا الوشل اليسير ثم يفتاتون على العلم والعلماء وعلى الفلسفة والفلاسفة وقد صدق العلامة العظيم « بيكون » فيما يقول فى مثل هذا المقام « ان القليل من العلم يؤدى الى الالحاد ولكن التبحر فيه يعيد الملحد إلى التدين » والاصل فى العلم هو العقل ورائده الحس والاصل فى الدين هو الوحى ورائده العقل فلا خلاف ولا مباينة قط فى نظر العالم المحقق والمتدين المخلص بين الوحى والعلم مادام رائدهما معا العقل .

اما ان العقل اصل فى العلم فهذا واضح وان اعتمد العقل فى الاسلوب العلمى على الحواس وأما الدين فيؤكد ان الوحى قد جاء مخاطبا للعقل ولذا أوجب تأويل نصوص الوحى اذا تعارضت مع العقل حتى تطابقه وتلف معه والعقل نفسه يشهد بان العلم تقصر وسائله عن ادراك سائر الحقائق الكونية ولكنه يتقبل نتائجها بالتسليم كلها أو بعضها لتكشف له فى المستقبل عن الحقيقة ولهذا وذلك يامر العلم الصحيح أهله بأن لايعادوا مايجهلون من الحقائق التى ربما تكشف لهم فى المستقبل فيؤمنون بوجودها وهذا هو الشان نفسه أيضا فى عالم الفلسفة أى عالم المعقولات فانها أولى بذلك وأجدر .

وبما أن الوحى يخاطب جميع الناس على اختلاف مداركهم خاصتهم وعامتهم بلسان واحد فان أسلوبه يحتم عليه مداولة خطابه بين الحقيقة والمجاز والابانة والتشبيه وأما العلم فانه يخاطب أذكياء الناس فلا يحتاج فى بيانه الا لتبين الاشياء على ماهى عليه واضحة دون تورية أو مجاز .

فالدين والعلم لا يتناقضان وان كانا متغايرين والتحقيق أن لاخلاف بين الوحى فى مصدره والعلم فى أوليات قضاياه لان الوحى حقائق ذاتية القيت فى روع واحد من البشر امتاز عن غيره بسمو مداركه ورقة احساسه وباستعداد خاص جعل قلبه متصلا بالملأ الاعلى لتلقى وحى ربه المنزل لارشاد خلقه .

وقضايا العلم ونظرياته حقائق هى الاخرى ألقيت بعد الاستقراء والاستنتاج والتجربة فى روع أناس أدمنوا التفكير والاختبار والتحقق فى وحدات الكائنات ونواميسها وصلة بعضها بالبعض الآخر والبحث فى خواص الاشياء ومنافعها وتسخير قواها الكامنة فيها وقد استنتجوا من كل ذلك قواعد ونظريات علمية تزيد كل يوم بما تنتجه عقول خلفائهم وأعقابهم .

والوحى فى اصطلاح الدين كلام الله المنزل على نبى من أنبيائه بواسطة روح سماوى يسمى جبريل وهو احد الملائكة المقربين وهذا الملك قد يتمثل لهم بشرا سويا فيبلغهم كلمات ربهم بان ينفثها فى روعهم أو يسمعها آذانهم . والعلم جملة معلومات وقواعد ونظريات تركزت وطبقت فاصبحت فروعا وفنونا نظرية وعلمية متنوعة يحملها فى عمومها اسم العلم .

ولو بحثنا فى أول قضايا العلم ومبعث نظرياته من قبل أن تؤلف الكتب وتدون المعارف لوجدنا أنها جميعا حقائق أولية ألهمها نفيف من مفكرى النوع الانسانى فادمنوا التفكير فيها حتى قعدوها قواعد جلية وألفوا فيها الكتب ووضعوا أساليب العلوم وبنوا على هذا الاساس أصول المعارف .

وانت ترى أن مبعث العلم والدين شيء واحد هو الشخصية المعنوية للانسان وما فى صدره من وحى الهى او ادراك عقلى وبعبارة طريق الوحى « الدين » أو طريق العقل « الفلسفة والعلم » فالدين أصله موهوب بالوحى والعلم فى وضعه مكسوب بالعقل بمعنى أنه اذا كان الوحى أصلا فى الدين فالعقل او الالهام البدائى هو الأصل الأول للعلم وتكون النتيجة ان لاثمة من فرق الا فى الاسلوب بين دين موحى به يخاطب العقل أو معلوم ملهم يكون نتيجة لاستقراء العقل وخبرته للكائنات الخارجية المثبتة حوله ويكون الكل من عند الله بغض النظر عن الفرق فى الدرجة بين الوحى والادراك العقلى أو بين العلم والدين .

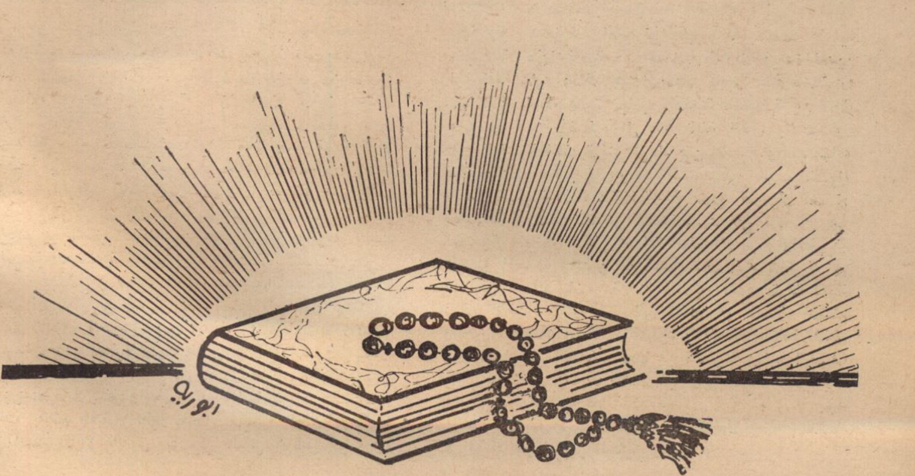

حياة القلقشندى وعصره

مؤلف أعظم موسوعة عربية إسلامية

الأستاذ محمد عبد الجواد الأصمعى

-٣-

تنشيط التجارة بين مصر وبلاد اسيا وافريقية منذ سبعمائة سنة

وقد نقل القلقشندى أيضا عن « تذكرة اللبيب ونزهة الاديب » لمحمد بن المكرم صاحب « لسان العرب » وهو أكبر معجم فى اللغة ، ويقع فى عشرين مجلدا ويتداوله الآن العلماء الباحثون عن شرح الالفاظ الغامضة اللغوية ، وكان مؤلفه أحد كتاب الانشاء بالدولة المنصورية « قلاوون » ، مكاتبة من انشاء المولى فتح الدين عبد الظاهر صاحب ديوان الانشاء بالابواب السلطانية بالديار المصرية ، كتب بها عن « **المنصور قلاوون » للتجار الذين يصلون الى مصر من الصين ، والهند ، والسند ، والحجاز ، واليمن ، والعراق ، وبلاد الروم**

كما هو الحال الآن فى عهد « **حكومة الثورة المجيدة** » التى تعمل بشتى الوسائل لتوطيد العلاقات الودية والتعاونية والتجارية والاقتصادية والثقافية بارسال وفودها وبعثاتها بين حين وآخر الى تلك البلاد لعقد الاتفاقات بينها تحقيقا لهذه العلاقات . يقول فيها فى وصف مصر :

« ومن يؤثر الورود الى ممالكنا ان أقام أو تردد النقلة الى بلادنا الفسيحة أرجاؤها ، الظليلة أفياؤها وأفناؤها ، فليعزم عزم من قدر الله له فى ذلك الخير والخيرة ، ويحضر الى بلاد لا يحتاج ساكنها الى ميرة ولا الى ذخيرة ، لانها فى الدنيا جنة عدن لمن قطن ، ومسلاة لمن تغرب عن الوطن ، ونزهة لا يملها بصر ، ولا تهجر للافراط فى الخصر « البرد » ، والمقيم بها فى ربيع دائم ، وخير ملازم .

ويكفيها أن من بعض أوصافها أنها شامة الله فى أرضه ، وأن بركة الله حاصلة فى رحل من جعل الاحسان فيها من قراضه والحسنة من قرضه ، ومنها ما اذا أهبط اليها آمل كان له ما سأل، اذ أصبحت دار اسلام بجنود تسبق سيوفهم العذل ، وقد عمر العدل أوطانها ، وكثر سكانها ، واتسعت أبنيتها الى أن صارت ذات المدائن ، وأيسر المعسر فيها فلا يخشى سورة المداين ، اذ المطالب بها غير متعسرة ، والنظرة فيها الى ميسرة ، وسائر الناس وجميع التجار ، لا يخشون فيها من يجور فان العدل فيها قد أجار .

فمن وقف على مرسومنا هذا من التجار المقيمين باليمن ، والهند ، والسند ، وغيرهم ، فليأخذ الاهبة فى الارتحال اليها ، والقدوم عليها ، ليجد الفعال من المقال أكبر ، ويرى احسانا يقال فى الوفاء بهذه العهود الاكثر، **ويحل منها فى بلدة طيبة ورب غفور ، وفى نعمة جزاؤها الشكر ، وهل يجازى الا الشكور .**

وفى سلامة النفس والمال ، وسعادة تجلى الاحوال وتحول الآمال ، ولهم منا كل ما يؤثرونه : من معدلة تجيب داعيها ، وتحمد عيشتهم دواعيها ، وتبقى أموالهم على مخلفيهم ، وتستخلصهم لان يكونوا متفيئين فى ظلالها وتصطفيهم ، ومن أحضر معه بضائع من بهار وأصناف تحضر تجار الكارم فلا يخاف عليه من حق ، ولا يكلف أمرا يشق ، فقد رفع العدل ما شاق ورفع عنهم ماشق، ومن أحضر معه منهم مماليك وجوارى فله فى قيمتهم ما يزيد على ما يريد ، والمسامحة بما يتعوضه بثمنهم على المعتاد فى أمر من يجلبهم من البلد القريب فكيف من البعيد ، لان رغبتنا مصروفة الى تكثير الجنود ، ومن جلب هؤلاء فقد أوجب حقا على الجود ، فليستكثر من يقدر على جلبهم ، **ويعلم أن تكثير جيوش الاسلام هو الحاث على طلبهم ، لان الاسلام بهم اليوم فى عز لواؤه المنشور ، وسلطانه المنشور ، ومن أحضر منهم فقد أخرج من الظلمات الى النور ، وذم بالكفر أمسه ، وحمد بالايمان يومه ، وقاتل عن الاسلام عشيرته وقومه .**

هذا مرسومنا الى كل واقف عليه من تجار شأنهم الضرب فى الارض : « **يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون فى سبيل الله** » ليقرأوا منه ما تيسر من حكمه، ويهتدون بنجمه ، ويغتذون بعلمه ، ويمتطون كاهل الامل الذى يحملهم على الهجرة ، ويبسطون أيديهم بالدعاء لمن يستدنى الى بلاده الخلائق ، ليفوزوا من احسانه بكل نضارة وبكل نظرة ، ويغتنمون أوقات الربح فانها قد أدنت قطافها ، وبعثت بهذه الوعود الصادقة اليهم تحقق لهم حسن التأميل ، وتثبت عندهم أن الخط الشريف حاكم بأمر الله على ما قالته الاقلام ونعم الوكيل » .

فتح غزة واقتلاعها من الفرنج « الديوية » الذين كانوامستولين عليها — والديوية، ويقال لهم : «الداوية» وينسب اليهم حصن حصين بنواحى الشام . وهم قوم من الافرنج يحبسون أنفسهم لجهاد المسلمين ويمنعون

أنفسهم من الكفاح وغيره ، ولهم أموال وسلاح ، ويتعاونون القوة ، ويعالجون السلاح ، ولا طاعة عليهم لأحد .. والى القارىء الكريم وصف المعركة التى دارت رحاها بين جنود المسلمين الظافرين وبينهم ، وقد انتصر المسلمون على أعدائهم وانتزعوا منهم هذا البلد الطيب ، كما انتزعها جيش مصر الظافر منذ سنين من أيدى اليهود الغاصبين :

« نص المكاتبة التى سجلها القلقشندى فى هذا الشأن »

« أدام الله سعادات المجلس ، وأحسن له التدبير ، وأصفى عيشه من التكدير ، وحقق له وفيه أحسن الرجاء والتقدير ، وجعل وجهه من أهلة الاكابر والتكبير، وأعاذ تأخير أجله من التقديم ، وتقديم حظه من التأخير .

نشعر المجلس بما من الله تعالى به من فتح مدينة غزة يوم الجمعة الجامع لشمل النصر ، القاطع لحبل الكفر . وهذه المدينة - قد علم الله - أنها من أوسع المدائن ، وأعلا الكنائن ، وأثرى المعادن ، وهى كرسى الديوية ومهبط رءوسهم ، ومحط نفوسهم ، وحمى كليبهم بل كلابهم ، وظهير صليبهم بل أصلابهم ، وما كانت الابصار اليها تطمح ، ولا الاقدار بها قبلنا تسمح ولها قامة أنفها شامخ فى الهواء ، وعطفها جانح عن عطفة اللواء ، قد أوغلت فى الجو مرتفعة ، وأومضت فى الليل ملتمعة ، وبرداء السحاب ملتفعة ، قد صافحتها أيدى الانام بالسلامة من قوارعها ، وهادنتها حوادث الايام على الأمن من روائعها ، الى أن أتيح لها من أتاح لها الحين، وقيض لها من اقتضى لها الدين ، فصبحها بما ساء به صباحها ، وزعزعها بالزئير الذى خرس له نباحها .

وكان من خبرها أننا لما أطلنا عليها مغيرين ، وأطفنا بها دائرين ، ولكئوس الحرب مديرين ، تغلب الانجاد والابطال على الزحف ، وأعجل ارتياح النصر عن انتظام عقد الصف ، وانقضوا عليها ، انقضاض البزاة على طرائدها ، وأسرعوا اليها اسراع العطاش الى مواردها ، ورفعت الالوية خافقة كذوائب الضرام ، طالعة برسائل الحمام ، مشيرة بالعذبات اشارة لم يطمئنوا اليها بالسلام ، وجاءهم الموت من كل مكان ، وأمطرت الشهب من كل سنان ، فرأوا مثواهم الحبيب ، ومحلهم الخصيب، وقد ركضت فيه خيول الغير ، واعترضت فيه سيول العبر ، وجردت فيه فصول القدر ، والنار قد لعبت فيه بجدة ، واحمرت فيه خدودها مخده ، وأقواتهم المدخرة ، وأموالهم المثمرة ، نفلا مباحا ، وزبدا مطاحا ، ومغنما مشاعا ، ونهبا مضاعا ، قد ملئت منه الرحال وأخصبت واتسعت به الايدى وضاقت به الارض بما رحبت » .

رأيه ونقده المكاتبات نقلها أيضا من تذكرة محمد بن المكرم من نسخة بخطه يقول :

« وهذه النسخ الخمس المتقدمة نقلتها من تذكرة محمد بن المكرم ، أحد كتاب الانشاء بالدولة المنصورية « قلاوون » المسماة « تذكرة اللبيب ، ونزهة الاديب » من نسخة بخطه ، ذكر فيها أن النسخة الاولى منها كتبها بخطه على مدينة صفد ، وليس منها ما هو حسن الترتيب ، رائعة الالفاظ ، بهج المعانى ، بليغ المقاصد ، غير النسخة الاخيرة المعقودة بين الملك « الاشرف » وبين الملك « دون حاكم » .

أما سائر النسخ المتقدمة فانها مبتذلة الالفاظ ، غير رائقة الترتيب ، لا يصدر مثلها من كاتب عنده أدنى ممارسة لصناعة الكلام .

والعجب من صدور ذلك فى زمن « الظاهر بيبرس » و « المنصور قلاوون » وهما من هما من عظماء الملوك ! وكتابة الانشاء يومئذ بيد « بنى عبد الظاهر » الذين هم بيت الفصاحة ورءوس أرباب البلاغة !

ولعل ذلك انما وقع لان الفرنج كانوا مجاورين للمسلمين يومئذ ببلاد الشام ، فيقع الاتفاق والتراضى بين الجهتين على فصل فصل ، فيكتبه كاتب من كل جهة من جهتى المسلمين والفرنج بألفاظ مبتذلة غير رائقة ، طلبا للسرعة ، الى أن ينتهى بهم الحال فى الاتفاق والتراضى ، الى آخر فصول الهدنة ، فيكتبها كاتب الملك المسلم على صورة ما جرى فى المسودة ، ليطابق ما كتب به كاتب الفرنج ، اذ لو عدل فيها كاتب السلطان الى الترتيب ، وتحسين الالفاظ ، وبلاغة التركيب ، لاختل الحال فيها عما وافق عليه كاتب الفرنج أولا ، فينكرونه حينئذ ، ويرون أنه غير ما وقع عليه الاتفاق ، لقصورهم فى اللغة العربية ، فيحتاج الكاتب الى ابقاء الحال على ما توافق عليه الكاتبان فى المسودة .

وبالجملة فانما ذكرت النسخ الخمس المذكورة - على سخافة لفظها وعدم انسجام ترتيبها - لاشتمالها على الفصول التى جرى فيها الاتفاق فيما تقدم من الزمان ، ليستمد منها الكاتب ما لعله لا يحضر بباله من مقاصد المهادنات ، أغنانا الله تعالى عن الحاجة اليها » .

انتقاداته وردوده وتصحيحاته :

ذكرنا فى صدر هذه الترجمة أن القلقشندى كان نقادا عنيفا ، مستقل الفكر ، جريئا فى قول الحق ، وقد تناولت انتقاداته فى غير عصره الكثيرين من العلماء الاجلاء ، والمؤلفين المشهورين ، والمؤرخين المعروفين ، وقادة الفكر العربى المعدودين ، كما تناول نقده رؤساء الكتاب فى عصره ، والمؤرخين البارزين فى زمانه ،والعلماء الاعلام فى وقته ، لا يبالى بأحد من هؤلاء الاعلام ما دام قول الحق رائده ، واظهار الصواب فى نقده عقيدته .

فمن المؤلفين المشهورين والمؤرخين المعروفين الذين انتقدهم ورد عليهم الكاتب الكبير والمؤرخ الجليل « الصلاح الصفدى » صاحب « التذكرة » المعروفة باسمه . ذكر فى كلامه نقلا عن الصولى قال : الناس يرون أن كل سادس يقوم بأمر الدين منذ أول الاسلام لابد أن يخلع .. قال الصلاح الصفدى : ثم القادر ، والقائم ، والمقتدى ، والمستظهر ، والمسترشد ،والراشد فخلع . ثم المقتفى ، والمستنجد ، والمستضىء ، والناصر، والظاهر ، والمستعصم فخلع وقتل أيام « هولاكو » عند استيلائه على بغداد . .

قلت : هذا غلط فاحش من الصلاح الصفدى لايليق بمثله ، فانه أسقط قبل المستعصم المستنصر وهو السادس .

كما انتقد العالم الجغرافى الجليل ، والرحالة المشهور « الشريف الادريسى » مؤلف كتاب « نزهة المشتاق » وهو يعد من المراجع العظيمة المعتمدة فى عدة مواضع من موسوعته « صبح الاعشى » قال فى رده على هذا المؤرخ المعروف فى كلامه على « وادى القرى » :

قلت : وبالغ الادريسى فى « نزهة المشتاق » فعد من مخالفيها : تيماء ، ودومة الجندل ، ومدين .والتحقيق خلاف ذلك .

« للترجمة بقية »

طريق النصر

> إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد.

الأستاذ محمد عبد العزيز حسن

ان كان سهلا أن يعيش انسان خامل الذكر ، تافه القدر ، مسروق الروح ، يخبط فى حياته كما يخبط الحيوان الأعجم ، لا يشغله عن ذاته شاغل ، ولا يلفته فيما حوله من شئون الحياة الا مقدار ما يناله منها من نفع عاجل ، ومصلحة مشبوهة ، وسلامة ذائفة .

ان كان سهلا أن يعيش انسان كذلك ، فما أكثر وسائله عندئذ وما أيسرها ، ولكن ستارا بينه وبين الحياة ينسدل ، ولكن اسمه آنئذ لا يكون فى سجل الأحياء .

يعيش هؤلاء كما تعيش الظلال ، حياتهم مقتبسة من غيرهم ، ومشاعرهم نابعة من سواهم ، ووجودهم كله غير أصيل .

عبدوا ذواتهم ، وسجدوا لرغباتهم ، فاتجهوا مع الركب المنتصر حيث سار ، حتى اذا ألم خطر بالركب الذى هم فيه ، تلمسوا أسباب القربى للخطر الداهم ، وأعدوا لأنفسهم مخارج خزى ، وألموا ـ بالزلفى ـ مع من ألموا على الركب ، وأحاطوا به مع من أحاطوا .. **« ويحلفون بالله انهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون . لو يجدون ملجأ أو مغارات أو مدخلا لولوا اليه وهم يجمحون »** .

تستر عيوبهم النعمة ، وتكشف عن حقيقتهم المحنة ، وتغلف حاجتهم نعومة اللفظ الأملس ، وتفضح خيبتهم مخالب الأحقاد .

« لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم والله يعلم انهم لكاذبون » .

ان كان سهلا أن يعيش انسان كذلك فى مجتمع يبدأ وأمة تنشأ ، فما له أن يعيش فى مجتمع تجمعت له أسباب الاستقرار وأمة تمكنت لها أسباب الانطلاق .

ان كان سهلا أن يعيش انسان كذلك بين من نهضوا من غفوة ـ بين اختلاط الظلام بالنور فى مطلع الفجر ـ ينفضون الخمول ، فما له أن يعيش ضحاهم وأوج صحوهم .

ان كان سهلا أن يعيش انسان كذلك ، عندما ترخص الحياة على الأحياء فيصطرعون على مصالحهم ، ويتقاتلون لذواتهم ، فما يمكن له أن يعيش بين من اصطفوا للبناء على ايمان ، وتشابكت قلوبهم على فداء ، وتقاسموا فى اصرار على النصر .

* * *

ان كان سهلا أن يعيش انسان كذلك ، فما ينسى الزمن فى مرحلة من مراحله ، ولا يهمل فى دورة من دوراته ، أن يحفر على قبورهم ـ ان كانوا ميتين ـ أو يضع على جباههم ـ ان كانت أنفاسهم الدنسة ما زالت تتردد فى صدورهم ـ لا ينسى الزمن ولا يهمل أن يحفر أو يضع على القبور ، وعلى الجباه ، بقعا سودا لا تمحى ، وذلا خالدا لا يبيد .

* * *

ان كان سهلا أن يعيش انسان كذلك فما يرضى هذا العيش الدون ، من أحس بهبة الله الكبرى .. هبة القدرة على صنع الحياة .

ان رائيهم ليرى الغاية ، ويرى كذلك وعورة الطريق اليها ، وصعوبة المسالك نحوها ، وكمون الأخطار فيما بين ذلك ، فلا يزداد الا احساسا بهبة الله الكبرى ، واصرارا على بلوغ الغاية مهما احتمل .

يبحث كل واحد من هؤلاء عن مكانه فيستقر فيه ، ويضع نصب عينه الواجب قبل الحق ، ويقدر ـ عند البدء ـ أن الغاية تريده مؤثرا لا مستأثرا ، وغارما لا غانما ، وفاديا لا مفتدى .

ويعلم الى ذلك أن خطوته قدم فى أقدام ، وأن بناءه لبنة فى لبنات ، وأنه نفس من حياة ، وجزء فى كيان ، يعمر ولا يدمر ، ويؤصل ولا يستأصل ، ويعجم فلا يلين .

ويعلم كذلك أنه عزيز — بالحق — لا يذل ، سخى بالقدرة لا يبخل ، قوى بالحرية لا يهن ، معتصم بالصبر لا يدرك ولا ينال .

* * *

ويقسو على هؤلاء الطريق الطويل ، وتجرح أقدامهم أشواكه ، وتشوى أجسادهم ألسنة اللهب الحارق ، وتطلع عليهم آفات وهوام ، وتثور زوابع ، وتقصف رعود ، وتتفجر حمم ، وفى داخلهم سلام يفجر العزم ، ويجدد الهمة ، ويعطى القوة ، ويزيد الاصرار ، فاذا الطريق ورود مفروشة ، وظلال ممدودة ، وغاية دانية .

* * *

ويطول الطريق .. ويأتى من بعيد ، همس الوهن ، وطنين الضعف ، ووسوسات التراخى ، وفحيح الـ (أنا) ، ونقيق النكوص . **« قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لاخوانهم هلم الينا ولا يأتون البأس الا قليلا ، أشحة عليكم فاذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون اليك تدور أعينهم كالذى يغشى عليه من الموت »** ..

يأتى ذلك من بعيد حينما يطول الطريق ، ويشتد الأمر ، ولكن شيئا من ذلك لا يزيد القافلة الا حركة والا حياة . **« ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ماوعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم الا ايمانا وتسليما . من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا . ليجزى الله الصادقين بصدقهم .. »** .

* * *

والبناء عمل مجيد شاق ، لا يقدر عليه أصحاب النفوس السقيمة والنظر الكليل ، والارادة الرخوة ، لانه يتطلب الايمان العميق ، والجهد العنيف ، والبصيرة النافذة ، وعلى قدر الغاية تكون الهمة ، والغايات الكبار ، لا يسعى لها ولا يبلغها الا الكبار ، وما أصدق القائل **« على قدر أهل العزم تأتى العزائم »** .

* * *

وعندما تختلط على الناس أمور حياتهم فى مرحلة من المراحل ، وتتشابك على أرضهم مبادىء الخير ونزعات الشر ، فانهم بين واحد يرجو السلامة من أيسر سبيل ، وبين واحد ينتصر للخير مهما كان الثمن ، ويقف الى جانبه حتى النهاية .

وانتصار الخير غاية كبيرة ، يسعى لها الكبار ، الكبار الذين يسعون الناس جميعا فى قلوبهم ، ويسعونهم كذلك فى افكارهم ، ثم هم يسعون بعد ذلك كل مايصادفهم فى سبيلهم من متاعب وصعاب ومرهقات .

الكبار الذين يعرفون للمبادىء حقا عليهم ، وللقيم السامية نصيبها فيهم ، وبهؤلاء تدرك الأهداف ، وتتحقق الغايات .

وما يمكن أن ينتصر الحق بذاته ، ان لم يكن له جنده الذين باعوه حياتهم بما حوت ، وبنوا أملهم — كل أملهم — على انتصاره .

وقد تمر بمراحل الحياة الانسانية فترات يخيل فيها للناظرين أن الخير قد توارى بالحجاب ، وأن سلطان الشر قد علت رايته ، واشتد جنده ، وأن دولة القيم السامية والمبادىء الأصيلة قد آذنت بانتهاء ، ولكنها لمحة من ليل ما أسرع ما يعاجلها الصبح ، وقبضة من ظلمة يقضى عليها باهر الضياء .

ان هذه الفترات هى أوهام الفوز الزائف ، وأحلام الانتصار .

* * *

مع هذه الخواطر ألمح النصر الكبير فى أرضنا العربية قد آذن صبحه بالظهور ، وتحت عينى مباذل هؤلاء الذين انبثوا هنا وهناك ، يؤثرون السلامة من أيسر سبيل على حساب أوطانهم وشعوبها ، بثمن بخس دراهم معدودة ، ومنافع عاجلة ، ومصالح مشبوهة ، يأخذونها من يد الأعداء ، ثمنا للفتنة ، وأجرا على الهوان .

مع هذه الخواطر ألمح النصر الحاسم الكبير ، وتحت رايته جند آمنوا بربهم ، وسعوا الى الغاية فى ثبات أصيل ، وعزم راسخ ، ونفاذة بصيرة .

ألمح النصر مع هذه الخواطر فى عالمنا العربى قد بدأت طلائع زحفه ، تحت قيادة البطل الذى أحس بهبة الله الكبرى .. هبة القدرة على صنع الحياة .. ورأى الغاية ، ورأى معها وعورة الطريق . وصعوبة المسالك ، وكمون الأخطار .. فزاد احساسا بهبة الله الكبرى ، وزاد اصرارا على بلوغ الغاية مهما احتمل .

ألمح النصر الساحق فى عالمنا العربى الكبير نصرا مؤزرا للمبادىء والقيم .

« أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله الا ان نصر الله قريب » .

رأى ملهم لأبى بكر الصديق

جنب الإسلام انهيار الشخصية

الأستاذ عبد المقصود حبيب

رجل واحد يزن ايمانه ايمان الأمة بأكملها ..

فرجل مثل هذا خليق بالنصر أينما سار .. لأنه يحارب عن ايمان بقضيته وعن ذوبان فيها وانصهار فى غمارها .. انه أبو بكر الصديق . قال فيه الرسول - عليه السلام - ((لو كنت متخذا من العباد خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا .. ولكن صحبة واخاء وايمان حتى يجمع الله بيننا عنده)) .

تولى الخلافة بعد موت النبى - عليه السلام - .. ونظر حواليه يجوس بفكره فى الأرض العربية فوجدها منتقضة ثائرة من أولها الى آخرها .. منها من يخلع رداء الاسلام بأكمله ويرتد عنه الى كفره وشركه وأيام جاهليته التى لم تزل قريبة العهد بفكره وقلبه ووجدانه بفوضاها وهمجيتها ، ومنها من يخلع بعض الرداء ويتحلل من تأدية الواجبات المفروضة كالزكاة .. كما جاء قوم فى حياة النبى يأخذون الاذن فى التخفيف من تأدية الصلاة .

ثورة هنا وهناك فى أرجاء الجزيرة العربية .. فماذا يفعل الرجل ؟

الأمر جليل وخطير .. وهو فى أول أيام الخلافة .. وباضطلاعه بالأمر أمام المسلمين وحمل مسئوليتهم ومسئولية الدين على عاتقه .. وقلبه مجروح من فراق صاحبه رسول الله صلى الله عليه وسلم .. واى جرح غائر اليم .. ؟

المرتدون .. لن يردهم عن ردتهم الا جيش يستأصل شأفتهم أو يعيدهم الى جنة الدين ، والحاجة لهذا الجيش عاجلة .. فثورة الردة فى اليمن تزداد ضراما بعد أن سرى اليهم موت النبى ودار فيهم فى لحظة كالبرق .

ومسيلمة ، وطليحة ، يدعوان الناس الى تصديقهما والانحياز الى دعوتهما ويبلغان فى ذلك نجاحا .. والملبون لدعوتهما يعتدون على من بقى على اسلامه بينهم .

ولا تلبث أن تمر لحظة وتأتى غيرها .. حتى تأتى الرسل الى أبى بكر تحمل فى طياتها كل ذلك .. بل أدهى وأمر .

فصمت بكر .. واتكأ بذقنه على راحة يده .. يفكر فى تلك الأمور التى تضطرم نارا من حوله . .وهى أمور فى وضعها جديدة على مرأى المسلمين بعد فتح مكة واسلام أهل ثقيف .

ولم يلبث الا قليلا حتى جاءه النبأ بأن القريبين من المدينة معقل خلافة المسلمين أبوا أداء الزكاة اليه وأضربوا عن ذلك وأعلنوا أنهم لن ينزلوا على حكم أبى أبى بكر فى ذلك الأمر حيث قالوا :

ـ ما دام الرسول قد مات فلا ندفع الزكاة لأحد .

***

أخذت الفكر تدور فى رأس أبى بكر وجعل هو يزن هذه وتلك وهو يحادث نفسه :

جيش أسامة على حدودنا مع الروم ولم يبق بالمدينة جيش يدافع عنها فماذا علينا أن نفعل ؟ هل يستطيع المسلمون بالمدينة قتال قبائل عبس وذبيان ؟ وكل أبطالهم فى جيش أسامة بن زيد ؟ أنرضى من عبس وذبيان أن يمنعوا الزكاة ـ ما داموا ـ لم يرتدوا عن الاسلام كله وبذلك نكسب فى صفنا أنصارا نستعين بهم على المنقضين والمرتدين فى أطراف الجزيرة ؟ أم نحاربهم فنزيد بذلك أعداءنا وقد لا يكون لنا قبل بهم وجيشنا خارج المدينة فى حرب الحدود ؟

حقا كان الأمر شائكا وخطيرا .

فجمع أبو بكر كبار الصحابة يستشيرهم ويخرج من جمعهم بالرأى فى قتال مانعى الزكاة .

وأخذ كل من المجتمعين يدلى برأيه ويثبته بما يؤتى من حجج ويدحض مخالفيه بكل قوته .. حتى انتهت الآراء الى خلاصة تنقسم قسمين : قسم لا يحبذ قتالهم وكان كثيرا وقسم يرغب فى حرب أولئك الذين يمانعون فى دفعهم للزكاة .

واشتد كل من القسمين فى الحفاظ على رأيه .. وكل منهما كانت له حججه وأسانيده .. وكان على رأس الأغلبية الذين لا يؤيدون قتال مانعى الزكاة ـ عمر بن الخطاب ـ ورأيهم فى ذلك أن يستعينوا بهؤلاء على قتال الأعداء ودفاع المرتدين عن الدين وهم بحق فى حاجة ماسة الى أى عون ولو صغير فما ضر لو أخذوا ما يريدون ولم يدفعوا الزكاة ما داموا على الاسلام مقيمين ؟.

والقلة القليلة فى هذا الاجتماع التى تنبعث منها رغبة فى القتال أخذت أيضا تدافع عن رأيها بكل قوتها .

واحتدم الجدل بين هؤلاء وأولئك وبلغ فى ذلك اليوم مبلغا عظيما دعا أبا بكر أن يخرج عن حياده بين الطرفين ويتدخل فى اثبات أحد الأمرين فأيد القلة الداعية الى الحرب وعدم التهاون .

نعم .. تدخل الرجل الذى يزن ايمانه ايمان الأمة بأجمعها وقال :

والله لو منعونى عقالا كانوا يؤدونه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعه .

سمع المجتمعون تلك الكلمة الخالدة فاشرأبت أعناق الأغلبية وتفزز أغلبهم فى مجلسه وأراد أن يتحدث عما يخافه من تعريض المسلمين فى هذا القتال لخطر تخشى نتائجه من هزيمة لهم فى وقت تثور بهم أرجاء الجزيرة .

وسبقهم جميعا الى الحديث فى ذلك عمر وساق حجته فى حدة واضحة وصلابة لا تخفى

ـ كيف نقاتل أناسا مسلمين .. الم يقل النبى « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله .. فمن قالها عصم منى ماله ودمه الا بحقها وحسابهم على الله » .

وصمت الجمع وهم فى شوق الى رد أبى بكر .. الذى لو كان النبى يأخذ من الناس خليلا لكان خليله .. يسكتهم الشوق الى رأيه فيما أتى به عمر من حجة .. من قول صاحبه فى الغار .

ولم يتردد أبو بكر في اجابة عمر فقال :

- والله لاقاتلن من فـرق بين الصلاة والزكاة .

وانفض مجلس الشورى والبعض راض عن رأى أبى بكر والبعض راض عن رأى عمر والجميع متوجس مما يأتى به الغد .

* * *

أرسلت القبائل الممتنعة عن الزكاة وهى عبس وذبيـان ومن انضم اليهم من بنى كنانة ومن غطفان وفزارة جموعا منهم تحتشد بالقرب من المدينة وانشطرت قسمين لتحيطها من جميع الطرق وأوفدت هذه الجموع رجـالا منهم الى المدينة . وقابلت هذه الرسل كبار الناس فى المدينة وأعيانها وتحـدثوا معهم فى محاولة استمالتهم الى مطلبهم ومساعدتهم عنـد أبى بكر فى اعفـائهم من الزكاة والاكتفاء باقامة الصلاة . ولكن الرجل المؤمن الخليفة الصديق أجاب هؤلاء الوجوه والأعيان فى حزم قاطع :

- والله لو منعونى عقـالا .. لجاهدتهم عليه .

* * *

رجعت الرسل برأى أبى بكر الى قومهم وقد استوضحوا مداخل المدينة وكشفوا عوراتها وأيقنوا أنها مكشوفة وليس بها من يدافع عنها أو يرد المغيرين عليها .. وأدرك الصديق ذلك .. فجمع الناس وألقى اليهم بما فى نفسه :

((ان الأرض كافرة وقد رأى وفدهم قتالكم ولا تدرون أليلا تؤتون أو نهارا .. وقد كانـوا يأملون أن نقبل منهم رأيهم ونوادعهم وقد أبينا ونبذنا عهدهم فاستعدوا وأعدوا)) .

ودعا اليه على بن أبى طـالب ، والزبير ، وطلحة وعبد الله بن مسعود وأمرهم بأن يكونوا على مداخل المدينـة وأمر سـائر الناس بأن يجتمعوا بالمسجد وعليهم عدة القتال مستعدين للحرب خير استعداد .

ولم يخب حسن ظن الصديق ولم يكذب ظنه .. فما لبث الناس حتى زحفت نحوهم حشود مانعى الزكاة الذين اجتمعوا قريبا من المدينة تحشـهم الرغبـة فى أن يضعضعوا من عزيمة المسلمين للقتال ويرجعـوهم عن رأى الخليفة فيه فلا يجد مناصا من النزول عنه والتجاوز عن الزكاة كفرض من فروض الاسلام .

وأرسل حراس مداخل المدينة الى أبى بكر بخبر ذلك التحرك فأجابهم بأن يلزموا أماكنهم وخرج بمن اجتمعوا معه فى المسجد على الابل حتى وصلوا اليهم ثم توكلوا على الله وخرجوا يجابهون الجموع المنتظرة حتى يجن الليـل فيلبسوا رداءه ويخفوا سراعا للغدر بالمسلمين أهل المدينة وهم على يقين أن لن يقاومهم أحد بعد أن رأوا خلو المدينة من المدافعين أثنـاء زيارة وفدهم لها .

تقدم أبو بكر فى رجاله حتى التحم الجمعان ودهم رجال أبى بكر أعداءهم ودار القتال عنيفا بين الفريقين تحت ستار الليـل ولم يستطع أيهما أن يكتشف نتيجته فى صف من تكـون وجاء الأعداء بأوعية من جلود نفخوها وربطوها بالحبال وضربوها بأرجلهم فى وجوه ابل رجال المدينة ولم تكن تلك الابل مدربة على الحرب ومكايد القتال فنفرت وارتدت براكبيها حتى دخلت المدينة .

* * *

وأصبح الصبح وفرحت عبس وذبيان ومن ناصرهم بفرار رجال أبى بكر وتأكدت عندهم فطنتهم فى وهن رجال أبى بكر وبعثوا الى باقى حشودهم التى لم تشترك فى الحـرب فى الليلة الماضية يخبرونهم بما حدث واقبلوا على بعضهم يتداولون الرأى فاجتمعوا وتحـدثوا وخرجوا بأن لايتركوا المدينة حتى يرضى أبو بكر بما أرادوا .

ولكن أبا بكر والمسلمين معه لم تغمض لهم تلك الليلة عين وباتوا يتهيأون للغد ويعبئـون قوتهم على قدر ما يستطيعون .

فلمـا كان الثلث الأخير من الليل خـرج المسلمون وعلى راسهم الخليفة وقد جعل لهم ميمنة وميسرة واخذوا يضربون بالسـير فى الطريق حتى طلع الفجر فاذا هم مع عدوهم فى صعيد واحد دون أن يسمع العدو لهم حسا ولا يحس لهم حركة فقد نام ملء أجفانه وفرش الطمأنينة الى انتصاره وتغطى بها .. فغط فى نومه قريرا هادىء البال .

وفاجأهم المسلمون فوضعوا السيوف فيهم يقتلوننهم تقتيلا فهبوا يفرقهم الذعر وتشتتهم الرهبة من هول المفاجأة ويعميهم الظلام عن طريقهم واضطربت نفوسهم وهزهم القتال هزا عنيفا وأبو بكر ثابت بايمانه العميق والمسلمون من حوله يقتلونهم ويرمون برءوسهم من فوق رقابهم ذات اليمين وذات الشمال .

واراد العدو فى تلك العماية من أمره أن يدفع عن رقابه أبا بكر ورجاله ولكن هيهات هيهات فولوا الأدبار فى أعقابهم الهزيمة لا يلوون على شيء وتبعهم أبو بكر وهم يفرون أمامه فرارا لاثبات بعده حتى نزل فى منازلهم وأقام عسكره وجعل عليهم واليا من قبله .

وعاد الى المدينة يحمل لواء النصر على من أرادوا به الهزيمة فهزموا وذلوا . وقد حفظ الاسلام صافيا كاملا من أول انقلاب فيه على فروضه .. حفظه بايمانه الصادق الذى لا يغلبه الموت ولا يغلبه زخرف الحياة الدنيا .. وقد زاد المسلمون جلالا بانتصارهم فى تلك الموقعة ، وزاد هذا الجلال ثبات المسلمين على دينهم فى كل قبيلة وجعلهم يهرعون الى الزكاة يؤدونها لخليفة رسول الله ، وازدادت رهبة المسلمين فى قلب أعدائهم وهم يريدون الانقضاض عليهم من أطراف الأرض .

وتضافرت الأقدار فعاد أسامة بجيشه يجر الغنائم الطائلة والنصر الزاهر فى ركابه وركاب أبطاله وقابله أبو بكر ورجاله وأعيان المدينة على مشارفها .

ودوى ذلك النصر فى الأرض العربية كالطبل .. كالرياح .. وأذهل صداه المرتدين ورفع رأس المسلمين المستضعفين وزاد من عزم أبى بكر على أن يذهب مرة أخرى الى « ذى القصة » حيث انتصر من قريب ليقاتل بقايا عبس وذبيان فيغلبهم ويجليهم عن أرضهم ويعلن أنه « حرام على بنى ذبيان أن يتملكوا هذه البلاد وقد غنمناها بفضل الله » .

ويبدأ عهدا يضرب فيه على رقاب المرتدين حتى يظهر الله دينه على الدين كله .

هل هؤلاء

لقد يسر الله تعالى القرآن للذكر وجعل أركان الدين الاسلامى الحنيف وقواعده وطقوسه من البساطة والسهولة والمرونة والبعد عن التعقيد بحيث يستطيع كل انسان – مسلما كان أو غير مسلم – أن يأخذ بحظه من هذا الدين الكريم من غير عنت ولا ارهاق . ومع ذلك فانه من بالغ الأسف أن كثيرا من المسلمين شغلتهم الحياة الدنيا وصرفتهم عن أداء الفرائض الدينية كلها أو بعضها ويقولون مبررين لتقصيرهم : « ان قلوبنا طيبة وضمائرنا نقية واننا لا نظلم أحدا ولا نؤذى انسانا ولا نضمر السوء لأى مخلوق – والأعمال بالنيات – والدين المعاملة – والله غفور رحيم – وان كثيرين غيرنا ممن يحرصون على أداء الفرائض من صلاة وصيام وزكاة وحج يؤذون الناس بأقوالهم وأفعالهم – فنحن والحالة هذه أفضل عند الله منهم – ومن ثم فلا ضير علينا اذا نحن قصرنا فى أداء الفرائض والواجبات والشعائر الدينية وحسبنا ما نحن عليه وكفى .. »

لا شك أن هذه الدعوى أملاها عليهم شيطان الغرور بعد ان استحوذ عليهم وعزلهم عن اخوانهم المسلمين الذين استقاموا لله واعتصموا بحبل الله . اذ لا ينبغى لانسان عاقل ان يزكى نفسه بل الله يزكى من يشاء. ثم ان هذه الدعوى التى لقنهم الشيطان اياها يستطيع أن يرددها الملاحدة وعباد الاصنام . والا فما هى التكاليف الدينية التى تصبغهم بصبغة الاسلام وما هى الرابطة التى تربطهم بخير أمة أخرجت للناس ؟ لا شيء .. لا شيء .

واذا كان ما يقوله هؤلاء حقا من أن قلوبهم وضمائرهم نقية .. الخ . فماذا عليهم لو أنهم أضافوا الى هذه الصفات المنتحلة القيام بالفرائض الدينية ؟ ألا يكون ذلك أكمل لهم وأفضل ؟

وماذا عليهم لو ضل غيرهم واهتدوا هم ؟ أينقص ذلك من أجرهم أو يحط من قدرهم ؟

ما لهم كيف يحكمون ..!! وما لهم عن الحق معرضون ..!!

انه لو كان حقا ما يقوله هؤلاء المغرورون لبطلت الشرائع السماوية ولكان ارسال الأنبياء والرسل عبثا فى عبث والله جل شأنه منزه عن كل عبث لأنه عليم حكيم خبير .

أقول لهؤلاء المغرورين الذين فتنتهم الحياة الدنيا وغرهم بالله الغرور أو لهؤلاء الكسالى ان هذه الصفات المنتحلة هى بعض مكارم الأخلاق ومكارم الأخلاق هذه أمور متممة للدين وليست هى الدين كله لأن الرسول صلى الله عليه وسلم يقول : انما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق .

...سلمون حقا ؟

الأستاذ محمد السباعى الديب

فالدين بدون هذه المكارم الأخلاقية ناقص غير مستكمل وهى من غير دين لا تساوى شيئا لأن علاقة هذه الأخلاق مرتبطة بالمخلوق الذى تعامله ويعاملك وأما الخـالق واهب الحياة وولى النعم وصاحب الفضل الأول على كل مخلوق فله واجبات فى أعناقنا لا نكون مسلمين أبدا اذا تركناها وأغفلنا شأنها .

هذه الدعوى اذن دعوى مكذوبة أملاها عليهم الشيطان ليفتنهم وليحرمهم لذة الوقوف بين يدى الله ومناجاته فى الصلاة والقرب منه سبحانه فى السجود وسؤاله اذا خرج من الصلاة سؤال مضطر الى جناب الله « أمن يجيب المضطر اذا دعاه » .

ويريد الشيطان أن يحرم ذلك الانسان من الفرحة الكبرى فرحة الفطور عقب الصيام ومن راحة النفس بعد زكاة تؤدى للسائل والمحروم والفقير وابن السبيل .

ويريد الشيطان أن يحول بين هذا الانسان وبين مشاهدة المؤتمر الاسلامى الكبير الذى يعقد بمكة سنويا فوق جبل عرفات ومن نشوة انتصار الحق على الباطل عند رمى الجمرات ومن الطواف بالبيت العتيق والسعى بين الصفا والمروة .

وبالجملة أن الشيطان يريد أن يباعد بين هذا الانسان وبين الذين اشاد الله تعالى بهم فى قوله : « ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون . نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم ولكم فيها ماتدعون نزلا من غفور رحيم » .

ومع ذلك فانك اذا عاشرت أو صادقت بعض هـؤلاء المغرورين الذين لا يمارسون أداء الفرائض الدينية لوثوقهم من أنفسهم ـ كما يدعون ـ لوجدتهم مرتكبين لأخطر الجرائم التى حرمتها الشرائع السـماوية والقوانين الوضعية ولا داعى لذكرها وكل من هؤلاء يعلم فى قرارة نفسه أن هذه الجرائم وان كانت تخفى على بعض الناس فهى لا تخفى على الله الذى يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ويحاسب كل انسان على مثقال الذرة من العمل . ان خيرا فخير وان شرا فشر .

وعجيـب قولهم « انما الاعمال بالنيات » فقـد فاتهم القصد اذ يفهمون أن المعنى هكذا : انهم يكفيهم من العمل نية فعل الخير دون أن يفعلوه . فما دام أحدهم قد نوى خيرا فلا داعى للصلاة ولا للصيام ولا للزكاة ولا للحج .. الخ . ولا يدرون أن القصد هو أن قبول الأعمال وعدم قبولها مرجعه الى نية الانسان . فبعض الناس يتصدقون على الفقراء وفى نيتهم التفاخر والمباهاة .. وبعض الناس يصلون وفى نيتهم التظاهر بالصـلاح والتقوى . وبعضهم يحجون وفى نيتهم الربح التجارى وشراء لقب (الحاج فلان) فهذه الأعمال مردودة عليهم جميعا وغير مقبولة منهم لأن ظاهرها يخالف نواياهم التى يعلمها علام الغيوب والذى لا يخفى عليه شيء فى الأرض ولا فى السماء وهو الذى يقبل هذه الأعمال أو لا يقبلها حسب نياتهم لأن الأعمال بالنيات ولكل امرىء ما نوى .

وعجيب أيضا قول آخرين « الدين المعاملة » فقد فهموا خطأ أنه غير مطلوب منهم الا أن يعاملوا الناس بما يعاملهم به الناس وهذا طبعا ليس من الدين فى شىء وانما الدين هو أن تعامل ربك أولا فتفعل المأمورات وتجتنب المنهيات وأن تعامل نفسك فلا تظلمها ولا تلق بها ضررا أو مهانة أو ذلة وأن تعامل الناس بما تحب أن يعاملوك به كما ورد عن الصادق الأمين صلى الله عليه وسلم .

فليكف هؤلاء المدعون عن غرورهم وخداعهم لأنفسهم وليحذروا فتنة الشيطان لأنه عدو مضل مبين أخذ على عاتقه وأقسم جاهدا أن يفتن بنى الانسان كما فتن من قبل أبويهم آدم وحواء فأخرجهما من الجنة بعـد أن قاسمهما « انى لكما لمن الناصحين » .

من كل ما تقدم نفهم أن القائم على دين الله والعامل بكتابه والسـائر عل هدى رسوله صل الله عليه وسلم تتسع له رحمة الله ويفوز بقصده ومبتغاه وأما غيره من المقصرين فكيف يطمع فى رحمة الله وقد أعرض عن كتابه وهجر سنة نبيه وأتى يوم القيامة وليس فى كفة ميزانه حسنة واحدة .

أيقول انى أحسن الظن بالله ؟

كذب والله اذ لو أحسن الظن بالله لأحسن العمل .

أيقول : انى مؤمن بالله ؟

ان هذا القول يحتاج الى دليل والدليل هو أن تؤيد الجوارح هذا الايمان وتدعمه بالعمل الصالح والا فانه ايمان معطل لا قيمة له . فالايمان بلا عمل كالحياة بلا أمل وكالشجـر بلا ثمر « ان الذين آمنـوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا . خالدين فيها لا يبغون عنها حولا » .

وبعد .. لقد جرنى الى هذا الحديث كثرة اعراض بعض المسلمين عن الصلاة المفروضة وهى عماد الدين فمن لا صلاة له لا دين له .

وانى لأعرف كثيرين قد شرح الله صدورهم للاسلام لما فى صلاة المسلمين من تجرد لله رب العالمين فلا واسطة بين العبد وربه . يصلى لله على حافة جدول أو ترعة أو فوق سفح جبل أو على رأس حقل أو فوق ظهـر سفينة أو فى منزله المتواضع أو فى مسجد خال من الزخارف والصور والنقوش مفترشا حصيرا باليا أو ثوبا مرقعا مهلهلا يتجه الى الله بكليته فى خشوع وهدوء واستغراق بل ان كثيرين قد بزغ نور الاسلام فى قلوبهم حينما راعهم أذان الفجر اذ ينطلق صوت المؤذن والناس هجع رقود قد لفهم الظلام بأثوابه السوداء فلا يلبث هذا الصوت حتى يوقظهم من أحلامهم الباسمة ليستقبلوا ربهم ركعا سجدا . « قل ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين » .

من رجال الإسلام والوطنية في القرن العشرين

الشيخ عبد العزيز جاويش

بقلم

الأستاذ طاهر الطناحي

فى شهر فبراير سنة ١٩٢٩ توفى ((**الشيخ عبد العزيز جاويش**)) فخسر المسلمون بوفاته مصلحا اسلاميا ، وعالما دينيا مفكرا ، وخسر الوطن العربى زعيما وطنيا مخلصا ، وجنديا مدافعا عن حرية وطنه ، واستقلال أمته ، وافتقدت اللغة العربية والأدب كاتبا بليغا ، وقلما باسلا حرا ، وسياسيا لامعا قديرا ، وقد رثاه أمير الشعراء أحمد شوقى بقصيدة عصماء قال فى مطلعها .

أصاب المجاهد عقبى الشهيد
وألقى عصاه المضاف الشديد

وأمسى جمادا عدو الجمود
وبات على القيد خصم القيود

ثم قال فى وصف جهاده وما حمله من أعباء وآلام وجهود فى شبابه وكهولته وفى وطنه وخارج بلاده ـ

طريد السياسة منذ الشباب
لقد آن أن يستريح الطريد

لقيت الدواهى من كيدها
وما كالسياسة داه يكيد

حملت على النفس مالا يطاق
وجاوزت المستطاع الجهود

وقلبت النار مثل النضار
وغربت مثل الجمان الفريد

وصف شوقى هذا الفقيد العظيم ، فأوفى على الوصف وأحسن ، وكشف عن فضله وأخلاصه وتضحيته ، فلم يكن مسرفا فيما أبان وتبين .

فالشيخ عبد العزيز جاويش رجل أمة ، وصاحب رسالة وطنية ، وعلم من أعلام الاسلام الذين خدموا دينهم وبلادهم أجل الخدمات . وضحوا فى سبيلها بكل مايملكون من راحة وجاه ومجهود ومنصب ، وتضحية سخية لارياء فيها ، ولا نفاق ، ولا ضعف فيها ولا تردد ، ولاجبن فيها ولا تقصيرا .. !

وقد كان من أسمى صفات **(الشيخ جاويش)** شجاعة نفسه وقوة عزيمته ، وحبه للحرية الفكرية ، وكان يناضل عنها نضالا قويا جريئا حتى انه لما أرادت الحكومة المصرية ، اعادة قانون المطبوعات الذى وضعه الانجليز على أثر الثورة العرابية ، صاح فى وجه الحكومة ، وكتب مقالا شديد التعبير يلتهب حماسة وغضبا ، فقال مخاطبا (القلم)

((أيها القلم لو كنت سيفا لاغمدتك فى صدور من يحاربونك ، أو سهما لأنفذتك الى أعماق قلوبهم . ولو كنت جوادا لوجدت لك فى ميادين النزال مجالا للكر والفر ، ولكنك ذلك العود الذى أيسر ماينال من عدوه أن يعالجه بالمبراة فيشقه ، وبالاصابع فيكسره ، فليكن أيها القلم ماشاءوا لك : اما نائما الى حين ، أو

ميتا أبد الأبدين ، فقد تركت عيونا لايغزوها النوم ، وقلوبا لايملكها اليأس ، وأيديا لاتخاف السلاسل والأغلال ، وأرواحا تفدى الحرية والاستقلال ٠ »)

هذا مثل من أمثلة شجاعة (**الشيخ جاويش**) ودفاعه عن حرية الرأى وحرية القلم ، فهو شـجاع فى أعلان صوته ، وفى الغيرة على الحرية والاستقلال ٠ !

ولقد كان يكتب ، وكأنمـا كان يملى من قرارة نفسه ، ومن أعماق قلبه ، ومن صريح ايمانه وعقيدته ، ويخط على صفحـات القرطاس روحا قوية شديدة المراس وحمية دينية صادقة اليقين ، بليغة البيان والتبيين عظيمة الغيرة على شعائر الدين ، حتى اتهمه خصومه بالتعصب ، ولكن الحقيقة أنه لم يكن متعصبا فى يوم من الأيام ، يظهر ذلك فيما كتبه عن (**الاعتصاب الأزهرى**) وماكتبه فى حادثة « دنشواى » ضد بطرس باشـا غالى واعضاء المحكمة المخصوصة ، فقد كان لايتعصب الا للحق ، ولا يعمل الا للحق ، ولا يدافـع الا عن الحق ، شأن كل مخلص لعقيدته ومبادئه ، لايعنيه الا أن يكون عاملا فى سبيلها مؤديا واجبه نحوها قائما برسالته ، يتساوى عنده مدح المادحين وقدح القادحين ٠

وقد ولد (**الشيخ عبد العزيز جاويش**) بالاسكندرية فى ٣١ اكتوبر سنة ١٨٧٦ م من آب مغربى ، وأم مصرية ، ولكن كليهما عربى فى أصله وأرومته ، وقد نبتا فى الوطن العربى الكبير ٠ فقد وفد ابوه على الاسكندرية قادما من المغرب فى طريقه الى الحجاز لأداء فريضـة الحج ، وكانت بالاسكندرية يومئذ جالية مغربية كبيرة نجح كثير من أفرادهـا فى التجارة ، فحببت اليه الاقامة بها ، وافتتح لنفسه متجرا فى « **سوق المغاربة** » بالمدينـة فقدر الله له النجاح والتوفيق ، وتزوج مرتين : توفيت زوجته الأولى بعد ان أنجبت له ابنا وابنة ، فتزوج الثانية ، فأنجب منها خمسة بنين ، وبنتين كان أوسطهم (عبد العزيز)

نشأ عبد العزيز كما نشأ اخوته على ماأراده لهم والدهم من الجمع بين تحصيل العلم ، والتدرب على العمل فى متجره حيث تباع السلع والمنتجات المغربية ، فحفظ **القرآن الكريم** وجـوده فى مكتب قريب من المتجر ، ثم تلقى بعض العلوم الشرعية واللغوية فى جامع (**نبير**) حيث وجد عطفا كريمـا من استاذه **الشيخ ابراهيم درويش** ، ولم يشأ أن يتفرغ للتجارة بعد ذلك ، واستطاع بعد جهد أن يتغلب على معارضة ابيه وأخوته ، فتركوه يواصل الدرس ، ويتزود من العلم مايشاء ٠

***

واتفق فى ذلك الحين ان احتل الانجليـز الاسكندرية بعد ضربها بمدافعهم الغادرة فى ١٤ سبتمبر سنة ١٨٨٢ ، فهاجر سكانها فرارا بأرواحهم من بلاء المحتلين الظالمين ، واستقرت أسرة جاويش فى مريوط حيث كانت تملـك بها أرضا فسيحة ، وهناك كان الصبى المولع بالعلم يمضى اكثر وقته عاكفا على الدرس ٠٠ والمطالعة وماعادت الأسرة من مهجـرها الى الاسكندرية بعد انتهاء الثورة العرابية حتى استأنف دراسته المنظمة ،وأمضى سنوات مترددا الى جامع « **الشيخ** » حيث تلقى دروسه على طائفة من العلماء الأجلاء ، ولقى منهم عناية خاصـة وعطفـا كريما ٠ ومنهم الاساتذة المشايخ **أبو شافعى ، وخفاجى ، وعمر خليفة، واللبان** ، وفى خـلال هذه السنـوات كان الصبى عاشق العلم ، مواظبا على العبادة معروفا بالصدق والصبر والرصانة والهدوء ٠ كما عرف بميله فى ذلك الحين الى الصوفيـة والصوفيين ٠ !

ولما بلغ السادسة عشرة من عمره ، ابدى رغبته فى السفر الى القاهرة للالتحـاق بالأزهر ، فلقى أشد المعارضة من والده وأخوته ولكن حبه للعلم جعله لايعبأ بما فى سبيله من عقبات وصعاب ، وسرعان ماسافر الى القاهرة على غير رغبة أسرته ، ولبث فى الازهر سنة، اقبل خلالها على الدرس والبحث والمذاكرة بكل جوارحه ، متحملا فى صبر وايمان آلام الغربة والفاقة ، فكان يقضى وقته منذ الفجر حتى العشاء فى الدرس والمطالعة ، قانعا من الطعام بأيسره ، ثم يأوى وزميله الشيخ (حسن توفيق) الى الغرفة المتواضعة التى اتخذاهـا

مسكنا لهما ، وهناك يواصلان المذاكرة فى ضوء الشمعة الضئيل !

وكان طبيعيا أن لفت اجتهاد الطالبين الصغيرين أنظار أساتذتهما .. فأولوهما مزيدا من الرعاية والتقدير ، وكان استاذهما **(الشيخ محمد الكنانى)** صديقا لناظر مدرسة دار العلوم ، فأصطحبهما اليه وزكاهما عنده ، موصيا بالحاقهما بالمدرسة فتم ذلك في سنة ١٨٩٣ ، وبذلك دخلت حياة الفتى الطموح المهاجر من الاسكندرية لطلب العلم ، فى طور جديد ، وبدأ نبوغه الكامن يتفتح براعمه ، ويبشر بأطيب الثمرات .

أمضى عبد العزيز جاويش أربع سنوات فى دار العلوم ، كان خلالها مثالا كاملا للاجتهاد والمثابرة على تحصيل العلم مع المحافظة على استقامة الخلق . والاعتزاز بالكرامة ، ومعاملة أساتذته وزملائه الطلبة بما حببه اليهم جميعا ، وجعل له فى قلوبهم منزلة رفيعة ، وتوقع كل من عرفوه فى ذلك الحين أن سيكون له فى المستقبل شأن عظيم .

وصادف عقب تخرجه فى مدرسة دار العلوم ١٨٩٧ م ، أن توفى المرحوم الأستاذ حسن توفيق مبعوث المدرسة فى برلين ، فتقدم طالبا احلاله محله وزكاه المرحوم الاستاذ أمين سامى ناظر المدرسة وأساتذتها ، فلم يبق لديه شك فى اجابة طلبه ، وأخذ يستعد للسفر الى المانيا ، ولكن الحظ تخلى عنه فى آخر لحظة ، ففوجىء باختيار أحد زملائه لشغل ذلك المكان الخالى بالبعثة !

وقد حز هذا فى نفس الفتى الطموح ، وغضب لتخطيه فى الاختيار غضبا شديدا ، لم يخفف منه الا مالقيه من مواساة ناظر المدرسة وأساتذتها وكبار المختصين فى وزارة المعارف ، وقد وعدوه بايفاده فى بعثة الى الخارج فى العام التالى !

وهكذا أمضى سنة بعد تخرجه فى المنصب الذى عين فيه ، وهو منصب مدرس فى مدرسة الزراعة ، ثم واصل سعيه فى سبيل تحقيق أمنيته ، وساعده الحظ فى هذه المرة فأوفدته الوزارة فى بعثة الى جامعة **(برورود)** فى انجلترا حيث مكث ثلاث سنوات هناك ، كان فيها مثال الجد والنشاط والاستقامة ، حريصا على الاحتفاظ بزيه الشرقى ، وعلى اداء فرائض الصلاة فى أوقاتها ، وصوم شهر رمضان ، وتوجيه زملائه المسلمين من المصريين وغيرهم الى مافيه خيرهم وخير بلادهم .

عاد **(عبد العزيز جاويش)** من انجلترا الى مصر سنة ١٩٠١ ، بعد أن تزود من علوم الغرب الحديثة ، ودرس بنفسه عادات الانجليز وتقاليدهم وأخلاقهم ، وتمكن من لغتهم ، ووقف على اتجاهات سياستهم الخارجية فى مصر والشرق ، فتمت له بذلك كله ــ وبما نبغ فيه قبل ذلك من علوم الدين واللغة العربية ــ شخصية ممتازة ، توافرت فيها كل المقومات الشرقية والغربية للتقدم والبروز .

وعين على اثر عودته مفتشا فى وزارة المعارف ثم معلما لآداب اللغة العربية وعلوم التربية فى دار العلوم ، فكان فى كل هذه المناصب الحكومية مثلا أعلى للكفاءة والاخلاص ، وفى الوقت نفسه كان مثال الوطنى الواعى الجرىء ورجل الدين المصلح الذى لاتأخذه فى الحق لومة لائم ، ومن هنا لم ترض عنه السياسة الانجليزية التى كانت مسيطرة على البلاد فى ذلك الحين ، وكان يمثلها فى وزارة المعارف **مستر دنلوب ،** ذلك الاستعمارى الجبار العنيد فاحتال للتخلص من نشاطه الوطنى الخطير باخراجه من الوزارة بل من مصر كلها ، وعمل على اختياره مدرسا فى جامعة **(اكسفورد)** بانجلترا ، لعل فى وجوده هناك مايعدل به عن طريق المقاومة الوطنية . !

وكان أن عاد الشيخ الوطنى الشاب الى انجلترا ، ولبث فى منصبه الجديد هناك ثلاث سنوات ، لم يكف خلالها عن الاستزادة من العلم ولا عن العمل لخير وطنه ومواطنيه ، وقوى اتصاله بالزعيم الوطنى الأول **(مصطفى كامل)** الذى كان قد انشأ جريدته « **اللواء** » للحملة على الاستعمار ، فأرسل اليه الشيخ عبدالعزيز من انجلترا مقالات وبحوثا عدة ، نشرت فى اللواء من غير توقيع ، وكان لأسلوبها البديع

ولما اشتملت عليه من دوافع الفكر والأدب والعلم والسياسة صدى عميق فى نفوس قراء اللواء !

وفى أثناء وجوده فى (**اكسفورد**) دعيت الحكومة المصرية الى مؤتمر للغة العربية فى بلاد المغرب ، فكان ثالث ثلاثة اختيروا لتمثيل مصر فى هذا المؤتمر وقدم فيه رسالته المعروفة « **الاسلام دين الفطرة** » فكانت محل التقدير والاعجاب ٠

كان (الشيخ عبد العزيز جاويش) فى الثلاثين من عمره حين عاد للوطن من انجلترا للمرة الثانية ،فعين مفتشا فى وزارةالمعارف للمدارس الأولية ، ثم للمدارس الابتدائيةوما فوقها ، واتفق بعدئذ أن خلا منصب المفتش الأول للغة العربية باختيار شاغله المرحوم الاستاذ عاطف بركات ناظرا لمدرسة القضاء الشرعى ، فاختير الشيخ عبد العزيز لشغل ذلك المنصب ، وكان المرحوم (**سعدزغلول**) وزيرا للمعارف فى ذلك الحين ٠

وأبلى الشيخ جاويش فى منصبه هذاأحسن البلاء ، وسجل له التاريخ مآثر جليلة فى خدمة الدين واللغة العربية والوطن فى أثناء السنتين اللتين شغل فيهما ذلك المنصب ،اذ كان لايفتأ فى دروسه ومحاضراته ومقالاته يدعو الى التمسك بقواعد الدين وآدابه ، ويحض على التعمق فى دراسة اللغة العربية بوصفها لغة القرآن ٠ وعلى تعميم استعمالها فى المعاهد والمدارس والمصالح الحكومية والأهلية ، وألف فى ذلك الحين كتابه (غنية المؤدبين) الذى ضمنه أهم قواعد التربية الصحيحة والتهذيب السليم ، كما الف بالاشتراك مع آخرين كتاب (مرشدالمترجمين) باللغتين العربية والانجليزية ، وكان لهالفضل عن تحريف فى آيات القران الحكيم ، وقعفى طبعة روسية للمصحف ، وصلت منها الوف النسخ الى مصر ، فتقرر جمع هذه النسخ وأعدامها ، ومنع دخول تلك الطبعة الى البلاد٠

وكذلك كان له الفضل الأكبر فى الدعوة الى انشاء ٠٠ نادى دار العلوم وفى السعى الحثيث حتى أنشىء ذلك النادى .

وكان قد تزوج عقب عودته من انجلترا، مصاهرا احدى الأسرات الكريمة التى عرفها فى الاسكندرية ناشئا ، على أن شعوره بالمسئولية ازاء الأسرة التى كونها لنفسه ، لم يحل دون مضيه قدما فى سبيل العمل لما يرى فيه مصلحة أسرته الكبرى مصر ، ومصلحة العرب والشرق والمسلمين أجمعين ، وعلى هذا استمر فى محاربته سياسة دنلوب الاستعمارية الغاشمة ، وذهبت مع الريح جميع المحاولات التى بذلها الانجليز وأذنابهم لحمله على الكف عن حملاته بلسانه وقلمه على تلك السياسة ٠ ثم حدث بعد سنتين أن استأثرت رحمة الله بالزعيم الوطنى الشاب مصطفى كامل ، فحزن عليه أشد الحزن ، ورثاه فى جموع الشباب أحر رثاء ، قائلا لهم ٠

« انكم جميعا أيها الشباب ، نسخ كثيرة عديدة للفقيد الراحل ، فأنتم عزاء الوطن فى فقد من فقد ، ومن رآكم لم يخب أمله فى مستقبل الأمة ٠٠ »

ثم سرعان ما استقال من منصبه بوزارة المعارف ، مضحيا بمرتبه الذى كان يومئذ ٣٦ جنيها فى الشهر ، وبما كان ينتظره من ترقيات وعلاوات تناسب ماحصل عليه من أجازات وشهادات علمية ٠ وقد أسف على استقالته جميع رجال التعليم المصريين ، لما كانوا يجدون فيه من روح وطنية عالية ،وعلم واسع غزير ، وأدب جم ، وعطف كريم ٠

وقد حاول **سعد زغلول** وزير المعارف ان يثنيه عن هذه الاستقالة ، وألح فى ذلك كثيرا، ولكن الشيخ **عبد العزيز** ٠ اصر عليها ، فلم يسع الا قبولها مع الاعراب عن أسفه العميق ٠

وفى ٢ مايو سنة ١٩٠٨ تولى الشيخ عبد العزيز رياسة تحرير « **اللواء** » وقدمته الجريدة بكلمة قالت فيها ٠

« وقع اختيار شركة اللواء على رجل كبير الفؤاد ، غزير المادة ، عاطر الاسم ، هوحضرة الشيخ عبد العزيز جاويش ، الذى كان مفتشا بنظارة المعارف ، والقراء يعرفونه من كتابته

وخطاباته التى طالما اعجبوا بها ، وأنه لو لم تكن الظروف قد حالت دون هذا التعيين من زمن بعيد لكان رئيسا لتحرير اللواء منسنة مضت على الأقل ، لأن المرحوم مصطفى كامل باشا كان قد تخابر معه فى أن يشغل هذا المركز ، لأهليته واستعداده »

وفى اليوم التالى كتب الشيخ كلمته الأولى فى اللواء ، فقال فيها ٠

ـ بعونك اللهم قد استدبرت حياة ،زادها الجبن وخور العزيمة ، ومطيتها الدهان والتلبيس فى أسواقها النافقة تشترى نفيات النفوس بزيوف الفلوس ، وتباع الذمم والسرائر بالابتسام وهز الرؤوس ، وبيمينك اللهم استقبل فاتحة الحياة الجديدة ، حياة الصراحة فى القول ، حياة الجهر بالرأى ،حياة الارشاد الى حياة الاستماتة فى سبيل الدفاع عن البلاد العزيزة ٠

استقبل هذه الحياة ، بعد ان قضيت فى سابقتها ثمانى حجج ، بلغت فيها ذلك المنصب الذى كنت فيه مابين محسود عليه ، ومرجو فيه ٠ أستقبل هذه الحياة المحفوفة بالمخاطر ، منبريا فى ميدانها ، فاما الى الصدر واما الى القبر ٠

وبقى الشيخ يغذى اللواء بنفثات قلمه البليغ ،مجاهدا الانجليز واساليبهم الاستعمارية نافخا من روحه القوية الوثابة فى روح الشباب مهيبا بهم أن ينهضوا للكفاح وبذل النفوس فى سبيل الحرية والكرامة ٠

وبلغ من قوة تأثيره أن كان كثيرون من الشباب المجاهدين يحفظون كلماته الوطنية فى اللواء ، عن ظهر قلب ٠ !

ولم يكن الانجليز وأذنابهم فى مصرليرضوا عن استمرار الشيخ جاويش فى حملاته العنيفة على الاستعمار والطغيان ، فتوالت المؤامرات البريطانية للتخلص من المجاهدين الوطنيين ، وقدم الشيخ جاويش للمحاكمة ، كما قدم زميله الزعيم **محمد فريد ، خليفة مصطفى كامل** ، واضطر الرجلان آخر الأمر الى الرحيل عن مصر ، لمواصلة جهادهما فى الخارج ضد المستعمرين الطغاة ٠

وقد كان رحمه الله من أكثر الناس تفكيرا فى الاصلاح الاجتماعى ، وهذا التفكيرهوالذى أخذ بكل مشاعره وقواه ٠ وله كرس حياته٠ فهو الذى أنشأ المدرسة الاعدادية الثانوية لتكون نواة صالحة ينسج عليها التعليم الثانوى ٠ وهو الذى أرسل بعثة أزهرية الى فرنسا سنة ١٩١١ م بقصد اصلاح الأزهر الشريف وجمع المال ، واختار لها طالبين من أنجب الطلاب غير ان نفيه من مصر كان قاضيا على استمرار هذه البعثة ٠

وكان الأستاذ جاويش من أكبر مناصرى الحركة التعاونية فى مصر ، ومن أول الداعين لنشر التعليم الأولى وفتح مدارس العمال الليلية فى أنحاء القطر ، وكان يدرس فيها بنفسه ٠

وقد انشأ مجلة « **الهداية** » للدفاع عن الدين ، ومحاربة الخرافات

وقد كان هذا الرجل لايكترث بشىء فى الحياة الا تحقيق فكرة الأصلاح ، والنهوض بأمته الى اوج العلا غير حاسب لنفسه ولا لأولاده أى حساب ٠ وقد كان يخرج ومعه بعض النقود فاذا سأله معوز اعطاه مامعه ، ولذلك عاش هذا الرجل فقيرا ومات فقيرا ٠

وقد بلغ به الفقر يوما أن خرج من الاستانة شريدا حينما دخلها الحلفاء ولم يترك لأسرته شيئا ٠ وبلغت بها الشدة ان باعت كل ما تملك من أثاث حتى ماتنام عليه ٠ ومع هذا كان مايشغله فى أوربا وهو بعيد عن عائلته هو إصلاح أمته ، فكان يكتب ويخطب فى سبيل الدفاع عن قومه ودينه غير مفكر فى حياته الشخصية ، وحياة عائلته التى تركها تحت رحمة الله ٠

وفى سنة ١٩١٨ ، وكان وقتئذ فى تركيا بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى ، أيقن أن الدولة العثمانية مرغمة على عقد الهدنة وأحس هو واخوان له من المصريين والترك والضباط الالمان بأن الخطر محدق بالآستانة وانها واقعة فى أيدى الحلفاء لامحالة ، وهم ثأر الحلفاء والد أعدائهم ، فصحت عزيمتهم على الفرار الى روسيا ومنها الى المانيا ، وكان

الشيخ عبد العزيز مصابا يومئذ بالحمى الأسبانيولية ، فغادر فراشه وأوى مع أولئك الاخوان الى سفينة صغيرة اقلتهم الى روسيا . ولما وصلوا الى الشواطىء الروسية ،استقلوا قطارا من القطارات المعدة لنقل الحيوان وكانت المركبة التى ركبوا فيها مشحونة بالخنازير والروائح الكريهة تتصاعد من جميع أنحائها وكان بين رفقاء الفقيد الكريم فى هذه الرحلة المرحوم **محمد فريد خليفة مصطفى كامل وعبد الحميد سعيد والدكتور احمد فؤاد والشيخ التونسى وفؤاد بك سليم وغيرهم** وأخيرا وصل هذا الجمع الى المانيا بعد مسيرة خمسة عشر يوما ذاقوا فى خلالها من صنوف العذاب والهوان ألوانا ، ولكن المقام لم يطب لهم فى المنطقة التى نزلوها لأن الجيش الالمانى كان على أهبة التسليم ، فشدوا رحالهم الى سويسرا .

ومازال الشيخ عبد العزيز وصحبه دائبين على أمرهم الى أن جف معين ماكانوا يحملونه معهم من مال . فأصبحوا لايملكون شيئا ولما رأوا أن الخناق قد ضاق بهم اعتزموا الخروج الى الجبال والغابات للاحتطاب وقلع الأخشاب على أن يرتزقوا من بيع مايفتح الله به عليهم من ذلك فيعيشوا ، ويمضوا فى نشر الدعوة لمصر واعلان حقها للأمم فى العالم

وبينما كان الشيخ عبد العزيز يسير فى احد نواح مدينة (برن) شارد الفكر وهو يتأمل فى صناعته الجديدة التى سيستقبلها وتستقبله فى غده ، لقيه صديق تركى له سابقة عهد بمصر واتصال بأهلها ،فسأله عما يفكر فيه فلم يصارحه بأمره وطوى عنه صحيفة حاله غير أن ذلك الصديق الح عليه وألحف ، فلم يجد بدا من الافضاء اليه بذات نفسه ، فلما وقف ذلك الصديق على جلية حاله وحال أخوانه وعده بأن يكون وسيطا له ولأصحابه فى اقتراض مبلغ من المال من بعض الأصدقاء فشكره الشيخ عبد العزيز على غيرته ومضى فى حاله غارقا فى بحار أفكاره وآلامه . .!

اما الصديق الوسيط فانه لقى اعراضا من كثيرين من الذين ظن انهم سيلبون نداءه، واخيرا التقى **بمركيز ايطالى سبق له أن زار مصر** فسأله المركيز عما يشغله فى ذلك اليوم ، فأفضى اليه الأمر فاهتم النبيل الايطالى بمصير أولئك المجاهدين المصريين وسأله عن اسمائهم فأجابه بأنه لايعرف منهم سوى عبد العزيز جاويش فأطرق المركيز لحظة ثم قال : « **انى سمعت اسم هذا الرجل فى مصر سنة ١٩٠٩ حين خرج من السجن وأقيمت له حفلة تكريم فى فندق الكونتننتال حيث كنت نازلا يومئذ وكان الزحام شديدا وقد شاهدت بنفسى كيف كان الناس يجرون مركبته بأيديهم فى ذلك اليوم . !**

ولما انتهى من كلامه أعرب عن رغبته فى مشاهدة عبد العزيز المذكور فأخذه اليه فطيب خاطره ، وخاطر اخوانه ، واقرض كلا منهم أربعمائة جنيه نشلتهم من حالة البؤس التى كانوا قد انحدروا اليها .!

ومما هو جدير بالذكر فى هذا المقام ان جهاد (عبد العزيز جاويش) فى سبيل دينه وقومه بدأ حينما كان يشتغل بتدريس اللغة العربية فى جامعة اوكسفورد فى أول عهده فانه وضع يومئذ كتابا سماه (الاسلام دين الفطرة) كما اسلفنا وضمنه ثلاث موضوعات اولها عن الاسلام دين الفطرة ويتناول عدة موضوعات منها : الفطرة والتوحيد والنبوة والغرض الفطرى منها ، والقرآن والفطرة البشرية ، وأصول الاسلام ، وصفات المؤمنين.

والثانى عن المرأة فى الاسلام ، وتعدد الزوجات ، وزوجات النبى ، ، وامرأة زيد ، والطلاق فى الاسلام .

والثالث : عن حرية الفكر قبل الاسلام ، وعن التحرر العقلى ، والقرآن . والحرية ، والقرآن والمعجزات ، والقرآن والمعارف الكونية والقرآن والعلوم الحديثة الى آخره .!

والذى بعثه على تأليف هذا الكتاب وتعزيزه بالخطب والمحاضرات هو رغبته فى الدفاع عن الاسلام ضد التهم التى كان

يوجهها اليه المستشرقون الانجليز وغيرهم فكان أول كتاب للشيخ عبد العزيز ظهر فى انجلترا وترجم الى اللغة الانجليزية ، فأعجب جميع الذين اطلعوا عليه بقوة حجة مؤلفه وسعة علمه ، وقد قال فى مقدمة هذا الكتاب .

((زارنى ذات يوم ، وانا فى اوكسفورد من بلاد الانجليز ، لفيف من نجباء طلبة العلم فى كليتها الجامعة ، فما كاد يستوى بهم المجلس حتى أخذنا فى أمر الشرق والشرقيين ومالهم من الأخلاق والعادات والأحوال التى تبين - فى كثير من الوجوه - ما عليه أهل أوربا، حتى أفضى بنا الحديث الى الكلام فى الاسلام ، فتبينت من مناقشات القوم أنهم لايكادون يفقهون للاسلام معنى ، سوى أنه دين الاسترقاق والطلاق وتعدد الزوجات، وأن المسلمين يعبدون محمدا كما يعبدالنصارى المسيح أبن مريم .. وما زادونى فيهم بصيرة فكانما قابلت من أمثالهم ما أوقفنى على مبلغ علم معظم القوم بهذا الدين الحنيف .

.. فأخذت اذ ذاك أبين لأولئك الأفاضل ، أصول الدين الاسلامى وقواعده وحكم بعض تشريعاته ، فكنت أرى القوم يتدبرون ما أقص عليهم ، من غير أن يستهوى نفوسهم تعصب ، ولا يعمى قلوبهم عناد أو جحود ، بل نبذوا وراء ظهورهم جميع ماكانوا يلقنونه منذ المهد من النقائص ، التى مثلت لهم الاسلام فى ابشع صورة وأقبحها ، ولم ينته بنا الحديث . حتى انطلق أحدهم قائلا :

(يخيل الى أيها الشيخ أن هذا الدين لا ينافى الفطرة فى شىء)

فأجبته اذا ذاك بما تذكرته من قوله عليه السلام .

((كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه كما تنتجون البهيمة هل تجدون فيها من جدعاء حتى تكونوا تجدعونها))

وترجمت لهم ذلك الحديث الشريف .

.. والذى يفهم من الحديث أن التهويد أو التنصير صفة تطرأ على الانسان بنسب ابويه كالجدع الذى يصيب الشاه ان تولد على الفطرة سليمة لاعيب فيها .

ويدل على ذلك مانص عليه الشرع الأسلامى من عدم تكليف القاصرين ، والا يؤاخذوا بما فعل آباؤهم من التهويد والتنصير ، حتى يبلغوا راشدين راضين بدين آبائهم فيؤاخذوا اذذاك ... وقد القيت على كواهلهم أعباء التكاليف بما كسبت أيديهم .

.. فنرى الاسلام قد اعتبر القاصرين ، حتى ابناء النصارى أو اليهود ، أو المجوس مسلمين ناجين حتى يكلفوا .. فالدين الفطرى لكل مولود هو الاسلام الا فيما يتعلق ببعض المعاملات الدنيوية كالارث ونحوه . فان الأطفال فى ذلك تابعون لآبائهم .

.. وبعد ... فانا نريد ان نذكر للوجه كون الاسلام دين الفطرة وانه لو ترك الطفل وشأنه حتى كبر غير مهود ولا منصر اختار بفطرته الاسلام ولايمكن توضيح ذلك الابالبحث فى بعض أصول الاسلام وقواعده والأغراض التى يرمى اليها الشارع فى تكاليفه .

ذلك ما قدم به كتاب **((الاسلام دين الفطرة))** وقد كان هذا الكتاب عنوانا لغيرته الدينية ، وخدماته الكثيرة للأسلام . وقد قدمت فى هذا المقال أمثلة على بلاغة هذا الرجل العظيم ووطنيته ومبلغ ماضحى فى حياته واحتمل من الآلام فى سبيل دينه ووطنيته وحرية بلاده.

وقد كان من هذه التضحية ماتعرض له من انتقام الخديو عباس حتى حكم عليه بالسجن ستة أشهر فى قضية ديوان ، **((وطنيتى)) للشيخ على الغاياتى** . ثم ماتعرض له من محاربة المستعمرين المحتلين حتى خرج من مصر ، وبقى فى تركيا طيلة الحرب العالمية الأولى ، ثم سافر الى أوروبا وبقى فيها الى ان قامت الحركة الوطنية فى وطنه فعاد اليه حيث عين مديرا للتعليم الأولى الى أن توفاه الله فذهب راضيا مرضيا ، وصعد الى بارئه طاهرا نقيا وأوى فى دار النعيم مع الصديقين والأبرار المجاهدين .

الاسلام دين العمل

بقلم الأستاذ عبد القادر موسى

ان الاسلام فى الحقيقة ، ووفقا لنتائج العديدة من أبحاث المقابلة بين الأديان هو أتم صورة وأكملها لأرقى ماوصل اليه التنظيم الالهى فى معالجة شئون الحياة ، وهو يهتم بالدنيا اهتمامه بالآخرة. فليس فيه رهبانية تقعد عن مواجهة مشكلات الحياة هو دين الحرية والمثل العليا ، وهو ايضا دين العمل والايمان بأروع مافى الكون من حق وخير .

ان الاسلام عمل واخلاص ، فلقد أمر الله المسلمين بالسعى على أرزاقهم ، كما حثهم على التقى الايمان ((**فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور**)) . والاسلام قدم مكانة المكافحين العاملين على المتبتلين المنقطعين لعبادة الله . فقد كان بعض المسلمين يكثرون الثناء على أخ لهم يصوم النهار ويقوم الليل ، فسألهم النبى : عمن يعوله ؟ فقالوا : كلنا - فرد عليهم النبى قائلا - كلكم خير منه . ذلك أن المؤمن القوى - فى رأى الاسلام - خير وأحب من المؤمن العاجز الضعيف . وان ((**اليد العليا خير من اليد السفلى**)) .

فالمؤمن القوى القادر غير المتواكل يستطيع بماله وجاهه ان يسهم فى تدعيم الاسلام واعزازه ويساعد على نشر الدعوة ، ويتخطى بالعبادة حدود نفسه الى غيره عن طريق القدرة على التأثير والاسهام فى المشروعات الخيرية الاسلامية ، **ومن المأثور عن النبى صلى الله عليه وسلم قوله : ((مانفعنى مال كمال أبى بكر))**

وقال ابن الجوزى : **كان سادة الصحابة والتابعين يتجرون ويجمعون الاموال وكان ذلك من أعون الامور على نشر الدعوة))** .

ولكن فهم الناس للاسلام قاصر ، والدعاة **اليه كثيرا مايقعون فى أخطاء عند تصديهم** لتوعية الناس بمبادئه ، ولقد كان ذلك واحدا من سلسلة الأسباب القوية التى أدت فيما مضى الى تأخر المسلمين وتخلفهم عن ركب الحضارة . ولعل من أقوى تلك الاخطاء ، ايضا ، بل ومن اجلها خطرا فى حياة الملايين من أبناء الشعوب الاسلامية تلك الفلسفة الانهزامية أمام الحياة والتى تتجلى فى الاعتقاد بأن الانسان غريب فى هذه الحياة الدنيا ، ضيف عليها ، مدعين بأن التواكل من الزهد . ولكنهم يضرون بذلك أنفسهم ويصمون الزهد بما ليس فيه .. **فان الزهد كما يقول ابن سفيان بن عيينه : ((انما هو فيما حرم الله ، فأما ما احل الله فقد اباحه ، فان النبيين قد نكحوا ، وركبوا ، وأكلوا ، ولكن الله نهاهم عن شىء فانتهوا عنه ، وكانوا به زهادا))** .

وانه لمما يدفع الأسى الى النفوس ، أن يكون فهمنا للدير قاصرا . وهو ذلك الدين القيم الذى قدم للعالم أشرف صورة وأرقاها لأسمى دستور استطاع أن يكفل للبشر جميعا على السواء ، الحرية فى الحياة وفى العبادة : ((**لكم دينكم ولى دين**)) والاشتراكية فى نعم الله وأرزاقه :

« والذين فى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم » ووضع أسسا واضحة وبنودا لايتطرق اليها الشك وقوانين صريحة تحدد للناس صلتهم بربهم ، كما تنظم لهم صلتهم بعضهم ببعض : « الدين المعاملة » .

وحين يتعرض الدستور الاسلامى للعمل فباعتباره فرضا على كل قادر ، فكل مسلم راع وهو مسئول عن رعيته ... فالامام –الذى على الناس– راع وهو مسئول عن رعيته ، والرجل راع على أهل بيته وهو مسئول عن رغيته ، والمرأة راعية على بيت زوجها وولده وهى مسئولة عنهم وعبد الرجل راع على مال سيده وهو مسئول عنه. واكتفاء الحديث بالتمثيل بالامام وبالعبد وهما طرفا المجتمع سلطانا وضعفا، وبالزوج وزوجته وهما القطبان الخالدان فى تكوين المجتمع ، فيه شمول لكل أطراف المجتمع واصرار على مسئولية كل فرد فيه .

ويتعرض الرسول لذلك فى حديث آخر فيقول : « لايسترعى الله تبارك وتعالى عبدا رعية قلت أو كثرت ، الا سأله الله تبارك وتعالى عنها يوم القيامة : أقام فيهم أمر الله تبارك وتعالى أم أضاعه حتى يسأله عن أهل بيته خاصة « فكل مسلم مسئول بقدر ماولاه الله من الامر » .

والأمور والاعمال – من خلال هذه النظرة الواعية – مكملة لبعضها سواء أعظم شأنها ام صغر اذ أن كل امرىء ميسر لما خلق له . فليست حاجة الأمة الاسلامية الى زراع يخرجون لها « مما تنبته الارض » بأقل من حاجتها الى مهندسين يقيمون السدود ويشيدون العمائر ، ولا حاجتها الى أدباء وفلاسفة ينشرون الفضائل ويعمقون معنى الحق والخير والجمال بأقل من حاجتها الى قواد يحمون الوطن ويدافعون عن معتقدات الجماهير ويسهرون على حماية مكاسب الأمة وتأكيد سيادتها .

عمل واحد فريد يعده الاسلام أرقى انواع العمل وهو الجهاد فى سبيل الله ولتكون «كلمة الله هى العليا». قيل للرسول دلنى على عمل يعدل الجهاد ، فقال : لا أجده .

والعمل ، كائنا ماكان نوعه ، ليس عارا وانما العار فى البطالة ، حتى أن الرسول يجعل السعى فى سبيل كفالة النفس **والأسرة سعيا فى سبيل الله « ان كان يسعى فى سبيل كفالة نفسه ليكفها عن المسألة ويغنيها عن الناس فهو فى سبيل الله وان كان يسعى على أبوين ضعيفين ليغنيهم ويكفيهم فهو فى سبيل الله » .**

فالاسلام يريد المسلم عاملا ، لأن فى عمله تأكيدا لحريته وتثبيتا لاستقلاله الشخصى وتدعيما لقوته الروحية وحفظا لطاقاته الخلاقة ان يقعدها الفقر والعوز عن الانطلاق وطريقا لتأمين سلامته النفسية ، لذلك فان الله – على حد قول الرسول : **« يحب العبد المحترف » و « لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب على ظهره خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه » . ولقد قال عمر بن الخطاب ، أحد العمرين الذى أعز الله به الاسلام : « انى لأرى الرجل فيعجبنى فأقول : أله حرفة؟ فان قالوا – لا ، سقط من عينى » .**

ومن دلائل اصرار الاسلام على تكريم العمل والعمال أن الرسول لمح ، ذات يوم ، ورما فى يد أحد المسلمين فسأله النبى عن سبب ذلك ، فقال الرجل : انه من اثر المسحاة التى اعمل بها لأنفق على عيالى ، فتناول الرسول العظيم يد الرجل وقبلها قائلا : **« هذه يد يحبها الله ورسوله » .**

والاسلام يبين وسائل انفاق مايربحه المرء من العمل ، ولا يفوته أن يؤكد أن أصوب وجوه الانفاق ماكان أكثرها اتصالا برعية المسلم التى استرعاه الله عليها ، وأوجب عليه المسئولية امامه سبحانه وتعالى عنها ، وفى ذلك يقول الرسول الاعظم : « دينار أنفقته فى سبيل الله ، ودينار أنفقته فى رقبة ، ودينار تصدقت به على

مسكين،ودينار أنفقه على أهلك،اعظمها أجرا الذى أنفقته على أهلك » . ولايمكن أن يكون معنيا بهذا الحديث التقليل من شأن الانفاق فى سبيل الله وفى التصدق وفى أعمال الخير عموما فمن أركان الاسلام الزكاة وهى لكفالة غير القادرين على العمل عن طريق المساعدات الاجتماعية. ولكن الهدف السامى الذى اتجه اليه الرسول - فوق تأكيده لضرورة تحمل المسلم لتبعاته الأساسية أولا - هو تدعيم الاسرة بوصفها الخلية الاولى فى بناء المجتمع ، ولايمكن أن نتخيل مجتمعا اسلاميا ناهضا ومتحضرا دون أن تكون هناك ملايين وملايين من الأسر الاسلامية الناهضة المتحضرة والمؤمنة بأن لا اصلاحية للحياة بغير نشىء يصلح « بالدين » فيصلح الامة « بالعمل » الصالح . ولقد كان الرسول العظيم بعيد النظر ، خبيرا بأمور الحياة الأمر الذى أظهره على حقيقةاجتماعية دقيقة ، وهى أن هؤلاء الذين يحتاجون الى ينفق عليهم من الصدقات ، هم ضحية أسر ولدوا فيها ولم تكفلهم ، سواء أكان ذلك عن ضيق ذات اليد ، أو تقصير فى تلك الكفالة ومن هنا فانه يكون من البديهى أنه لو كفل كل مسلم من يعولهم وبدأ بنفسه وبهم ولم يقصر فى مسئولياته المباشرة ، لقلت وتضاءلت تلك المسؤوليات غير المباشرة كالتصدق وغير ذلك من الكفالات الاجتماعية والتى يمكن وفق هذا التنظيم الاسلامى ان تكون الحاجة اليها مقصورة على الكوارث المباغتة كالموت والمصائب والكوارث وغيرها مما لايمكن ادخاله فى حيز التخطيط ، وانما يكون الفرد والمجتمع على استعداد للاسهام فى دفعه - فى حينه - كل على قدر مايستطيع.

ولم يقتصر الأمر بنبى الله عند حد تكريم العمل والعمال على النحو المثالى الرائع الذى فصلناه فى مجال حديثنا عن كرامة العمل التى يحرص عليها الاسلام ، وانما تعداه الى العمل الحقيقى والكفاح من أجل الحياة ، كان - صلى الله عليه وسلم فى بدء حياته عاملا فى مال السيدة خديجة . ومما ترويه عنه عائشة ، رضى الله عنها ، أنه كان يذهب الى السوق ليشترى لوازمه ويحملها بنفسه . وكان مع صحابته يوما وهموا بذبح شاة ، فقال أحد الصحابة : على ذبحها ، وقال الثانى : على سلخها ، وقال الثالث : على طبخها .. وهكذا ، فقال الرسول : وأنا على جمع الحطب ، فقالوا : نحن نكفيك « العمل » يارسول الله ، فقال : **أعلم ذلك ولكن الله يكره أن يرى عبدا متميزا على اخوانه !**

فكرامة المسلمين واحدة ، فالاسلام دين التضامن والوحدة والعمل والمسئولية **« المؤمنون تتكافأ دماؤهم ، ويسعى بذمتهم أدناهم ، وهم يد على من سواهم »** .

وكان أبو بكر الصحابى الأول ، يحمل الثياب على كتفيه فيبيع ويشترى حتى اذا ماولى الخلافة خوطب فى ترك التكسب لأجل شغله بالخلافة ، فقال : فمن أين أطعم عيالى ؟ ففرضوا له مايكفيه .

وكان سعيد بن المسيب رضى الله عنه يقول : « لاخير فيمن لايطلب المال - من العمل الشريف طبعا - يقضى به دينه ، ويصون به عرضه ، ويصل به رحمه ، فان مات تركه ميراثا لمن بعده »

ولقد كان موسى عليه السلام - حسب ماجاء فى القرآن الكريم - عاملا فى مال شعيب ، وهاهو رسول الاسلام يحدثنا عن نبى آخر كان يتخذ من صناعة الدروع حرفة يتعيش منها : **((ماأكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده ، وأن نبى الله داود كان يأكل من عمل يده))** .

وبعد ، فانه ينبغى أن نفهم الاسلام فهما سليما على أساس أنه دين الدنيا والآخرة وأن نعلم عن يقين أن الاسلام من أغنى مصادر التشريع فى العالم فى جميع مجالات الحياة . لذلك فانه كان خدمة جليلة للاسلام أن يقام مجلس أعلى يهتم بالشئون الاسلامية ، ويضع المخططات اللازمة للوصول بالاسلام وبالمسلمين الى المكانة التى ينبغى أن يصل اليها أصحاب الرسالات .

من
إعجاز
القرآن

إعجاز القرآن البياني

بقلم الدكتور حفني محمد شرف

ان البحث فى البلاغة على أساس من المنهج الجديد بترسم بيان القرآن سيدعونا حتما الى البحث فى الاعجاز وفنونه وفنون الاعجاز وأبوابه شتى ، ولو تتبعنا مناص الاعجاز فى بيان القرآن لرأينا وجوها عدة وصوراجمة

الاعجاز البيانى :

فمن حيث النظم الفريد الملتئم المحبوك نرى صورة عجيبة تعلو فوق آفاق البلغاء وتسمو على مناط فنهم ومن حيث الموسيقى نرى فنانيها يتأثرون بالقرآن . ومن حيث التصوير نرى فنا عجبا يسحر اللب ويسيطر على منازع النفس واهواء القلوب . هذا بالاضافة الى مافى قصصه من فن باهر ومافى اتساق معانيه وائتلاف أغراضه وفى السورة الواحدة - من نظام مدهش رائع يسمو على قدرة البلغاء ويعلو على آفاقهم فالسورة الواحدة وحدة ونظام مؤتلف مهما كان فيها من كثرة تصريف الحديث وتلون الخطاب سواء فى ذلك الطويلة والقصيرة كأن السورة فى ائتلافها وتناسق أوضاعها بناء هندسى قد أحكم فنه وزاد اتقانه حتى صار كلا لايتجزأ اذ ليس هناك فجوات أو ارتجال فى التنقل بين المعانى والأغراض .

فالآية اللاحقة تشد بعروة السابقة برباط محكم لا انفصال فيه ولا انفصام والسورة كلها بعد بناء حى متماسك .

ويبهرك هذا اذا علمت أن نزول الآيات فى كثير من السور جاءت منجمة مفرقة على حسب الحوادث وظروف التنزيل فأى احكام جعل من السورة التى نجمت آياتها - لدواع كثيرة من حوادث الوحى - بناء حيا متماسكا يشد بعضه بعضا ويأخذ بعضه بحجز بعض ؟

ان الاعجاز فى نظم الآية الواحدة وتناسق وحداتها هو بعينه فى تناسق الآيات جملة **فى سورة واحدة ، ((كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير)) وصدق الله العظيم الذى أنزله : ((قرآنا عربيا غير ذى عوج)) .**

ترى : لماذا جاء بهذه الصيغة وعلى تلك الطريقة ؟ ألست معى فى أن ذلك كله دليل قاطع على الاعجاز ولما كان الاعجاز ذا فنون عدة فقد برزت لنا منها الوحدة الفنية لتدلنا على هذا الترتيب العجيب فى سور القرآن هذا الترتيب الذى انتظمته الوحدة الفنية من أقصاه الى أقصاه انتظاما لاداعى لانكاره أو الفض من قيمته وسنختار هنا سورة البقرة لنضرب

منها المثل ويكون بها الدليل . سورة البقرة هى أطول سور القرآن الكريم وقد نزلت منجمة لدواعى الظروف وأسباب المناسبات وكان ذلك فى تسع سنين ، ثم هى قد حوت الكثير من المعانى والأغراض ومع هذا كله .. فانه يثبت لها مايثبت لجميع القرآن من وحدة فنية ربطت بعضه ببعض وجعلته بناء حيا متماسكا لاخلل فيه ولا اضطراب

وكثير من سور القرآن قد نجمت أيضا - كسورة البقرة - فجمعت آياتها المكى والمدنى بل اتفق احيانا ان بعض الآيات كانت تنزل فى مناسبتها وتوضع فى ترتيب متأخر من السورة بعد آية تتلوها فى النزول أو تتأخر قليلا ولكنها توضع فى ترتيب متقدم من السورة نفسها بل كانت بعض السور لم يكتمل نزول آياتها ثم تنزل آية اخرى فلاتوضع فى السورة التى لم يكتمل نزول آياتها . بل توضع فى سورة أخرى وفى مكانها المناسب فى أول السورة أو آخرها . هنا ويجب أن ننبه الى مسألة جديرة بالاعتبار تلكم هى التوقيفية فى ترتيب الآى اذ لامجال للرأى فى هذا الترتيب .

ومن هنا ولما بسطنا من طريقة ترتيب الآى فى النزول ينفسح أمامنا حديث الاعجاز ويتسع فى وحدة السور الفنية وتناسق آيها تناسقا مطردا مما يصعب معه ملاحظة أى اختلاف فى الآيات من ناحية تنجيمها ونزولها على دفعات

ولو أنك تفحصت السور بعد هذا الاستواء الكامل فى ترتيب الآى لم يدر بخلدك الا انها بناء واحد مرصوص . قد شد بعضه الى بعض لأن بعضه يريد بعضه فى تماسك واحكام .

وحتى لو تصورت أن سور القرآن - بعد ماعرفت من ظروف نجومها ونزولها قد نزلت جملة واحدة لمكان التناسق والاطراد والاحكام فى سياق آياتها - لو تصورت هذا لم تكن واهما ولم يكن ظنك مخدوعا وانما هى أس الحقيقة وعين الصواب .

نعم : كنت مصيبا لانك قد بنيت تصورك على أساس متين من ملاحظة التناسق الكامل فى سياق الآيات فى السورة الواحدة .

وليس سهلا على النظر العابر أن يستجلى هذه الحقيقة ويدرك مدى التناسق التام فى سياق الآيات بل ان استجلاءها يكلف دقة فى النظر وامعانا فى الفكر . وكم سمعنا من بعض أصحاب النظر السطحى أن بعض الآيات لاتلتئم والتى قبلها أو مايتلوها فى سورة واحدة ولو ان هؤلاء وقفوا وأمعنو وبحثوا وفتشوا لتجلت لهم هذه الحقيقة فى جوهرها الكامل وأصالتها الحقة .

ونحن من جانبنا لانرى لهؤلاء السطحيين مثلا سوى قول القائل .

وليس يصح فى الأذهان شىء
اذا احتاج النهار الى دليل

فاذا راعينا الرحمة بالبعض منهم وهم الخفافيش الذين لايرون فى وضح النهار فهل لنا أن نهمس فى آذانهم بما نراه ؟ ربما ..

ان العجيب فى أمر هذه الوحدة الفنية فى القرآن الكريم أنها تبدو فى أشكال شتى ومظاهر متعددة وقد درسنا عدة سور من الطوال والقصار فوجدناها - فى هذا وذاك - تبدأ باجمال للمقاصد والأغراض ثم تفصل هذه المقاصد وتلك الأغراض . وأخيرا تختم آياتها باجمال مافصلت من معان أو أغراض .

كما لاحظنا أن الوحدة الفنية تظهر فى اتباع أسلوب موحد يسود جو السورة ملتزمة موسيقى تعبيرية معينة تتناسب وجو السورة العام كما يتناسب الأسلوب الموحد المختار فيها ليناسب المعانى والأغراض .

هذا فضلا عن ترابط المعانى المتسلسلة فى السياق ترابطا شديدا لا انفصال فيه ولا انفصام .

وقد لاحظ الأقدمون من الباحثين هذا التناسق العجيب فى سياق آيات القرآن الكريم وخاضوا فيه بأبحاثهم مخدرين ومعجبين

يقول الرافعى فى كتابه « اعجاز القرآن » « من أعجب مااتفق فى هذا القرآن من وجوه اعجازه أن معانيه تجرى فى مناسبة الوضع واحكام النظم مجرى الفاظه على مابيناه من أمرها ولايعدم المفكر وجها صحيحا من القول

فى ربط كل كلمة بأختها وكل آية بضريبتها وكل سورة بما اليها وهو علم عجيب اكثر منه الامام فخر الدين الرازى فى تفسيره وقال فيه : ان أكثر لطائف القرآن مودعة فى الترتيبات والروابط . ويقال : ان أول من أظهر هذا العلم الشيخ « ابو بكر النيسابورى » وكان غزيرة المادة فى الشريعة والأدب فكان يقول على الكرسى اذا قرئ عليه لم جعلت هذه الآية الى جنب هذه ؟ وما الحكمة فى جعل هذه السورة الى جنب هذه السورة ؟ وكان يزرى على علماء بغداد لأنهم لايعلمون هذه المناسبات » وقد قال ابن العربى فى بعض كتبة مايؤيد هذا الكلام الذى يقوله الرافعى وهو ماينبغى بيانه وتوضيحه يقول الرجل .

« ارتباط آى القران بعضها ببعض حتى يكون كالكلمة الواحدة متسقة المعانى منتظمة المبانى علم عظيم لم يتعرض له الا عالم واحد عمل فيه سورة البقرة ثم فتح الله لنا فيه فلما لم نجد له جملة ختمناه وجعلناه بيننا وبين الله »

والامام برهان الدين بن عمر البقاعى المتوفى سنة ٨٨٥ كتاب سماه : « نظم الدرر فى تناسب الآى والسور » وكان جل مقصوده من هذا الكتاب . بيان ارتباط الجمل بعضها ببعض .

وللامام السيوطى مباحث عديدة ومتنوعة فى هذا الباب وقد تناوله أيضا الاساذ الامام محمد عبده سقى الله أجداثهم جميعا وطيب ثراهم .

ومما يؤيد سمو الناحية الفنية أيضا فى هذا الكتاب المعجز ماقاله الدكتور زغلول سلام فى كتابه : (أثر القرآن فى تطور النقد العربى » (من أهم مايسترعى النظر فى منهج الباقلانى لدراسة اعجاز القران : اعتبار الوحدة الفنية التى تتضمن موضوعا واحدا ويظهر هذا من تناوله بالتحليل سورة بتمامها يتدرج فيها ليظهر ماتنطوى عليه من خصائص فى النظم لاتقتصر على مجرد روعة استعارة أو بلاغة تشبيه يرد فى آية أو فى عبارة قصيرة وانما اعجازه منصب عليه جملة لاتفصيلا فالسورة – لا الآية – أصغر وحدة فنية موضوعية فى القرآن يمكن الحكم عليها باعجاز النظم أو بالبلاغة وروعة البيان »

ثم يقول الدكتور سلام فى موضع آخر :

« يحلل الباقلانى سورة من القرآن باعتبار السورة وحدة فنية موضوعية فيتناولها تناولا طريفا – لعله لم يسبق اليه – فيحللها من ناحية النظم متعرضا لالفاظها ومعانيها وتآلف الالفاظ والمعانى فى نظم رائع وصلة الفاصلة بالنظم ويقوم بتقريب معانى السورة وشرح مواطن الجمال فيها »

ثم يقول : (يتناول الباقلانى سورة النمل جملة وقد اعتاد غيره الوقوف عند الآيات المفردة : يفسر غريبها ويبين مافيها من جمال اللفظ والمعنى فى حدود البديع والبلاغة ويرسم المنهج قبل بدء رحلته فيقول : ثم اقصد الى سورة تامة فتعرف فى معرفة قصصها وراع مافيها من براهينها وقصصها وتأمل السورة التى يذكر فيها النمل وانظر فى كلمة كلمة وفصل فصل »

هذا وقد تبدو أهمية البحث فى وحدة القرآن الفنية اذا عرفنا ان كثيرا من الخلط والتلبيس قد وقع فيه بعض المفسرين نتيجة هذا التناول (المجزأ) الذى أخذوا أنفسهم به مقلدين من سبقهم فى دراسة آيات القران الكريم .

ولكنا نقول : ان المنطق الصائب هو مراعاة النظرة الكلية للموضوع بمعنى أن ينظر الى آى الكتاب باعتبارها حلقة فى سلسلة تشمل السورة بأسرها ، أو بتعبير آخر لابد أن يلاحظ السياق الذى ترتبط به الآيات .

نقول هذا وندور عليه لأنه محور الموضوع كله ففهم آية بعيدا عن سياقها قد أوقع فى لبس بل فى تحيف ظالم وخذ لك مثلا لما نقول :

قال تعالى : ((فارتقب يوم تأتى السماء بدخان مبين يغشى الناس هذا عذاب أليم)) وقد قال بعض الباحثين المحدثين ومن يكرهون

القرآن على النظريات العلمية فى تفسيره لهذه الآية : ان الدخان المبين ماظهر فى هذا العصر من الغازات السامة والغازات الخانقة التى انتجها العقل البشرى كوسيلة من وسائل التخريب والتدمير .

أرأيت هذه الجرأة الجاهلة فى تجنيها على القرآن الكريم ؟

انظر معى لترى أن هذا التفسير قد أغفل السياق الذى يكشف عن معنى الآية كشفا صحيحا دقيقا . ان السياق يقول بعد تلك الآية .

« ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون ، أنى لهم الذكرى وقد جاءهم رسول مبين . ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون »

السياق كما ترى بمثابة قبس يكشف عن وضع الآية وضعها الصحيح . فالآية تهديد لقريش الذين أعرضوا عن الرسول - صلى الله عليه وسلم وكذبوا دعوته ورموه بالجنون ولما آلموه وضيقوا خناقهم قال داعيا عليهم : **« اللهم اجعلها عليهم سنين كسنى يوسف »** وأجيب الرسول لفوره فأصيبوا بالقحط والجوع فكان الرجل ينظر الى السماء فيرى بينه وبينها كهيئة الدخان لما أصيب به من غشية الجوع والجهد . فالتوعد فى الآية بيوم شديد على الكافرين قد وقع لهم فعلا . ومراعاة السياق وجو الآية يرشد الى هذا المعنى فيجذبنا نحوه بل ويدلنا عليه .

روى أن رجلا جاء الى ابن مسعود وقال له تركت بالمسجد رجلا يفسر القرآن برأيه يفسر قوله تعالى : « فارتقب يوم تأتى السماء بدخان مبين » ان الناس يوم القيامة يأتيهم دخان فيأخذ بأنفاسهم حتى يأخذهم كهيئة الزكام فقال ابن مسعود . من علم علما فليقل به ومن لم يعلم فليقل : الله أعلم » .

انما كان هذا لأن قريشا استعصت على النبى - صلى الله عليه وسلم فدعا عليهم بسنين كسنى يوسف فأصابهم قحط وجدب حتى أكلوا العظام فجعل الرجل ينظر الى السماء فيرى بينه وبينها كهيئة الدخان .

وانى قد ذكرت ذلك كله مع أن بحث هذه المسألة وأهميتها قد يخرج عن دائرة البحث البلاغى الذى نحن بصدده لأؤكد قيمة بحث سور القرآن من حيث الوحدة الفنية التى تشمل السورة كلها برباط واحد. وتبدو هذه الأهمية اذن من ناحيتين ، الناحية الأولى : أنها سر من أسرار اعجاز القرآن خاصة بعد ماعرفنا من تفريقه على حسب الحوادث والملابسات المختلفة .

والناحية الثانية : ان القرآن كتاب الهداية والتشريع يعوزنا فى استجلاء معناه واستبطان مراميه أن نراعى سياق آياته وارتباط بعضها ببعض . فهل من مجيب ؟

الوحدة الفنية فى سورة غافر أو سورة المؤمن :

اذا كان هناك من ظل يدين بأنه لاوحدة ولا ترابط بين الآيات فى سور القرآن وأن التنقل ارتجالى لا أثر فيه لاتساق أو احكام - اذا كان هناك من يقول هذا فاننا لن نقول له : حسبك ماقلناه وقررناه وانما سنزيده بيانا وسنكفيه ايضاحا عله يرجع ويئوب . فاليه الحديث :

ان القرآن الكريم هو آية الله المعجزة وحجته الباهرة وقد كذب به الكافرون وكان تكذيبهم مثارا لقضية خطيرة فانه كسائر آيات الله فى كونه لاينبغى أن يكذب به أحد كما لاينبغى أن يشك فى آيات الله الكونية انسان يلبى عقله ويصيخ لداعى تفكيره حتى ولو كان فطريا .

وعلى هذا فالكافرون بالقرآن لهم عقاب شديد كالكافرين بكل آيات الله فى الكون . هذه القضية قد فصلت فى السورة بعد اجمال ثم أجملت بعد تفصيل متخذة أسلوب المقابلة الذى يزيد أمر البيان وضوحا واليك البيان : **تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم ، آية** باهرة ومعجزة ككل آيات الله فى الكون ولا يجادل فيها مؤمن منصف لنفسه **« مايجادل فى آيات الله الا الذين كفروا »** وقد سبق الكفار بالقرآن كفار آخرون بمثل القرآن من الآيات المنزلة على الرسل وهموا

بالرسل ليقتلوهم **« كذبت قبلهم قوم نوح والأحزاب من بعدهم »**

وعوقب الآخرون كما عوقب الأولون على التكذيب بآيات الله **« فأخذتهم فكيف كان عقاب . وكذلك حقت كلمة ربك على الذين كفروا أنهم أصحاب النار »**

أما المؤمنون بآيات الله وبالقرآن فهم فى رحمة الله تدعولهم الملائكة بالرحمة وبالرضوان فى جنة عرضها السموات والأرض وتدعولهم بغفران الذنوب . والملائكة يشتركون معهم فى هذا الايمان الصادق بالله رب العالمين **(الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم)** والملائكة الذين يستغفرون للمؤمنين بالقرآن ينادون بالمقت للكافرين بهذا القرآن لأنهم اذ يكفرون به يمقتون أنفسهم . وغضب الله عليهم أشد وأعتى فهم يطلبون الخروج من العذاب فلا يخرجون .

(ان الذين كفروا ينادون لمقت الله اكبر من مقتكم أنفسكم اذ تدعون الى الايمان فتكفرون) الآيات (١٠-١٢)

وان الله يطلع الناس على آياته فى الكون كما يطلعهم على معجزة القرآن ولا يهتدى بها الا المؤمنون **(هو الذى يريكم آياته .)** الخ الآيات (١٣ - ١٤)

وآيات الله انما تنزل بأمر الله على من يشاء من عباده ، ينزلها رفيع الدرجات ذو العرش فلا يطمع فيها طامع ومهمة الآيات ان تنذر الناس بيوم يتلاقون فيه ويحشرون الى الله وينفرد الله بالملك وحده فيحاسب الناس فى هذا اليوم على ما استقبلوا به آياته فى الدنيا فلا يضيع شىء مما قدمه الانسان لأن الله يعلم خائنة الأعين وماتخفى الصدور ويقضى بين الناس بالحق وهو السميع البصير الآيات (١٤-٢٠)

والى هنا ينتهى الحديث مجملا ثم يستأنف التفصيل .

كذبت الأمم من قبل بآيات الله فأخذوا جزاء تكذيبهم وهذا موسى ومن أرسل اليهم مثل يؤيد ذلك

أرسل الى فرعون فكذبه هو وقومه ولم يؤمنوا بآياته ومعجزاته وقالوا : ساحر كذاب وقابلوا آياته بالطغيان ، **« وقال فرعون ذرونى أقتل موسى وليدع ربه »**

والتجأ موسى من طغيان فرعون الى الله وظاهره ونصره رجل مؤمن بالله وآياته وتوجه هذا المؤمن الى قومه بالنصح قال لهم : **« اتبعون أهدكم سبيل الرشاد : اخاف عليكم مثل يوم الأحزاب : أخاف عليكم التناد** ، وذكرهم بقصة يوسف ومن فرطوا كذلك فى آياته البينات وقال لهم : لاتجادلوا فى آيات الله فالذين يجادلون فى آيات الله بغير برهان عليهم غضبه ونقمته ولكن الضالين قد طبع على قلوبهم فهم لايستجيبون لموسى الرسول فأولى الايستجيبوا لمؤمن آمن بآياته وصدق به وبالغ فرعون فى طغيانه قال : **« ياهامان ابن لى صرحا لعلى أبلغ الأسباب أسباب السموات فاطلع الى اله موسى » (ياقوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد) « مالى أدعوكم الى النجاة وتدعوننى الى النار »** ياقوم لاتتركوا جانب الله ولاتسرفوا فالمسرفون هم أصحاب النار . وبعد أن يئس منهم فوض أمره الى الله **« فستذكرون ماأقول لكم وأفوض أمرى الى الله »** ودفع فرعون المكذب بآيات الله فى العذاب **(النار يعرضون عليها غدوا وعشيا)** ووقع التابعون كالمتبوعين .

« انا كل فيها ان الله قد حكم بين العباد »

وهنا نقطة بارزة للمقابلة الرائعة فى أسلوب القرآن الكريم . الكافرون يعذبون بتكذيبهم آيات ربهم يقولون لخزنة جهنم ادعوا الله يخفف عنا يوما من العذاب فتعرض عنهم الملائكة مبكتين : **(أو لم تأتكم رسلكم بالبينات)** لقد كذبتم بآيات الله على أيدى الرسل وهى دلائل صدق وشواهد عدل فادعو الله انتم ايها الكافرون . فان دعاءكم مردود عليكم : **(فادعوا ومادعاء الكافرين الا فى ضلال) .**

ولاحظ أنت فى صدر السورة قوله تعالى : **« الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا » ، أى بالقرآن وآياته : معجزة الرسول** صلى الله عليه وسلم .

وجهان متقابلان للمؤمنين بآيات الله شأن مع الملائكة وللكافرين بها شأن آخر . والنتيجة الحتمية للرسل وللمؤمنين بآيات ربهم : النصر فى الدنيا والآخرة على المكذبين فهؤلاء **« لاتنفعهم معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار » .**

وختمت قصة موسى بآيتين فى اجمال : **« ولقد آتينا موسى الهدى وأورثنا بنى اسرائيل الكتاب » .**

ثم اقرأ هذا السياق المتسلسل المتماسك فى الآيات (٢١ ـ ٥٤) .

وطبيعى أن يكون بعد طمأنة الرسول صلى الله عليه وسلم بالنصر أن يصبر ولا ييأس لتكذيب المكذبين بالقرآن فوعد الله حق ولينصرف الرسول الى عبادة الله فما عليه من ضلالة الكفار فليس من شأن هؤلاء رجوعهم الى الحق لأنهم جاهلون مجادلون .

« فاستعذ بالله انه هو السميع البصير » .

والذين لا يؤمنون بالقرآن والذين يكذبون بما جرى على أيدى الرسل من آيات لا تنفعهم الدلائل فى السماء والأرض ولا فى أنفسهم فهم يمارون فى الساعة والبعث : **« لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس »** والساعة آتية لا ريب فيها والذين لايؤمنون ويستكبرون عن عبادة الله سيدخلون جهنم داخرين .

وآية خلق السموات والأرض كافية للنظر والايمان مع دلائل الرسل ولكن لا يستوى الأعمى والبصير كما لا يستوى المؤمن والمسىء .

وآية أخرى فى كون الله الفسيح الرحيب **« جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا » .**

وثالثة من الآيات موجة للنظر والتأمل : **« جعل لكم الأرض قرارا والسماء بناء » .**

ورابعة : **« وصوركم فأحسن صوركم ورزقكم من الطيبات » .**

وكيف ينصرف الناس عن عبادة الله وقد جاءتهم البينات على أيدى الرسل وآيات الله الدالة عليه تملأ الآفاق ؟ خلقكم من تراب ثم من نطفة . يحيى ويميت .

أفلا تكفى هذه الآيات وغيرها لصرف المجادلين فيها واعادتهم الى حظيرة الحق ؟ **«ألم تر الى الذين يجادلون فى آيات الله أنى يصرفون » « مايجادل فى آيات الله الا الذين كفروا » «الذين كذبوا بالكتاب وبما أرسلنا به رسلنا فسوف يعلمون »**سوف يعلم المكذبون مصائرهم غدا فى الحميم والنار المسجورة لا ينفعهم شركهم لأن بطرهم وغرورهم هو الذى زين لهم ماساروا فيه : **« ذلكم بما كنتم تفرحون فى الأرض بغير الحق وبما كنتم تمرحون » .**

فلتصبر يا محمد مرة ثانية على المكذبين فوعد الله حق فان رأيت عذابهم الذى توعدناهم به فى الدنيا كان بها وان كانت الأخرى وتوفيت قبل ذلك فانهم الينا لراجعون فمصائرهم موكولة الينا .

وقد أرسل الله الرسل مظاهرين بالآيات من عند الله لا يأتونها من عند أنفسهم فاذا كذب بها الكافرون جاء امر الله وخسر المبطلون .

وتنتهى السورة بعد هذا كله : بعد أن تشير لك فى صراحة ووضوح على ما زخرت به فى جميع آياتها من تناسق والتئام : أجزاء قدضم بعضها الى بعض فجمعها جو عام من السياق لفها وأحاط بها فكانت السورة . وكانت الوحدة الفنية فيها . ولا غرو فجميع سور القرآن الكريم نلمح فيها هذه السمة الفنية التى تلم شمل الموضوع وتجمعه من أقطاره فاذا به وقد وقع بين يديك نظام والتئام لاظل لفجوة ولا مكان لثغرة وانما هو الترابط وانما هو التسلسل والاتحاد أو قل أخيرا انها هى الوحدة الفنية فى سور القرآن .

عبد الناصر صانع السلام في بريوني

الأستاذ كامل عبد المجيد

" إن السلام لا يتوافر بانقسام العالم إلى أجزاء متخاصمة أو كتل متباعدة لا صلة بينها غير الخنادق والأسلاك الشائكة .. تربض وراءها معدات العدوان وأسلحة القتل والتدمير .. وإنما يتوافر السلام بأن تتسع جبهة الإخاء بين الشعوب وأن يجرى بينها الاتصال المنتج والتفاعل الخلاق على أوسع نطاق ممكن "

جمال عبد الناصر

ان جهود صانع السلام واضحة الأثر فى كل بقعة من بقاع العالم ، وهى تنعكس بصورة – واقعية وملموسة – فى مؤتمرات السلام المتعددة ، التى كان جمال عبد الناصر أحد الدعامات الرئيسية التى ارتكزت عليها هذه المؤتمرات ٠٠ فى باندونج ٠٠ فى بريونى ٠٠ فى القاهرة ٠٠ فى أديس أبابا ٠٠ وفى كل زمان ومكان ٠

والفقرة التى تتصدر هذا المقال ، كما انها تعبر عن سياسة زعيم السلام وصانعه فى المجال الدولى ، فقد كانت ٠٠ وهى دائما ٠٠ تعبير صادق عن رغبة شعبنا الاكيدة فى الحفاظ على السلام العالمى وذلك بانتهاج سياسة عدم الانحياز والحياد الايجابى ٠

وكما خلقت سياسة الحياد الايجابى كتلة ثالثة على الصعيد الدولى – اذا جاز لنا أن نسميها كتلة – فانها قد جمعت بين دول عدم الانحياز فى مؤتمرات عدة لتوكيد سياستها ونشرها بين دول العالم أجمع ٠

وقد كان مؤتمر باندونج أول لبنة فى هذا البناء الجديد ٠٠

ثم جاء مؤتمر بريونى الذى انعقد فى يومى ١٨، ١٩ يوليو سنة ١٩٥٦ اللبنة الثانية فى حجر الاساس لسياسة الحياد الايجابى وعدم الانحياز . وكذلك نجد أن المعانى التى ضمنها جمال عبد الناصر – صانع السلام – الفقرة المتصدرة لهذا المقال تتأكد وتتبلور فى البيان الذى أصدره أقطاب مؤتمر بريونى فى

توصياتهم ، ففى البند الخامس من توصيات المؤتمر :

« ان من شأن انقسام العالم الى كتل قوية من الشعوب استمرار للمخاوف والتوتر .. ولذلك يجب السعى فى سبيل السلام .. لا عن طريق الانقسام ولكن بالسعى فى سبيل الأمن الجماعى على أســاس عالمى وتوسيع مجال الحرية والقضــاء على كل سيطرة لبلد على بلد »

وقد جاء مؤتمر بريونى توكيدا وتثبيتا لسياسة الحياد الايجابى التى اجتمع زعماؤها الثلاثة حول مائدة واحدة فى جزيرة بريونى، وبذلك كان هذا المؤتمر وقرارات رسـل السلام الثلاثة : عبد الناصر ونهرو وتيتو ، امتدادا لقرارات مؤتمر باندونج وتأكيدا لها.

كما أن مؤتمر بريونى قد حقق انتصارا جديدا وانتشارا أوسع مدى لسياسة السلام فقد تمثلت فيه قارات ثلاث هى أوربا وافريقيا وآسيا ممثلة فى الأقطاب الثلاثة زعماء دول : مصر والهند ويوغوسلافيا ، هذا بينما لـم يمثل مؤتمر باندونج سوى دول أسيـا وأفريقيا ، وفى هذا المؤتمر أيضا ، اتفـق ممثلو الدول الثلاث على قرارات حيوية وهامة تؤيد حرية الشعوب وتدعم سياسة الحياد والسلام .

ويتضح دور صانع السلام فى مؤتمـرات السلام ، وفى مؤتمـر بريونى بالـذات ، فى تعليق داج همرشولد ، السكرتير العـام الأسبق لهيئة الأمم المتحدة على اشتراك عبد الناصر فى هذا المؤتمر حين قال :

« ان زيارة عبد الناصر ليوغوسلافيـا ستعاون جهود الأمم المتحدة فى سبيل اقرار السلام الدولى »

وقد كان لاجتماع اقطاب السلام الثلاثة أهمية دولية بالغة تجاوزت النطاق السياسى لكل من الدول التى يمثلها هؤلاء الزعمـاء لاعتبارات كثيرة أهمها :

(١) ايمان الاقطاب الثلاثة ايمانا عميقـا بأن التعايش السلمى بين جميع الـدول ينبغى أن يصبح حقيقة ملموسة وأن التعاون المخلص الصادق بين كافة الدول هو الكفيل وحده بازالة حدة التوتر الدولى الذى يهدد بخطر الحرب النووية ، ولهذا يجب أن تلتزم دول العالم بسياسة خفض التسليح كخطوة أولى فى سبيل نزعه .

كما يؤمن الزعماء الثلاثة بان عدم الدخول فى الأحلاف العسكرية التى تخدم مصالح الاستعمار والدول الاستعمارية يأتى فى مقدمة العوامل التى تكفل السلام وتؤكده ، وعليه فانهم يؤيدون ـ بحرارة ـ سياسة الحياد ويناهضون ـ بشدة ـ التكتـلات العسكرية أيا كانت .

كما أن رسل السلام الثلاثة يؤمنـون كذلك بأن الاستعمار فى مختلف أشكـاله وصوره شر يجب التخلص منه وهم لذلـك يشجعون الدول المستعمرة بكافة الوسـائل للتحرر طبقا لميثاق الأمم المتحدة .

وقد جاءت قرارات الأقطاب الثلاثة مؤكدة لهذه المعانى فنصوا باتخـاذ الخطـوات التدريجية لازالة أسباب الصراع والتوتر فى العالم ودعوا الى العمل المشترك لاقرار السلام العالمى والسعى فى سـبيل نزع السـلاح فى نطاق الامم المتحدة والكف عن تفجير الأسلحة الذرية وتقدير أهمية التعاون الدولى الاقتصادى والمالى . كما اشاروا فى توصياتهم أيضا الى المناطق الرئيسية الثلاث التى يسودها التوتر الدولى الذى يمكن أن يتـولد عنه الصراع والحرب وهذه المناطق هى : أوربا الـوسطى والشرق الأقصى والشرق الأوسط ، فدعوا الى تمثيل الصين الشعبية فى الأمم المتحدة والى تسوية مشكلة ألمانيا بما يتفق وأمانى الشعب الألمانى والى معالجة مشاكل الشرق الأوسـط على أساس من حرية الشعوب فأبدوا عطفهـم التام على رغبة شعب الجزائر فى الحرية ونيل الاستقلال ـ وقد حصل عليه مؤخرا ـ كما اعتبروا أن الموقف فى فلسـطين يعد بمثابة خطر على السلم العالمى ، ولذلك فهم يؤيدون

القرارات التى اتخذت فى مؤتمر باندونج بالنسبة لقضية فلسطين .

وقد تولى عبد الناصر شرح مشكلات الشرق الاوسط شرحا وافيا وركز جهوده على قضية الجزائر ومشكلة فلسطين وموقف المعسكر الغربى المعادى منها وكذلك التوتر الذى يسود منطقة الشرق الأوسط نتيجة لسياسة الضغط على بعض الدول العربية لاتباع سياسة معينة كما أشار عبد الناصر أيضا الى نمو الوعى القومى فى هذه المنطقة .. منطقة الشرق الاوسط .

وتبادل زعماء السلام الثلاثة الرأى فى مشكلات العالم المعاصرة لانعقاد المؤتمر وتناقشوا فى صراحة وواقعية وجعلوها أساسا للمباحثات التى دارت بينهم مما أسهم فى وصولهم الى حلول سريعة وعاجلة للمسائل المعروضة على بساط البحث .

ونستطيع القول بأن مؤتمر بريونى يعتبر علامة تقدم على طريق السلام الذى تمهده الدول المحايدة غير المنحازة اذ يعتبر هذا المؤتمر كسبا جديدا لقضية السلام بانضمام دولة أوربية هى يوغوسلافيا الى ركب الدول الافروآسيوية المتحررة المؤمنة بالمعايشة السلمية فى ظل سياسة حيادية غير منحازة كما أنه مثل ثلاث قارات كبيرة ..

وكان المعنى الوحيد لهذا هو أن أنصار سياسة الحياد الايجابى التى يتبعها عبد الناصر ونهرو وتيتو يتضاعفون ، وكنتيجة حتمية لانتشار القوة الحيادية الجديدة كان ذلك يعنى القضاء المبرم على الاستعمار ، ومن هنا حاولت الدول الغربية بشتى الوسائل القضاء على هذه الكتلة الجديدة وعلى مصر بالذات المتزعمة لدول الحياد وكان هذا واضحا أبلغ الوضوح فى الاعتداء الثلاثى عام ١٩٥٦ عقب انتهاء المؤتمر مباشرة .. ولكن دول باندونج وبريونى وقفت بجانب مصر وآزرتها وايدتها فى موقفها ضد المعتدين الآثمين

.. وفى النهاية تحقق النصر لمصر المتحررة المحايدة .

ومن النتائج الهامة كذلك لهذا المؤتمر والتى لايمكن تجاهلها عند الحديث عن مؤتمر بريونى ان هذا المؤتمر يعتبر نقطة تحول فى شخصية مصر الدولية اذ أنها تعدت النطاق الآسيوى الأفريقى وغزت النطاق الاوربى ، وبذلك انفسح المجال الدولى أمام القضايا العربية التى تتبناها وتناصرها مصر .

كما أن هذا المؤتمر يعتبر تأكيدا للمبادىء العشرة التى تقررت فى باندونج والخاصة بتحقيق السلام والتعاون الدوليين .

وكذلك حصلت مصر – من خلال المؤتمر – على تأييد شامل لسياستها ازاء مشكلة فلسطين وقضايا الشمال الأفريقى .

ومن النتائج الجوهرية للمؤتمر أيضا قراره الخاص بأن يبذل كل جهد لتهيئة جو للسلام والعمل وفقا للمبادىء الرئيسية المنصوص عليها فى ميثاق الامم المتحدة .

وبذلك يكون مؤتمر بريونى – كما كان مؤتمر باندونج – تعبيرا صريحا واضحا عن سياسة مصر وقائدها – رسول السلام – فى المجال الدولى والعالمى .. وهى سياسة التعايش السلمى والحياد الايجابى التى تنص على أن المذاهب السياسية المختلفة وما تنطوى عليه من أشكال متباينة لأنظمة الحكم يمكنها ان تعيش معا فى وئام وسلام فى أسرة السلام العالمى .

ويزداد هذا وضوحا فى قول الرئيس عبد الناصر فى مؤتمر باندونج مانصه :

« ان بلادى وهى مخلصة لمبادىء ميثاق الامم المتحدة ، أيدت دائما جميع الجهود التى تهدف الى تنمية التعاون الدولى والوفاق العالمى وفى سبيل تلك الغاية وقفت بلادى مخلصة للدفاع عن المبادىء التى يعتبر احترامها هو السبيل الأوحد الى سلام وطيد دائم »

بين شاعرين مخضرمين في سبيل اعتناقهما الإسلام

الأستاذ حسن الشيخة

قصة طريفة ، صورها الشعر عند ظهور الاسلام ، رايت أنها جديرة ببعض الدراسة وان كان سردها مدون فى المراجع الأدبية والتاريخية .

تجمع القصة بين طرفيها تاريخا وأدبا رفيعا ، وكيف كانت « الجاهلية » تنظر الى هذا الدين نظرات مختلفة ، فمن أهلها من آمن فى سهولة ويسر ، ومنهم من استعصى عليه الايمان فمات على عقيدته ، أو تغلب على هذا الاستعصاء فكان من المؤمنين .

ينتهى هذا الحوار الشعرى بين المخضرمين الأخوين بأول مدحة سميت قبل مدحة البوصيرى باسم (البردة) عند بعض الرواة الذين اشتقوا تسميتها هذه من اهداء رسول الله صلوات الله عليه صاحبها بردة ، سياتى لها ذكر فى هذه الكلمة .

تسامعت الجاهلية بالدين الجديد وبصفات صاحب رسالته التى لم يسمعوا بمثلها كما يقول نفس ذلك (الأعشى) الشاعر الجاهلى الفحل يخاطب ناقته وهى فى طريقه الى صاحب هذه الدعوة صلوات الله عليه :

متى ما تناخى عند الباب ابن هاشم
تراحي وتلقى من فواضله ندى
نبى يسرى ما لا ترون وذكره
أغار لعمرى فى البلاد وانجدا

وهكذا كان كعب بن زهير وأخوه بجير الشاعران ، وقد تسامعا بالاسلام وبنبيه الجديد ، وكل جديد على الناس هم يريدون تعرف حقيقته ، فأخذا سمتهما الى يثرب ، ولكن النفوس تختلف اقداما واحجاما ، واقبالا ونكوصا ، فلقد تخلف كعب فى الطريق ، وقال لأخيه بجير :

الحق الرجل وأنا مقيم هنا فانظر ما يقول لك : فقدم بجير على الرسول ، ويبدو انه كان من الذين يستمعون القول فيبتعون أحسنه ، فانه ما كاد يسمع منه صلوات الله عليه قولا طيبا ملأ نفسه ايمانا حتى أعلن اسلامه .

وقد سمع كعب بذلك عن أخيه ، وهنا يبدأ التراسل بالشعر بينهما ، فكتب الى أخيه يقبح ما فعله ويجير يرد عليه . فقد أرسل كعب الى أخيه أبياتا لم يشأ بجير أن يكتمها عن رسول الله وانما أنشده اياها ، مما جعل نفس النبى تحمل ما تحمل لكعب ، مما حدا به فى قصيدته (بانت سعاد) الى أن يكثر من الاعتذار والترضى وطلب العفو والتوبة عن الزلل ، بأبلغ التعبير وأرقى الشعر ولا ننسى أن كعبا كان من فحول الشعراء ، وأبلغ البلغاء .

ارسل كعب الى أخيه يقول له :

من مبلغ عنى بجيرا رسالته
فهل لك فيما قلت بالخيف هل لكا
شربت مع المأمون كأسا روية
فأنهلك المأمون منها أعلكا
وخالفت أسباب الهدى وما تبعته
على أى شىء ويب غيرك دلكا
على خلق لم تلف أما ولا أبا
عليه ولم تدرك عليه أخا لكا
فان أنت لم تفعل فلست بآسف
ولا قائل أما عثرت لعا لكا

فرد عليه بجير بالشعر الآتى :

من مبلغ كعبا فهل لك فى التى
تلوم عليهما باطلا وهى أحزم
الى الله لا العزى ولا اللات وحده
فتنجو اذا كان النجاة وتسلم
لدى يوم لا ينجو وليس بمفلت
من الناس الا طاهر القلب مسلم
فدين زهير وهو لا شىء دينه
ودين ابى سلمى على محرم

فلما بلغ كعبا الكتاب ضاقت به الأرض وأشفق على نفسه وأرجف به من كان فى حاضره من عدوه فقالوا هو مقتول فلما لم يجد من شىء بدا قال قصيدته التى يمدح فيها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثم خرج حتى قدم المدينة فنزل على رجل من جهينة ، فغدا به الى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حين صلى الصبح فصلى مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثم أشار له الى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : هذا رسول الله فقم اليه فاستأمنه . فتقدم حتى جلس اليه فوضع يده فى يده وكان رسول الله لا يعرفه ، فقال يا رسول الله ان كعب بن زهير قد جاء ليستأمن منك تائبا مسلما . فهل أنت قابل منه ان أنا جئتك به ؟ فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : نعم ، قال : أنا يارسول الله كعب بن زهير فقال قصيدته التى أولها :

بانت سعاد فقلبى اليوم متبول
متيم أثرها ـ لم يفد ـ مكبول

الى أن قال معتذرا الى رسول الله صلوات الله عليه

نبئت ان رسول الله أوعدنى
والعفو عند رسول الله مأمول
مهلا هداك الذى أعطاك نافلة ال
ـقرآن فيها مواعيظ وتفصيل
لا تاخذنى بأقوال الوشاة ولم
أذنب وان كثرت فى الأقاويل
ان الرسول لنور يستضاء به
وصارم من سيوف الله مسلول

فلما وصل الى قوله :

فى عصبة من قريش قال قائلهم
ببطن مكة لما أسلموا ـ زولوا
زالوا فما زال أنكاس ولا كشف
عند اللقاء ولا ميل معازيل

فنظر الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ الى من عنده من قريش كأنه يومىء اليهم أن يسمعوا حتى قال :

يمشون مشى الجمال اليهم يعصمهم
ضرب اذا عرد السود التنابيل

يعرض بالانصار فى هذا البيت لغلظة منهم كانت عليه فأنكرت قريش عليه وقالوا لم تمدحنا اذا هجوتهم فقال يمتدحهم :

من سره شرف الحياة فلا يزال
فى مقنب من صالحى الأنصار
ورثوا المكارم كابرا عن كابر
ان الخيار هم بنو الأخيار
الباذلين نفوسهم لنبيهم
يوم الهياج وسطوة الجبار
يتطهرون كأنه نسك لهم
بدماء من علقوا من الكفار
لو يعلم الأقوام علمى كله
فيهم لصدقنى الذين أمارى
قوم اذا خوت النجوم فانهم
للطارقين النازلين مقارى

فكساه النبى صلى الله عليه وسلم بردة اشتراها معاوية بعد ذلك بعشرين ألف درهم وهى التى كان يلبسها الخلفاء فى العيدين ، كما روى ذلك بن قتيبة .

هذه هى القصة التى أكتبها بعض الدراسة اليوم ، لأن فيها عظة وتاريخا صادقا وأدبا رفيعا .

فى رحاب

سورة الإسراء الكريم

ومفاهيم اخرى تظهر فى مستهل السورة

١ ـ العبودية لله أسمى درجة يرتقى اليها الانبياء الكرام والملائكة المقربون وغيرهم .

٢ ـ المساجد التى تشد لها الرحال ثلاثة فقط ..

٣ ـ دعوى اليهود فى امتداد ملكهم الى حدود النيل والفرات أسطورة خرافية يكذبها القرآن العظيم

٤ ـ ان للحرم القدسى رب يحميه .

٥ ـ أدور سياسية تتعلق بالمنطقة نتيجة استنباط من الحوادث واجتهاد منى لعلاقتها بالموضوع .

« سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير » .

وتسمى هذه السورة الكريمة بسورة بنى اسرائيل أيضا . ولعل ذلك يرجع الى علاقة الاسراء بمطالبة بنى اسرائيل فى فلسطين .

وان فى الاسراء مايربط المسلمين ببيت المقدس ويجعلهم أولى به من غيرهم من الملل الاخرى .

وعندما نستعرض الآيات الكريمة لسورة الاسراءنجدها تقرر فى ايضاح ـ المعانى الآتية : ـ

١ ـ العبودية لله أسمى درجة يرتقى اليها الانبياء الكرام والملائكة المقربون .

« سبحان الذى أسرى بعبده » من المسلم به أن العبودية هى أسمى مرتبة يمكن الارتقاء اليها من الانبياء الكرام والملائكة المقربين وغيرهم من المؤمنين العاملين للصالحات كما أنها ملزمة لكل من يحاول تجاوزها قربا من الله أو بعدا عنه .

والآيات فى العبودية لله من الانبياء وعباد الله الصالحين والخلق أجمعين فى القرآن العظيم كثيرة أذكر

القرآن الكريم

... تكذّب دَعوى إسرائيل

الأستاذ عبد العزيز العلي

منها قولـــه جل ســــبحانه فى الآيتين الكريمتين من سورة النساء « لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون ومن يســتنكف عن عبـــادته ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعا ، فاما الذين آمنـوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله واما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا اليمـا ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا ».

ثلاثة آيات من سورة مريم المباركة « ان كل من فى السموات والارض الا آتى الرحمن عبدا ، لقد احصاهم وعدهم عدا ، وكلهم آتية يوم القيامة فردا »

وهذه قواعد مفهومة ومبادىء معروفة ، ولقد تعودت الكتابة - غالبا فيمايظهرلى من مفاهيم جديدةاستخلصها من معانى الآيات الكريمة - بعيدا عن التكلف - على ضوء الكتابة والسنة والعلم واللغة .

ولعل البروز الجديد الذى ظهر به الحلوليون الباطنيون المعطلون لعمل الخير والمتفرعون عن التطرف فى التصوف والغلو فى التشييع والداءان العضالاناللذان ابتلىفيهما المسلمون من خصومهم الاعاجم واعدائهم اليهود جعلنى أكتب فى أمر معروف ومسلم به من كل مسلم يتلو كتاب الله وسنة رسوله أو يسمع تلاوتهما .

ولو كانت هناك مرتبة أسمى من العبودية لله لكان النبى محمد - صلى الله عليه وسلم - أولى بها (وهو سيد ولد آدم ولا فخر) ، ومما قاله صلوات الله عليه فى ذلك « اللهم انى عبدك ابن عبدك ابن امتك ناصيتى بيدك ماض فى حكمك عدل فى قضاؤك ، اسألك اللهم بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو علمته أحدا من خلقك او أنزلته فى كتابك أو استاثرت به فى علم الغيب عندك أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبى ونور صدرى وجلاء حزنى وذهاب همى ، اللهم انك انت ربى لا اله الا انت خلقتنى وأنا عبدك ، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذبك من شر ماصنعت ، أبوء لك بنعمتك على وابوء بذنبى اغفر لى فانه لايغفر الذنوب الا أنت »

المساجد التى يشد لها الرحال

والاسراء بالنبى - صلى الله عليه وسلم - ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى : - فالمسجد الحرام معروف والمسجد الاقصى كذلك ، على ان الذى يتبادر الى الذهن من ذكر المسجد الاقصى بالنسبة للمسجد الحرام أن هناك مسجدا أدنى بالنسبة الى المسجدين والمسجد الادنى فيما يظهر هو مسجد النبى - صلى الله عليـــه وسلم - بالمدينة المنورة ، وفى ذلك بشـــارة من القران العظيم بامتدادحكم المسلمينالى البلدينالشريفين ،وببناء الحرمين فيهما بعد هيمنة المسلمين عليهما ، وقد تحققت البشـــارة ، وتم الوعد ، ممن قوله الحق ووعده الصدق وتمت المساجد المقدســـة الثلاثة بعد الهجرة الى المدينة المنورة وفتح بيت المقدس .

ومما يؤيد الحديث الشريف « لا تشـــد الرحال الا لثلاث : مسجدى هذا والمسجد الحرام والمســجد الاقصى وفى ذلك بطلان لمذاهب القبوريين الذين يشدون الرحال الى مساجد وقبب بعشرة كثيرة شيدت على القبور ، وقد يكون تشييدها فى الغالب ضرارا وتفريقا بين المسلمين وصدا عن المســجد الحرام ، وطلبا للرزق غير المشروع وتقليدا لمن سبقنا من اليهود والنصارى ، وفى الحديث الشريف « لعن الله اليهود والنصارى جعلوا قبور انبيائهم مساجد يعبدونها من دون الله » .

وستبقى هذه المساجد المقدسة الثـــلاثة فى حوزة المسلمين الى ان يرث الله الارض ومن عليها فيما عدا فترات يحتل فيها المسجد الاقصى ، فيحل الهلاك والدمار فى المحتل وينتزع منه كما سيأتى بيان ذلك بعون الله وتوفيقه .

وقد جاء فى الآيتين الثانية والثالثة من سورة الاسراء الكريمة فى شأن الكتاب المنزل على موسى لهـــداية بنى اسرائيل وتوجيههم وهما قوله جل سبحانه « وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبنى اسرائيل ألا تتخذوا من دونى وكيلا ، ذرية من حملنا مع نوح انه كان عبدا شكورا ».

وقد جاء فى الآيتين الرابعة والخامسة عما قضاه الله فى هذا الكتاب على بنى اسرائيل من الفساد ومن العلو فى الارض علوا كبيرا يدخلون فى كل مرة من هاتين المرتين المسجد الاقصى الذى أسرى اليه الله عبده ورسوله محمدا - صلى الله عليه وسلم - فينالهم فى كل مرة من المرتين التاديب المر والابعاد القاسى وهمـــا قوله سبحانه « وقضينا الى بنى اسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الارض مرتين . ولتعلن علوا كبيرا ، فاذا جاء وعد اولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا

وقد جاء للمفســرين أقوال متعددة فى ذلك ، على أن بنى اسرائيل هم الآن فى حالة فساد فى الأرض وعلو كبير اذ تأتمر بأمرهم دولة كبيرة ودول أخرى تدور فى فلكهـا كما أن اليهود فى حالة استعداد وتربص لاحتلال المسجد الاقصى وليس هناك مايمنع اشتمال الآيتين الكريمتين على وضع اسرائيل فى الوقت الحاضر ، وأن التاديب الشديد سيحل بهم من عباد الله أولى بأس شديدعندما يحتلون المسجد الاقصى فيخرجوهم « وكان وعدا مفعولا » .

والآية السادسة تخبر بأن بنى اسرائيـل سيقومون من جديد ويزدادون أموالا وبنين ويكثر نفيرهم مصداقا لقوله جل شأنه « مخاطبا بنى اسرائيل « ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا » .

وفى الآية السابعة تحذير وانذار فى أولها واخراجهم من المسجد الحرام فى فسادهم ، وايذائهم اكثر من المرة الأولى وهى قوله تعالى « ان أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وان أسأتم فلها ، فاذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا » .

وفى الآية الثامنة التماس لهم بان يتعظوا ويعتبروا من هول الجولتين عليهم فيدخلوا فى زمرة اكثرية اهل المنطقة فيستحقوا الرحمة والاطمئنان ، وأنذار دائم لهم فى الوقت نفسه أن عادوا الى دخول المسجد الاقصى فيعود الله بالانتقام منهم واخراجهم منه وحصرهم فى نار جهنم ، وفى ذلك تقول الآية الكريمة « عسى ربكم أن يرحمكم وان عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا » ، وفى ذلك حرمان مستمر لبنى اسرائيل من احتلال المسجد مع الاستقرار فيه ، وهذا مما يدل على ان رجحان القوة لاتكون بيد اليهود باى حال من الاحوال وزمن من الازمان رغم مساندتها من دول اخرى واستعدادها هى

الاوضاع السياسية التى تتعلق بالمنطقة .

لقد تقدم فى العدد الذى قبل هذا من هذه المجلة الغراء عن عزم الغرب - بتاثير اسرائيل على جعل الشرقين الاقصى والادنى أتونا من جحيم مستعر ، وانهما هما العدوان الحقيقيان والخطران على شرق العالم العربى وغربه ولعل ما حصل بين الجزائر والمغرب بعد المقال مصداقا له ، وليس من المستبعد أن تنشب حروب بتاثير الغرب شرقه وغربه فى أمكنة أخرى من منطقتنا العربية .

ومما جاء فى المقال ما معناه ان اليهود فى عملهم هذا كالشاة التى تحفر عن حتفها بظلفها وذلك للامور الآتية :

١ - أن مايجرى بين العرب من مناوشات لايخلو من فائدة للعرب اذ هى بمثابة مناورات عملية يتهيأون فيها ويتعلمون منها دروسا للقضاء على أعدائهم ويستزيدون فيها عدة واستعدادا « ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين » وقد اثبتت التجارب ان العرب جميعهم رغم بعض الاختلافات فيما بينهم فانهم متحدون بالنسبة لعداء اسرائيل ولدى اى حركة من اسرائيل ستتحول جميع قوى العرب الى صدرها وفى المثل « الشدائد تزيل الاحقاد »

٢ - عندما اقتسم الشرق والغرب مناطق النفوذ وربما كان ذلك فى اجتماع فينا السرى اعتبرت سوريا ولبنان تحت النفوذ الفرنسى ، ولعل لبنان قبلت ذلك فعلا ، وربما لاتعلم سوريا عن ذلك شيئا . حيث اقتسام مناطق النفوذ بين الشرق والغرب لايشترط فيه اخذ رأى الدول والحكومات المقتسمة . وقد تتحول الدولة من منطقة نفوذ الى منطقة نفوذ أخرى بمجرد تغيير سياستها الداخلية تلقائيا ، ومعنى فرنسا فى العصر الحاضر هى المانيا وليس من المستبعد أن تتنازل انجلترا عن منطقة نفوذها فى الاردن والعراق لالمانيا وفرنسا لقاء تعويض ، كما تنازلت قبل ذلك عن امتيازاتها ونفوذها فى ايران مثلا ، فامسى بذلك فى المنطقة دولتان كبيرتان غير أمريكا وانجلترا فى وجه اسرائيل علاوة على العرب سكان المنطقة الذين يبلغ تعدادهم أضعاف أضعاف اسرائيل ، وهم يسابقون الزمن فى العدة والاستعداد ، ومن الادلة على ذلك نشاط ديجول فى حدود المنطقة مع غير العرب كاليونان وايران والحبشة ، ومن المفروض أن تبقى بريطانيا صديقة للشرق والغرب معا تنمى اقتصادياتها فى كل منطقة من مناطق العالم على حد سواء لاسيما وأن ساستها استطاعوا أن يعيدوا التوازن العالمى بعد اختلاله فى نهاية الحرب العالمية الثانية عقب انهيار المانيا المعادلة لروسيا فى الوزن ، وانهيار اليابان المعادلة للصين فى القوة ، فبرزت روسيا والصين بدون المانيا واليابان ، ولولا القنبلة الذرية لطفت الوثنية الصفراء والشيوعية الحمراء على العالم باسره بعد الحرب العالمية الثانية يؤيدنا فى ذلك قوله جل سبحانه :

« ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض »

« ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها أسم الله كثيرا ، ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز » .

وقد استلزم اعادة التوازن أن تكون أمريكا فى وجه الصين يساندها المناوئون للشيوعية فى المنطقة ، وان تكون اوربا الغربية بزعامة فرنسا والمانيا فى وجه روسيا واوربا الشرقية .

ومع ذلك فان هناك امران يحتمان على انجلترا الاشتراك الفعلى : -

١ - كان لبريطانيا فى الحرب العالمية الاولى ثلاثة وعود متناقضة معروفة فى المنطقة وهى : -

ا - وعد لورانس
ب - وعد بلفور
ج - وعد فلبيى

وقد أتمت بريطانيا الثانى والثالث وبقى الاول وهو وعد لورانس لم يتم على الوجه المطلوب وهذه هى فرصتها الاخيرة فيه ، كما لابد لبريطانيا أن تكفر عن غلطتها فى محاربتها العرب وجها لوجه الى جانب اسرائيل سنة ١٩٥٦ ، وتبدأ من جديد جو صداقة وتعاون مع العرب والمسلمين .

٢ - أن لدى بريطانيا جيشا كبيرا لا يلزم لها الاحتفاظ به كله بعد استقلال جل مستعمراتها اذ فى تسريحه خطر عليها لازدواج البطالة فيها من وراء ذلك فبالعلاوة على بطالة أفراد الجيش ففيه تعطيل المعامل والمصانع التى تقوم على تجهيزه أيضا ، فلا بد اذن من ايجاد مجالات له تتناسب مع المخطط البريطانى لقاء أجر .

ويظهر لى أيضا ان الخلافات القائمة الان فيما بين دول المعسكر الشرقى من جهة ومابين دول المعسكر الغربى من جهة ثانية هى خلافات عائلية بسيطة فى كل من المعسكرين بل الأولى والاحرى انها مجرد تمثيل سياسى ، ولعل ذلك لتعمل روسيا عن طريق الصين مثلا مالا تستطيع عمله بمواجهة أمريكا ، وكذلك وضع أمريكا مع فرنسا ، والصداقة الجديدة بين أمريكا وروسيا التى سعى لها اليهود كثيرا يبدو أنها صداقة ملفوفة تفرضها أغراض معينة لدى كل من الطرفين وهى غير واضحة المعالم ، ولعل فيها توريط لامريكا فى عداء مع الشرق العربى والشرق الاقصى ، وهما الخطران الكبيران كما تقدم ، كما أن تخويف اسرائيل للعالم شرقه وغربه من انبعاث الفكرة الاسلامية وانها هى الفكرة التى سوف يسود معتنقوها بصدق العالم باسره جعل الغرب بشرقه وغربه يفكر جديا فى الاسلام والتسابق على دراسته واعتناقه « ولينصرن الله من ينصره أن الله لقوى عزيز » .

هذه هى الامور السياسية والتى لها علاقة بالمنطقة مصدرها الاجتهاد والأحداث الجارية على انها وان كانت تبدو معقولة الا انى لا استطيع فرضها أو الجزم بصحتها انما أردت ايضاحا لها ، لعل فى ذلك نفع وعبرة وتبصرة

والله ولى التوفيق انه نعم المولى ونعم النصير ..

في هدأة الليل

للشاعر
عبد الله
شمس الدين

يا مَنْ تراه على الولاءِ مشاعرى
ويَجِلُّ عَنْ عقْلى ولمح نواظرى
أَنت الإِلٰهُ . وأَنت ربى : هذه
روحى تهيم على لحون خواطرى
آنسْت سرَّك فى كيانى كلِّه
لك عالَمى . لك باطنى . لك ظاهرى

أَشكو إليكَ على الضَّنى مُرَّ الحيا ةِ . وكيْدها . وهوان ليْلٍ جائر
أَشكو إليك وأَنْتَ أَدرى بالذى أَلقاه مِنْ عَنَتِ الظلام العاثر
وقضيْتُ عُمْرِى أَرْتجى نور الصبا ح . يلوح لى خلف الضباب السّاهر
أَبدًا أَتمم بالرجاء . تمدّنى ثقةٌ بأَنَّ رجاى ليْس بعاقِرِ
وبرغم طول العهد . ما زالتْ يدى مبسوطةً لك بالدعاء الصابر
الجدْبُ حوْلَ مُنَاىَ يزحَفُ بالأَسى والضيق فى صدرى يغلّ سرائرى
وأَنا ببابك لم أَزل بمواجعى كفىّ على أَمسى تدقُّ وحاضرى
وعواطفى تمتدُّ نحوك بالغد الهانى . وتومض بالرجاءِ بشائرى

* * *

يا فاطرى : مَنْ لى سواك . وحسب قلبى أَننى آمنت أَنك فاطرى
لكننى بشرٌ يغالِبُ رُوحَهُ طينٌ . . ولسْتُ على دُجَاى بقادر
يا مَنْ له كلُّ العلا . وبِبابه تقف العطايا فى حياءٍ شاكِرِ
وإِذا منَحْتَ فما لمنحك مُمْسِكٌ يا صاحِبَ الفضل العظيم الغامِرِ
الأَمر أَمْرُكَ يا إِلٰهى . لسْتَ تُسأَلُ إِن فَعَلْتَ . وحَلَّ حُكْم القاهِرِ

***

يارَبّ ياسَنَدَ الضعاف : أَتيْتُ فى ضعف المحب وفى شرود الحائر
أَنا ليْس لى حقٌّ عليك . وإِنَّما أَمَلُ الضعيف أَمام عفو القادِرِ
والحب يغسلُ عار كلِّ خطيئةٍ ورضاكَ فيَّاضُ الحنان الغافر

عودة الجيش الظافر

الشاعر محمد عبد الحليم غالى

عُدْ إلى الأُمة مرفوع اللواءْ
رافع الرأس عظيم الخيلاءْ
واهتف اليوم بنصر الشرفاءْ
قد شربتم من أفاويق الدماءْ
ورجعتم بالأَمانى للوطن
هذه مصر على خير الولاءْ
قد رفعتم مجدها فوق السماءْ
وبنيتم فأَجدتم فى البناءْ
ثم لبيتم على «صعدا» النداءْ
ومشيتم فوق هامات الزمن
كم مشى الباغى إليكم وأساءْ
ينكر الحق . . ولا يبغى الوفاءْ
فجعلتم حظه الأَشقى فناءْ
وطمسْتم فيه أنوار الرجاءْ
فوق «صرواح» على أرض اليمن
عُدْ نقل بالنصر والآمال جاءْ
عدْ بأَبطالى . . وحمدى والثناءْ
عدْ إلى «الشعب» ومهد العظماءْ
كن على «العُرْب» صباحاً ومساءْ
نعمة للنصر . . جيشاً لم يَهنْ

قصة العدد

المعجزة

الاستاذ حسين القبانى

لا شك أنكم جميعا ـ يا أصدقائى ـ أو على الأقل الغالبية الكبرى منكم قد وقفتم يوما هذا الموقف الرهيب ..

قد عشتم هذه اللحظات القليلة فى عددها الطويلة كالعمر المديد الحاسمة فى حياة كل منا .. انها اللحظات التى تسبق آخر امتحان عملى ـ أو شفوى ـ فى آخر مادة فى نهاية المرحلة الدراسية التى يشعر الفرد منا أنه ولد من جديد أو بدأ فى الحياة مرحلة جديدة .

هذا على الاقل ما كنت أشعر به فى ذلك اليوم الحار من أيام شهر يونية وأنا واقف أنتظر ـ وكل عصب فى جسمى مشدود ـ دورى لامتحان جراحة العيون.. لقد أحسست أن جهاد مرحلة كاملة مضنية من حياتى وهى مرحلة الدراسة والتعليم قد تبلورت الى حمل ثقيل رهيب على كاهلى وزادنى ارهاقا ..

وكنت فى الأيام الأخيرة السابقة قد فرغت من امتحانات الجراحة كلها بتفوق واضح .. ولا تسألونى كيف عرفت هذا قبل أن تظهر النتيجة رسميا لأن كل طالب طب يستطيع أن يعرف ان كان راسبا أو ناجحا قبل ظهور النتيجة وعدا هذا كنت دائما من أوائل الناجحين فى سنوات الدراسة كلها .

وقبل كل هذا بنحو ستة أشهر كنت قد أديت بنجاح وبتفوق امتحان الامراض الباطنية ..

وهأنذا واقف أنتظر الامتحان العملى ثم النظرى فى جراحة العيون .. ورغم ثقتى بنفسى ويقينى بأنى لم أترك شيئا للظروف فقد كنت أدرك أقل خطأ فى التشخيص أو أقل سهو فى توجيه سؤال المعين الى المريض أو أقل كلمة يقولها المريض وهو يتعمد الخطأ قد تؤدى الى رسوبى ثم الى انتظارى ستة أشهر أخرى ثم ضياع كل أمل فى أن أكون عضوا فى هيئة التدريس بكلية الطب .

وتذكرت فى تلك اللحظات الزملاء المحظوظين الذين تسوق الأقدار اليهم مرضى واعين يعرفون حقيقة الأمر ويساومون الطالب الممتحن على مبالغ قد لاتزيد على خمسة جنيهات ثم يذكرون له كل شىء عن أمراضهم بل أسماء هذه الأمراض التى قد تغم على يد أكبر أساتذة فى قصر العينى : مرضى يحترفون هذا العمل لأن أمراضهم نادرة ولانهم يعرفون أن ادارة المستشفى تحتجزهم ليكونوا موادا للامتحان النهائى .

ولن أنسى زميلا من المتفوقين رسب لانه لم يدفع لمريض من هذا النوع الأجر المطلوب .. ولا أدرى هل رفض أن يدفع بدافع من الضمير والكبرياء ، أم بدافع من خلو ذات اليد .. وكذا لا أنسى زميلا آخر اضطر أن يعطى مريضا من هؤلاء خاتما ماسيا كان قد ورثه عن أبيه ، وكان ثمنه لا يقل عن مائة جنيه .. دارت كل هذه الخواطر والذكريات فى ذهنى وأنا واقف أنتظر دورى بين الزملاء الشاحبى الوجوه الزائغى النظرات ..

وجاء دورى أخيرا ومضيت الى الردهة التى جلس فيها المرضى المختارون للامتحان وأنا لا أرجو أكثر من أن يسوق لى مريضا أستطيع التفاهم معه بطريقة طبيعية . وكانت البطاقة التى فى يدى تحمل الرقم ٢١ ، فمضيت أبحث عن المريض الذى يعلق على صدره بطاقة تحمل نفس الرقم ، فلما وجدته ، رأيته كهلا كفيف البصر ، أبيض الوجه له لحية شهباء تسترسل من ذقنه حتى تكاد تغطى البطاقة المعلقة على صدره وشعرت ببعض الهدوء والسكينة قد بدا لى أنى وفقت الى مريض بسيط أستطيع أن أظفر منه باجابات واضحة حاسمة تساعدنى على صحة التشخيص ووصف العلاج .

وتناولت يده فى رفق وسرت به الى غرفة الفحص المظلمة وأنا أكاد أرى بخيالى بكالوريوس الطب والجراحة مع التفوق يتراقص أمامى . وأتممت فحص عينى المريض بنجاح وتبين لى - بوضوح أنه يعانى من مرض التراكوما وهو مرض معروف الأسباب .. لا يكاد يوجد طبيب لا يعرف أعراضه ووسائل علاجه .

وتهيأت لكتابة تقرير كامل شامل عن حالته وعن أسبابها وعن مضاعفاتها وعن أفضل الوسائل لعلاجها . وفجأة تجمد القلم فى يدى وأحسست أنى كنت واقفا على حافة الرسوب دون أن أدرى . لقد أنسانى اضطرابى - أو توتر أعصابى - أن أسأل المريض هل هو مريض بالبول السكرى أم لا. ذلك أنه من المعروف بداهة أن لهذا المرض فى بعض الأحيان علاقة بمرض السكر . وفى هذه الحالة تختلف وسائل العلاج ، ولو اننى أغفلت هذا السؤال فى تقريرى لرسبت .

وسألته بصوت متهدج بالانفعال :

- انت عندك سكر ؟

وانبسطت أسارير المريض واهتزت لحيته وهو يقول :

- أى نعم والحمد لله !!

وشعرت - وأنا أدون اجابته - بمزيج من السرور والقلق ، السرور لأنى استطعت فى آخر لحظة أن أعرف سببا من الأسباب التى لها علاقة بحالته ، أما القلق فكنت لا أدرى سببه ولم ألبث أن توقفت عن الكتابة مرة أخرى وقد وضح لى سر هذا الشعور بالقلق ذلك لأنى كنت أفكر بعقلى الباطن فى سبب قول المريض « أى نعم والحمد لله » ، صحيح أن الله وحده هو الذى لا يحمد على مكروه سواه .. ولكن ليس من المعتاد أن تكون اجابة أى مريض عن مرضه على هذا النحو . وعدت أسأله لأتأكد :

- انت عندك سكر يا راجل ؟

- أى نعم والحمد لله

- من امتى ؟

وهنا بدا عليه الارتباك والتردد ثم قال :

- من امتى كيف ؟

- من امتى وانت عندك سكر ؟

- أنا طول عمرى راجل مستور والخير كتير والحمد لله .

- أنا باسألك يا بويا انت عيان بالسكر من امتى .. من كام شهر أو كام سنة .

واهتزت لحية الشيخ وقال مسرعا :

- أنا عمرى ماعييت بالسكر .. يا ساتر يا رب .. أعوذ بالله ..

ـ أمال قلت فى الاول ان عندك سكر ليه !

ـ أنا قصدى ان السكر عندنا فى البيت كتير والأشيا معدن .

وكادت أعصابى تنهار فى تلك اللحظة .. ورأيت بعين الخيال مصيرى لو أنى لم أشعر بذلك القلق الغامض من اجابة المريض وتصورت موقفى أمام الممتحن وأنا أتقدم اليه بالحالة وقد بنيت التشخيص والعلاج والتقرير كله على أساس أن المريض مصاب بالبول السكرى ..

الى هذا الحد يتوقف مستقبل الانسان ـ أحيانا ـ على خطأ عابر فى فهم عبارة عابرة ..

وبلغ من اضطراب حالتى انى عجزت عن اتمام كتابة التقرير فى الوقت المحدد فلم يسعنى الا أن أتقدم الى الأستاذ الممتحن وأنا أشعر بكل آمالى تتأرجح فى كفة القدر .

وكان طبيعيا أن يرفع الأستاذ الممتحن رأسه فى دهشة واستنكار بعد أن فرغ من قراءة التقرير الناقص ثم قال :

ـ لماذا لم تستكمل التقرير ؟

وغمرتنى نوبة من اليأس .. وفجأة قلت:

ـ سأسأل المريض أمام سيادتك سؤالا .. ولعلك تلتمس لى العذر بعد أن تسمع اجابته ..

وكنت أعرف من تجاربى مع المرضى أن مريضنا هذا من نوع الأشخاص الذين يردون عليك بنفس الاجابة اذا وجهت اليهم نفس السؤال مرة أخرى .. وهكذا كنت مطمئنا وأنا ألتفت اليه وأقول :

ـ انت عندك سكر يا راجل ؟

ـ أى نعم والحمد لله ..

وبدا لى أن أطياف الدهشة ارتسمت على وجه الأستاذ الممتحن ولكننى أسرعت فى توجيه السؤال الثانى :

ـ من امتى ؟

ـ من امتى .. من امتى كيف ؟

ـ من امتى وانت عندك سكر ؟

ـ أنا طول عمرى راجل مستور والخير كتير والحمد لله ..

ـ أنا بسألك يابويا انت عيان بالسكر من امتى .. من كام شهر أو من كام سنة .

ومرة أخرى اهتزت لحية الشيخ بنفس الدرجة من الذبذبة تقريبا وقال مسرعا :

ـ أنا عمرى ماعييت بالسكر ! يا ساتر يا رب .. أعوذ بالله .

ونظرت الى الأستاذ الممتحن فاذا به ينفجر ضاحكا ثم يقدر ظروفى وهو لا ينسى طبعا تفوقى فى جميع سنوات المرحلة .

وبعد أن فرغ من امتحانى ربت على كتفى وقال :

ـ أتعرف أن موقفا كهذا ضيع من عمرى سنوات طويلة قبل أن أعود مدرسا بالكلية ؟

ولما نظرت اليه فى دهشة .. استطرد يقول :

ـ لقد رسبت فى الامتحان النهائى للامراض الباطنية وأنا فى مثل سنك واضطرنى هذا الرسوب الى قضاء أعوام أدخر فيها ما يكفى للحصول على شهادة زميل كلية الجراحين لأعود مدرسا بالكلية .

ثم أردف يقول وهو يتنهد :

ـ كل هذا بسبب اجابة خاطئة على سؤال سخيف ..

وراح الأستاذ يقص على ـ فى ايجاز ـ ذكريات ذلك اليوم « الاسود » فقال انه لاحظ على المريض ـ الذى كان موضع امتحانه ـ آثار مرض زهرى مزمن ولما كان يعرف أن بعض المرضى يكرهون كلمة الزهرى أو كلمة « التشويش » التى تعبر عنها فقد آثر أن يسأله بكلمة أخرى .. فقال له :

ـ انت اتزفرت ؟

ـ لا يافندى ..

ورسب الطالب ـ أعنى أستاذى هذا لأن المريض لم يفهم معنى هذه الكلمة وظن أن المقصود من هذا السؤال :

ـ هل أكلت زفر ؟

أى ..

« هل أكلت لحم طير ؟ »

فأنكر طبعا ..

وغادرت قاعة الامتحان وأنا أشعر أنى نجوت من الرسوب بمعجزة .

باب زويلة

منظر عام لباب زويلة ومنارتى المؤيد وجزء من جامعه

واستخدامه كبرج للطبول

الدكتور محمود وصفى

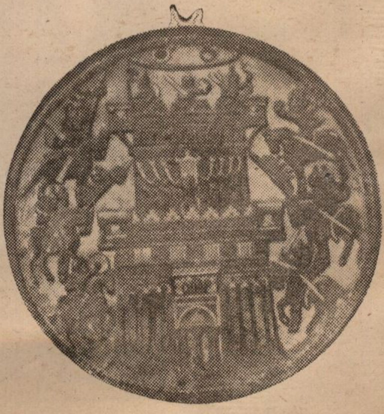

طبق من الفضة المحفوظ فى متحف الهرميتاج بمدينة بطرسبرج فى روسيا

دفعنى دافع قوى من قرارة نفسى بألا أفوت فرصة تمر فى الاحتفال بمرور ألف سنة على بناء القاهرة التى تقوم بها الجهات المسئولة الآن دون أن أذكر شيئا عن أثر من آثارها المشهورة ألا وهو باب زويلة « صورة شكل ١ » ، وقد اخترته بالذات لاهميته ولاتكلم عن ناحية طريفة كذلك وهى استخدامه كبرج للطبول .

ويطلق اسم باب زويلة على بابين :

الاول وقد اندثرت معالمه وهو الذى بناه جوهر الصقلى قائد الخليفة المعز لدين الله الفاطمى أول الخلفاء الفاطميين فى مصر ، ويبين القلقشندى مكان هذا الباب ، وكذلك المقريزى الذى يقول ان جزءا منه كان موجودا فى أيامه بالقرب من مسجد سام بن نوح ، فاذا دخل الانسان من باب زويلة الحالى تاركا مسجد المؤيد على يساره يصل الى السبيل التركى القديم ، وفى الركن القريب من باب زويلة يوجد باب صغير يؤدى الى مسجد سام ابن نوح الذى يعطينا المكان الحقيقى لهذا الباب .

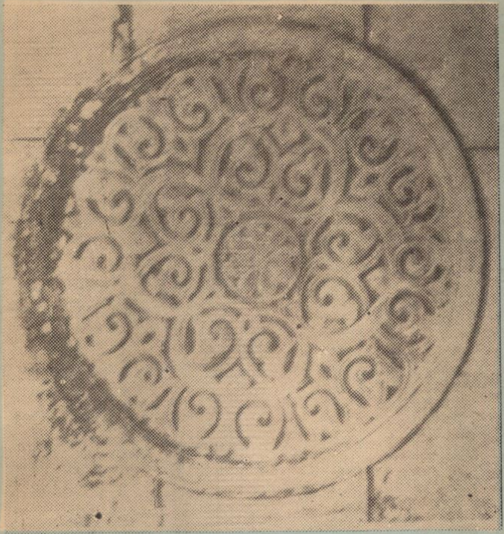

الزخرفة النجمية ذات الثمانية فصوص

العقد والزخرفة التى تتحلى بها الواجهة الجانبية لكل من البرجين

والثانى : ولا يزال باقيا الى الآن وهو أحد الابواب الثلاثة التى بناها أمير الجيوش بدر الجمالى فى عهد الخليفة المستنصر بالله الفاطمى .

تعتبر أبواب القاهرة الثلاثة ، وهى : باب الفتوح وباب النصر وباب زويلة من أحسن الأمثلة للهندسة الحربية فى الاسلام ، فالابواب ليس لها مثيل والاسوار والابراج لا يفوقها الا أسوار ديار بكر على نهر دجلة بالعراق ، وكيفية البناء فائقة الكمال بدرجة لم توجد فى مصر مرة أخرى . فقد أثارت هذه الابواب اعجاب الرحالة الذين جاءوا الى مصر فى القرن الثامن عشر امثال ميليه ، بيكوك ، جومارد . وقد تعجب الاول وهو ميليه من امكان بناء باب كباب الفتوح بدون استخدام الاعمدة ، ولم تكن هذه الابواب أقل أهمية فى الشرق فى العصور الوسطى ، فقد أخبرنا المقريزى بأن مسافرا قال له انه لم ير أعظم من باب زويلة ولا شبيهها لبرجيه اللذين يحفان به .

ولهذه التحصينات أهمية كبرى لانها من الامثلة القليلة للهندسة الحربية الاسلامية قبل الحروب الصليبية التى لم تشتمل الا بعد عشر سنوات .

وهذه الابواب الثلاثة والاسوار التابعة لها من أهم آثار بدر الجمالى ، فعندما ضاقت المدينة القديمة بمبانيها وسعها بدر الجمالى من الشمال والشرق والغرب .

ويقول المقريزى ان ثلاثة مهندسين اخوة أتوا من ادسا « الرها » الى القاهرة وبنى كل واحد منهم بابا من هذه الابواب العظيمة ، وبنى باب زويلة سنة ٤٨٢هـ - ١٠٩٢ م .

وعلى كل حال فان الادلة الهندسية ترجح أن تكون هذه الأبواب قد أخذت أصولها كلها تقريبا من الطرز

المعمارية لسوريا الشمالية . ومن المحتمل جدا أن هؤلاء المهندسين الثلاثة تركوا ادسا وأتوا الى القاهرة لان الملك شاه السلجوقى استولى عليها سنة ٤٨٠ هـ ولابد أن أحوال المسيحيين كانت قد ساءت تحت حكمه فى حين أن الفاطميين عرفوا بالتسامح الدينى نحو المسيحيين واليهود فى تلك الآونة .

ومهما يكن من شىء فان باب زويلة الذى بناه أمير الجيوش بدر الجمالى والذى لا يزال باقيا الى وقتنا هذا هو المقصود بالذات فى هذا المقال .

ويعرف باب زويلة كذلك بباب المتولى وبوابة المتولى، وسبب ذلك كما علله يعقوب أرتين باشا أن طومان باى الذى صلب على هذا الباب بعد أن استولى الاتراك بقيادة سليم الاول على مصر سنة « ١٥١٧ م » كان سلطانا لمدة قصيرة جعلت الناس يذكرونه باسم المتولى أو الحاكم ، وهى الوظيفة التى تولاها قبل اعتلائه العرش ، وبعد أن صلب طومان باى هناك اعتاد كل من يمر تحت هذا الباب أن يتلو صلاة قصيرة على روحه ، وبذلك سمى الباب بهذا الاسم .

وبعد أن نسى الناس هذه الحقائق ارتبط هذا الاسم باسم ولى الله متولى القطب الذى يعتقد الناس فيه أنه لا يرى وله القدرة على اتيان المعجزات .

والفاتحة التى اعتاد الناس أن يتلوها كلما مروا تحت هذا الباب أصبحت تتلى بسبب الاعتقاد بأن هذا الولى قد سكن هذا المكان وأصبح من عادة الناس أن يربطوا خرقا من ملابس المرضى وذوى الحاجات على مسامير الباب على أمل شفاء أصحابها واجابة مطالبهم ولا غرو اذا رأينا أن هذه العادة ما زالت باقية الى الآن ويأتيها بعض السذج من الناس ظنا منهم أن فيها شفاء لهم .

وهناك اعتقاد بأن هذه الابواب قد اتخذت سكنا للاولياء ، لان باب النصر وباب الفتوح كل منهما يحتوى على قبر ولى تحت قبره . وليس هذا الاعتقاد قاصرا على مصر وحدها ، فقد رأيت أن هذا الاعتقاد سائد فى حلب كذلك ، حيث أن باب انطاكية وباب قنسرين يحتوى كل منهما قبر ولى ، وهذا على كل حال دليل قوى يؤيد ما سبق أن ذكرناه عن تأثير العمارة والمعتقدات السورية فى مثيلتها بمصر مما يدل على أن الصلات بين البلدين كانت قديمة ووثيقة فى كثير من النواحى الدينية والفنية والتاريخية وغيرها .

ويقال ان بباب زويلة قطعة من الحبل متصلة بخطاف هى التى شنق فيها طومان باى ، وكانت موجودة فى أيام باكوك سنة ١٧٣٥ م . وقد جرت العادة فى تعليق رءوس المجرمين الذين اعدموا فوق هذا الباب ، وحتى سنة ١٢٦٠ م عندما أعدم قطز رسل هولاكوخان حاكم المغول علقت رءوسهم أيضا على هذا الباب .

يتكون باب زويلة من باب عظيم ذو قوس سعته ٤٫٨٢ مترا يعتمد على برجين مستطيلين مقدمة كل منهما مستديرة والثلثين السفليين من كل من البرجين من الحجر الصب ، ويبعد كل منهما عن الآخر بمسافة ١٧٫٩ مترا .

ويلى الباب ممر تعلوه قبة قليلة الغور محمولة على مثلثات كروية مقعرة تحمل السطح العظيم الذى يمتد خلف الوجهين الخلفيين للبرجين ، وهذا السطح مكشوف من كل النواحى الا الناحية الجنوبية حيث نجد ثلاثة أقواس ، الخارجين منهما يؤديان الى غرفتين فى الثلث الاعلى من كل برج ، أما الاوسط فيؤدى الى الباكية التى تعلو الباب ،وفوق هذه الاقواس الثلاثة يوجد سطح آخر مجهز بفتحات وسلم فى ركنه الشمالى الشرقى .

هذا ومقدمة كل من البرجين مستديرة والواجهة الجانبية الخارجية من كل منهما يزينها تجويف مقوس بسيط ، ولكن الواجهة الجانبية الداخلية من كل منهما ذات زخرفة أكثر تعقيدا « شكل ٣ »

والقوس الاعلى له حافة مستديرة بينما مفتاح العقد يزينه نقش بسيط ولكنه عجيب حقا « شكل ٤ » ، هذه الزخرفة عبارة عن نجمة ذات ثمانية فصوص « أجنحة » تكونت من اتصال ثمانية دوائر كاملة تقريبا .

وتوجد فى الفجوة التى تحت قبة هذا القوس زخرفة جميلة ما زالت على حالتها من الجدة كما لو كانت قد نقشت اليوم .

وهناك شريط ضيق من الحجر تمتد على جوانب كل فجوة من الفجوات العظيمة ، وهذا الشريط ما زال حافظا لرونقه فى معظم أجزائه .

وفى الجزء الاعلى من الجانب الخارجى من كل برج توجد نافذة مستطيلة تعلوها نصف قبة الغرض منها انارة غرف البرجين ، والمقدمة المستديرة لكل من البرجين يحيط بها اطار غريب ويمكن الآن ملاحظة ثلاث فتحات للسهام قد سدت بالاحجار .

وبين البرجين العظيمين اللذين يبعدان عن بعضهما بمسافة ١٧٫٩ مترا وبحيث يتأخر عنهما قليلا يوجد القوس العظيم المدبب قليلا ، وهو عبارة عن اطار لقوس الباب نفسه ، وفوق القوس الخارجى يوجد أربعة صفوف من البناء ، وهنا وجد هرتز سنة ١٨٩٧ م بقايا

القبة المحمولة على المثلثات الكروية المقعرة التى تعلو الممر

نقوش كوفية تغطيها طبقة من الملاط . هذا النقش عبارة عن الشهادة الشيعية وآية الكرسى من القرآن الكريم .

وفوق هذا النقش مباشرة وعلى بعد ثلاثة أمتار فوق قمة الاطار الخارجى القوس يوجد قوس كبيرنصف دائرى يساوى فى اتساعه وارتفاعه القبو الذى خلفه . والفتحات التى فوقهوفوق البرج ذات قمم دائرية تظهر عليها الجدة أكثر من بقية البناء ويظهر أن الذى جددها هى لجنة الصيانة لان بعض الصور التى صورت سنة ١٨٨٠ م ليس بها فتحات فى أعلى البرجين أو على القنطرة التى بينهما .

وأمام المدخل – كما يقول المقريزى كان يوجد منحدر عظيم من الجرانيت . ويقول ان بدر الجمالى الذىبناه لم يعمـــل منحنى « أى باشـــورا » كمـــا هى العادة فى بناء أبواب القلاع كالموجود مثلا فى قلعة حلب ، وذلك بايجاد ثنية أو عطف فى ممر المدخل لاعاقة الجيش المهاجم من الاستيلاء عليه أثناء الحصار ، وجعل دخول الفرسان جماعة مستحيلا مما يساعد على عرقلة وصد هجمات العدو . ولكنه جعل أمام المدخل منحدرا عظيما من الصوان حتى اذا هوجم هذا الباب كان من الصعب على الخيل السير على هذا السطح المنحدر الاملس . وقد بقى هذا المنحدر حتى أيام السلطان الكامل الذى أمر بهدمه لان جواده انزلق من عليه فكبا به وبذلك لم يبق منه شىء .

ومع ذلك فان جمال الدين يوسف الاستدار لما بنى المسجد الموجود فى مقابل باب زويلة باسم السلطان فرج بن برقوق أخذ جزءا من هذا الافريزلاستخدامه فى البناء وهو عبارة عن أحجار ضخمة من الصوان صلبة لدرجة يتعذر معها خدشها بالآلات الحادة ، وضخمة يتعذر على أربعة رجال حمل الواحد منها .

أما الممر فيعلوه أولا قبة ، وطوله ١٠ر٣ مترا ويبلغ هذا الطول نصف عرض الباب ثم يعلوه بعد ذلك قبة جميلة مبنية من الأحجار الجميلة المستوية القطع . وهذه القبة قليلة الغور جدا ، وفى وسطها حجر أساسى يحيط به ثلاثة عشر حجرا من الأحجار ذات القطع اللولبى . وينتهى الممر بقوس عظيم نصف دائرى اتساعه ٥٩ر٧ مترا مدبب تدببا غير محسوس .

وفى الجانب الشرقى تحت القبة يوجد جناح مستطيل ٦١ر٤ × ٦٠ر٢ مترا تقوم على أركانه حنيات تحمل نصف قبة حجرية .

ومن السهل أن نتخيل وجود جناح مشابه فى الجهة الغربية ، ولكن يظهر أن تغييرات كثيرة أجريت فى هذا الجزء عندما شرع فى بناء مسجد المؤيد .

ويمتد على جانبى الممر وفى مستوى أعالى الحوامل السابقة الذكر بروز فى البناء .

اذا نظرنا الى الباب من السطح الرئيسى نجده يتكون من ثلاثة أقواس الاوسط منها وهو متقدم عن الآخرين قليلا عبارة عن قوس نصف دائرى تعلوه قبة مثلثة من الحجر ويؤدى هذا القوس الى دهليز مفتوح يقع فوق الباب ويغطيه قبو تتوسطه زخرفة جميلة .

وعلى السطح خلف الفتحات مباشرة توجد الفتحات التى تشرف على مدخل الباب . هذا الدهليـــز كان يشغله منزل الى أن أزالته لجنة حفظ الآثار العربية سنة ١٩٠١ م .

وفى مؤخرة كل من الملحقين يوجد قوس نصف دائرى يتكون من سبعة أحجار تؤدى الى غرف البرجين ذات الاقبية . ولا يمكن الآن فحص هذه الغرف فحصا تاما لان الجزء الاوسط من القبو قد قطعه السلطان المؤيد عندما عول على جعل برجى باب زويلة قاعدتين لمنارتى مسجده ، اذ لم يكن فى امكانه بناء هذه المنائر فوق الابراج ما دامت تعلوها الاقبية ، ولذا اخترق هـذه الاقبية وملا الثلثين السفليين من كل غـرفة بمكعب من البناء وبذلك أوجد قاعدة للمنارة ، وعند دخول هذه الغرف يجد الانسان أمامه هذه الكتلة الحجرية التى تلمس جوانب كل غرفه الخارجية ، ومع ذلك فقـد تركت مسافة بين هذه الكتلة والجانب الداخلى للغرف ليسهل الوصول الى النافذة التى تطل على الفضـاء الموجود بين البرجين ، وفتحات السهام الثلاث الموجودة فى مقدمة كل من البرجين ويمكن رؤيتها من الخـارج سدت بالاحجار فى نفس الوقت .

وبهذا أصبحت المئذنتان منفصلتان عن المسجد (١) وقائمتان على بدنتى باب زويلة ، كما أن الواجهـة القبلية للجامع قائمة على أساس سور البلد الذىبناه بدر الجمالى كذلك .

يقول المقريزى فى وصفه لباب زويلة انه فى سنة ٧٣٥ هـ – ١٣٣٥ م وضع حاكم القاهرة فى عصرالناصر محمد –خليلية – على باب زويلة تقرع يوميا بعد صلاة العصر .

ويقول ابن اياس ان هذه الكلمة خليلية معناها آلةمن نوع الطبول التىتقرع فىالقلعة أثناء نوباتالحراسة .

ويظهر من ذلك أن عددا من الطبول قد وضعت فوق باب زويلة تشبه تلك الموجودة فوق البـاب المدرج فى القلعة ، ومعنى فوق الباب كما يظهر يعنى القبو الذى فوق الباب .

ويرجح أن قرع الطبول كان من حق الخليفة وحده وهذا الحق يأتى فىالاهمية السياسية مباشرة بعدالخطبة وسك العملة . وكان السلاطين البويهيون أول منسلب الخليفة هذا الحق سنة « ٣٣٤ – ٤٤٧ هـ ، ٩٤٦ – ١٠٥٥ م » ، ولكن مع ذلك بقى الحق فى قرع الطبول ثلاث مرات فقط فى اليوم وذلك فى ساعات الصلاة بعد أن كان له الحق فى خمس مرات .

والمعتقد أن هذا الوصف المأخوذ عن الجزرى صورة لهذه الطقوس الدينية فى القرن الثانى عشر .

وعندنا اشارة لهذا فى أوائل القرن الثـالث عشر فى قصائد سعدى اذ يقول – الى أن تسمع فى الصباح المبكر من المسجد الجامع أو فى باب قصر الاتابك صـوت الطبول .

وهذا النظام موجود فى مصر منذ أوائل أيام الفاطميين وفى الوقت الذى كتب فيه خليل الزهيرى كان يوجد ثمانية وأربعين أميرا لكل منهم الحق فى ثمانية طبـول وغيرها من الآلات الموسيقية .

وقد قضى السلطان سليم الاول على هذه المظاهـر عند ما غزا مصر سنة ١٥٧٠ م ، ولكن يظهر أنخليفته السلطان سليمان القانونى قد أعادها سيرتها الاولى .

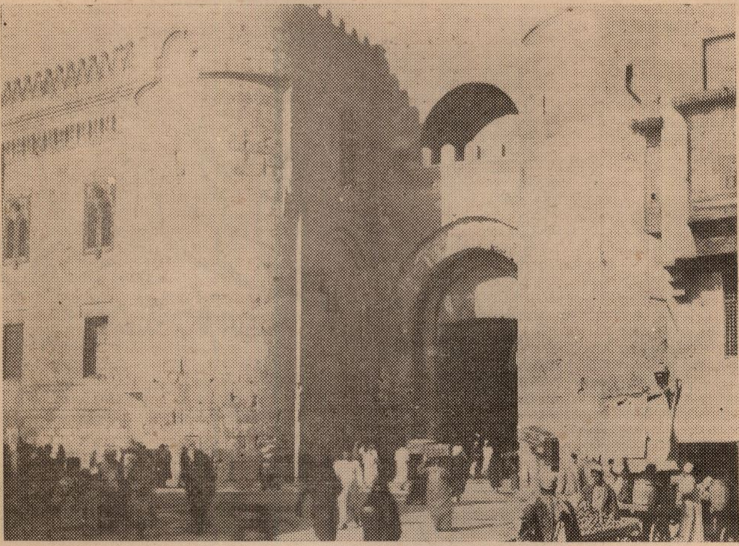

منظر عام لباب زويلة من ناحية الجنوب

وفى اعتقادى أن أصل هذه المظاهر يرجع الى فارس حيث ما زالت موجودة اذ أن الطبول تقرع على أبواب كل مدينة أو على أبراجها فى وقت الغروب ، وتوجد فى أصفهان أماكن اسمها نقارة خانة أو أبراج الطبول وكذلك فى مشهد وكرمان شاه وطهران وغيرها .

ويقول شاردين ١٦٦٥ - ١٦٧٧ م أن الطبول كانت تقرع عند الغروب وفى منتصف الليل . وفى أيام سانسون سنة ١٦٨٣ م كانت تقرع فى الظهر وعند الغروب وبعد منتصف الليل بساعتين .

هذا وعندنا من الادلة ما يعزز هذا القول بأن هذه العادة كانت موجودة قبل الفتح الاسلامى . فهناك طبق « شكل ٦ » من الفضة ساسانى الاصل موجود فى متحف الهرميتاج فى مدينة بطرسبرج فى روسيا ، وفى هذا الطبق نجد رسم قصر له باب فى وسطه وعلى الباب دهليز طويل يقف فيه سبعة رجال ينفخون فى النفير . ووجود هؤلاء الرجال فى المكان دليل قوى على ما أقول .

واذا اقتنعنا بوجود هذه العادة فى فارس انتظرنا أن نجد مثلها فى الهند لانها أخذت ثقافتها الاسلامية عن فارس .

ففى قلعة أجرا التى بناها أكبر خان سنة ١٥٦٦ م نجد باب الفيل « أو هاتى بول » فيه نوبة خانة تقرع فيها الطبول .

وكذلك فى قلعة دلهى التى بناها الشاه جيهان وتمت بعد ذلك سنة ١٦٤٨ م ، فقد كان هناك باب ذو قبو طويل يؤدى الى فناء كان يوجد فى مؤخرته نقارة خانة أو نوبة خانة وهى عبارة عن باب ذى ثلاثة أقواس به دهليز طويل للموسيقى طوله أكثر من مائة متر وعرضه سبعون مترا .

ويقول برميه سنة ١٦٦٠ - ١٦٦٥ م ان الموسيقى كانت تسمع خمس مرات فى اليوم فى أوقات الصلاة من غير شك .

هذا ولعلى أكون قد وفقت فى التعريف بباب زويلة واستخدامه كبرج للطبول وأكون بذلك قد شاركت فى الاشادة بأثر من آثار القاهرة المعزية التى يهتم باعادتها سيرتها الاولى السيد الفاضل صلاح دسوقى محافظ القاهرة بما يبديه دائما من رغبة أكيدة فى تجديد آثارها واحياء تاريخها المجيد بأن جعل لها عيدا قوميا يحتفل به فى شهر اكتوبر من كل عام، شأنه فى ذلك شأن اهتمامه بجميع النواحى الحيوية الاخرى فى عصرنا الذهبى الحاضر التى ان دلت على شىء فانما تدل على تلك الروح الوطنية الطيبة الموجهة نحو آثار مصر خاصة والعرب عامة من رجال مسئولين بفضل توجيه السيد الرئيس جمال عبد الناصر ونشاطه الجم الذى لا حد له فى ظل الجمهورية العربية المتحدة . وماالنصر الا من عند الله ومن ينصره الله فلا غالب له .

إلى ثورة الجزائر في عيدها التاسع والعدوان الغاشم عليها

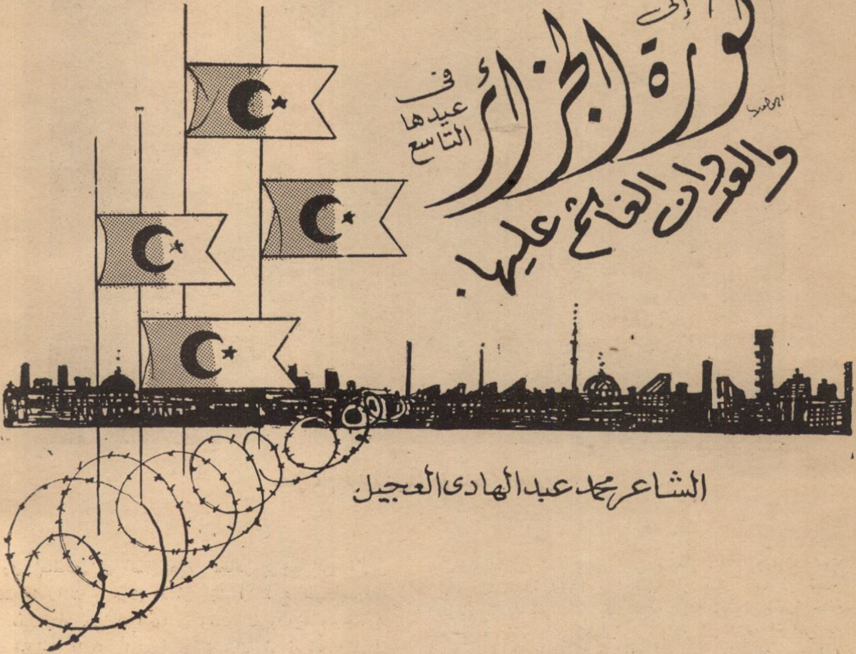

الشاعر محمد عبد الهادى العجيل

ثورة العرب فى بلاد الجزائرْ ... صانك الله من عدو غادرْ
عيدك اليوم عيد كل أبى ... يعربى يحيا بصولة ثائر
بعد سبع من الكفاح مرير ... كتب النصر بالمُدى والخناجر
واستعاد الأُوراس من حكم غاز ... هتك العرض واستباح الحرائر
« فرنس » الشعب للقضاءِ عليه ... وتعدى لقدسه والمنابر
فأَبى الشعب أن يذل ويحنى ... رأْسه للغزاة رغم المخاطر

بذل الروح قُرْبةً وفداء		وارتضى الموت دون ظل الأَصاغر
لم ينل نصره بغير كفاح		بعد مليون فى بطون المقابر
حققوا النصر باقتحام المنايا		واستطابوا غمارها كالكواسر
فاعتلت راية الجهاد وقامت		تتحدى أسطولهم والمناور
وبدت فى الإصلاح فى كل ركن		إستعدت بعربها والبرابر
تجمع الشعب تستحث خطاه		كى يوالى بناءه ويبادر
لاشتراكية بناها رسول		خير من جاءَ للأُولى والأَواخر
وابن بللا قد سار دون التواءٍ		وهو يخطو بشعبه ويثابر
ويسوس البلاد حقا وعدلا		ويداوى فقيرها ويباشر
غير أنى أَرى فى الغداة شرورا		تدع الفكر تائها ثم حائر
إخوة الدّين والعروبة		والأَوطان ولقرآن الحمى والمصائر
يسفكون الدماءَ من غير حق		ويخوضون فوق أَرض المجازر
فتنة أَشعل العداة لظاها		وأَعدوا بخورها والمجامر
بئس والله فعل ما قد أَتوه		جرحوا الدين والنهى والمشاعر
يا دعاة الوفاق هبوا سريعا		يا أُولى الرأْى والحجا والبصائر
يا حماة الإصلاح فى كل صقع		أَين أَهل الإصلاح أين الأَكابر؟
بادروا واحسموا خلافًا تفشى		وانصروا الحق واخذلوا من يكابر
إن تلك الدماءَ ليست لهاو		يتلهى بسفكها ويقامر
هى ذخر وعدة وسلاح		وسياج نلقى بها كل فاجر
من يبلغ ملك المغرب عنا		ليصحح أفكاره ويحاذر
ويصون الدماءَ قبل انتكاس		لا يساوم بشعبنا ويتاجر
أى كسب جنيته أى خير		ترتجيه من بعد تلك المناكر

عد إلى الصف يا مليك فإننا ليس نرضى لغيرنا أن تساير.
راقب الله فى نفوس البرايا واخش يوما يذل فيه المغامر
قد تذرعت بالحدود ولكن هذه حيلة أتت من مناور
يا أخا العرب ما كان منك ولكن فعل أعداءٍ من وراءِ الستائر
فى ظروف خطيرة وامتحان فيه يجتاز شعبنا فى الجزائر
قمت تدعو لفتنة وحدود فهى والله من ضروب الكبائر
لا تحاول أن تستثير وتدمى ظهر من عاش فى الدما والخسائر
كان أولى بأن تضمد جرحًا وتواسى منكوبهم وتؤازر
وإذا كان ما تريد صحيحا فمن الحق أن تراعى الأَواصر
وتسوى مشاكلا وخلافا دون سفك الدماءِ أو أن تناحر
قد بذلتم فى أرضكم كل غال وكسبتم ثناءَ كل العباقر
وأزحتم أعداءكم وأراهم يتمنون أن تدور الدوائر
وحذار التهريف من أُفق العقـ ـل يغطى على الحجا والضمائر
ليصوغ التلفيق ظلمًا لمصر كعبة الشرق فى قيادة ناصر
فهو يسعى لخير كل شقيق ورأيتم وفاءه والمآثر
يوم كنتم فى محنة وسجون وهو يحنو من أجلكم ويشاطر
يبذل العون للإخاءِ ويحمى وطن العرب من عدو وعاقر
بطل ثائر وشهم كريم وزعيم قد عقدنا عليه الخناصر
وجنوبى لسوف يرجع حتما ودخيل من أرضنا سيغادر
قد وهبنا نفوسنا وسنفدى كل شبر من أرضها ونحاصر
قوة الغازى اللئيم بعزم وسنردى أسطوله والعساكر
إن يوم اللقاءِ يبدو قريبًا قد بدت فى الآفاق تلك البشائر

الأحنف بن قيس

الأستاذ محمد سيد جاد الحق

أفرغه الله فى قالب الكمال فكان من أكرم الناس عنصرا وأسلمهم فطرة وأصفاهم نفسا جميل الثاقب حلو الشمائل يذلل العقاب ويروض الصعاب ويتخطى رقاب الموانع لا يتعاظمه أمر ولا يفوته مطلب ولا يقف دون غاية فنشأ من فجر حياته محبا للكمال مقبلا على العلم غواصا على دقائقه منقبا عن غرائبه حتى صار فيه راسخ القدم طويل الباع لا ينال دركه ولا يسبر غوره ، وخليق بمن أنعم الله عليه بتلك السجايا وحباه بشرف المنزلة وقلبه فى مدارج المعرفة أن ينشر فى الناس آيات علمه ويروض طالب العلم على حفظه فان العلم لا يستغنى عنه طالب فى مجالس الملوك ان جالسهم أو محافل الأشراف ان عاشرهم أو حلق الحكماء ان ذاكرهم فانه قل مجلس عقد علي خيره أو أسس لرشد أو سلك فيه سبيل المروءة الا وقد جرى فيه سبب من أسباب المعارف اما فى ذكر نبى أو ملك أو عالم أو نسب أو سلف أو زمان أو يوم من أيام العرب وكذلك كان مجلس الأحنف الذى ضرب بحلمه المثل .

مولده ونشأته :

ولد أبو بحر صخر بن قيس التميمى البصرى بالبصرة ودرج على أرضها وعاش فى ربوعها وتلقى فنون العلم على كواكبها فهو التابعى الكبير الذى أدرك عصر النبى صلى الله عليه وسلم ولم تثبت له صحبة والأحنف لقب له لقب به لحنف كان فيه والحنف الاعوجاج فى الرجل أو هو أن يمشى على ظهر قدميه والسيوف الحنيفية تنسب اليه لأنه أول من أمر باتخاذها ولما كان صغيرا كانت أمه ترقصه وتقول :

والله لولا حنف برجله ... وقلة أخافها من نسله
ما كان فى فتيانكم من مثله

حليته :

كان من سادات الناس وعقلاء التابعين وفصحاء البصرة وحكمائها والمقدم فى أهلها وكان صاحب باس وعزم سبوق الغايات مقدام على العظائم ولذا فتح على يديه كثير من الفتوحات الاسلامية التى مكنت للمسلمين فى الأرض .

دعوة قومه الى الاسلام :

يقول : ابن قتيبة فى معارفه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتى قوم الاحنف يدعوهم الى الاسلام فلم يجيبوه فقال الأحنف انه يدعوكم الى الاسلام والى مكارم الاخلاق وينهاكم عن ملائمها فاسلموا واسلم الاحنف ولم يفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما كان زمن غمر وفد اليه وشهد مع على رضى الله عنه صفين ولم يشهد الجمل مع أحد من الفريقين وهذه الرواية التى ساقها ابن قتيبة ينكرها عليه اليافعى فى مرآة الجنان ويقول : ان النبى عليه السلام لم يذهب الى بنى تميم ابتداء وانما وفدوا عليه مستشفعين فى أسارى بنى العنبر وكان ذلك فى الظهيرة والرسول نائم فى احدى حجرات أزواجه فقالوا يا محمد أخرج الينا فان مدحنا زين وذمنا شين وفى ذلك قوله تعالى « ان الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لايعقلون » وبعد زمن ذهب اليهم ودعاهم الى الاسلام فأسلموا وأسلم الأحنف .

الاحنف وولاية يزيد :

لما نصب معاوية ولده يزيد فى ولاية العهد أقعده فى قبة حمراء فجعل الناس يسلمون على معاوية ثم يميلون الى يزيد حتى جاء رجل ففعل ذلك . ثم رجع الى معاوية فقال يا أمير المؤمنين لو لم تول هذا أمور المسلمين لأضعتها والأحنف بن قيس جالس . فقال له معاوية : ما بالك لا تقول يا أبا بحر فقال أخاف الله ان كذبت وأخافكم ان صدقت فقال له معاوية جزاك الله خيرا عن الطاعة وأمر له بالوف فلما خرج لقيه ذلك الرجل فقال يا أبا بحر انى لأعلم كذا وكذا وذم يزيد ولكنهم قد استوثقوا من هذه الأموال بالأبواب والأقفال فليس يطمع

فى استخراجها الا بما سمعت فقال الأحنف ان ذا الوجهين خليق الا يكون عند الله وجيها .

الأحنف والحلم :

قال الأحنف ما تعلمت الحلم الا من قيس بن عاصم المنقرى قيل وما بلغ من حلمه قال قتل ابن أخ له بعض بنيه فأتى بالقاتل مكتوفا يقاد اليه فقال الأحنف ذعرتم الفتى ثم أقبل عليه وقال يا بنى بئس ما صنعت نقصت عددك وأوهنت عضدك وأشمت عدوك وأسأت بقومك خلوا سبيله واحملوا الى أم المقتول ديته فانها غريبة فانصرف القاتل وما حل الأحنف حبوته ولا تغير وجهه وقيس هذا هو الذى قال الشاعر فى مرثيته :

وما كان قيس هلكه هلك واحد
ولكنه بنيان قوم تصدعا

الأحنف وأمير العراق :

دخل الأحنف بن قيس على أمير العراق فى زمانه وجلس معه على سريره فاستشاط غضبا وأنكر عليه صنيعه فقال له الأحنف عجبا لمن يغسل القذرة كل يوم بيده مرتين كيف يتكبر ؟

الأحنف وعمر :

قال الأحنف قدمت على عمر بفتح تستر فقلت يا أمير المؤمنين ان الله قد فتح عليك تستر وهى من أرض البصرة فقال رجل من المهاجرين يا أمير المؤمنين ان هذا يعنى الأحنف الذى كف عنا بنى مرة حين بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صدقاتهم وقد كانوا هموا بنا قال الأحنف فحبسنى عمر عنده بالمدينة سنة يأتينى كل يوم وليلة فلا يأتيه عنى الا ما يحب فلما كان راس السنة دعانى فقال يا أحنف هل تدرى لم حبستك عندى قلت لا يا أمير المؤمنين فقال عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حذرنا كل منافق عليم فخشيت ان تكون منهم فاحمد الله يا احنف فانى قد بلوتك وخبرتك فرأيت علانيتك حسنة وأنا أرجو أن تكون سريرتك مثل علانيتك ويحك يا أحنف لما رايتك ازدريتك فلما نطقت قلت لعله منافق صنع اللسان فلما اختبرتك حمدتك ولذلك حبستك ثم قال عمر هذا والله السيد .

وفد البصرة عند عمر :

أوفد أبو موسى الأشعرى وفدا من أهل البصرة الى عمر وفيهم الأحنف فلما قدموا عليه تكلم كل رجل منهم بخاصة نفسه وكان الأحنف فى آخر القوم : فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه : ثم قال أما بعد : يا أمير المؤمنين فان أهل مصر نزلوا منازل فرعون وأصحابه وان أهل الشام نزلوا منازل قيصر وان أهل فارس نزلوا منازل كسرى ومصانعه فى الأنهار العذبة والجنان المخصبة وان أهل البصرة نزلوا فى أرض سبخة زعقة نشاشة لا يجف ترابها ولا ينبت مرعاها . طرفها فى بحر اجاج والطرف الآخر فى فلاة فارفع خسيستنا وزد فى عيالنا عيالا وفى رجالنا رجالا ومر لنا بنهر نستعذب منه الماء فقال بم تحريتم أن تكونوا مثل هذا هذا والله السيد اجلس يا أحنف وعرض عليه عمر الجائزة . فقال يا أمير المؤمنين والله ما قطعنا الفلوات ودأبنا الروحات والعشيات للجوائز وما حاجتى الا حاجة من خلفت فزاده ذلك عند عمر خيرا فرد عمر أبا موسى ومن معه وجعل الأحنف عنده سنة فلم يزل له شرف حتى خرج من الدنيا .

ثناء الناس عليه :

قال خالد بن صفوان كان الأحنف يفر من الشرف والشرف يتبعه وقال هشام بن عبد الملك لخالد هذا : أخبرنى عن الأحنف فقال ان شئت يا أمير المؤمنين أخبرتك عنه بثلاث وان شئت باثنتين وان شئت بواحدة قال : فأخبرنى عنه بثلاث قال كان لا يحرص ولا يجهل ولا يدفع الحق اذا نزل به قال فأخبرنى عنه باثنتين فقال كان يأتى الخير ويتوقى الخير قال فأخبرنى عنه بواحدة قال كان أعظم الناس سلطانا على نفسه يعنى بصيرا بالمحاسن والمساوىء .

دخول الأحنف على معاوية :

دخل هو وجماعة من أهل العراق يوما فقال له أنت الشاهر علينا : السيف يوم صفين والمخذل عن أم المؤمنين عائشة : فقال له يا معاوية لا تذكر ما مضى منا ولا ترد الأمور على أدبارها فان السيوف التى قاتلناك بها على عواتقنا والقلوب التى أبغضناك بها بين جوانحنا : والله لا تمد الينا شبرا من غدر الا مددنا اليك ذراعا من جبر وان شئت لتستصفين كدر قلوبنا بصفو من عفوك فقال له معاوية : فانى افعل ثم اعطاهم وحباهم وارضاهم وكانت أخت معاوية من وراء الحجاب تسمع كلامه فقالت يا أمير المؤمنين من هذا الذى يتهدد ويتوعد فقال : هذا الذى اذا غضب غضب لغضبه مائة ألف فارس من بنى تميم لا يدرون فيم غضب .

حكمه وأمثاله :

قال رجل من بنى تميم حضرت مجلس الأحنف وقد اجتمع عنده قوم فى أمر لهم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : ما أقرب النقمة من أهل البغى . لا خير فى لذة تعقب ندما . لن يهلك ولن يفتقر من زهد . رب هزل قد عاد جدا من أمن الزمان خانه . من تعظم عليه أهانه . دعوا المزاح فانه يورث الضغائن . وخير القول ما صدق الفعل أقبلوا عذر من اعتذر اليكم . أطع أخاك وان عصاك وصله ان جفاك . أنصف من نفسك قبل ان ينتصف منك واياك ومشاورة النساء. واعلم أن كفر النعمة لؤم وصحبة الجاهل شؤم . ومن الكرم الوفاء بالذمم . ما اقبح القطيعة بعد الصلة والجفاء بعد اللطف وأقبح العداوة بعد الود . لا تكونن على الاساءة أقوى منك على الاحسان ولا الى البخل أسرع منك الى البذل . واعلم أن لك من دنياك ما أحلمت به مثواك فانفق فى حق ولا تكونن خازنا لغيرك واذا كان الغدر فى الناس موجودا فالثقة بكل احد عجز . اعرف الحق لمن عرفه لك . واعلم ان قطيعة الجاهل تعدل صلة العاقل .

قال التميمى فما رأيت كلاما ابلغ منه فقمت وقد حفظته .

حروبه وجهاده :

كان رضى الله عنه من أمراء على يوم صفين . وهو الذى صالح أهل بلخ على اربعمائة ألف دينار فى كل سنة .. وله وقائع مشهورة مشهودة وله المواقف الرائعة الخالدة فى قتال خراسان حيث قتل من رجالها كثيرا وكانت نهايته النصر . وقال الحاكم : هو الذى افتتح مرو الروذ وكان الحسن وابن سيرين فى جيشه .

وبقى الاحنف سيفا مسلولا الى زمن مصعب بن الزبير فخرج معه الى الكوفة فمات بها سنة اثنتين وسبعين عن سبعين سنة . وكان قد كبر جدا ودفن بالثوبة عند قبر زياد ويقول عبد الرحمن بن عمارة بن عقبة بن أبى معيط حضرت جنازة الأحنف بن قيس بالكوفة فكنت فيمن نزل قبره فلما سويته رأيته قد فسح له فى قبره مد بصرى فأخبرت بذلك أصحابى فلم يروا ما رأيت .. ذكر ذلك ابن يونس فى تاريخ مصر المختص بالغرباء أدخله الله فى الصالحين وانزله منازل الصديقين .

الحدود في الإسلام

حَدُّ السَّرِقَة

الأستاذ
محمود لطفي عبد الكريم

كانت كلمتنا السابقة عن حد الزنا ، وما فى اقامته من حكمة واضحة ، وعدالة رحيمة ، واليوم نتكلم عن حد السرقة ، وسيتبين للقارىء بعد هذا ، أن اقامة هذا الحد هو العلاج الوحيد لذلك الداء الوبيل ، الذى تفشى فى مجتمعنا بشكل خطير ، ينذر بأوخم العواقب .

ولا شك أن القارىء يلاحظ التضخم الهائل فى حوادث السرقة ، من سطو على البيوت والمتاجر ، ومن نشل ما فى الجيوب فى سائر أنواع المواصلات ، وفى الأماكن المزدحمة ، كما سيلاحظ أن العقوبات المنصوص عليها فى القوانين الوضعية لم تقض على هذه الآفة ، بل ولم توقفها عند حد ، وذلك يحتم علينا ـ ونحن نبنى مجتمعنا الجديد ـ ان نعيد النظر فى قوانيننا الحالية ،وان ننظر الى قانون السماء بعين الانصاف ، حتى نستطيع أن نرى ما فيه من مزايا ، وما فى تطبيقه من عدالة ، بل ومن رحمة ، بالمجتمع وبالسارق على حد سواء .

* * *

لقد ثبت قطع يد السارق بالكتاب العزيز ، وبالسنة المطهرة فأما الكتاب ، فقد قال الله تعالى : (والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله، والله عزيز حكيم) .

وأما السنة فقد فصلت اجمال هذه الآية الكريمة ، ووضعت لكل حالة علاجها ، وبينت متى تقطع يد السارق، ومتى لا تقطع .

فالسارق تقطع يده اذا سرق ما يساوى ربع دينار ، وقد كان ربع الدينار وقتذاك يساوى ثلاثة دراهم (أى ما يساوى حوالى ثمانية قروش بعملتنا الحالية) .

أخرج البخارى ومسلم والامام أحمد وأصحاب السنن ، عن عبد الله بن عمر - رضى الله عنهما - أن النبى صلى الله عليه وسلم قطع فى مجن ثمنه ثلاثة دراهم .

والمجن - بكسر الميم وفتح الجيم وتشديد النون هو الترس (أداة من أدوات الحرب) .

واخرج احمد ومسلم والنسائى وابن ماجه عن عائشة - رضى الله عنها - أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (لا تقطع يد السارق الا فى ربع دينار فصاعدا) .

*
* *

ويجب - لاقامة الحد - أن يكون المسروق محرزا ، اى موجودا فى مكان أعد لحفظه ، كالبيوت والحظائر والحوانيت ، فاذا لم يكن محرزا فلا قطع فيه .

اخرجه النسائى وابو داود عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : سئل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن الثمر المعلق ، فقال : (من أصاب منه بفيه « أى فمه ، والمراد من أكل » من ذى حاجة ، غير متخذ خبنة فلا شىء عليه ، ومن خرج بشىء فعليه غرامة مثليه والعقوبة ، ومن سرق منه شيئا بعد أن يؤويه الجرين فبلغ ثمن المجن فعليه القطع) .

واخرج الامام أحمد والنسائى عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ، قال : سمعت رجلا من مزينة يسأل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن الحريسة التى توجد فى مراتعها (الغنم التى ترعى وعليها حرس) ، قال : (فيها ثمنها مرتين وضرب نكال ، وما أخذ من عطنه « حظيرته » ففيه القطع اذا بلغ ما يؤخذ من ذلك ثمن المجن) ، قال : يا رسول الله ، فالثمار وما اخذ منها فى أكمامها ؟ قال : « من اخذ بفيه ولم يتخذ خبنة فليس عليه شىء ، ومن احتمل فعليه ثمنه مرتين وضرب نكال ، وما أخذ من أجرانه ففيه القطع اذا بلغ ما يؤخذ من ذلك ثمن المجن) .

ومن هذين الحديثين يتبين :

اولا : أن النبى صلى الله عليه وسلم جعل للثمار اربعة أحوال ، حالتين وهى لا تزال على الشجر ، وحالتين بعد جنيها وايداعها فى أجرانها .

فاذا كانت الثمار على أشجارها ، وأراد السارق أن ياكل منها ، فله ذلك ، مهما كانت الكمية التى ياكلها ، ولا شىء عليه اصلا ، من عقوبة أو غرامة ، ولكن بشرط أن يكون محتاجا ، وليس بعد ذلك بالمحتاج المضطر ، فاذا تجاوز هذا الحد ، واخذ من الثمار ، واخفاها تحت ابطه ، او فى طيات ثيابه وخرج بها ، فانه يغرم مقدار ثمنها مرتين ، ويؤدب بالضرب .

واذا حدثت السرقة بعد ايداع الثمار اجرانها ، فان لم تبلغ قيمة المسروق ربع دينار ، ففيه غرامة مثليه ، والتاديب بالضرب ، وان بلغت ربع دينار فصاعدا ففيه القطع .

ثانيا : ان الشاة اذا سرقت من مكان رعيها ، ففيها غرامة مثليها والتاديب بالضرب - ولو بلغت قيمتها ربع دينار - لأنها لم تؤخذ من حرز ، وأما اذا سرقت من أعطانها (حظائرها) فان لم تبلغ قيمتها ربع دينار ، ففيها غرامة مثليها والتاديب بالضرب ، واذا بلغت قيمتها ربع دينار ، ففيها القطع .

*
* *

والمرجع فى الحرز الى العرف ، فما تعارف الناس فى اى بلد على انه حرز فهو حرز ، فالمسجد - وان كان مكانا عاما - لكن العرف جرى على أنه حرز فيما يوضع فيه عادة ، كمصابيحه ، وسجاجيده ، واحذية المصلين ، وارديتهم .

اخرج الامام احمد وابو داود والنسائى ، عن عبد الله ابن عمر - رضى الله عنهما - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قطع يد سارق سرق برنسا من صفة النساء ثمنه ثلاثة دراهم .

والبرنس قلنسوة طويلة توضع على الراس ، أو هو الثوب الذى له رأس متصل به ، كثياب أهل المغرب .

وفى رواية أخرى لهذا الحديث (ترسا) بدل (برنسا) ، وسواء كان برنسا أو ترسا فانه أخذ من حرز وهو المسجد ، وكان ثمنه ثلاثة دراهم ، وبذلك استحق سارقه القطع .

والانسان يعتبر حرزا بالنسبة لما ينام عليه ، كالثوب والفراش ، ولو كان نائما فى الطريق العام .

أخرج الامام احمد وأصحاب السنن الا الترمذى ، عن صفوان بن أمية قال : كنت نائما فى المسجد على خميصة لى ، فسرقت ، فاخذنا السارق ، فرفعناه الى رسول الله - صلى الله عليه وسلم -فأمر بقطعه ، فقلت : يا رسول الله ، أفى قميصه ثمن ثلاثين درهما ؟ أنا أهبها له ، أو أبيعها له ، قال : « فهلا كان قبل أن تأتينى به ؟ »

ويستفاد من هذا الحديث ثلاثة امور :

الاول : اعتبار صفوان حرزا بالنسبة للثوب الذىكان ينام عليه - ولو انه كان نائما فى مكان عام وهو المسجد- ولذلك استحق سارقه القطع .

الثانى : أن المطالبة فى المسروق شرط فى القطع ، فلو أن المجنى عليه تنازل عن حقه قبل أن يرفع أمره الى الامام سقط عن السارق القطع ، كما صرح بذلك النبى - صلى الله عليه وسلم حين قال : « فهلا كان قبل أن تأتينى به » ، بل انه - صلى الله عليه وسلم - رغب فىالعفو قبل رفع الأمر الى الامام ، لا بعده ، حيث قال : « تعافوا الحدود فيما بينكم ، فما بلغنى من حد فقد وجب » .

الثالث : أن الشفاعة للسارق لا تجوز بعد رفع أمره الى الامام ، بل ان الشافع فى هذه الحالة يرتكب اثما بشفاعته ، كما قال - صلى الله عليه وسلم - (من حالت شفاعته دون حد من حدود الله فهو مضاد الله فى أمره) ، وكما قال : (اذا بلغت الحدود الامام فلعن الله الشافع والمشفع) .

ويستثنى من أعتبار الحرز جحد العارية ، فجاحد العارية يأخذ حكم السارق ، ويعامل معاملته ، ولو أنه لم يسرق من حرز ، ووجهه أن الحاجة ماسة بين الناس الى أن يستعيروا من بعضهم ما هم فى حاجة اليه ، فلو علم المعير أنه لا عقاب على جاحد العارية ، لأدى ذلك الى سد باب العارية ، وتعطيل مصالح الناس ، وفى ذلك من الضرر ما فيه .

أخرج الامام أحمد ومسلم والنسائى ، عن عائشة - رضى الله عنها - أنها قالت : كانت امرأة مخزومية تستعير المتاع وتجحده ، فأمر النبى - صلى الله عليه وسلم - بقطع يدها ، فاتى أهلها أسامة بن يزيد ، فكلموه ، فكلم النبى - صلى الله عليه وسلم - (يا أسامة ، لا أراك تشفع فى حد حدود الله عز وجل) ، ثم قام النبى - صلى الله عليه وسلم - خطيبا ، فقال : (انما هلك من كان قبلكم بانه اذا سرق فيهم الشريف تركوه ، واذا سرق فيهم الضعيف قطعوه ، والذى نفسى بيده لو كانت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها) ، فقطع يد المخزومية .
وهذه المخزومية هى فاطمة بنت الأسود بن عبد الأسد ، وهى من بنى مخزوم ، التى ينتسب اليها خالد بن الوليد وكانت تستعير الحلى ، فاذا ما طولبت برده بعد ذلك أنكرت أنها أخذت شيئا ، وتكرر ذلك منها ، فرفعت احدى المعيرات أمرها الى النبى صلى الله عليه وسلم ، فانكرت المخزومية أيضا ، فأمر - عليه الصلاة والسلام - بتفتيش بيتها ، فوجدوا الحلى تحت فراشها ، فأمر بقطع يدها ، وأمره - صلى الله عليه وسلم - بتفتيش بيتها - وهو الذى كان يلقن المتهم ما يسقط عنه الحد ، كما سيأتى - لتكرر هذا الفعل منها ، فصارت موضع ارتيابه.
استعظمت قريش أن تقطع يد امرأة من بنى مخزوم : فاستشفعوا بأم المؤمنين أم سلمة ، وولديها عمرو بن أبى مسلمة ، وزينب ربيبة النبى - صلى الله عليه وسلم - فلم يقبل شفاعتهم ، فذهبوا الى أسامة بن زيديستشفعون به ، وقد ظنوا أن محبة النبى له كفيلة بقبول شفاعته ، وعندئذ غضب النبى - صلى الله عليه وسلم - وأنكر على أسامة شفاعته ، ولقن المسلمين جميعا درسا فى وجوب المساواة بين الشريف والوضيع فى أحكام الله .

* * *

ولا تثبت تهمة السرقة الا باقرار السارق على نفسه مرتين ، أو بشهادة شاهدين أنه سرق ، فاذا تحقق أحد هذين الأمرين أقيم الحد على السارق ، ولا شىء فيما دون الاقرار مرتين ، أو شهادة اثنين .

أخرج الامام أحمد وأبو داود عن أبى أمية المخزومى ، أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أتى بلص ، فاعترف اعترافا ، ولم يوجد معه المتاع ، فقال له رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (ما اخالك سرقت ؟) قال : بلى ، مرتين أو ثلاثا ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (اقطعوه ، ثم جيئوا به) ، فقطعوه ، ثم جاءوا به ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (قل : أستغفر الله وأتوب اليه) ، فقال : أستغفر الله وأتوب اليه ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (اللهم تب عليه) .

ويستفاد من الحديث - فوق ما تقدم - أنه اذا أتى باللص الى الامام ، فانه يستحب له أن يلقنه ما يسقط عنه الحد ، ولكن يجب أن يكون مفهوما ان ذلك ليس فى كل الأحوال ، فان المتهم اذا ظهرت عليه امارات الريبة لا يلقن ، بل انه يضرب ، كما ثبت عن النبى - صلى الله عليه وسلم - انه عاقب فى تهمة ، وحبس فى تهمة أخرى .

* * *

وبعد : فلعل القارىء الكريم يلاحظ مما تقدم ، ان القطع لا يكون الا فى حالات نادرة جدا ، وهى مع ندرتها كافية للزجر ، لأن القطع - مع أنه عقوبة للسارق - فانه أعظم زاجر لغيره عن اقتراف هذه الجريمة البشعة ، فاليد المقطوعة اعلان دائم عن جريمة صاحبها ، ولا شك أن ذلك عار يلازم صاحبها ، ويلازم أهله وولده مدى الحياة ، فمن من الناس يرى هذا لم تحدثه نفسه بالسرقة ؟

على أن هذه العقوبة لا يصح توقيعها على السارق الا اذا وجدت الاسباب التى تحول بين المرء وبين السرقة ، فاذا كان العمل ميسرا لكل من يطلبه ، واذا وجد كل محتاج من يعوله ، أو يقرضه ، أو يتصدق عليه ، فلا عذر له أن سرق ولا ظلم عليه أن قطع ، ولهذا فان الله جلت حكمته لم يشرع هذه العقوبة بعد أن نظم النبى - صلى الله عليه وسلم - المجتمع الاسلامى ، فآخى بين المرأة ، وأوجب عليهم الزكاة ، ورغبهم فى الصدقة ، وجعل كل مسلم مسئولا عن كل من تربطه به أدنى صلة ، من قرابة ، أو زمالة ، أو جوار .

ولهذا أيضا ، فان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - أوقف اقامة حد السرقة سنة المجاعة والقحط ، وهى السنة التى يسمونها عام الرمادة .

* * *

وها نحن الآن فى عهد الثورة المبارك نرى المسئولين يعيدون تنظيم المجتمع ، على أسس وطيدة من العدالة ، وتكافؤ الفرص أمام الجميع ، حتى قل عدد المتعطلين ، وسيأتى حتما ، وقريبا - ان شاء الله - الوقت الذى لا نرى فيه عاطلا واحدا ، فالاصلاح الزراعى ، وتصنيع البلاد ، وتهيئة المجالات الكثيرة للأعمال الجديدة ، التى لم يكن لنا عهد بها ، كل ذلك سيستوعب جميع الأيدى العاملة ، وعندئذ ستزول جميع الاسباب التى كانت تحمل المضطر على السرقة ، ولا حرج علينا بعد هذا ان طالبنا باحياء أمر الله فى السرقة ، وبتنفيذ العقوبة التى فرضها ، وذلك لحماية المجتمع من هؤلاء المنحرفين ، الذين جرفهم تيار الفساد والانحلال ، واعتادوا أخبث الرذائل ، من شرب الخمر ، وتعاطى المخدرات ، ولعب القمار ، والجرى وراء الشهوات البهيمية ، ولا تكفيهم مواردهم المشروعة لمزاولة هواياتهم المحرمة ، فيسرقون ، وينشلون ، ويخطفون ، ليغطوا نفقات عبثهم واستهتارهم.

ان التضحية بيد مؤذية تقطع ، أو بعشر ، أو بمائة ، تهون فى سبيل حماية الملايين .

صحابي .. في مصر

ابن أم حرام

الدكتور حسين نصار

هذا رجل يحار من يتعرض له ، اذ يرى الظـلام يحيط به من جميع الانحاء ، فيتلمس طريقه ويتحسسه خطوة بعد خطوة . فالنزاع والخلاف بين المؤرخين يكاد يشمل كل ما يتصل به ، وينسب اليه من اقـوال وأفعـال .

والخلاف الاول فى اسمه الاول . فكل من ترجم له وضعه تحت اسم « أبى » وعلى الرغم من ذلك ، أوردوا القول المنسوب الى **ابراهيم بن أبى عبلة** ، الذى قال انه رأى الرجل وسمع منه وروى عنه . قال : انه لم يكن يسمى أبيا ، بل هو أبو أبى . وارتضى ابن ابى حاتم هذا القول ، وقال : من قال : ابى اخطأ ، انما هو ابو أبى . وعلل بهذا عدم تعرض البخارى له فى تاريخه الكبير .

ولا عجب أن يميل المرء الى قول ابراهيم بن أبى عبلة لانه التقى بالرجل ، ولانه من اليسير أن يظن القارىء اذا ما وقع نظره على « أبى أبى » أن الكلمة تكررت نتيجة هفوة أو غفلة واذن فالرجل الذى امامنا كان يكنى « أبا أبى »

فاذا كان الامر كذلك ، فما اسمه ؟

قال ابراهيم بن أبى عبلة : اسمه **عبد الله** . وذلك هو الارجح . **وأورد ابن حجر فى « تهذيب التهذيب » أن ابن حبان** حكى فى الصحابة ان اسمه « **شمعون** » ولم يتابعه أحد فى قوله .

واختلف فى اسم أبيه . فقال ابن عبـد البر فى الاستيعاب : « قيل : عبد الله بن ابى . وقيل : عبدالله بن كعب » . واستبعد ابن حجر فى التهذيب الاسم الأول ، اذ قال : « قال ابن عبد البر : بعضهم يقول : عبد الله بن أبى . وهو خطأ » .

وقال ابن ابى حاتم : يقال : ابن عبادة . وذكر ابن حجر فى الاصابة أن البغوى حكم ان اسمه كذلك .

ولكن من ذهبوا الى أن اسمه « أبى » جعلوا اسم أبيه عمارة . وافترقوا فى عينه فريقين أجمل النووى آراءهم فى قوله : « هو مكسور العين ، ويقال : بضمها والكسر أشهر . وبه جزم أبو نصر بن ماكولا وآخرون من أئمة هذا الشأن . وحكى جماعة فيه الكسر والضم جميعا منهم الحفاظ أبو عمر بن عبد البر ، وابو بكر البيهقى ،

وابو محمد عبد الغنى المقدسى ، وآخرون وكل من حكى الوجهين قال : الكسر أشهر وأكثر الا ابن عبد البر فقال : الاكثر على الضم . واتفقوا على انه ليس فى الاسماء عمارة بالكسر غيره » .

ويتفق مع النووى فيما رواه عن ابن عبد البر كل من نقل عن الاستيعاب ، وان كانت النسخة المطبوعة منه تخالفهم وتقول : « الاكثر يقولون : ابن عمارة بكسر العين » .

وأما الذين رأوا انه كان يكنى « أبا ابى » فقد ذهبوا الى أن اسمه الكامل **عبد الله بن عمرو بن قيس** ، كان من بنى سواد بن مالك بن غنم ثم من بنى النجار ، ثم من الخزرج من الانصار .

ولعلنا لانبعد عن الصواب حين نخرج من كل هذا الخلاف بما يشبه الاطمئنان الى ان الرجل كان يسمى **« أبا أبى عبد الله بن عمرو النجارى الخزرجى الانصارى »** .

ويهجس بنفسى خاطر لاسبيل الى تأكيده : أن عمرا وعمارة شخص واسم ، وانهما اسمان اطلقا على رجل واحد . وربما كان أحدهما تدليلا . وخاصة ان النسب مكتمل مع عمرو ، ومقطوع مع عمارة .

ويبدو أن هذه التفرقة بين عمرو وعمارة تسببت فى كثير من الاحكام الخاطئة أو المتناقضة ، مثل ما أورده النووى من أن بعض العلماء أنكر كون ابى ابى من الصحابة .

وقد ذكر الواقدى وابو معشر أباه واخاه قيسا فيمن شهده غزوة بدر . ولكن ابن اسحاق لم يتفق معهما ، بل ذكر عشرة من بنى سواد بن مالك بن غنم شهدوا بدرا ، وليس فيهم الرجلان . وصرح ابن الاثير الاخلاف بين المؤرخين أن أباه وأخاه استشهدا بأحد .

اما أمه فهى أم حرام بنت ملحان النجارية الانصارية ، خالة أنس بن مالك . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكرمها ، ويزورها فى بيتها ، ويقيل عندها ودعا لها بالشهادة ، فاستشهدت بقبرص فى خلافة عثمان بن عفان .

وافترق الاب والام : ولست أدرى يقينا متى كان ذلك ؟ أبعد استشهاد الرجل فى احد ام قبل ذلك كثيرا ؟ وان كنت أرجح التاريخ الثانى لما يقال عن ابى ابى عبد الله .

وتزوجت أم حكيم من عبادة بن الصامت ، فربى ابنها عبد الله . واشتدت الصلة بين الرجل وربيبه حتى أخطأ بعض الناس وظنوها لونا من القرابة ، فقالوا عن عبد الله : انه ابن اخت عبادة ، وقالوا : ابن اخيه .

واخطأ ابن سعد فى تعاقب الزوجين على ام حكيم قال ابن حجر فى تهذيب التهذيب : « قال ابن سعد : تزوجت (أم حكيم) عبادة بن الصامت فولدت له محمدا ، ثم خلف عليها عمرو بن قيس بن زيد بن سواد الانصارى كذا قال ، والصحيح العكس . فقد قال غير واحد ، وثبت عن غير واحد ، انها خرجت مع زوجها عبادة فى بعض غزوات البحر وماتت فى غزاتها » .

ووصف ابن عبد البر عبد الله بانه « كان قديم الإسلام ، ممن صلى القبلتين » . واقتصر ابن عبد الحكم على قوله : « صلى القبلتين مع النبى صلى الله عليه وسلم » . أما ابن حجر والذهبى فقد قالا : « صلى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى بيته » وزاد ابن الاثير والنووى الامر وضوحا وتحديدا ، اذ قالا : « صلى مع النبى صلى الله عليه وسلم فى بيته الى القبلتين » وخالفهم ابن عبد البر ، فذكر ان الصلاة لم تكن فى بيته وانما فى بيت ابيه . واحسب أن سبب الخلاف كنيته ، اذ ظن جماعة انها تشير الى ابيه وجماعة انها تشير اليه .

وبالرغم من قدم اسلام عبد الله ، صرح ابن سعد وابن حجر فى التهذيب انه لم يشهد غزوة بدر ، التى شهدها ابوه واخوه . ثم لم يذكر احد من المؤرخين انه شهد اية غزوة اخرى . ولعل ذلك كان لصغر سنه .

ولكن المؤرخين لم يذكروه فى الفتوح ايضا . ولعله اشترك فيها ، غير أنه لم يكن له نصيب بارز ، يلفت اليه الانظار ، فيسجل له . وكان هذا النصيب فى حروب الشام . فقد انتقل من المدينة وسكن الشام . وبقى به الى أن مات ببيت المقدس أو دمشق . ذكر يحيى بن منده انه آخر من مات بفلسطين من الصحابة . وترك عقبا له فى بيت المقدس .

ويبدو أن عبد الله انتقل من الشام فى أثناء اقامته به ـ الى مصر ، لامر ما . بل ربما سكنها مدة ، كما قال ابن حجر والنووى والخزرجى وابن عبد الحكم ، وروى المصريون عنه فادخله ابو زرعة فى مسند المصريين

وروى عبد الله عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وعن مربيه عبادة بن الصامت .

وروى عنه ابراهيم بن ابى عبلة ، وعبادة بن نسى ، وضمضم بن المثنى الاملوكى . واخطأ بعضهم فى الرواة عنه . قيل فى تهذيب التهذيب : « ذكر ابو الفتح الازدى فى المخزون : لا يحفظ أنه روى عنه غير أيوب بن قطن . وقال ابن عبد البر : روى عنه عبادة بن نسى . وقوله صواب ، فان أيوب بن قطن أو وهب بن قطن انما روى عنه بواسطة عبادة بن نسى . وهكذا رواه أبو داود وابن حبان والبغوى وغيرهم . وسقط عبادة بن نسى من اسناده عند ابن ماجه وحده . ولكن عبادة موجود فى نسخة ابن ماجه المطبوعة وجنت كنيته عليه مرة أخرى ، فاضطرب المؤرخون فيه . يمثل ذلك الاضطراب ابن حزم فى رسالة أسماء الصحابة الرواة وما لكل واحد من العدد . فقد وضع فى أصحاب الافراد ـ أى رواة الحديث الواحد ـ من أسماهم : أبا أبى (٣١٠) وأبا أبى الانصارى (٣٠٢) ، وأبا أبى عمارة (٣٠٥) ، وابا أبى بن أم حرام (٣٠٤) . ووضع بين أصحاب الاثنين من سماه ابى بن عمارة (٢٩٧) واعلن كل من ترجم له أنه روى حديثا واحدا عن المسح على الخف .

وربما كان أدق من عبر عن هذه المسألة ابن عبد الحكم الذى لم يعمم القول وحدده حين قال ان المصريين لهم عنه حديث واحد . فلا ينفى ذلك أن يروى عنه غير المصريين غير ذلك الحديث . وذلك هو الحق .

جاء فى طبقات ابن سعد : « أخبرنا قبيصة بن عقبة قال : حدثنا سفيان ، عن منصور ، عن هلال بن يساف ، عن أبى المثنى الحمصى ، عن أبى ابن امرأة عبادة بن الصامت قال : كنا جلوسا عند رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : انه ستجىء امراء ، تشغلهم اشياء ، يؤرخون الصلاة حتى لايصلوا الصلاة لوقتها ، فصلوا الصلاة لوقتها . فقال رجل : يارسول الله ، ثم نصلى معهم ؟ قال : نعم » .

البقية ص ١٧٢

من أعلام الإسلام

الحسن ابن الهيثم

أعظم علماء القرون الوسطى فى علم الضوء

الأستاذ
عبد العزيز الاسلامبولى

قد يذهب سوء الظن ، ببعض المتأدبين، الى اتهامنا بالتزيد والاسراف فى وصف ابن الهيثم بهذا الوصف ، ولسنا نشك فى أنهم سيأخذهم العجب حين يعلمون أن هذا الذى نذكر فى شأن ابن الهيثم ، ليس سوى قلامة ظفر، مما ذكره القدامى والمحدثون ، من عرب وعجم ومستعربين ومستشرقين ، فقد جعلوه فى الذروة ، واتخذوا من بحوثه نماذج لعلماء العالم أجمع ، ومن كشوفه دستورا للعلوم الطبيعية عامة ، وللبصريات منها بصفة خاصة .

وأكثر اليقين بل كل اليقين ، أن ناشئتنا ، سيشتد عجبهم ، حين يعلمون أن كتب ابن الهيثم ورسائله فى العلوم الطبيعية والرياضية ، ولا سيما فى علم الضوء ، ظلت المرجع الأول فى عصر النهضة العلمية فى أوروبا منذ القرن الثالث عشر ، وترجم بعضها الى اللاتينية والألمانية والانجليزية وبعض لغات أخرى .

وكان أول المترجمين ، عالم من أكبر علماء بولندا فى علم الضوء ، هو الاستاذ « **فيتلو** » ، الذى نقل كتاب الضوء لابن الهيثم الى اللغة البولندية فى عام ١٢٧٠ م ، أى منذ ٧٠٠ سنة تقريبا .

وجاء العلامة « **رزنر** » فترجم الكتاب كله الى اللغة اللاتينية فى سنة ١٥٧٢ ، وتبعه الكيميائى الانجليزى « **بريستلى** » فى كتابه « **تاريخ الكشوف البصرية فى الضوء والألوان** » ، فقرر بصريح العبارة ، أن العلماء الأوربيين مدينون لابن الهيثم بكل بحوثهم فى الضوء والألوان ، وأن بعضهم لم يستطع ان يحذو حذوه ، فحاول تقليده ، ولكنه كان أشبه بالقرد الذى يقلد الانسان .

وذهب آخرون ، الى ان كشوف ابن الهيثم ، وبحوثه ، كانت من الدقة والسمو بحيث تفوقت على جميع بحوث امام من أكبر أئمة النهضة الحديثة فى أوروبا وهو الاستاذ « كيلى » شيخ علماء الضوء فى عصره (١٥٧١ـ ١٦٣٠ م) .

ونقل المستشرق الألمانى « **فيدمان** » فى سنة ١٨٧٦ بعض كتبه الى الألمانية ووقف

حياته على دراستها ، وقد اربت على مائتى كتاب ورسالة .

وثمة طائفة كبيرة من المستشرقين والعلماء الأوربيين ، عنيت بآرائه وكتبه وسيرته عناية بذت عنايتنا معاشر العرب بكثير وكثير .

ويذكره من القدامى ابن خلدون فى مقدمته بأنه اشهر من الف (فى علم البصريات) .
ويصفه ابن أبى أصيبعة فى (طبقات الأطباء) ، بأنه ((كان فاضل النفس قوى الذكاء متفننا فى العلوم لم يماثله من أهل زمانه فى العلم الرياضى ، ولا يقرب منه . وكان دائم الاشتغال كثير التصنيف ، وافر التزهد ، محبا للخير))

ويأبى ابن القفطى ، الا أن يشير الى أن تصانيفه وتآليفه فى الهندسة ، كانت من الاتقان والتفنن بحيث استفاد منها كثيرون ، ويقول : ان ابن الهيثم كان قيما بغوارض العلم ومعانيه ، وكان مشاركا فى علوم الأوائل .

ولابن الهيثم مكانته الجليلة فى نفوس ثقات العلماء المحدثين ، من المشرق والمغرب ، يترجم عنها قول المؤرخ الأمريكى الكبير ((**ول ديورانت**)) ، فى كتابه ((**قصة الحضارة**)) ((**ان ابن الهيثم أعظم علماء القرون الوسطى فى البصريات**)) .

وليس هذا القول الا شرحا لقول دائرة المعارف البريطانية ، حيث نصت على ((**أن ابن الهيثم هو أول مكتشف فى علم البصريات بعد بطليموس**)) ، **ومن ثم يذهب البيهقى الى تسميته ((الحكيم بطليموس الثانى))** .

وتزيد دائرة المعارف البريطانية ، الأمر وضوحا ، فتعرض لما كتبه فى تشريح العين ، ووظيفة كل جزء منها ، وتفرد لبحثه العظيم فى تكبير العدسات مجالا كبيرا ، وتنتهى من ذلك كله الى الاقرار بأنه رائد هذا العلم ومكتشف آلاته ، وواضع أجهزته ، وصاحب قوانينه ،

وهذا شيخ مؤرخى العلوم فى العصر الحديث الطيب الذكر العلامة ((**سارطون**)) الذى كان رئيسا للمجمع العلمى فى أمريكا ، ولعدة أكاديميات علمية فى انجلترا وفرنسا وسويسرا وأمريكا . فقد اثبت فى مقدمة كتابه العالمى المسمى ((**المدخل فى تاريخ العلم**)) :

أن ابن الهيثم ، كان أعظم عالم ظهر عند العرب فى علم الطبيعة ، بل أعظم علماء الطبيعة فى القرون الوسطى ، وانه ، دون شك ، من أشهر علماء الضوء ، القليلين النوادر فى العالم كله)) .

وفى رأى المستشرق المعروف دكتور ((**ماكس ماير هوف**)) ، وكان من أكبر اطباء العيون فى مصر والمانيا ، وقد نشر رأيه فى كتاب ((**تراث الاسلام**)) .

((ان علم البصريات وصل الى أعلى درجة من التقدم بفضل ابن الهيثم)) .

ولعل فى شهادة العلامة الفرنسى ((**لوتير فياردو**)) ، ما يغنى عن تصيد الأدلة والبراهين ، فانه يقطع بأن كبلر (وهو صاحب الكشوف البصرية المعروفة فى عصر النهضة كما أسلفنا قد أخذ هذه البحوث من كتب ابن الهيثم .

لذلك حق للعلامة الكبير **مصطفى نظيف ،** أستاذ الطبيعة المعروف ، أن يسجل رأيه فى احدى محاضراته ، بأن مؤلفات ابن الهيثم ، ولا سيما ما يتعلق منها بالضوء ، كانت المرجع المعتمد عند أهل أوروبا حتى القرن السادس عشر ، وأنها بقيت منهلا عاما ، ينهل منه اكثر علماء القرون الوسطى كروجر باكون ، وكبلر ، وليوناده فيتشى ، وبريتلو وغيرهم ، وان كتبه هذه وما تحويه من بحوث مبتكرة فى الضوء ، هى التى جعلت ماكس ماير هوف يقول صراحة : ان عظمة الابتكار الاسلامى تتجلى فى البصريات .

* * *

اما حياة الرجل فلسنا نعرف منها الا القليل ، على الرغم من طول مافتشنا فى صحاح المراجع ، وامهات المظان ، وربما كان مرد هذا الى الفترة التى ولد فيها ، والعصر الذى عاش فيه ، وكانت آثار التتر تتناوحه من كل جانب .

وعلى أية حال ، فأرجح ما تجمع تحت ابصارنا من أقوال ، يذهب الى أن ولادته كانت فى سنة ٣٥٤ للهجرة ، فى البصرة ، وانه نشأ وتعلم فيها ، ثم ارتحل الى بلاد عدة ، ثم انتهى امره الى مصر فأقام بها ، حتى توفى سنة ٤٣٠ هـ ، فى قبة استوطن فيها على باب الجامع الأزهر .

ويكاد الاجماع لا يتخرم فى اسمه وهو « الحسن » ، الا فى رواية ذكرها صاحب كتاب الأعلام ، وهى « **محمد بن الحسن بن الهيثم** » ولم نجد ظهيرا لها ولا سندا ، أما اسم أبيه فأمر الخلاف فيه يسير ، لأنه يترجح بين « الحسن » و « الحسين » . وفى مخطوطات ابن الهيثم مايذهب بالشك ، ويقطع بأن الاسم جميعا ، هو « الحسن » وكنيته « أبو على » وابوه « الحسين ابن الهيثم » .

ولمجيئه الى مصر قصة ، بعيدة الأثر فى حياته ، وخلاصتها أن شهرته العلمية فى الهندسة والفلك والطبيعيات والرياضيات ، فضلا عن العلم التعليمى ، كانت قد طوقت ببلاد المشرق جميعا ، وكانت فلسفته الخاصة قد بلغت من ذيوع الصيت وعلو الذكر ، حدا جعل الخلفاء والولاة يتسابقون فى الظفر به .

ويشاء القدر أن يبلغ أمره مسمع الخليفة الحاكم بأمر الله الفاطمى ، وأن له رأيا فى نيل مصر ، خلاصته فى قوله المنسوب اليه ، وفق رواية ابن القفطى هو :

« لو كنت بمصر لعملت فى نيلها عملا يحصل به النفع فى كل حالة من حالاته من زيادة ونقص . فقد بلغنى أنه ينحدر من موضع عال وهو فى طرف الأقليم المصرى » .

قال المؤرخون : فاشتاق الحاكم الى رؤيته ، ليستفيد به فيما قال فى امر النيل ، فرغبه فى الحضور الى مصر ، بعد أن أرسل اليه مالا وهدايا كثيرة ، وخرج الحاكم بنفسه لاستقباله خارج مدينة القاهرة ، والتقى به وأكرم وفادته .

ثم استمهله أياما حتى استراح من عناء السفر ، ثم طالبه بما قال فى أمر النيل ، فخرج ابن الهيثم ومعه جماعة من الصناع المتولين للعمارة بأيديهم ، وأخذ يتتبع مجرى النيل من القاهرة الى جنوبى أسوان يدرسه ويعاينه حتى بلغ الشلال ، فلم يجده على الوضع الذى قيل له ، « موضعا عاليا ينحدر منه النيل على حدود القطر المصرى » ، فعاينه واختبره من جانبيه ، فعاد الى القاهرة ، واعتذر للحاكم من استحالة تنفيذ قوله .

وتظاهر الحاكم بقبول الاعتذار ، وولاه منصبا من مناصب الدولة ، شغله عن البحث والنظر ، وتشهى أن يتجرد من هذا المنصب ، فلم يجد منمرا من اظهار الخبال فى العقل ، والتغير فى التصور ، حتى بلغ أمره الحاكم ، فعزله من منصبه ، وصادر أمواله ، وعين عليه من يقوم بخدمته . وترك فى موضع منزله حتى توفى الحاكم فى سنة ٤١١ هـ .

ولما تحقق من وفاة الحاكم استوطن دارا بالقرب من الجامع الأزهر . واستأنف ما كان عليه من تحصيل للعلم واشتغال بالتصنيف والتأليف حتى آخر أيام حياته ، حيث الف أنفس كتبه وأخطر رسائله شأنا ، وهى كتابه المعروف فى المناظر .

ويبدو أن المشروع الذى كان فى ذهن ابن الهيثم ، لم يكن يخرج عن انشاء خزان أو سد ، فاذا كان هذا هو هذا ، فقد أراد الله سبحانه وتعالى أن يحقق ما حاوله أو تنبأ به منذ تسعة قرون .

وليس ذلك بالغريب على رجل « كان فاضل النفس ، وافر التزهد ، محبا للخير ، على حد قول ابن أبى أصيبعة ، وكان على وصف البيهقى « ورعا متعبدا منظما لأوامر الشريعة » ، بل كان العلماء يتبركون بكلامه ، حتى ان الامام كمال الدين الفارسى ، أحد معارضيه ، يقول فى كتابه الذى نقح فيه كتاب المناظر لابن الهيثم : « وقد أوردته (أى كلام ابن الهيثم) بلفظه تبركا به من غير تصرف » .

تلك أثارة من علم ابن الهيثم ، ونبذة من عمله ، تنبىء عن مذخور فضله ، وللبحث صلة ، والله المستعان .

الإطار العام لدراسات المكتبات

الدكتور
سعد محمد الهجرسى

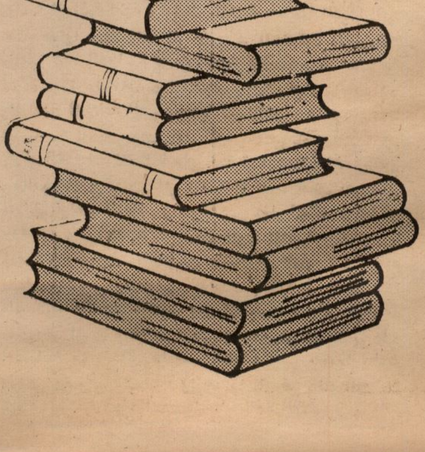

اتسع حقل الدراسات المكتبية فى العصر الحاضر اتساعا كبيرا ، وتشعبت موضوعات البحث فيه ، لتفطى كل ما يتصل بالمكتبة كمؤسسة لها كيانها الادارى والفنى ، وتضم بين جدرانها مواد الثقافة والمعرفة ، التى تصل بين الانسان وما يتطلع اليه من كشف المجهول وتحقيق الذات . وهى الى ذلك مؤسسة لاتوجد فى فراغ ، ولكنها توجد كخلية حية فى مدرسة ، او فى معهد ، او فى جامعة ، او فى منشأة خاصة ، او توجد فى مدينة من المدن او فى حى من الاحياء لخدمة افراد المجتمع دون اعتبار لصفاتهم ، وهى فى كل واحدة من هذه الحالات تأخذ لونا خاصا من الوجود يختلف عن بقية الالوان فى الحالات الأخرى . والمكتبة قبل ذلك كانت جزءا لا يتجزأ من تاريخ البشرية ، وعاملا هاما فى تطور المجتمع الانسانى ، وهى ماتزال الى اليوم من اهم الخلايا الثقافية والعلمية التى يضمها جسم المجتمع ، ويقع عليها عبء كبير لابد ان تقوم به فى حياة البيئة المحلية ، وفى حياة الامة وفى حياة الانسانية كلها ، وفى مستقبل هذا العالم الذى نعيشه اليوم ، وعلى أرباب هذه المهنة ان يبذلوا اقصى جهد فى مجالات التعاون المحلى والقومى والدولى ، وفى اعداد اجيال متعاقبة من المكتبيين المؤهلين كى يؤدوا دورهم فى أمانة وكفاية .

أصبحت المكتبة بهذه الصفات السابقة هى المحور الذى يدور حوله ادب المكتبات والمجال الذى تجرى فيه البحوث والدراسات المكتبية الحديثة ، والميدان الذى ينبغى اعداد المكتبين المؤهلين للعمل فيه ، ويمكن تقسيم دراسات المكتبات على هذا الاساس الى ستة فروع رئيسية ، كما يلى :

١) دراسة المواد المكتبية : المواد المكتبية المطبوعة من كتب وصحف ومجلات ، مضافا اليها المواد السمعية والبصرية من اشرطة ومسجلات ، وافلام وشرائح — هى الخامة الاساسية الاولى التى تربط المكتبة بروادها ، وكان من الطبيعى آن تصبح هذه المواد موضع اهتمام المكتبيين ومجالا لدراساتهم . وتدرس المواد المكتبية المذكورة دراسة بيليوجرافية (بأوسع ما تتسع له تلك الكلمة من المعانى ، أو دراسة موضوعية تناقش الجوانب العامة على الاقل من الموضوع الذى تدور حوله المواد ، وقد تدرس دراسة وظيفية تربط بين مجموعة من المواد المكتبية وبين طبقة معينة او جماعة خاصة من رواد المكتبة ومستخدميها ، وقد تدرس مجموعة اخرى من مواد المكتبة لانها ذات طبيعة تميزها من حيث كيانها المادى ، أوطبيعة تنظيمها ، أو طرق استخدامها . ونجد فى مناهج معاهد المكتبات امثلة كثيرة من الموضوعات التى تدرس فى نطاق هذا الفرع ، فهناك « البيليوجرافيا » بمعناها الواسع التى تغطى العلوم والفنون التى تتصل بصناعة الكتاب من انتاج ، وتسجيل ، وتوزيع ، وتفطى ايضا فنون الوسائل الحديثة للاتصال غير الكلمة المطبوعة . ومن النماذج المشهورة فى مناهج معاهد المكتبات « أدب الاطفال » و « آدب رجال الصناعة والاعمال » و «ادب الجماهير » و « المطبوعات الحكومية » و « المواد السمعية » و « المراجع » . والهدف العام من هذه الدراسات هو التعريف بهذه المواد المكتبية ، تمهيدا للوصول الى احسن الطرق للانتفاع بها فى المكتبة انتفاعا كاملا .

٢) دراسة الادارة المكتبية : المكتبة مؤسسة لها كيانها الادارى ، ولها مشكلاتها المالية ، وقد يصلان فى كثير من الاحيان الى درجة عالية من التعقيد ، تستلزم البحث والدراسة ، والانتفاع بالتجارب السابقة فى الميدان ، فهناك الموظفون واختيارهم ، وترقياتهم ، ومرتباتهم ، وهناك الميزانية واعدادها ، ومصادرها وابوابها والانفاق واجراءاته ولوائحه ، وهناك علاقة المكتبة بالمنظمات والهيئات والادارات داخل الجهاز الحكومى وخارجه ، وهناك مشكلات المبانى ، والتخزين . ومن الواضح ان هذه الدراسة تتأثر تأثرا كبيرا بالبيئات المختلفة ، والعوامل المحلية ، وتختلف المكتبات فى ذلك من دولة الى دولة ، بل ان الاختلاف قد يوجد فى داخل الدولة الواحدة ، اذا اتسعت اطرافها وتنوعت نظم الادارة المحلية فيها كالولايات المتحدة وغيرها من الدول ، التى تأخذ الحكومات المحلية فيها المسئولية الاولى فى مثل هذه المسائل ، ولكن المقارنة بين الدول المختلفة والبيئات المتفاوتة تنفع دائما فى الاهتداء الى خير الطرق واحسنها لادارة المكتبة ، فى حدود عوامل البيئة المحلية . والدراسة فى هذا الفرع تقوم عادة على عرض المبادىء والاسس العامة للادارة الناجحة ، ثم مناقشة المشكلات الميدانية فى ضوء تلك المبادىء وهذه الاسس ، ويحسن ان يكون ممن قضوا فترات طويلة فى العمل بالمكتبات وتمرسوا باعمالها ومناصبها المختلفة .

٣) دراسة العمليات المكتبية : المكتبة فى معناها الدقيق لاتعتمد فى وجودها على الاعمال والاجراءات الادارية التى اشير اليها فى الفقرة السابقة ، ولكنها تحتاج الى مجموعة اخرى من الاعمال الفنية ، التى تتم عادة بعيدا عن انظار رواد المكتبة ، ولا تتصل بهم اتصالا مباشرا . وتختلف تسميتها فهناك من يطلق عليها « الاعمال الفنية » أو « الخدمات الفنية » أو « الاجراءات المكتبية » . والمقصود بها هنا تلك العمليات الفنية التى تجعل مواد المكتبة وخدماتها فى متناول الرواد ، فى اسهل صورة وايسرها . وفى كل المناهج التى تدرسها معاهد المكتبات يوجد « التصنيف » ونظرياته وجداوله ورموزه المختلفة ، وتدرس « الفهرسة » بنوعيها الوصفية والموضوعية ، كما يدخل فى نطاق هذا الفرع دراسة العمليات الالية الخاصة باعداد المواد المكتبية للاستعمال داخل المكتبة وخارجها ، ووسائل النسخ والاستنساخ ، وتدرس ايضا كل النواحى الفنية فى عمليات الاختيار ، والشراء ، والتسجيل . والدراسة فى هذا الفرع تهدف الى تعريف المكتبيين بكل العمليات المذكورة ، والتى ممارستها فى خير الصور واقلها نفقات واوفرها وقتا ومجهودا ، دون المساس بسلامة العملية وتاديتها للغرض تأدية كاملة .

٤) دراسة الخدمات المكتبية : تختلف « العمليات المكتبية » السابقة عن « الخدمات المكتبية » المقصودة فى هذا الفرع فى ان الاخيرة تتصل برواد المكتبة اتصالا مباشرا ، وهى الثمرة التى تتعاون المكتبة بكل اجهزتها واستعداداتها لتوصيلها الى روادها ومستخدميها . والخدمات المكتبية قد تدرس دراسة قائمة على طبيعة كل خدمة وتميزها بصفات ذاتية تختلف فيها عن الخدمات المكتبية الاخرى ، وقد تدرس الخدمة مرتبطة بطائفة او بجماعة من الرواد متميزة فى الجنس ، أو فى السن ، أو فى درجة الثقافة ، او فى طبيعة العمل والمهنية . وفى كلا النوعين يمزج هذا الفرع من دراسات المكتبات بدراسات اجتماعية ودراسات نفسية لرواد المكتبة ومستخدميها ، اى : لمن ستقدم اليهم الخدمات ، وهناك امثلة كثيرة فى مناهج معاهد المكتبات لهذه الفرع من الدراسة ، مثل « خدمة الاعارة » و « خدمة المراجع » و « خدمة القراءة » و « خدمة الارشاد » متمثلة فى المحاضرات والندوات والمناقشات وغيرها من وسائل الاتصال بالجماهير للتوعية والارشاد ، ومثل : « الخدمات المكتبية للاطفال » و « الخدمات المكتبية للعمال » و « الخدمات المكتبية لكبار السن » و « الخدمات المكتبية لربات البيوت » و « الخدمات المكتبية للاجانب » والهدف من هذه الدراسة ان يتعرف المكتبيون على الالوان المختلفة لخدمات القراء ، وان يدركوا أسسها العامة ، والمبادىء الاجتماعية والنفسية التى تؤثر فى نجاحها ، وان يكونوا بذلك على استعداد لتأدية الخدمات التى درسوها ، ولتقديم خدمات جديدة قائمة على نفس الاسس والمبادىء .

٥) دراسة المكتبات النوعية : الفروع الاربعة السابقة تغطى الكيان العام الرئيسى لوجود المكتبة ، ويمكن من الناحية النظرية الاكتفاء بها ، ولكن النواحى التى غطتها تلك الفروع تصبح ذات طبيعة خاصة حينما ترتبط بنوع معين من انواع المكتبات ، مثل : المكتبات العامة ، والمكتبات المدرسية ، والمكتبات الجامعية ، ومكتبات الكليات المتميزة الدراسة كالطب ، والقانون ، والهندسة ، والمكتبات المتخصصة الأخرى . ومن هنا نشأ فرع جانبى من الدراسة يتناول مكتبة نوعية بذاتها ، ويدرس فى اطارها بصفة عامة المواد المكتبية ، والادارة المكتبية ، والعمليات المكتبية ، والخدمات المكتبية ، ومن الواضح ان كل هذه الفروع أو أكثرها على الاقل يختلف فى مكتبة نوعية عنه فى مكتبة نوعية اخرى ، فخدمات المراجع مثلا تختلف فى المكتبات المدرسية عنها فى المكتبات العامة وفى مكتبات المؤسسات الصناعية والشركات التجارية . والهدف من هذه الدراسة هو تعريف المكتبيين بان للمكتبة النوعية كيانا ذاتيا خاصا ، وانه ينبغى ان يؤخذ هذا الكيان فى الاعتبار فيما يتصل بالمواد المكتبية ومشكلاتها ، وبادارة المكتبة وتنظيمها ، وبالعمليات المكتبية ومزاولتها ، وبالخدمات المكتبية وتقديمها ، كما ان الدراسة تكشف لهم عن طبيعة الكيان الخاص لانماط المكتبات النوعية وعناصره ومقوماته ، حتى يكون تطبيقهم حينما يعملون فيها بعد ذلك مبنيا على اسس سليمة .

٦) دراسة الهيئات المكتبية : هذا الفرع الاخير يتناول دراسة اضافية ثانية ، ترتبط بالمكتبة بصفتها النواة التى تمت حولها مهنة ذات أثر كبير فى الحضارة الانسانية وتغطى هذه الدراسة تاريخ المكتبة كمؤسسة اجتماعية لعبت دورا هاما فى حياة الجنس البشرى ، والفلسفات والمبادىء المختلفة التى وجهتها فى الماضى ، والتى توجهها فى العصر الحاضر وتتناول الدور الذى تلعبه المكتبة فى تكوين القوميات المختلفة وفى تحقيق الاهداف الكبرى للامم ، والدور الذى يتحتم على المكتبة أن تقوم به فى المستقبل لتوثيق أواصر التعاون والمعرفة بين دول العالم . كما أن هذا الفرع من الدراسة يبحث المهنة المكتبية ومكانتها كمهمة ، وجمعيات المكتبيين ونشاطهم المهنى ، وتعاونهم المحلى والقومى والدولى . وتهدف الدراسة بصفة عامة الى خلق الضمير المكتبى بين المكتبيين ، والى توعيتهم بوجودهم المهنى وبكيانهم الادبى ، وبدورهم فى ماضى هذه الانسانية وفى حاضرها ومستقبلها ، حتى يقوموا بتادية دورهم عن وعى وايمان ، وليحسوا بان فى هذه المهنة شيئا أكبر من مجرد الحصول على لقمة العيش .

المدير الثقافى بسفارة أفغانستان يتحدث عن : المرأة الأفغانية

إعداد نجاة الزنيرى

السيد عبد الرؤوف بينوا مدير المكتب الثقافى والصحافى بالسفارة الافغانية فى الجمهورية العربية المتحدة كان قد وصل الى القاهرة يوم ٢٦ مايو عام ١٩٦٣ وقابل الرئيس جمال عبد الناصر يوم ٣٠ مايو فى الاحتفال بتقديم أوراق اعتماد السردار غلام محمد سليمان سفير أفغانستان الجديد فى الجمهورية العربية المتحدة . وقد التقينا بسيادة السفير على صفحات مجلة « منبر الاسلام » فى شهر سبتمبر الماضى . وفى هذا الشهر كان لقاؤنا مع المدير الثقافى للسفارة الافغانية . وقد تفضل سيادته بالاجابة على الاسئلة الخاصة بالمرأة الافغانية . وكان حديثه وافيا مستفيضا تناول نشاط المرأة من ألفى عام قبل الميلاد حتى يومنا هذا . وأشهر النساء التى خلدهن التاريخ وأثرهن فى المجتمع الافغانى كما تحدث عن المرأة فى الحاضر . وأهم العادات والتقاليد التى تميز الشعب الافغانى ..

(حصة التدريب العسكرى بمدرسة ملالى للبنات)

والاستاذ عبد الرؤوف بينوا له نشاط ملحوظ فى شتى ميادين الثقافة والصحافة والاذاعة والتاليف وهو أديب ضليع فى اللغتين البشتوية والفارسية ويتقن اللغات الانجليزية والعربية والاردية . كان عضوا فى الجمعية الادبية (الاكاديمية الافغانية) فى ١١ يناير سنة ١٩٣٩ . ومديرا لمجلة « بشتوتولنة » ومديرا لمجلة كابل فى ٣٠ مارس سنة ١٩٤٠ ومديرا للقسم الاول للنشرات فى رياسة المطبوعات فى ٢٩ سبتمبر سنة ١٩٤٤ . ووكيلا للجمعية الادبية (الاكاديمية الافغانية) واستاذا للادب البشتو بكلية الآداب بجامعة كابل فى عام ١٩٤٥ . ومديرا عاما (لبيشتوتولنه) الاكاديمية الافغانية فى ٢٣ يوليو سنة ١٩٤٦ وعضوا فى الجمعية التاريخية فى ٢٠ ابريل سنة ١٩٥١ . ومديرا عاما للقسم الثانى للمنشورات الداخلية برياسة المطبوعات فى ١١ يونيو سنة ١٩٥١ ومديرا عاما للنشرات فى ٥ سبتمبر سنة ١٩٥٢ . وملحقا ثقافيا بالسفارة الافغانية فى دلهى فى ٥ مارس سنة ١٩٥٣ ومديرا لاذاعة كابل فى ٥ مايو سنة ١٩٥٦ وعضوا بجمعية الصداقة الافغانية الهندية فى ٢٦ يناير سنة ١٩٥٨ وعضوا عاملا وسكرتيرا عاما لهذه الجمعية فى ٢٤ يناير سنة ١٩٦٠. وقام الى جانب كل ذلك برحلات صحافية واذاعية وثقافية الى الهند والاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة الامريكية وأوربا واليابان والصين . وللسيد بينوا شهرة فى عالم التاليف فقد اخرجت له المطابع الافغانية خمسة وثلاثين مؤلفا باللغة البشتوية والفارسية .

المرأة الافغانية من الفى عام قبل الميلاد :

ويقول الاستاذ عبد الرءوف بينوا : ليست نهضة المرأة فى أفغانستان وليدة اليوم وانما تدل الشواهد التاريخية على أنه كانت للمرأة منذ حوالى ألفى سنة قبل الميلاد مكانة مرموقة بين القبائل الآرية التى كانت تقطن سلسلة جبال هندوكش الواقعة فى افغانستان وكانت توجد فى تلك العصور شاعرات وفنانات الى جانب الشعراء والفنانين يطلق عليهن اسم « ريش » وكانت الاناشيد والاغانى تؤدى جماعيا من الرجل والمرأة . وكذلك الحال بالنسبة للفنون الشعبية . وكانت المرأة كما ورد فى أحد أناشيد (فيدا) - الكتاب الآرى المعروف - تقف مع الرجل جنبا الى جنب حينما كانوا يقدمون الهدايا والقرابين للآلهة . وكان (ويراسترا) أحد شعراء وحكماء ذلك العصر يقول : (أن المرأة بيت) .. ويعنى بهذه العبارة الموجزة أن المرأة هى عماد الاسرة وأساس المجتمع .. ويتضح من الاناشيد الواردة فى كتاب « فيدا » أن المرأة فى ذلك العصر كانت تشارك الرجل فى أعماله خارج البيت وتقف بجانبه خلال المعارك والحروب التى كانت تقوم اذ ذاك . كما وردت فى كتاب (مندا) أسماء بعض الشاعرات الشهيرات فى ذلك العصر من بينهن الاميرة كوشا لوپامودوا - ماماتا - ايالا - سوديا - اندرانى - ساسى .

وفى باميان المدينة الاثرية فى أفغانستان يوجد تمثال لبوذا . هو اكبر تمثال من نوعه فى العالم وارتفاعه ٥٣ مترا . ومنحوت فى جوف الجبل الصخرى . وحول هذا التمثال نقوش تشهد بمكانة المرأة وبالدور الذى لعبته فى عصرها . - وعندما مر الاسكندر الاكبر بافغانستان وكان اسمها آنذاك (آريانا) قادما من الهند قد تزوج باحدى الفتيات الافغانيات وهى الامبراطورة (روكشانا)

نساء خلدهن التاريخ

وهكذا كان للمرأة الافغانية صفحات مجيدة فى التاريخ القديم كما هو لها فى التاريخ الحديث . فكانت لها مكانتها فى البيت وفى ميادين الثقافة والوطنية والاجتماع

وفى مقدمة النساء الافغانيات اللاتى خلدهن التاريخ وسجل لهن نشاطا ملحوظا وبطولات مجيدة وعلى سبيل المثال لا الحصر :

١ - ينك بخته : ابنة شيخ الله دار . وزوجة « شيخ قدم » العالم الروحانى . وكانت متضلعة فى العلوم واجادة نظم الشعر بلغة لبشتو . وألفت كتابا باسم « ارشاد الفقراء » فى عام ٢٦٩ ه‍ .

٢ - رابعة البلخيه : ابنة كعب أمير بلخ - وهى أول من انشدت بالفارسية شعرا . وهى فريدة زمانها فى التصوف والمعرفة . وكانت تنظم كل ماتسمعه من الناس شعرا .

٣ - السلطانة رضيه : ابنة الامبراطور آنتمشى سلطان الهند . وكان أسلاف أسرتها - وهم المعروفون بسلاطين الغور - ومركزهم فى افغانستان بين هراة وقندهار - قد رحلوا من افغانستان الى الهند لنشر الاسلام . وقبل موت أبيها فى ٢٠ شعبان ٦٣٣ ه‍ أوصى بأن تتولى ابنته « رضية » السلطنة . فعينت بعد مشاحنات بين أفراد الشعب فى هذا المنصب سنة ٦٣٤ه‍ وكانت ذا عقل راجح فوضعت تنظيمات وقوانين سارت البلاد بمقتضاها .

٤ - زرغونة : من قندهار - كانت تنظم الشعر بلغة البشتو الى جانب علمها حتى أنها ترجمت الى لغة البشتو كتاب « بستان السعدى » فى عام ٩٠٣ ه‍ .

٥ - حليمة خوشخال : ابنة أبو الأدب البشتو الشاعر الكبير خوشخال ختك . كانت متصوفة حافظة القرآن الكريم واشتهرت باجادة نظم الشعر واقبالها على تعليم النساء الدين والقرآن الكريم . توفت سنة ١١٠٠ ه‍

٦ - نازو : أم الزعيم الافغانى الكبير « ميرويس » ولدت عام ١٦٤٣ ميلادية (١٠٦١ ه‍) واشتهرت بأنها من حملة السيف والقلم . فهى الى جانب علمها كانت تخوض المعارك الحربية للدفاع عن وطنها وكانت تجيد نظم الشعر بلغة البشتو وكل ديوان يضم (٢٠٠٠ بيت اسمه ديوان نازو) .

٧ - زرعونة أنا : أم احمد شاه بابا الكبير ملك أفغانستان . كانت مدبرة عاقلة حتى أن والدها كان يستشيرها فى شئون مملكته ويأخذ برأيها . وقد خلدت الحكومة اسمها بأن أطلقته على كلية البنات المعروفة فى كابل باسم (زرغونة)

٨ - عائشة درانى : اشتهرت بنظم الشعر بالفارسية وفازت بعدة جوائز تقديرا لخدماتها ولها ديوان شعر اسمه (شكر جنح) أو مخزن السكر الذى أتمته فى عام ١٢٣٢ ه‍ .

٩ - مخفى بدخشان : لها ديوان شعر بالفارسية يضم (٦٠٠٠ بيت) طبع عام ١٢٠٥ ه‍ - وتوفيت عام ١٢٣٥ هجرية .

١٠ - سبينة هروى : ولدت عام ١٢٥٥ ه‍ وكانت تجيد نظم الشعر بالبشتو : وقد ألفت ذات يوم قصيدة رائعة ألهبت بها حماسة الشعب الافغانى للدفاع عن وطنه ضد العدو فلبى الشعب النداء وحملوا على الاعداء حملة شعواء وهزموهم شر هزيمة .

١١ - مريم كنيزك : ولدت فى كرخ بهرات . وتوفيت عام ١٣٠٨ ه‍ وكانت تنظم الشعر وأكثره فى مدح النبى - صلى الله عليه وسلم -

١٢ - محجوب الهردى : نبغت فى نظم الشعر فى القرن الثالث عشر الهجرى وتوفيت عام ١٢٦٤ هـ وقد رثاها أخوها فى قصيدة تضم أكثر من ١٠٠ بيت

١٧ - فدوى : اسمها (أمنه) ولقبها فدوى • ولدت عام ١٢٧٦ هـ فى كابل. وتوفيتعام ١٣٣٢ هـ واشتهرت بمهارتها فى تفسير الحديث ونظم الشعر بالفارسية •

١٤ - بيوجان : اسمها (حليمة) ولقبها بيوجان • تزوجت الامير عبدالرحمن خانملك افغانستان. واشتهرت بسعة العلم والتطلع فى الادب ونظم الشعر فى وصف الاستغلال وتمجيد الحرية •

١٥ - ملاله : فتاة أفغانية كانت مجهولة • ويروى التاريخ أنه بينما كانت أفغانستان فى حرب ضروس مع الاستعمار البريطانى فى عام ١٨٨٠ ميلادية (١٢٩٧ هـ) فى معركة (ديوند) المشهورة • لاحظت ان جيش العدو أكثر عددا من جيش أفغانستان فاخذتها الحماسة وأنشدت بيتا من الشعر ألهبت به حماسة الشعب وكان كالجذوة الاولى للشرارة التى اندلعت فاحرقت العدو • وانهزمت بريطانيا هزيمة منكرة • وتخليدا لذكرى هذه المجاهدة سميت مدرسة البنات فى كابل باسمها •

١٦ أسما رسمية : كاتبة معروفة • أصدرت أول جريدة نسائية اسبوعية تصدر باللغة الفارسية فى عام ١٣٠٠ هـ باسم (ارشاد النساء) •

١٧ - روح افزا : واسمها (منشية) كانت محررة فى جريدة (ارشاد النساء)

١٨ - مستورة غورى : كانت تجيد نظم الشعر بلغة البشتو • ولها ديوان يضم ٣٥٠٠ بيت اسمه (تحفة العاشقين ومفرح المسلمين)

١٩ - صفوه محجوبة : أجادت نظم الشعر بالفارسية وأصدرت ديوانا باسمها يدل على مقدرتها •

٢٠ - أدى غازى : يروى التاريخ أنه فى عام ١٨٤٨ كانت افغانستان تخوض معركة طاحنة ضد الاستعمار البريطانى أيضا • وكانت قوات العدو قد تمكنت من احتلال قمة احد الجبال الاستراتيجية المنيعة واتخذت منها مركزا لفتح نيران مدافعها على المجاهدين الابطال • فصمم الافغانيون على استرداد هذا الموقع وأخذوايصمدون امام وابل منهمر من القذائف والرصاص فكانوا يتساقطون صرعى حتى كاد اليأس يتسرب الى نفوس المجاهدين الافغانيين الذين فقدوا ثلاثة أرباع رجالهم ممن كانوا فى الصفوف الامامية • وكان برفقةالمجاهدين الافغانيين جماعة من النساء يقمن على اسعافالجرحى واعداد الطعام والملابس . فخرجت من بينهن امرأة عجوز اخنى عليها الدهر ولكنه لم يفقدها ايمانها وعزيمتها وتقدمت الى حيث الابطال يتساقطون وهرعت الىاللواء الافغانىالملقى مع حاملة الشهيد فامسكت به ورفعته عاليا وثارت بصوت عال كهزيم الرعد أن « حى على الجهاد..حى على سحق الاعداء •• لن نترك ديارنا الطاهرة للغاصبين المستعمرين واذا قتل الرجال فان النساء ستدافع عن ديارهن واذا استشهدن فسينتقم أولادنا من بعدنا..» فدبتالحماسة الملتهبة فى نفوسهم وغلىالدم فىعروقهم والتف المجاهدون الافغانيون من حولها واتجهوا نحو قمة الجبل واستطاعوا بقيادة (أدى غازى) المجاهدة أن يستردوها • وكان أن انتصرت أفغانستان فى هذه الحرب انتصارا ساحقا •• ومن ذلك التاريخ أى منذ نحو ١١٥ عاما والافغانيون يرددون ذكر هذه المجاهدة ويمجدون بطولتها

حصة التدبير المنزلى بمدرسة ملالى للبنات

٢١ - زينب هوتكى : كانت أديبة وعالمه • درست الفقه والعلوم الاسلامية وتفسير القرآن الكريم واشتهرت برجاحة العقل واجادة نظم الشعر •

٢٢ - الاميرة عليا جناب : والدة سردار أسد الله سراج • سفير أفغانستان فى باريس • وقد وضعت كتابا عن (حياة الفاروق عمر بن الخطاب » وقامت حفيدتها بترجمته الى الفارسية •

مراحل تعليم المرأة الافغانية :

وعن تعليم المرأة يقول الاستاذ عبد الرؤوف بينوا • انها تجتاز مراحل التعليم كلها من المرحلة الابتدائيةحتى المرحلة الجامعية • الى جانب التعليم المهنى للبنات •

وليس هذا فقط •• فوزارة المعارف توفد بعثات من الطالبات الى أوربا وأمريكا للتخصص فى شتى العلوم والفنون وخاصة الطب والعلوم الاجتماعية والفنون الجميلة والتدبير المنزلى وتوجد فى القرى مدارس لمحو الامية بين السيدات وفى مقدمة مدارس البنات فى كابل : مدرسة ملالى • ومدرسة رابعة البلخية ومدرسة زرغونة ومدرسة عائشة الدرانى وعشرات غيرها فى كل المدن الافغانية

وفى العدد القادم من المجلة سنواصل حديثنا عن المرأة الافغانية •• وسيكون موضوع الحديث عن المؤتمرات الدولية النسائية التى اشتركت فيها المرأة الافغانية • والمناصب التى تتولاها فى الدولة •• والجمعيات النسائية وأوجه نشاطها المتعددة • وأهم العادات والتقاليد التى تميز الشعب الافغانى فى أفراحه وأعياده •• فالى اللقاء فى عدد الشهر القادم ان شاء الله

« البقية فى العدد القادم »

أريكاميتا
التي أصبحت
زينب أبو الفضل

الاسلام دين الله القوى المتين يغزو القلوب والأفئدة فيطمئنها وينتشلها من دنيا الاضطراب والأهواء والمعتقدات الباطلة ، ذلك لأنه نور ساطع واضح لا تقف فى سبيله حواجز أو موانع ، نور ربانى يملأ الضمير ، والشعور وسائر الجوارح ، فيريح الانسان ويشعره بالعزة والقوة متمثلة فى صانع الكون العليم الخبير ، فليس الانسان وحده فى هذا الكون الفسيح ، وليس الانسان وليد الصدفة الباطلة ، وانما هو صنعة صانع قوى جبار ، خلق الانسان وعلمه وخلق من أجله هذا الوجود العريض .

وفى كل يوم يدخل فى هذا الدين ضيف جديد ، يعتنقه ويؤمن بمبادئه وبمقدساته رغم الدعايات المغرضة ضد الدين الحنيف ، ورغم الأكاذيب التى يذيعها الاعداء عنه .

والضيف الجديد الذى اعتنق الاسلام ، ودخل فى دين الله اليوم هو :

انسانة من ألمانيا كانت تدعى قبل الاسلام ـ **أريكاميتا** ـ ثم أصبحت بعد اعتناقها للدين الاسلامى تدعى « **زينب أبو الفضل** » . وقد ولدت فى غرب ألمانيا الغربية بمدينة «**بوركن**» منطقة وست فالن ..

وهى الآن زوجة للدكتور **فهمى أبوالفضل** أحد الدعاة المخلصين للدين الاسلامى، والذى على يديه وبفضله أسلم كثير من الألمان منهم ضيفتنا هذا الشهر .

ولنترك السيدة الفاضلة تحكى لنا قصة اسلامها :

كنت مسيحية بروتستانتينية، أعيش بالمانيا ـ موطنى الاول ـ أومن بالآب والابن والروح القدس ، كما أفهمونا من الصغر .. وهذا اعتقاد كنت أراه غريبا على ، وأحار فى فهمه ، ولا أستسيغه .. وكنت محبة للاطلاع وقراءة الكتب . وكانت لى ميول تكاد تكون غريبة بالنسبة لبلد كألمانيا ، ولانسانة تعيش فى هذا البلد المتحضر ، فمثلا كنت لا أشرب الخمر كغيرى من الالمانيات ، وكنت لا آكل لحم الخنزير الا فى حالات خاصة .

ولم تكن عندى فكرة واضحة عن الاسلام كدين .. وكل ما كنت أعرفه عنه أنه « **دين محمدى** » جاء به رجل يدعى **محمدا** وآمن به أناس مخصوصون هم العرب ويسمون « **بالمحمديين** » وانه دين يتزوج الرجل فيه ما يشاء من النساء ، ويطلق ما يشاء منهن

دون حدود أو قيود ، وأنه لا يصلح لأن يكون دينا يعتنقه الناس فى كل مكان ..

وكثيرا ما كنا نتوجه بالاستفسارات عن هذا الدين المحمدى ، الى الطلبة العرب الذين يدرسون بألمانيا ويعيشون بيننا ، ولكن هذا كله لم يكن كافيا لأن يعطينا فكرة واضحة عن الاسلام، والواقع أن الألمانى بطبعه حين يقتنع بشىء يؤمن به ايمانا قويا . ونحن فى ألمانيا محتاجون الى دعاة أقوياء للدين الاسلامى . دعاة يدعون الناس الى الاسلام بلغاتهم . ويعطونهم الفكرة الصحيحة عن هذا الدين العظيم .

اننى قبل أن أعرف زوجى الدكتور فهمى أبو الفضل لم أكن أعرف الفكرة الواضحة الحقيقية عن الاسلام ، ولكن عندما سمعت محاضراته عن الاسلام ، التى كان يلقيها فى جامعة « **مونستير** » بألمانيا الغربية بلغتنا الالمانية . لفتت هذه المحاضرات نظرى الى أن هناك دينا آخر يعتمد على العقل . اكثر من الايمان بدون تفكير كما هو الحال فى الدين المسيحى ، والى أن هذا الدين سهل الفهم ، والايمان بالله الأحد فيه واضح ليس فيه غموض أو عسر . وقد دفعنى الاهتمام بهذا الدين الى حضور كل المحاضرات التى كانت تلقى عن الدين الاسلامى . من زوجى الدكتور فهمى أبو الفضل ، ومن أحد علماء بغداد – عندنا بألمانيا – والى دراسة الدين الاسلامى دراسة وافية ، وقراءة القرآن الكريم حتى أقارن بين ما أسمعه من محاضرات عن الاسلام وبين دراستى عنه ، وأدعم ما سمعت بما أقرأ .. كما دفعنى الاهتمام بالدين الاسلامى أيضا . الى القاء كثير من الأسئلة الشخصية على الدكتور أبو الفضل ، وعلى عالم بغداد لأتعرف حلول الكثير من المشاكل التى يعتبرها الاوربيون نواحى نقص فى الاسلام ، مثل :

١ – الطلاق .. ٢ – تعدد الزوجات .
٣ . الميراث .. ٤ – وضع المرأة عموما فى الدين الاسلامى خاصة وأن الأغلبية الساحقة فى أوربا تفهم أن المرأة لا كيان لها فى الاسلام ..

وغير ذلك من الاسئلة التى كنت أثيرها ، واتلقى الاجابات المقنعة المفيدة عليها ، كل هذا أعجبنى فى الدين الاسلامى وجعلنى اكثر قابلية للاسلام ، واحرص ما أكون على اعتناقه ولعل من أهم ما أعجبنى فى هذا الدين هو :

أن هذا الدين الاسلامى ليس دينا ينظم العلاقة بين الانسان والله فقط . وانما هو دين ينظم العلاقة بين الله والانسان ، وبين الانسان وأخيه الانسان . فهو دين صالح لأن يكون قاعدة لدولة بمعنى الكلمة فى كل زمان ومكان ..

وكان هذا كله دافعا قويا دفعنى الى الاعتقاد بأنه دين ليس ككل الأديان . وانما هو دين فريد متين ذو أسس ومبادىء، ونظم تناسبنى وتناسب كل انسان فى أى زمان وفى أى مكان . دين جدير بالاعتناق وبالفناء فى سبيله ، ويشرف الانسان أيا كان .

ولما وضحت رغبتى فى الاسلام ، وظهر شغفى به ، وحبى لاعتناقه ، فوجئت وأنا ما زلت فى بلدى – ألمانيا – بمجلة صغيرة من هيئة دينية تسمى « هيئة المحافظة على الفتيات الناشئات » تحذرنى فيها من مغبة التفكير فى موضوع الاسلام ، وتحذرنى أكثر ألا أتزوج مسلما ، وأخذت هذه المجلة تذكر بعض الحوادث التى حدثت لكثير من الفتيات الألمانيات اللائى تزوجن من مسلمين ، وكانت النتيجة الفشل لهذه الزيجات ولكنى لم ألتفت الى كل هذه الامور – **لأننى أعرف أنها** أمور بعيدة عن الحق – وسرت فى طريقى الذى اقتنعت به . طريق الحق . طريق الله ، طريق الاسلام .

وشهدت أن لا اله الا الله ، وأن محمدا رسول الله .

وشهدت بأن الاسلام هو خير عقيدة ، وهو أعظم الأديان كلها ، واذا كان ثمة من أحد أتوجه اليه بالشكر . فهو الله سبحانه الذى هدانى لدينه القويم .. ثم لزوجى الذى كانت محاضراته عن الدين الاسلامى سببا مباشرا فى اعتناقى لهذا الدين السمح الكريم .. واعتناق كثير من اخوتى فى **المانيا** لهذا الدين الاسلامى . زادنى الله فيه توفيقا ، وبه معرفة ..

دعوة مخلصة

شفاوي

للتقريب بين المذاهب الفقهية

- رأى تشريعي واحد لجميع المسلمين ..
- باب الاجتهاد مفتوح على مصراعيه ..
- أئمة المذاهب كانوا دعاة وحدة ..
- الدين الإسلامى لا يوجب على أحد اتباع مذهب معين ..
- الدين الإسلامى لا يقر عصبية ولا يدعو الى جاهلية ..
- هناك فرق بين المذاهب والطوائف المسيحية ..

تحقيق صحفى قام به :

حامد المرسى تقى الدين

فضيلة الاستاذ الاكبر محمود شلتوت

فضيلة الشيخ محمد محمد المدنى

الخلافات الاسلامية فى الفقه قديم بقدم الاسلام ، وذلك راجع لتفاوت العقول والافهام . واختلاف البيئات والمجتمعات .

ولقد حدث ذلك فى أيام الرسول نفسه ، عندما أمر الناس ألا يصلوا العصر الا فى بنى قريظة . وأدركهم العصر فى الطريق ، فانقسموا فريقين ، فريق يأخذ بالباطن فيصلى ، وفريق يأخذ بالظاهر ولا يصلى ولما وصلوا أخبروا النبى فأقرهم جميعا .

وفى عهد الخلفاء الراشدين اتسعت رقعة الاسلام . وانتشر الدين . فأضاء للعالم طريق الهدى والرشاد ، ودخله الناس آمنين ، فاختلطت العناصر وتلاقت الافكار . ورأى الصحابة أن هناك أمورا جدت لم يرد فيها نص فى الكتاب أو السنة ،فقاسوها مجتهدين فىدقة واعية. وفهم بصيرة على ضوء الشريعة الغراء ، وكان كل منهم ينسب الرأى لنفسه . ويترك للناس حرية العمل به ، ولا يعتبر فاعله آثما ، ولا يدعى لرايه الكمال المطلق ، فهذا أبوبكر يقول « هذا رأيى فانكان صوابا فمن الله وان كان خطأ فمنى واستغفر الله » وهذا عمر وقد لقى رجلا له قضية نظرها على بن ابى طالب . فسأله ماذا صنعت ؟ قال قضى لى على بكذا . فقال عمر لو كنت أنا لقضيت بكذا . فقال الرجل ومايمنعك وأنت أمير المؤمنين ؟. فقال عمر « لو كنت أردك الى كتاب الله وسنة رسوله لفعلت . ولكنى أردك الى رأى .والرأى مشترك . ولا أدرى أى الرأيين أحق » .

فالخلاف فى الرأى وجد وكان لايثير عصبية أو يدعو الى جاهلية ، ولكل رأيه ما دام لا يمس العقيدة أو أصول الدين أو يتعارض مع الكتاب أو السنة .

واستمر الفقهاء فى اجتهادهم الرزين المستقيم - فترة طويلة لا يعرفون الزيغ والهوى .. ولا ينزلون الى مستوى التناصر المذهبى البغيض .

فخلف من بعدهم خلف فى عصور الضعف . فأثاروا فتنة المذاهب للأئمة . وتعصبوا لها تعصبا أعمى . أوقف الافكار عن انطلاقها الهادفة البانية . وحكم على كل رأى يخالف المذهب السائر بالعدم ، علما بأن امام المذهب لم يأمر بهذا ولم يدع اليه ، فهذا أبوحنيفة يسأله احد تلاميذه . يا أباحنيفة « هذا الذى تعنى له هو الحق الذى لا شك فيه ؟ » ، فيرد قائلا «والله لا أدرى فقديكون هو الباطل الذى لا شك فيه » ، وهذا الشافعى يقول « يا أبا اسحاق لا تقلدنى فى كل ما أقول وانظر فىذلك لنفسك فانه دين » وكان كل واحد منهم يقول ناصحا متبعيه « رأيى وفقهى غير ملتزم ولا يجب اتباعه » فاذا كان الائمة على هذا الخلق العالى . والسماحة النادرة واحترام الكبير ، فما كان أجدر باتباع كل مذهب أن يكونوا على هذاالخلق . وأن يقلدوا أئمتهم فى الذوق والنبل والعمل ، لقد أعماهم التعصب . وأفسدهم الهوى وجرهم الاستعمار الى فتنة عارمة . وحرب مذهبية . خرج فيها بنصيب الاسد ..

واستغل بعض حكام المسلمين .. هذه الخلافات لانفسهم ولخدمة اغراضهم .

فهؤلاء الفاطميون فتحوا الازهر لخدمة مذهب الشيعة ، ولكن بعد فترة قصيرة أصبح كعبة للنور والعلم والهدى والرشاد . وخدم جميع المذاهب على السواء . وخدم علوم اللغة والدين ..

وعلى الرغم من جهود العلماء المتواصلة فى ازالة الخلافات ، نقرأ فى بعض الصحف من مدة ان صداما وقع بين المسلمين « السنة والشيعة » فى مدينة كراتشى، وراح ضحيته مائتا شخص ، وفى مدينة لاهور وقع اشتباك آخر راح ضحيته عدة أشخاص ٠

ولا ندرى ماذا يفيد المسلمون من هذا العمل الدامى الذى لا مبرر له . ؟

ان مجلة «منبر الاسلام» وقد اخذت على عاتقهارسالة الاصلاح وخدمة الدين الاسلامى فى كل نواحيه ، تقدم لكم هذا التحقيق ، داعية المسلمين فى مشارق الارض ومغاربها الى التفاهم ، وازالة الخلافات لتحقيق وحدة المسلمين ، الى السير على سنة الخلفاء والائمة من قبل واعادة مجد الاسلام وعزته حتى يستطيع المسلمون ان يتخلصوا من الاستعمار ، وأن نراهم قوة تخترق أطباق الارض ورفعتهم تطابق أجواز الفضاء .

وقد عثرت على فتوى للاستاذ الاكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الازهر هذا نصها :

قيل لفضيلته : « ان بعض الناس يرى أنه يجب على المسلم لكى تقع عباداته ومعاملاته على وجه صحيح ، أن يقلد أحد المذاهب الاربعة المعروفة وليس من بينها مذهب الشيعة الامامية ولا الشيعة الزيدية ٠

فاجاب فضيلته :

١ ـ ان الاسلام لا يوجب على أحد من أتباعه اتباع مذهب معين بل نقول : ان لكل مسلم الحق فى أن يقلد بادىء ذى بدء أى مذهب من المذاهب المنقولة نقلا صحيحا والمدونة احكامها فى كتبها الخاصة ، ولمن قلد مذهبا من هذه المذاهب ان ينتقل الى غيره ـ أى مذهب كان ـ ولا حرج عليه فى شىء من ذلك ٠

٢ ـ ان مذهب الجعفرية المعروف بمذهب الشيعة الامامية الاثنى عشرية ، مذهب يجوز التعبد به شرعا كسائر مذاهب أهل السنة ٠

فينبغى للمسلمين أن يعرفوا ذلك ، وأن يتخلصوا من العصبية بغير الحق لمذاهب معينة ، فما كان دين الله وماكانت شريعته تابعة لمذهب ، أو مقصورة على مذهب ٠ فالكل مجتهدون مقبولون عند الله ، يجوز لمن ليس أهلا للنظر والاجتهاد تقليدهم والعمل بما يقرونه فى فقههم ، ولا فرق فى ذلك فى العبادات والمعاملات ٠

وقد علمت أن بالقاهرة دارا للتقريب بين المذاهب ٠ فزرتها ٠ وبعد أن اطلعت على نشاطها التقيت بفضيلة الشيخ محمد محمد المدنى ٠ وعلمت أنه عضو مؤسس فى دار التقريب ٠

فسألت فضيلته :

* علمنا ان فضيلتكم عضو فى دار التقريب فما أهداف هذه الدار ؟

فاجاب فضيلته قائلا :

ـ أهداف التقريب هى هى أهداف الاسلام عامة ،فان جماعة التقريب تلتزم بكل أصول الاسلام ٠ ويقوم تجميعها بين المذاهب الاسلامية على أساس أن هناك أصولا يجب الايمان بها ، ولا يسوغ لمسلم أن يخرج عنها ٠ أو ينكر شيئا منها ٠

فكل مذهب يعترف بهذه الاصول ويلتزمها فان جماعة التقريب تعترف به وتتعامل مع أهله وتتعاون بجميع قواها معه على نشر دعوة الاسلام ٠ والتوفيق بين أرباب العلم فيه ، ولقد كانت هناك مراحل متميزة بالنسبة لفكرة التقريب بين المذاهب الاسلامية ٠

المرحلة الاولى :

مالاحظه العلماء والمفكرون والراغبون فى الاصلاح ، من أن فى العالم الاسلامى تفرقة مذهبية أو طائفية موروثة، وأن هذه الطائفية يستغلها أعداء الاسلام والمستعمرون لبلاد المسلمين حرصا منهم على تضخيم الخلاف وتفكيك الروابط ، وأفسح ذلك التقاطع المجال لترويج المعلومات الباطلة عند كل طائفة عن الاخرى ٠

المرحلة الثانية :

وهى مرحلة تعريف المسلمين فى مختلف طوائفهم وشعوبهم ببعض ٠ وقد اتخذت جماعة التقريب لذلك ثلاث وسائل :

الاولى : اصدار مجلة اسلامية بعيدة عن التعصب لمذهب ما ، غايتها جمع المسلمين على كلمة سواء ، وأن يلتقوا حول أسس دينهم ، وينسوا العصبية فيما بينهم ٠

الثانية : تبادل المراسلات العلمية بين علماء المذاهب وبين التقريب ٠

الثالثة : تبادل الزيارات والرحلات بين علماء المسلمين واستقبال أصحاب الآراء القوية من أهل العلم والمعرفة ، فكم من زيارات انكشف بها كثير من الحقائق ٠ وأصبح المسلمون وقد تحققوا من أنهم أخوة متفقون فى الاصول وان اختلفوا فى الفروع أحيانا ٠

المرحلة الثالثة :

فهى ماتعيش فيه الان جماعة التقريب ٠ وهى مرحلة يسودها العمل الايجابى « فمن ذلك » أنها تعمل على اخراج الكتب العلمية المتفق عليها من الفريقين ، السنة والشيعة » ٠

ودار التقريب مشغولة بمشروع خطير جليل الشأن ، وهو جمع الاحاديث الشريفة التى اتفق عليها الفريقان كل بمصادره الخاصة ٠ وبذلك ستوجد موسوعة حديث يرجع اليها العلماء من كل فريق ويتبادلون دراستها ، ودراسة المسائل الاسلامية على ضوئها ٠٠ »

ثم سألت فضيلته :

* هل يأتى اليوم الذى تصل فيه دار التقريب الى جمع المسلمين على رأى واحد ٠ تسهيلا عليهم وحفاظا لوحدتهم ؟

فقال فضيلته :

ـ هناك فرق بين توحيد المذاهب « أى ادماج بعضها فى بعض » بحيث تصبح مذهبا واحدا ٠ وبين التقريب بين المذاهب ٠

والاسلام نفسه يعترف بهذا الفرق ، وليس من هدف التقريب أن يمحى الخلاف محوا تاما ، لان هذا مستحيل، مادامت هناك عقول تفكر ٠٠

وقد جاء الاسلام بنوعين من الاحكام : أحدهما قطعى ٠ لا يسوغ اختلاف فيه ٠ وقد جاء التعبير عنه فى غاية الوضوح والجلاء ٠ مثل أن الله واحد وأركان الاسلام والجنة والنار الى غير ذلك من العقائد والاحكام العملية التى تعتبر ضرورية فى الاسلام ٠

الامور القطعية لا يصح الاختلاف عليها

وهذا النوع القطعى اراد الله أن يجتمع المسلمون عليه «أى أن يكون جامعتهم الفكرية والعقلية ، التى تؤلف بين قلوبهم . وتجعلهم أمة واحدة ذات أهداف ثابتة ، لا تتغير بتغير الزمان والمكان ..

الامور الفرعية قابلة للنظر والفكر

أما النوع الثانى :

فهو الاحكام التى جاءت بها الشريعة باسلوب قابل للنظر والفكر ، وقد جاء كثير من الاحكام الشرعية بل الكثرة الغالبة من أحكام الفقه على هذا النحو ..

واذا فسيبقى بين المسلمين مسائل جامعة هى «الاصول»، وسيبقى بينهم كذلك مسائل مختلف عليها هى « الفروع » وان كان عددها سيقل تدريجيا للتفاهم ومعالجة الامر فى صفاء ..

ثم وجهت لفضيلته السؤال التالى :

* هناك فى الفقه أحكام غير مستوفاة ، وأحكام لايمكن تطبيقها فى هذا العصر ، فهل يمكن استيفاء الناقص وحذف مالا يصلح ؟

فأجاب فضيلته :

— أما ان الفقه فيه مسائل أو تنقصه بعض المسائل التى جدت وتجد فى شتى المجتمعات الاسلامية ، فذلك صحيح ، وذلك أن الفقهاء كانوا يطبقون احكام الشريعة على ما يعرفونه من وجوه التعامل والاحوال الاجتماعية فى عصورهم .

لا مسائل جدت فى الفقه لم تكن

وقد جدت فى العصور الاخيرة معاملات لم تكن ، وحالات اجتماعية لم توجد ، فيجب على أهل العلم الدينى أن يدرسوا هذه الحالات الجديدة . وأن يطبقوا عليها مبادىء الشريعة ويستخرجوا أحكامها من الادلة . وهذا مايحدث الآن كالفتوى التى أصدرها بعضهم فى شأن صندوق البريد . أو التأمين على الحياة ، أو معاملات البنوك ، ونحو ذلك وقد أوجدت الدولة الآن مجتمعا للبحوث سيجتمع فيه العلماء من كل المذاهب الاسلامية ، ويكون من أهم أعماله أن تدرس المعاملات والاحوال التى جدت ويستنبط لها الحكم الشرعى على سنة الفقهاء .

وبذلك يستكمل الفقه بالتدريج مانقصه . ما لم يكن معروفا من قبل .

أما الشطر الثانى من السؤال ..

فالجواب عليه أننى لا أعترف بأن هناك حكما فقهيا مجمعا عليه غير ملائم للناس فى عصر من العصور .

كل ما أجمع عليه صالح لكل زمان

فكل ما تقرر فى الفقه على سبيل الاجماع مستمد من كتاب الله وسنة رسوله ، فهو صالح ، واذا لم يره أهل عصر من العصور صالحا . فليعملوا هم على اصلاح أنفسهم بدلا من أن يدعوا فساد الاحكام الشرعية ، لكن اذا كان هناك أمر تختلف فيه الآراء ، ويختلف تقدير المصلحة ، فانه من الممكن لكل مجتمع من مجتمعات الامة الاسلامية . أن يأخذ بالرأى الذى هو أقرب لتحقيق المصلحة ، وأيسر على المجتمع ، ولا مانع بالاخذ بغير المذهب .

فلم يفرض الله على الناس التزام مذهب معين فى كل نواحى العبادة والمعاملة .. »

ثم التقيت بالدكتور مصطفى زيد رئيس قسم الشريعة الاسلامية بكلية دار العلوم جامعة القاهرة وسألت سيادته :

* هل يمكن جمع المسلمين على رأى فقهى واحد تسهيلا عليهم وحفظا لوحدتهم ؟

فقال سيادته

— ليس من العسير جمع المسلمين من أهل السنة . على مذهب فقهى واحد ، يتعبدون الله على وفقه، ويراعون أحكامه فى معاملاتهم ، ويجعلونه هو قانون حياتهم .

قد حاولنا هذه المحاولة عندما وضعنا قانونا اسلاميا للاحوال الشخصية ، وقانونا آخر للوصية وقانونا ثالثا للمواريث . ونجحت الفكرة كل النجاح .

ماتم بشأن الاحكام التى وضعت

يمكن أن يتم فى جميع الاحكام

لقد كانت اللجان التى ألفت لوضع هذه القوانين — وأعضاؤها من كبار الفقهاء — ترجع الى أمهات الكتب فى المذاهب الاربعة ، والى آراء بعض كبار المجتهدين من فقهاء المسلمين المسجلة فى كتبهم وثابتة عنهم ، ثم تعرض آراؤهم فى كل مسألة على بساط البحث ، ترد كل رأى الى أصله . وتضع الى جانبه دليله ، ثم توازن بين هذه الآراء من حيث كفالتها للمصلحة ووفاؤها بما تحتاج اليه الناس .. من حلول لمشاكلهم ، ثم تختار من بينها أقواها دليلا ، وأكفلها بالمصلحة العامة . وأكثرها مسايرة لروح العصر الذى نعيش فيه ، وهكذا خرجت لنا بقوانين فقهية ليس فيها جمود ولا تعصب لمذهب معين .

ونحن نعتقد أن ماتم بشأن المواريث . والوصايا . والاحوال الشخصية . والوقف يمكن أن يتم بالنسبة لجميع أحكام الفقه ، سواء فى العبادات ، أو فى المعاملات أوفى الحدود . ولو أن النية اتجهت الى هذا فكونت اللجان التى تستطيع النهوض بهذا العبء الضخم ، وهيئت لها الامكانيات من المراجع وغيرها ، وأرخى لها فى الوقت بحيث يستطيع أن تبحث فى عمق تخرجنا بفقه يجتمع الناس عليه وعلى العمل به ، ونأمن شر العصبية والخلافات التى لا نجنى منها الا الفرقة، على أننا نتساءل فيم هذا الخلاف القائم الآن ؟

لم يكن هناك تعصب بين الائمة

ان الائمة الذين نتعبد الله على مذاهبهم ،لم يكن بينهم من التنافر أو التنابذ أو الخلاف قليل من كثير يشيع بيننا . كان الامام مالك شيخا للشافعى تتلمذ عليه الشافعى ولم يصطدم به بل يجله ويحترمه رغم مابينهما من خلاف فى الرأى.وكان الشافعى شيخا لأحمد بن حنبل تتلمذ عليه أحمد فأفاد منه فهما وعلما كثيرا وشهد له الشافعى حين غادر بغداد فنقل عنه المشرقى أنه قال له « رأيت ببغداد شابا اذا قال حدثنا قال الناس كلهم صدق قلت من هو ؟ قال أحمد بن حنبل »

واتصل بالامام مالك وهو فى المدينة محمد بن الحسن الشيبانى أحد صاحبى أبى حنيفة فروى عنه كتابه الموطأ وعدل بعض آرائه بعد أن ناقشه واستمع اليه . وهكذا كانوا أخوة متضامنين لم ينقل عن واحد منهم أن تعصب لمذهبه أو حمل على زميل له حملة ظالمة . فاذا نحن تركنا الائمة الى الاحكام ذاتها لتحمل بعض السر فى منشأ الخلاف بينها فى المذاهب المختلفة — وجدنا ان هؤلاء الائمة

الدكتور احمد الخشاب

المستشار على على منصور

بمالهم من مكانة علمية ملحوظة كان من اهم مايحرصون عليه فهم القرآن والاستنباط منه .

فالقرآن كما وصفه احد كبار الصحابة « ولعله عمر » جمال ذو وجوه وفى عباراته مرونة تتسع لأفهام كثيرة ، وقد اختلف مقدار ماصح عند كل امام منهم من حديث رسول الله — صلى الله عليه وسلم — الذى هو بيان القرآن وترجمانه . فنشأ بعض الاختلاف فى الاحكام التى دليلها من الكتاب والسنة من اختلاف الفهم الذى تتسع له لغة القرآن واسلوبه .. ومع هذا فان القرآن لم يذكر احكام الجزئيات الا قليلا منها كأحكام المواريث ، والاسرة ، وبعض أحكام الاموال . وانما ذكر الاصول والقواعد العامة وترك الجزئيات والفروع للاجتهاد ، اذ هى عادة تختلف باختلاف العصور والاقوام والبيئات ، فما يكفل المصلحة عند قوم أو فى زمن قد لا يكفلها عند قوم آخرين أوفى زمن آخر . وفى هذه الجزئيات التى هى مجال الاجتهاد بالرأى . يختلف الفقهاء عادة حين لا يكون هناك اجماع من المسلمين على حكم فيها .

ولا نستطرد مع الاصول الفقهية من قياس واستصحاب واستحسان وغيرها مع أن لكل منها دون شك أثرا فى الخلاف بين الائمة ، اذ ليس من همنا هنا بيان مصادر الخلاف وانما يعنينا كيف نجمع المسلمين على مذهب واحد .

وقد أشرنا فيما قلنا سابقا الى أن من الميسور لو اتجهت الدولة الى القضاء على هذه الخلافات وتضييق دائرته الى أقصى حد ، ان تؤلف لجان يراعى فى اختيارها الكفاية العلمية وسعة الافق فى التفكير والاخلاص للفكرة ، لتتكلف دراسة الفقه الاسلامى بادلته فى المذاهب المختلفة لاختيار اوفى الآراء وأقربها تحقيقا لمعنى التدين الحق واكثرها وفاء لحاجة العصر ، واقواها سندا ودليلا بصرف النظر عن المذهب الذى يوجد فيه هذا الرأى ، ثم يكون هذا الذى تختاره اللجان فقها عاما ينشر على الناس بشتى وسائل النشر ، وتتولى وسائل الاعلام فى الدولة الدعوة له ، وبيان مزاياه ، والله هو الكفيل بأن يجمع المسلمين على مافيه خيرهم ..

ثم سألت سيادته :

* يقول بعض الناس ان باب الاجتهاد قد قفل . فما درجة هذه الاقوال من الصواب أو الخطأ . وهل الافضل الاجتهاد الفردى أم الاجتهاد الجماعى صيانة للتشريع ؟

فقال سيادته :

— لا أوافق على ان باب الاجتهاد قد أغلق فكل عالم مسلم تتوافر فيه شروط الاجتهاد التى نص عليها علماء الاصول فى كتبهم . من حقه بل من واجبه أن يجتهد فيما يسأل عنه ، ثم يفتى بما يهديه اليه اجتهاده اذا لم يكن الموضوع قد شرع له حكم سابق .

والاجتهاد الجماعى اذا تيسرت وسائله أفضل بدون شك من الاجتهاد الفردى غير أن شروط الاجماع كما ذكرها الاصوليون . لا تكاد تتيسر «الاشتراطهم أن يجمع المسلمون فى الدولة الاسلامية مع اتساع رقعتها على الحكم دون أن يشذ منهم فرد واحد . والمسلمون كما نعلم الآن لا تكاد تخلو منهم دولة من دول العالم ..

ثم التقيت بالاستاذ محمد سلام مدكور استاذ الشريعة بكلية الحقوق جامعة القاهرة ووجهت لسيادته السؤال التالى :

— فى هذا العصر آراء تنادى بالتقريب بين المذاهب تسهيلا على المسلمين وحفاظا لوحدتهم . فما رأى سيادتكم فى هذا الموضوع ؟

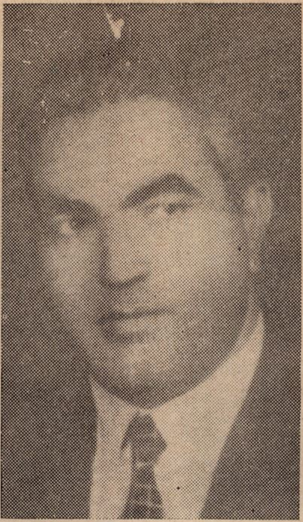

الدكتور محمد سلام مدكور

الدكتور مصطفى زيد

فاجاب سيادته بقوله :

* توفى الرسول ـ عليه السلام ـ ولم يكن الاسلام قد تعدى نفوذه الجزيرة العربية . وفى عهد الخلفاء الراشدين بدأ الفتح الاسلامى . فاظل الاسلام ممالك ودولا كثيرة ، وقد دخل أكثر الناس فى الاسلام واعتنقوا مبادئه مؤمنين به ، وامتزج المسلمون بغيرهم ، فاختلطت العناصر وتلاقت الافكار .

وجد فقهاء الصحابة أمامهم أمورا كثيرة • يراد معرفة حكم الله فيها ، ولم يرد فيها نص خاص فى الكتاب او السنة ، فكان لابد من الاجتهاد • وهم فى اجتهادهم يختلفون فى الرأى •

واذا اختلفوا كان ينسب كل منهم لنفسه الرأى ، ولا يجزم بانه حكم الله ، ولا يعتبر فاعله آثما ، فهذا أبو بكر يقول : « هذا رأيى : ان يكن صوابا فمن الله • وان يكن خطأ فمنى واستغفر الله » •

وهذا عمر « لقى رجلا له قضية نظرها الامام على • فساله ماذا صنعت ؟ قال قضى على بكذا ••

فقال عمر : لو كنت انا لقضيت بكذا ، فقال الرجل ، وما يمنعك والامر اليك يا امير المؤمنين ، فقال عمر لو كنت اردك الى كتاب الله وسنة رسوله لفعلت ، ولكنى اردك الى راى • والراى مشترك ولا ادرى اى الرايين احق »

الاختلاف فى الاحكام راجع الى الاختلاف فى الفهم

وفى الواقع ان اختلافهم فى الاحكام المجتهد فيها انما يرجع الى اختلافهم فى فهم آيات الاحكام واحاديث الاحكام ، لان دلالتها ظنية ، أو لاختلافهم فى ثبوت بعض احاديث الاحكام لاختلافهم فى حفظ السنة واستيعابها ، ولتفاوتهم أيضا فى الاجتهاد ، ولتفاوتهم أيضا فى البيئة التى جدوا هم عليها ؟

تكوين المذاهب الفقهية

ثم بدأت المذاهب الفقهية تتكون من امام مجتهد • واتباع ينهجون نهجه ، ولم يكن هذا فى بادىء الامر يستوجب خصومة ، أو يستلزم تعصبا ، بل كان كل امام ينصح متبعيه • بأن رأيه وفقهه غير ملتزم ولا يجب اتباعه • فهذا أبو حنيفة يقول « هذا رأيى وهو أحسن ما قدرنا عليه ، فمن جاءنا باحسن منه فهو أولى بالاتباع » •

وساله أحد تلاميذه يا أباحنيفة : هذا الذى تعنى به هو الحق الذى لا شك فيه ، فيرد قائلا : « والله لا أدرى فقد يكون هو الباطل الذى لا شك فيه » •

وهذا الشافعى : يقول لصاحبه الربيع يا أبا اسحاق لا تقلدنى فى كل ماأقول وانظر فى ذلك لنفسك فانه دين •

عصر التقليد

واستمر الفقه الاسلامى فترة حتى منتصف القرن الرابع الهجرى مزدهرا ، لا يعرف العصبية المذهبية ، حتى دب الضعف فى جسم الدولة الاسلامية • فانتاب الدولة ما يؤثر فى نهضتها ونشاطها التشريعى . مما امات فى نفوس الفقهاء الاستقلال الفكرى • حتى نادوا بقفل باب الاجتهاد . بل افتوا بمنع انتقال المقلد من مذهب الى مذهب • وحصروا أبحاثهم فى دائرة ضيقة محدودة ، كل فى حدود مذهب فقيه سابق لا يحيد عنه ، وأصبح فى نظرهم أن الآراء التى فى المذاهب الاخرى خاطئة ، وان كل ماقاله الامام الذى يقلده صحيح لا يحتمل الخطأ ، بل قد وصل هذا التعصب المذهبى ، الى أن يقول أحد فقهاء

الاحناف « كل آية أو حديث تخالف ماعليه أصحابنا فهو مؤول أو منسوخ » .

الخروج عن التقليد

وقال سيادته ، ولكنا بحمد الله قد بدأنا نخرج بخطى واسعة عن هذا التقليد ، وعن هذا التعصب ، وحقا . ان الخروج عن التقليد والجمود كان تدريجيا شأنه فى ذلك شأن التقليد نفسه ، فظهرت حركات انبعاثية فى الدولة الاسلامية ، أساسها النهوض بالفقه ، والرجوع الى كتاب الله وسنة رسوله . وماكان عليه السلف ومحاربة التعصب المذهبى .

وفى هذا يقول الامام محمد عبده « ان المقلدين من كل أمة المنتحلين أطوار غيرها . يكونون فيها منافذ وكوا لتطرق الاعداء اليها . وتكون مداركهم مهابط الدسائس »

وتقريب المذاهب : اذا أخلصت النية وكان يبتغى به وجه الله ، عمل جليل ، يقرب المسلمين بعضهم من بعض ويدفع فقهاءهم الى الدرس والبحث والغوص فى المسائل الفقهية .

ويوجد الفقه المقارن الذى هو العلم بالاحكام الشرعية . من حيث معرفة مختلف الآراء مع موازنة كل ذلك . واختيار أقربها للحق ومقابلاته المعمول بها فى بلادنا والبلاد المتحضرة ، حتى يكون الفقه الاسلامى مسايرا بأحكامه للحياة العملية ، فى حدود القواعد الشرعية العامة .

ثم سألت سيادته :

* ما حكم الاسلام فى اتباع المذاهب كلها . وهل للمسلم أن ينتقل من مذهب الى آخر للتيسير ؟

فقال سيادته :

ـ ان هذه المذاهب استنبطت الاحكام الاجتهادية فيها من كتاب الله وسنة رسوله . والمجتهد قد يخطىء وقد يصيب . واذا أخطأ فهو مثاب ومن اتبعه فى رأيه مأجورا ، مادام لم يتبين له وجه الصواب .

ومن ناحية الانتقال الى مذهب آخر ..

لم يأمر الله المتبعين الذين لا مقدرة لهم على البحث والاجتهاد . بعبادته على مذهب معين لايحيدون عنه ، وانما أمرهم بالرجوع الى كتاب الله وسنة رسوله ، واتباع أهل الذكر من العلماء المخلصين ، وقد تناول الفقهاء هذه المسألة وكتبوا عنها كثيرا بعنوان « تلفيق الاحكام » وقد سبق أن كتبت فى « منبر الاسلام » فى هذا الموضوع .

وبينا ما قاله فقهاء الاحناف من جواز ذلك . بل جواز تتبع الرأى الاحسن ومراعاة الايسر على الناس ، وانتهيت بتأييد ذلك الرأى بالنسبة للجان التشريع » .

ثم التقيت بالاستاذ المستشار على على منصور رئيس محكمة استئناف طنطا السابق ووجهت اليه الاسئلة التالية :

* هناك آراء فى هذا العصر تنادى بتقريب المذاهب الاسلامية فما رأى سيادتكم فى هذا الموضوع ؟

* هل يرى سيادتكم أن هذه الطريقة تأتى بنتيجة تقدمية للمجتمع الاسلامى ؟

فقال سيادته :

* ان الاسئلة متداخلة ويحسن الاجابة عنها جملة واحدة ..

فى رأيى أن مسألة تقريب المذاهب الاسلامية يجب على كل مسلم الدعوة اليها والعمل بجميع الطرق والوسائل لتحقيقها ، اذ هى أقرب طريق لتحقيق الوحدة العربية ومن بعدها الوحدة الاسلامية .

الخلافات المذهبية لا تمس العقيدة

ومعظم الخلافات بين أصحاب المذاهب الاسلامية لا تمس فيما أعتقد جوهر الاسلام ولا أصوله ، فلا خلاف بين المسلمين جميعا فى أن أركان الاسلام خمسة « الشهادة والصلاة والزكاة والصوم والحج لمن استطاع اليه سبيلا .

والخلاف فيما وراء ذلك من الفروع فقط . ومنشأ هذا الخلاف حسب ما أعلم اختلاف الروايات « الحديث » وظروف الزمان والمكان . فالامام الشافعى وضع مذهبه القديم فى العراق فلما رحل الى مصر واستقر بها . وضع مذهبه الجديد وليس به من قواعد المذهب القديم سوى بضع عشرة مسألة .

مذهب قديم ومذهب جديد

ومثال ذلك أنه كان بالعراق يرى أن تلوث القليل من الثوب فى أسفله يزيل طهارته . فى حين أنه لما رأى كثرة الامطار بشمال مصر واضطرار الفلاحين الى الخوض فى مجارى المياه . عفا عن التلوث الى حد ثلث الثياب ، ومثل هذا فيه تيسير كبير على الناس .

الوسيلة المثلى

والوسيلة المثلى لتقريب المذاهب فى مثل هذا النوع من الخلافات هى نشرها بكل الطرق فى « المؤلفات » و « المجلات » ودور العلم » و « تقليل أسباب الخلاف » من أسانيد أو ظروف .

وهذا مالجأت اليه كلية الشريعة فى الازهر حيث قررت تدريس مذاهب اسلامية غير المذاهب المعروفة مع المقارنة بينها .

ومن الخلافات الاسلامية فى المذاهب مايرجع الى أسباب سياسية أو تاريخية لبعض الخلافات لأغراض سياسية بعيدة عن الدين عمل بعض الولاة فى الماضى على تقدية هذه الخلافات بأشد أنواع التعصب والكراهية ، وهذا شر ما أصيب به الاسلام والمسلمون ،وقد رأيت بعينى رأسى فى المسجد الحرام فى مكة عندما سمح لبعض الايرانيين سنة ١٩٤٢ بالحج .بعد أن كان ممنوعا عنه عدة سنوات لما ارتكبوا من آثام . رأيت بعينى من يأبى أن يسجد على حصاء الحرم فيأتى بحجر من كربلاء يضعه أمامه ليسجد عليه . ورأيت من يسعى الى تلويث أرض المطاف حول الكعبة بالقاذورات النجسة ، حتى يفسد على أهل السنة حجهم ويحرمونهم من المغفرة التى وعد الله بها كل من حج البيت أو اعتمر به ..

وعلى الرغم من أن الحوادث التاريخية التى نشأت مثل هذه الخلافات بسببها . قد تقادم عليها الزمن . فان رواسب الماضى القليلة الباقية يمكن ازالتها بنشر الوعى الاسلامى الصحيح والعمل على تبادل المدرسين والطلاب بين البلاد الاسلامية .

حقق الله الآمال . حتى يتحقق قول الله سبحانه وتعالى ..

« وان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون » .

ثم التقيت بعلماء الاجتماع ليبينوا أثر الخلافات المذهبية والتعصب المذهبى على المجتمع الاسلامى وما يتبع هذا الخلاف من تأخره وتشتيت شمله .

فالتقيت بالدكتور أحمد الخشاب ـ أستاذ علم الاجتماع بكلية الآداب جامعة القاهرة .

وسألت سيادته :

* هل كان لتعصب المذاهب أثر على المجتمع الاسلامى ، ومامدى هذا الأثر ؟

وهل يرى سيادتكم أن تقريب المذاهب يؤدى الى نتيجة تقدمية للمجتمع الاسلامى ؟

* فقال سيادته :

أعتقد أن الوقت قد حان للدعوة الجادة لطرح مسألة الخلافات المذهبية · على بساط البحث فى اطار من الايجابية والحيادية ، التى تهدف الى جمع الكلمة وتوحيد الخط الفكرى · ازاء تلك المسألة العقائدية ·

الوجدان الشعبى يتجه نحو الوحدة
الفكرية والمذهبية

ويقول الدكتور أحمد الخشاب : وخاصة أن الضمير والوجدان الشعبى يتجه نحو الوحدة الفكرية والمذهبية فى العالم الاسلامى ، وغنى عن البيان أن هذه التشعبات والتفريقات المذهبية لم تكن فى أول ظهورها مظهراً من مظاهر الاختلاف ، وانما كانت فى واقع أمرها ثمرة من ثمرات ماكان يتمتع بها العالم الاسلامى من مرونة وحرية فكرية ، وقدرة على ابداء الرأى ، والتعرف فى كل مايعن له أو يعرض عليه من أمور الدنيا ، على هدى كتاب الله وسنة رسوله ، فكانت بمثابة اختلاف وجهات النظر دون خروج عن الحدود الاصلية ·

وحقيقة أن بعض الخلافات السطحية كانت منبثقة مما يتميز به التشريع الاسلامى من خاصية المرونة التى تجعله مهيأ لان يتكيف بمقتضيات ظروف البيئات الاجتماعية ، التى قدر للاسلام أن ينتشر فيها ، وخاصة أن انتشر فى مجتمعات تختلف اختلافا بينـا فى ظروف حياتها وفى مستوياتها الفكرية · وثورثاتها الثقافية والحضارية ، وخاصية أخرى كفلت للشريعة الاسلامية تكيفهابالبيئات الاجتماعية المتباينة فى مستوياتها ، وهى خاصية « العمومية الانسانية » لان أحكامهـا صالحة للتطبيق العملى فى مختلف المجتمعات ، على أساس أنها صادرة من طبيعتها الانسانية ، وأنهـا منظمة للحياة البشرية فى الصورة الملائمة لتحقيق السلام فى مختلف صوره ومستوياته » ·

من سنة الحياة التطور والتعقيد

ومضى سيادته يقول ، ولما كان من سنة الحياة التطور والتعقيد مع مايلزم هذا التطور وذلك التعقيد من ملابسات اجتماعية ، من طبيعية وسياسية ، أو اقتصادية ، وماقد يشوبها أحيانا من حزازات وصراعات وتشيعات مما كان يقتضى التزيى بالزى الدينى فى كل هـذه المتناقضات ، كملاذ طبيعى لتأييد الرأى · ولكسب الانصار · ولاكتساب خصائص مميزة للفرق المتنازعة ، تسلل هذا الى المذاهب ، وبعد أن كانت فى أول أمرها تخدم قضية الحرية الفكرية أصبحت تستغل فى تعميق الخلافات والفرقة وتفتيت الوحدة الفكرية ·

ولذلك وجدنا أن التفريقات المذهبية التى خرجت عن أهدافها الاصولية ، وأصبحت ممتزجة بالخلافات السياسية والحركات القومية ·

ومن الطبيعى أن يؤدى هـذا الى تفتيت الوحـدة السياسية ، واذكاء النزعات الانفصالية ، وتغذية الحركات الشعوبية ، وقد استغل الاسـتعمار هـذه المتناقضات والخلافات للنيل من الوحدة الاسلامية ، وسخرها لخدمته ، وتنفيذ سياسته القائمة على التفرقة بين الدول الاسلامية ، وبذلك نجح فى استعمارها ردحا طويلا من الزمن واستغل خيـراتها ، ونهب امكانياتها ، لخـدمة الرأسمالية الاحتكارية العالمية ·

الاستعمار ضلل الفكر
وسوى بين المذاهب والطوائف المسيحية

ولم تقف محاولات الاستعمار عند هذا الحد ، بل أخذ يمعن فى التضـليل الفكرى · الى الحد الذى أخذ معه يصور هذه الخلافات المذهبية بنفس الصورة التى سادت بين الطوائف المسيحية المتنازعة ·

وشتان مابين هذه وتلك · مهما اختلفت وجهـات النظر المنعكسة فى المـذاهب الاسلامية · فانها لا يمكن باى حال من الاحوال الحكم عليها أنها اتخذت مظهرا من مظاهر النزعات الطائفية · لانه مما لاجدال فيه أن تشعب المذاهب الاسلامية كان بمثابة التجديد وامتدادا لحيوية الشريعة · فى حين أنه يبـدو أن الاختلافات الطائفية المسيحية قد امتدت الى الاصول العقائدية ، وكانت تهدف الى خدمة الطائفية ·

تصفية الاستعمار الفكرى

ومن حسن الطالع أن العصر الذى نعيش فيه هو عصر التصفية للاسـتعمار الفكرى الى جانب تصفية الاستعمار العسكرى والاقتصادى والسياسى ·

ومعنى ذلك أننا اذا كنا نخوض معركة التحرر الفكرى ضد التسلط الثقافى الاجنبى ، فلابد وأن نزيل ماورثناه من رواسـبه ، التى أدت الى تعميق الهوة بين المذاهب الاسلامية ، ونزيل النتئات التى تعرقل التمهيد لتحقيق التقارب الذى يرجع هذه المذاهب الى صفاء جوهرها ودفعها فى طريق تحقيق غايتها من النمو والازدهار التى يطابق مقتضيات الحيـوية التشريعية التى لابد وأن تسـد الاحتياجات المتجـددة للتطور الاجتماعى والانطلاق الفكرى للعالم الاسلامى ·

ولا شك أن تقريب المذاهب سيهيىء الظروف المواتية لتجميع الطاقات الفكرية البناءة التى يمكن تنسيقها فى جهود متكاملة متكافلة ، لدفع عجلة التقدم والسير قدما ، لبلوغ أسمى ماكانت ترنو اليه المدنية التى أطلق شعاعها الاسلام ، ليفىء طريق الضمير الانسانى فى تحقيـق العدل والاخاء والسلام ·· »

***

عزيزى القارىء ··

لعلك تقف بجوارى وتدعو كل مسلم مخلص يقف معنا لنقيم شعائر الاسلام الحقيقية ، ونترك كل خلاف لايعود علينا بالفائـدة ، ونزيل العصبيات التى تهدم كيان المسلمين ونسير على نهج الكتاب والسنة والخلفـاء الراشدين والائمة المصلحين ·

وفقنا الله لجمع الشمل وتوحيد الكلمة ·

الاسلام

سماحة الحاج
ابراهيم
اينياس
شيخ
الاسلام
بالسنغال
وغرب أفريقيا

ان الاسلام عقيدة راسخة توجب أقوالا وأفعالا ونيات وأخلاقا ، جاء بها النبى العربى الأمى محمد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم .. »

« والنجم اذا هوى ، ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى » .. ثم خاطبه ممتدحا : « وانك لعلى خلق عظيم »

الاسلام أيها السادة أن نشهد أن لا اله الا الله ، وأن محمدا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

الاسلام طهارة...بدنا وثوبا ومكانا ، وصلاة وهى أعظم فريضة نزلت ، وصيام ، وزكاة مال ، وحج البيت لمن استطاع اليه سبيلا وصبر على امتثال جميع الأوامر ، وصبر عن اجتناب النواهى دائما بالله ، ولابد من تعلم العلم ، وتقديم الأهم فالأهم ، ولابد من عمل مواظب عليه ، عمل للدين والدنيا ، واتباع غير مشوب بابتداع .

فالخير كله فى الاتباع ، والشر كله فى الابتداع.. اتبع ولا تبتدع ، واتضع ولا ترتفع ، وأنزع ولا تتسع .

والاسلام أيها السادة دين السلام: « والله يدعو الى دار السلام » ، ودين الحرية والمساواة والأخوة : « كلكم من آدم وآدم من تراب » ..

« يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان أكرمكم عند الله أتقاكم .. » .

والاسلام دين الوحدة : « اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون، واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » .

« ان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون » .

مواقيت الصلاة

الأيام	رجب	نوفمبر	فجر	شروق	ظهر	عصر	مغرب	عشاء
			د . س	د . س	د . س	د . س	د . س	د . س
الأحد	١	١٧	٤ ٥١	٦ ٢١	١١ ٤٠	٣ ٣٨	٤ ٥٩	٦ ١٩
الاثنين	٢	١٨	٤ ٥٢	٦ ٢٢	١١ ٤٠	٣ ٣٨	٤ ٥٨	٦ ١٨
الثلاثاء	٣	١٩	٤ ٥٣	٦ ٢٢	١١ ٤٠	٣ ٣٨	٤ ٥٨	٦ ١٨
الأربعاء	٤	٢٠	٤ ٥٤	٦ ٢٣	١١ ٤٠	٣ ٣٨	٤ ٥٧	٦ ١٨
الخميس	٥	٢١	٤ ٥٥	٦ ٢٤	١١ ٤٠	٣ ٣٧	٤ ٥٧	٦ ١٨
الجمعة	٦	٢٢	٤ ٥٥	٦ ٢٥	١١ ٤١	٣ ٣٧	٤ ٥٧	٦ ١٨
السبت	٧	٢٣	٤ ٥٥	٦ ٢٦	١١ ٤١	٣ ٣٧	٤ ٥٦	٦ ١٨
الأحد	٨	٢٤	٤ ٥٥	٦ ٢٧	١١ ٤١	٣ ٣٦	٤ ٥٦	٦ ١٨
الاثنين	٩	٢٥	٤ ٥٦	٦ ٢٨	١١ ٤٢	٣ ٣٦	٤ ٥٦	٦ ١٨
الثلاثاء	١٠	٢٦	٤ ٥٧	٦ ٢٩	١١ ٤٢	٣ ٣٦	٤ ٥٦	٦ ١٨
الأربعاء	١١	٢٧	٤ ٥٨	٦ ٣٠	١١ ٤٣	٣ ٣٦	٤ ٥٥	٦ ١٧
الخميس	١٢	٢٨	٤ ٥٨	٦ ٣٠	١١ ٤٣	٣ ٣٥	٤ ٥٥	٦ ١٧
الجمعة	١٣	٢٩	٤ ٥٩	٦ ٣١	١١ ٤٣	٣ ٣٥	٤ ٥٥	٦ ١٧
السبت	١٤	٣٠	٥ ٠٠	٦ ٣٢	١١ ٤٣	٣ ٣٥	٤ ٥د	٦ ١٧
الأحد	١٥	ديسمبر ١	٥ ١	٦ ٣٣	١١ ٤٤	٣ ٣٥	٤ ٥٥	٦ ١٧
الاثنين	١٦	٢	٥ ٢	٦ ٣٣	١١ ٤٤	٣ ٣٥	٤ ٥٥	٦ ١٧
الثلاثاء	١٧	٣	٥ ٢	٦ ٣٤	١١ ٤٤	٣ ٣٥	٤ ٥٥	٦ ١٧
الأربعاء	١٨	٤	٥ ٣	٦ ٣٥	١١ ٤٥	٣ ٣٦	٤ ٥٥	٦ ١٧
الخميس	١٩	٥	٥ ٤	٦ ٣٦	١١ ٤٥	٣ ٣٦	٤ ٥٥	٦ ١٧
الجمعة	٢٠	٦	٥ ٥	٦ ٣٧	١١ ٤٦	٣ ٣٦	٤ ٥٥	٦ ١٨
السبت	٢١	٧	٥ ٥	٦ ٣٧	١١ ٤٦	٣ ٣٦	٤ ٥٥	٦ ١٨
الأحد	٢٢	٨	٥ ٦	٦ ٣٨	١١ ٤٧	٣ ٣٦	٤ ٥٥	٦ ١٨
الاثنين	٢٣	٩	٥ ٧	٦ ٣٩	١١ ٤٧	٣ ٣٧	٤ ٥٥	٦ ١٨
الثلاثاء	٢٤	١٠	٥ ٧	٦ ٣٩	١١ ٤٧	٣ ٣٧	٤ ٥٥	٦ ١٨
الأربعاء	٢٥	١١	٥ ٨	٦ ٤٠	١١ ٤٧	٣ ٣٧	٤ ٥٦	٦ ١٨
الخميس	٢٦	١٢	٥ ٩	٦ ٤١	١١ ٤٨	٣ ٣٧	٤ ٥٦	٦ ١٨
الجمعة	٢٧	١٣	٥ ١٠	٦ ٤١	١١ ٤٩	٣ ٣٧	٤ ٥٦	٦ ١٨
السبت	٢٨	١٤	٥ ١٠	٦ ٤٢	١١ ٤٩	٣ ٣٧	٤ ٥٧	٦ ١٩
الأحد	٢٩	١٥	٥ ١١	٦ ٤٣	١١ ٥٠	٣ ٣٨	٤ ٥٧	٦ ١٩
الاثنين	٣٠	١٦	٥ ١١	٦ ٤٣	١١ ٥٠	٣ ٣٨	٤ ٥٧	٦ ٢٠

والاسلام دين العمل : ((فاذا فرغت فانصب » ٠٠ « ان الله يكره العبد البطال كلا على الناس » ٠

والاسلام دين العدالة : اعدلوا هو أقرب للتقوى » ٠٠ حتى مع العدو : « ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا ٠٠ »

ودين مكارم الأخلاق كلها : « بعثت لأتمم مكارم الاخلاق » ٠

ودين الكرم والايثار : « ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة)) ٠

ودين الكفاح والجهاد : فالمسلم لا يذل نفسه ٠

ودين التناكح والتناسل : ولولاهما لخربت الدنيا ٠٠

ودين الوفاء « واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها ٠٠٠ »

والمسلم لايبغى بدينه بديلا ولا يبغى بديلا باخوانه المسلمين :

« أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ٠٠ »

((أشداء على الكفار رحماء بينهم))

ومحبة الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ من أركان الايمان ، فقد قال ـ عليه الصلاة والسلام :

((لايؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من ولده ووالده والناس أجمعين » ٠٠

ولحبه ـ صلى الله عليه وسلم ـ علامات : أكبرها الاقتداء به فى افعاله واقواله :

((قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ٠٠ »

خصوم وأعداء

ايها السادة :

ان الاسلام اليوم محاط بأخطار جسيمة من قبل أعدائه وخصومه وهم أقوياء مسلحون بالأموال ، وهى فى هذا العصر أقوى من القنابل والصواريخ ، ضد الاسلام والمسلمين

٠٠ التبشير المسيحى ، واسرائيل ، والاستعمار بأشكاله ، والشيوعية اللادينية ، والفرق الضالة داخل دائرة الاسلام على ثلاث وسبعين فرقة كلها فى النار الا واحدة كما فى الحديث الشريف والخطر الأكبر متولد من تلك الفرق فهى أشد على الاسلام من أعدائه السافرين ٠٠ ترى شيخا يتبعه خلق كثير باسم الدين ٠٠ وكل تصرفاته فى هدم قواعد الاسلام ، وكل عدو للاسلام يجده جندا من جنوده الأوفياء ٠٠ وأصل هذا الداء العضال هو الجهل الذى اتصف به كثير من رجال الدين فى هذه الأقطار فهم جهلة يفتون بغير علم ، ضلوا وأضلوا ٠

بين الدين والعلم

أيها الشبيبة أبناء الاسلام ٠٠ هبوا من الرقاد ، وشمروا لكى تداركوا ، فان هذا العصر لا يتأتى أن يبقى فيه أبناء المسلمين جهلة ، فتنافسوا فى العلم ، علم الدنيا والآخرة ، فنحن فى عصر الصواريخ وعصر غزو الفضاء بفضل العلم الحديث ، فلا تقفوا مكتوفى الأيدى أمام هذا التقدم البشرى ٠٠ وان تقدم العلم والصناعة، واطلاق الصواريخ فى الجمهورية العربية المتحدة المسلمة لمما يدعو الى الفخر والاعتزاز ، كما أن ذلك يرد أساطير أعداء الاسلام الزاعمة ان الاسلام ينافى العلم ٠

حفظ الله الرئيس العربى المسلم جمال عبد الناصر ، وحقق لنا به كل أمل للاسلام وللعرب ولافريقيا ٠

« من الخطاب السنوى الذى القاه سماحة شيخ الاسلام الحاج ابراهيم ايناس الكولخى عشية يوم الجمعة العاشر من ربيع الأول ، فى المهرجان الخطابى الذى أقامته جمعية انصار الدين بكاولاخ « السنغال » خصيصا لطلبة المدارس الاسلامية ، وذلك بمناسبة عيد المولد النبوى الشريف عام ١٣٨٣ هـ ٠ »

أنت تسأل ؟ .. والمفتى يجيب !

فضيلة الشيخ حسن مأمون

من السيد / عادل طه ابو الذهب ـ شركة الاعلانات الشرقية .

يقول السائل : أننى رضعت منزوجة عمى يوم ولادتى حتى اليوم الثانى ، حيث بعث اللبن فى ثديى والدتى ولم نتبين عدد الرضعات ، واننى الآن أرغب فى الزواج من ابنتها . فهل يجوز لى الزواج بها أم لا ، وما حكم الشرع فى هذا ؟

الجواب

برضاع السائل من زوجة عمه مرة أو أكثر يصبح ابنا لها من الرضاع وأخا لبنتها من الرضاع فلا يحل زواجه منها ، وهذا الحكم هو ما ذهب اليه السادة الحنفية ، أما مذهب الامام الشافعى واحدى روايتين عن الامام أحمد فان الرضاع المحرم عندهما لا يثبت الا بخمس رضعات مشبعات وللسائل اذا لم يتحقق من عدد الرضعات أن يتزوج بابنة عمه اقتداء بهذا المذهب والله أعلم .

من السيد / فرحات دسوقى على ـ شركة الاعلانات الشرقية

يقول السائل : فى من قتل مؤمنا متعمدا وأقيم عليه الحد وقتل ، فهل يعفى من عقاب الله تعالى فى قوله : « ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها » ؟

الجواب

قتل المؤمن عمدا من أكبر الجرائم ونقل عن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ التوعد على القاتل والتشديد فى القتل فقد ورد عن ابن مسعود عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : أو ما يقضى بين الناس يوم القيامة فى الدماء . وعن معاوية قال : سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : « كل ذنب عسى الله أن يغفره الا الرجل يموت كافرا أو الرجل يقتل مؤمنا متعمدا » . رواه أحمد والنسائى وروى أبو داود من حديث أبى الدرداء مثله . قال أبو الدرداء : سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : « كل ذنب عسى الله أن يغفره الا من مات مشركا أو مؤمن قتل مؤمنا متعمدا » .

وروى أبو دواد أيضا عن عبادة بن الصامت أنه قال « من قتل مؤمنا فاعتبط بقتله لم يقبل الله منه صرفا ولا عدلا » قال الخطابى فاعتبط أى فقتله بغير سبب ويقول الامام الشوكانى فى الجزء السابع من كتابه نيل الاوطار : الحديث الاول فيه دليل على عظم ذنب القتل اذ الابتداء انما يكون بالاهم ، ويقول أيضا : استدل بحديث معاوية وأبى الدرداء على أنه لا تقبل التوبة من قاتل العمد فقد ورد أيضا عن أبى هريرة قال قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « من قتل نفسه بحديدة فحديدته فى يده يتوجا بها فى بطنه فى نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا الى آخر الحديث » وورد عن عبادة بن الصامت أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال وحوله عصابة من أصحابه : « بايعونى على ألا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ولا تعصوا فى معروف فمن وفى منكم فأجره على الله ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب به فى الدنيا فهو كفارة له ومن أصاب من ذلك شيئا وستره الله فهو الى الله انشاء عفا عنه وان شاء عاقبه . فبايعناه على ذلك » . وفى لفظ : « فلا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق » .

وقد بحث العلماء فى توبة القاتل هل تقبل منه اذا تاب ولا يخلد فى النار أو لا تقبل منه ؟ . فقال الامام الشوكانى ان حديث أبى هريرة وحديث معاوية المذكورين يقضى الأول منهما بان القاتل أو المعين على القتل يلقى الله مكتوبا بين عينيه الاياس من الرحمة ويقضى الثانى بأن ذنب القتل لا يغفره الله . ويقول الشوكانى فى توجيه المراد من هذين الحديثين بأنهما محمولان على عدم صدور التوبة من القاتل بدليل الاحاديث الاخرى القاضية بقبول التوبة ويقول أيضا ان فى حديث معاوية نفسه ما يرشد الى هذا التأويل فانه جعل الرجل القاتل عمدا مقترنا بالرجل الذى يموت كافرا ولا شك أن الذى يموت كافرا مصرا على ذنبه غير تائب منه من المخلدين فى النار فيستفاد من هذا التقييد أن التوبة تمحو ذنب الكفر فيكون القتل أولى بقبولها وقال العلامة الزمخشرى بالكشاف ان هذه الآية ـ يعنى قوله تعالى فى سورة النساء رقم ٩٣ : « ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها » الخ .. فيها من التهديد والايعاد والابراق والارعاد أمر عظيم وخطب غليظ قال ومن ثم روى عن ابن عباس ما روى من أن توبة قاتل المؤمن عمدا غير مقبولة وعن سفيان كان أهل العلم اذا سئلوا قالوا لا توبة له وذلك محمول منهم على الاقتداء بسنة الرسول فى التغليظ والتشديد والا فكل ذنب ممحو بالتوبة وناهيك بمحو الشرك دليلا . ثم ذكر حديث « لزوال الدنيا أهون على الله من قتل رجل مسلم » رواه النسائى من حديث بريدة ورواه ابن ماجه من حديث البراء ، كما رواه النسائى أيضا من حديث ابن عمر .

وخلاصة ما تقدم أن القتل العمد من كبائر الذنوب بل ومن أعظمها وان القصاص شرع لحماية المجتمع من المنحرفين عن الحق الذين يرتكبون هذه الجريمة الشنعاء ، قال الله تعالى : « يأيها الذين آمنوا كتب

عليكم القصاص فى القتلى ، الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى ، فمن عفى له من أخيه شىء فاتباع بالمعروف وأداء اليه باحسان ، ذلك تخفيف من ربكم ورحمة ، فمن اعتدى بعد ذلك ، فله عذاب أليم . ولكم فى القصاص حياة يا أولى الالباب لعلكم تتقون » ١٧٨ - ١٧٩ من سورة البقرة .

فقد أباح الله سبحانه وتعالى لولى القتيل العفو عن القتل ، وفى هذه الحالة ينتقل القصاص من العقاب الى الدية ، ويقول الشوكانى فى هذا ، ولا خلاف فى مشروعية العفو بالجملة ، وانما وقع الخلاف فيما هو الأولى بالمظلوم هل العفو عن ظالمه أو الترك ؟ فمن رجح الاول قال ان الله سبحانه وتعالى لا يندب عباده الى العفو الا ولهم مصلحة راجحة على مصلحة الانتصاف من الظالم فالعافى له من الاجر بعفوه عن ظالمه فوق ما يستحقه من العوض عن تلك المظلمة من أخذ أجر أو وضع وزر او لم يعف عن ظالمه ثم انتهى الى القول بان ليس الى القطع بأولوية العفو طريق واذا اقتص من القاتل فهل يكون القصاص منه كفارة له ؟ ظاهرة الآية الكريمة أن للقتل عقوبة أخروية بجانب العقوبة الدنيوية ويؤيد ظاهر الآية كثير من الاحاديث التى سبق ذكرها ومع القصاص أو بدونه ، هل يقبل الله توبة القاتل أو لا يقبلها يظهر لنا مما تقدم أيضا أن الله يقبل توبة القاتل ويكون التائب أهلالعفوه ومغفرته، فان ذنب القاتل رغم بشاعة الجريمة لا يعادل ذنب من أشرك بالله ... والاحاديث الدالة على قبول توبة المشرك باقلاعه عن شركه ودخوله فى حظيرة الايمان والتوحيد تدل بالاولى على قبول توبة القاتل متى بعدالقصاص منه يكون أهلابالتوبة لمغفرة الله وعفوه وعلى ذلك تكون الآية خاصة بالقاتل الذى مات مصرا على ذنبه غير تائب منه والله أعلم .

من السيد / كامل بهجت ابراهيم

يقول السائل

رجل توفى منذ حوالى ١٩ سنة تقريبا أى ١٩٤٣ - ١٩٤٤م وله خمسةاولاد وزوجة : ١ - البنت الاولى توفيت قبل والدها بحوالى عشر سنوات سنة ١٩٣٣ م ولها أولاد مازالوا على قيد الحياة - ٢ - ابن : توفى قبل والده أيضا وبعد وفاة شقيقته الاولى وله ولدان على قيد الحياة . وبعد وفاته كتب الاب جد الاولاد نصيب والدهم خوفا من طمع الورثة ٣ - البنت الثالثة توفيت قبل والدها بحوالى ست سنوات سنة ١٩٣٨ تقريبا ولها أولاد على قيد الحياة ٤ - البنت الرابعة توفيت بعد والدها بحوالى ٣ سنوات تقريبا فى سنة ١٩٤٧ وأخذت نصيبها فى الميراث بحق الشرع ٥ - البنت الخامسة وهى مازالت على قيد الحياة ومتزوجة ولها أولاد - قسم الاب المتوفى أرضه بمعرفته قبل وفاته وترك المنزل دون تقسيم وبعد وفاته كتب هذا المنزل باسم زوجته التى توفيت عام ١٩٦٣ ميلادية وقد تركت الزوجة أم الاولاد الخمسة قطعة أرض ايضا وكتبت لاحد أولاد ابنها المتوفى قطعة أرض كمساعدةمنها فى الزواج وبمعرفة الورثة ورضاهم والابن الثانى لم يأخذ شيئا مثل شقيقه .. هذا هو ملخص السؤال الذى نرجو الاستفسار عنه - أولا هل يصح كتابة المنزل باسم الزوجة بعد وفاة الزوج مع انه كان ملكا له ؟ - ثانيا .. هل لجميع الورثة الحق فى المنزل أو أنه يخص البنت التى هى على قيد الحياة وحدها ؟ - ثالثا - هل يصح للابن الثانى ابن الابن المتوفى أن يأخذ من أرض جدته مثل أخيه أو يسقط نصيبه وهل يصح اسقاط ما أخذه الاول ؟ - رابعا ما وضع الورثة جميعهم بالنسبة للميراث الذى تركته الام وهل يكون هذا الميراث قطعة الارض والمنزل من نصيب البنت التى على قيد الحياة أو يقسم على الجميع ؟

الجواب

انه يظهر لنا من المعلومات المبينة فى السؤال ان المتوفى ترك زوجة واحدة على عصمته وقت وفاتهوبنتين موجودتين وقت وفاته احداهما توفيت بعده والاخرى لاتزال على قيد الحياة كما ترك ولدى ابن له توفى قبله كما ترك أولاد بنتين له توفيتا قبله فاذاكان الميراث قد انحصر فى هؤلاء الورثة ولم يكن للمتوفى وارث آخر فان الميراث فى تركته يكون لزوجته منه الثمن فرضا ولبنتيه اللتين كانتا موجودتين حين وفاته الثلثان فرضا مناصفة بينهما والباقى بعد الثمن والثلثين يكون لاولاد الابن المتوفى قبل والده الذكور فقط أو الذكور والاناث اذا كان فيهم انثى وفى حالة عدم وجود انثى يكون الباقى بعد الثمن والثلثين لاولاد الابن الذكور بالسوية بينهم وفى حالة وجود انثى يكون الباقىالمذكور بينهم للذكر مثل حظ الانثيين هذا ما يتعلق بتركة المتوفى الاول أما تركة زوجته فلا نستطيع الجزم من السؤال بورثتها هل هم أولاد المتوفى الأول منها فقط أو لها ورثة آخرون ويمكن للسائل أن يبين ورثتها بيانا حاصرا ليمكن اجابته عن الوارث وغير الوارث منهم ونصيب كل وارث .

واتماما للكلام على ورثة المتوفى الاول نقول ان أولاد البنتين اللتين توفيتا قبله لا يستحقون شيئا من الارث فى تركته لانهم من ذوى الارحام المؤخرين فىالارث عن أصحاب الفروض والعصبات كما انهم لا يستحقون شيئا بالوصية الواجبة لوفاة المورث قبل أول اغسطس سنة ١٩٤٦ م (تاريخ مبدأ العمل بقانون الوصية رقم ٧١ سنة ١٩٤٦ م) وما جاء فى السؤال من أن المورث بعد وفاة ابنه كتب نصيب ابنه هذا لاولاده حفظا من ضياع حق والدهم بين الورثة فان هذه الكتابة اذاكانت وصية لهم بمثل نصيب ابيهم فانها تكون وصيةاختيارية لوارث ولا تخضع لحكم المادة ٣٧ من قانون الوصية المذكور لحصول وفاة المتوفى قبل العمل بهذا القانون وانما يطبق عليها الحكم الفقهى المعمول به قبله وهو أن الوصية للوارث فى حدود الثلث صحيحة وتتوقف على اجازة باقى الورثة فان أجازوها نفذتوان لم يجيزوها لم تنفذ ويدخل الموصى به فى التركة ويقسم علىالورثة فقط وما جاء فى السؤال من أن المتوفى قسم الارض على جميع الورثة بمعرفته قبل وفاته وترك المنزل بدون تقسيم فان هذا التقسيم يعتبر وصية وطبقا للاحكام المعمول بها قبل قانون الوصية لاتنفذ وصية التقسيم الا باجازة الورثة والمنزل الذى تركه المورث بدون تقسيم يكون لكل وارث منه نصيبه الارثى على الشيوع وما جاء فى السؤال بعد ذلك كتب باسم الزوجة دون علمالورثة بعد وفاة المورث لانستطيع الاجابة عنه الا بعد معرفة من الذى كتب هذا المنزل باسم الزوجة فان كان شخصا آخر غير المورث كان تصرفا فى المنزل من غير مالكه وهو غير جائز وان كان الذى تصرف فى المنزل وكتبه باسم الزوجة هو نفس المورث فلا يتصور ماجاء فى السؤال من ان هذه الكتابة كانت بعد وفاته .

من السيد / محمد ابراهيم النجولى من المعصرة مركز بلقاس ــ دقهلية .

يقول السائل : نرجو بيان الحكم فى هذه المسألة ؟ هل من اشتغل بالجزارة وتركها من ١٢ عاما لا تقبل خطبته المنبرية ولا امامته للمصلين مع انه متفقـه فى الدين وحافظ لكتاب الله تعالى ؟

الجواب

انه ما دام الشخص الذى يشتغل فى الجزارة أو فى مهنة اخرى شريفة قد تفقه فى الدين وحفظ كتاب الله وعرف بحكم تفقهه فى الدين شروط الصـلاة واستطاع أداء الخطبة المنبرية على وجهها لوعظ الناس وارشادهم الى ما يحقق لهم الخير والسعادة فى حياتهم الدنيـا ولا يمتنع عليه بعد الخطبة أن يؤم المصلين يوم الجمعة أو فى أى صلاة من الصلوات المكتوبة لانه لم يشترط أحد من الفقهاء فى صحة أداء الخطبة يوم الجمعة أو فى امامة المصلين أن لا يكون الامام قد احترف أية حرفة كالجزارة وغيرها ولا يعقل أن يقول فقيه بذلك والله أعلم .

من السيد/السعيد عبد الله عبد اللاه ..

يقول السائل انه بعد عقـد قرانه سمع من السيدة حماته كلاما أرغمه على أن يحلف هذا اليمين بالصيغة الآتية (على الطلاق بالثلاثة بأنى لم أذهب الى العروسة بالعيد الصغير عقب رمضان الماضى) وبعد نهاية شعبان اصطلح مع حماته وذهب عندها وقبل انتهاء شهر رمضان ذهب يوم الوقفة فى العيد الصغير لكى يؤدى الواجب ومكث حتى الساعة الحادية عشرة والنصف ثم غادر المنزل وكان ذهابه يوم الوقفة بالليل على ظنه أنه بعيد عن العيد وأن أول العيد يبدأ بعد الثانية عشرة من يوم الوقفة ثم لم يذهب اليوم الأول والثانى والثالث والرابع من أجل اليمين ويطلب بيان الحكم فى وقوع الطـلاق أم لا .

الجواب

ما صدر من السائل طلاق معلق على شرط وهو ذهابه الى زوجته فى العيد الصغير الماضى وما حصل منـه ليس فيه مخالفة لهذا الشرط فلم يذهب فى أحد أيام العيد وذهابه فى آخر يوم من رمضان بالليل لا يعتبر حنثا فى اليمين ويلاحظ أن صيغـة اليمين فى صيـغ التعليق لأن المعنى ان ذهبت الى منزل زوجتى فى العيد الصغير طلقت ثلاثا وهذه الصيغة تخضع لحكم المادة الثانية من القانون رقم ٢٥ ف لسنة ١٩٢٩ م ونصهـا « لا يقع الطلاق غير المنجز اذا قصد به الحمل على فعل شىء أو تركه لا غير » وعليه فان كان قصد السائل من حلفه اليمين بهذه الصيغة حمل نفسه على عدم زيارة عروسته فى عيد الفطر الماضى بالكلام الذى سمعه من حماته ولم يعجبه منها وانه كان يكره حصـول الطلاق ولا غرض له منه فان الطلاق لا يقع ولو ذهب فعلا الى بيت عروسه فى عيـد الفطر الماضى وهو الذى يعرف قصده ونيته من حلف اليمين هذا فضلا عن أنه لم يذهب الى بيت عروسه فى العيد الذى يبدأ من فجر أول يوم من أيام العيد واغلب الظن انه لم يقصد بحلفـــه الا منع نفسه من زيارة عروسه فى العيد وتدبر فعـلا فى يمينه فلا يقع الطلاق والله أعلم .

بقية مقال « صحابى فى مصر »

وجاء فى الاستيعاب : ذكر ابو احمد الحافظ قال : أخبرنى أبو الحسن أحمد بن عمير قال : حدثنا عبد الله ابن محمد بن هارون الفريابى قال : ناعمرو بن بكر بن تميم السكسكى قال : نا ابراهيم بن ابى عبلة قال :سمعت أبا ابى .. يقول : قال رسول الله ــ صلى الله عليـه وسلم ــ : عليكم بالسنا والسنوت فان فيهما شفاء من كل داء الا السـام . قالوا : يارسول الله ، وما السام ؟ قال : الموت » . وأورد علاء الدين الكحال الحديث فى كتابه « الاحكام النبوية فى الصناعة الطبية » ص ٧٢ واخرجه ابن ماجه . وفسروا السنا بانه نبات حجازى، وتعددت أقوالهم فى السنوت . فقالوا : العسل ، ورب عكة السمن ، وحب يشبه الكمون وليس به والكمـون الكرمانى ، والرازيانج ، والسبت ، والتمر ، والعسل الذى يكون فى زقاق السمن .

وأخيرا الحديث الذى قيل انه انفرد به ، واثار عدة مناقشات واقوال ، قال ابن عبد الحكم فى فتوح مصر : « يحيى بن ايوب ، عن عبد الرحمن بن رزين ، عن محمد ابن يزيد بن ابى زياد، عن ايوب بن قطن، عن أبى عمارة .. قال : قلت : يارسول الله ، أمسح على الخفين ؟ قال : نعم . قلت : يوم ؟ قال : ويومان . قلت : ويومان ؟ قال: وثلاثة . قلت : وثلاثة ، يارسول الله ؟ قال : نعم ، وما بدا لك .. حدثناه سعيد بن عفير . قال : وحدثناه عمرو ابن سواد ، عن ابن وهب ، عن يحيى بن ايوب ، عن عبد الرحمن بن رزين ، ، عن محمد بن يزيد بن أبى زياد ، عن ايوب بن قطن ، عن عبادة بن نسى ، عن ابى بن عمارة . ولم يذكر ابن عفير عبادة بن نسى » . واخرجه ابو داود وابن ماجه والحاكم .

فالغريب أن ابن الاثير وابن حجر أوردا الحديث عن سعيد بن عفير ، وذكر فى سنده عبادة بن نسى ، ثم قالا: « رواه عمرو بن الربيع بن طارق ، عن يحيى بن ايوب، ولم يذكر عبادة بن نسى » . ومر قول ابن حجر : «رواه أبو داود وابن حبان والبغوى وغيرهم . وسقط عبادة بن نسى من اسناده عند ابن ماجه وحده » .

ولذلك طعن المحدثون فى الحديث . قال ابن عبد البر: اضطرب فى اسناد حديثه . وقال ابو داود : اختلف فى اسناده وليس بالقوى . وقال ابن حجر فى الاصابة: الاسناد ضعيف . وقال ابن حبان فى الصحابة : لست اعتمد على اسناد خبره . وقال الدار قطنى : اسناده لا يثبت . وقال ابن معين : اسناده مظلم . وقال البخارى: اسناده مجهول . وقال احمد بن حنبل : رجاله لايعرفون واخيرا قال النووى : اتفق الحفاظ على انه حـديث ضعيف مضطرب .

ولا يقتصر النقاش على سند الحديث بل يتعداه الى متنه ايضا . فقد اوردت كتب الاحاديث عن على بن ابى طالب ، وصفوان بن عسال ، وخزيمة بن ثابت : انرسول الله صلى الله عليه وسلم رخص للمقيم أن يمسح على خفه يوما وليلة ، وللمسافر ثلاثة ايام بلياليهن .

واخيرا وقع بعض العلماء فى اخطاء اخرى نتيجة الخلط بين رجلنا ورجل آخر ، كان يدعى ابى بن عمارة العبسى . قال ابن حجر فى الاصابة عن رجلنا : « ذكر ابن الكلبى عن أبيه انه ادركه ، وأن أباه عمارة أدرك خالد بن سنان العبسى الذى يقال انه كان نبيا » . وقال فى ترجمة العبسى : « فيحتمل ان يكونا واحدا » . وفى خلدى انه احتمال بعيد ، فخالد وعمارة الذى ادركه عبسيان ، أما الرجل الذى درسناه فانصارى .

ضيوف
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

سماحة شيخ الاسلام
ابراهيم ايناس

السيد محمد عياد
زعيم الشيعة
بلبنان

الحاج عبد المبين شبرد
سكرتير الجمعية الإسلامية بالملايو

استقبل السيد الاستاذ محمد توفيق عويضة السكرتير العام للمجلس الأعلى للشئون الاسلامية خلال هذا الشهر السادة زعماء العالم الاسلامى الذين قاموا بزيارة الجمهورية العربية المتحدة وهم : سماحة الشيخ ابراهيم ايناس زعيم الاسلام بالسنغال وغرب افريقية ، والسيدمحمد عياد زعيم الشيعة بلبنان والسيدة ممتازه جيهان عميدة كلية البنات الاسلاميةبجامعة عليكرة بالهند والسيد الحاج عبد المبين شبرد سكرتير الجمعية الخيرية الاسلامية بالملايو .

وقد تم اهداء الجمعيات الاسلامية بكل من السنغال ولبنان والملايو وجامعة عليكرة بالهند المصاحف المرتلة واسطوانات الصلاة .

هذا وقد قام السادة الضيوف بزيارة معالم النهضة الصناعية والاجتماعية والثقافية الحديثة بالجمهورية العربية المتحدة .

مع القراء

يحرره حسين السكري

عزيزي القارىء : الأمة الاسلامية غنيـــة بأمجادهـــا وذكرياتها ، عزيزة بايمانها ومبادئها ، قوية بعدلها وتسامحها وتمسكها بالحق لأن رسالتها تحتم عليهـــا أن تعلم الناس وتضرب لهم الأمثال .

تأييـــد :

السيد / نبيل عبد المالك محمد ـ ثانوى تجارى / الاشمونين بملوى

يضم صوته الى صوت الزميل عبد الله المدنى الذى ينادى بمضاعفة حصص الدين فى المدارس ويطالب أيضا بامتحان جميع المراحل التعليمية فى هذه المادة وعدم اهمالها .

أرجو أن يكون هذا الأمر موضع التقدير والرعاية من السيد/وزير التربية والتعليم .

ثــوار :

السيد / أحمد حسن الضمانى ـ طالب ثانوى بالعديسات / نجع الضمان .

جميل منك أن تحس باحساس الثورة وتنفعل معها .. وهذه ـ لا شــك ـ بوادر الخلق والبنــاء وأولى مراحل الاعـــداد والتكوين .. عليك بعد هذا بالاكثار من القراءة لمختلف الشعراء حتى ينضج شعرك ولا تنس الاهتمام بالقافية والوزن .

الفتوح الاسلامية :

السيد / أحمد زاهر ـ جامعة القـــاهرة ش الفسقية نمرة ٥ / جاردن سيتى

ترقب العدد القادم من المجلة فستجد فيه الرد على تلك الشبهة التى أثارها هؤلاء الزملاء حول الفتوح الاسلاميـــة خارج الجزيرة العربية ..

سيتولى الرد عليك السيد / الدكتـــور أحمد ابراهيم الشريف فى مقال واف .

تحصن بالقرآن :

السيد / سـعيد مزماوى بدر ـ شبين الكوم / منشاة عصام .

لقد عرفت العلاج بنفسك فعليك به فى كل وقت من أوقاتك .. اجعـــل أخاك يتحصن بالقرآن الكريم فهو حصن الله الحصـــين وخصوصا آية الكرسى والمعوذتين وســـورة الاخلاص وسورة يس .. وأرجو أن لايخلو منزلك من المصحف مع المداومة علـــى أداء الصلاة وسيكون فى هذا خــير علاج لطرد الارواح الشريرة .

فن القصة :

السيد / محمود محمد عبد الله ادريس ـ كلية المعلمين / القاهرة .

كتابة القصة تحتاج الى كثير من الجهـــد والخبرة والدراية ، لأنها فن من الفنـــون الرفيعة التى تعتمـــد على الاثارة والحبكة والعقدة الفنية ، وقبل هذا كله لا بد أن تكون هادفة .. فاقرأ لكتاب القصة الحديثة ولا تغفل هذه المقومات .

بريد التعارف

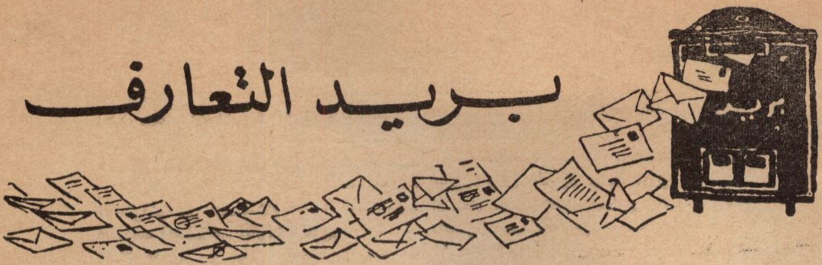

الاسم : محمد الفقيه مثنى ضالعى
البلد : اليمن
السن : ٢٠ سنة
المهنة : مدرس تحت التدريب
الهواية : قراءة الكتب والقرآن الكريم والمجلات الدينية
العنوان : مركز تدريب المعلمين شمبيون لين بعدن

الاسم : محمود خطاب محمود
البلد : الجمهورية العربية المتحدة
السن : ٢٢ سنة
المهنة : طالب بالثانوية بالجامعة الازهرية
الهواية : مراسلة الشباب المسلم وجمع الطوابع
العنوان : المندرة / رمل الاسكندرية بجوار كوبرى المنتزه

الاسم : محمد على القرعة
البلد : الجمهورية العربية المتحدة
السن : ٢٣ سنة
المهنة : موظف بالاصلاح الزراعى
الهواية : مراسلة الشباب العربى وقراءة الكتب والتصوير
العنوان : كمشيش / منوفية

الاسم : محمدى محمد حدو الشكرى
البلد : المغرب الاقصى
السن : ١٤ سنة
المهنة : طالب ثانوى
الهواية : جمع الطوابع وقراءة المجلات العربية
العنوان : المغرب الاقصى ش الحسن الثانى رقم ٥٥ الناخور

الاسم . محمد عزالدين القادرى
البلد : المغرب
السن : ١٨ سنة
المهنة : طالب
الهواية : المراسلة وجمع الطوابع ومناقشة المسائل الدينية
العنوان : ص.ب ٥٥٤ البطحاء /فاس – المغرب

الاسم : محمود أحمد ابراهيم حسن
البلد : الجمهورية العربية المتحدة
السن : ٢٥ سنة
المهنة : موظف بمراقبة المستخدمين قسم التعيينات بوزارة الاوقاف
الهواية : الاطلاع والمراسلة
العنوان : القاهرة – وزارة الاوقاف – قسم التعيينات بمراقبة المستخدمين

اقرأ فى هذا العدد :

		صفحة
معالم الطريق		٣
زعماء العالم الاسلامى فى القاهرة		١٤
حديث مع سفير ليبيا		١٧
ميشيل عفلق يجترىء على مقام سيد المرسلين	فضيلة الشيخ محمد محمد المدنى	١٩
الاشتراكية فى الاسلام	الأستاذ حسن كامل الملطاوى	٢٣
أساليب القسم فى القرآن الكريم	الدكتور أحمد الحوفى	٢٧
كلمات الحق	الأستاذ البهى الخولى	٣٠
فقهاء الأندلس وكتب الغزالى	الدكتور عبد العزيز الاهوانى	٣٨
الدين وعلم الاقتصاد	الأستاذ عيسى عبده	٤٢
رحلتى الى تونس	فضيلة الشيخ منصور رجب	٤٥
الامام الشافعى والفكر اليونانى	الدكتور عبد الحليم محمود	٥٣
عناصر الحيوية فى الدين الاسلامى	فضيلة الشيخ عبد الله المشد	٥٤
وحدة العرب دين	فضيلة الشيخ عبد الله العزازى	٥٦
عقبة بن نافع	الدكتور عمر الدسوقى	٥٨
الاشتراكية العربية والآداب المهنية	الدكتور أحمد الخشاب	٦١
خواطر مستشار	المستشار على على منصور	٦٣
الاسلام اصلاح وتنظيم	الدكتور محمد غلاب	٦٧
القرآن الكريم وأثره فى نفوس العرب	الدكتور أحمد شلبى	٦٩
الاسلام فى معركته الكبرى	الأستاذ أنور الجندى	٧٢
من دعاة الاصلاح الدينى	الأستاذ على الجمبلاطى	٧٦
الوشيجة الخلقية بين الله والناس	فضيلة الشيخ عبد اللطيف السبكى	٧٨
القلب فى الطب وفى القرآن	الدكتور ابراهيم حسن	٨٢
الاسلام والمذاهب الاشتراكية	الدكتور محمد على أبو ريان	٨٤
دول اسلامية فى أفريقية	الأستاذ عبده بدوى	٨٧
الاسلام يضع الأسس لبناء الوطن	الأستاذ عبد الحميد بلبع	٩٠
الاسراء والمعراج	الأستاذ سليمان نجا الابيارى	٩٢
القرآن والعلم الحديث	الأستاذ محمود أبو الفيض المنوفى	٩٥
حياة القلقشندى وعصره	الأستاذ محمد عبد الجواد الأصمعى	٩٧
طريق النصر	الأستاذ محمد عبد العزيز حسن عطية	٩٩
رأى ملهم لأبى بكر الصديق	الأستاذ عبد المقصود حبيب	١٠١
هل هؤلاء مسلمون حقا ؟	الأستاذ محمد محمد السباعى	١٠٤
من رجال الاسلام والوطنية	الأستاذ طاهر الطناحى	١٠٦
الاسلام دين العمل	الأستاذ عبد القادر موسى	١١٣
من اعجاز القرآن	الدكتور حفنى شرف	١١٦
عبد الناصر .. صانع السلام	الأستاذ كامل عبد المجيد	١٢٢
بين شاعرين مخضرمين	الأستاذ حسن الشيحة	١٢٥
فى رحاب القرآن	الأستاذ عبد العزيز العلى	١٢٦
هدأة الليل (شعر)	الشاعر عبد الله شمس الدين	١٢٩
عودة الجيش الظافر (شعر)	الشاعر محمد حليم غالى	١٣١
المعجزة (قصة العدد)	الأستاذ حسين القبابى	١٣٢
باب زويلة (الفن الاسلامى)	الأستاذ محمود وصفى	١٣٥
الى ثورة الجزائر (شعر)	الشاعر محمد عبد الهادى العجيل	١٤٠
الأحنف بن قيس	الأستاذ محمد سيد جاد الحق	١٤٣
الحدود فى الاسلام	الأستاذ محمود لطفى عبد الكريم	١٤٥
صحابى فى مصر	الدكتور حسين نصار	١٤٨
من أعلام الاسلام	الأستاذ عبد العزيز الاسلامبولى	١٥٠
الاطار العام لدراسة المكتبات	الدكتور سعد الهجرسى	١٥٣
المرأة المسلمة	الأستاذة نجاة الزنيرى	١٥٥
لماذا أسلمت ؟		١٥٨
دعوة مخلصة	تحقيق صحفى قام به حامد المرسى	١٦٠
الاسلام	سماحة شيخ الاسلام بالسنغال ابراهيم اينياس	١٦٧
المفتى	فضيلة الشيخ حسن مأمون	١٦٩
ضيوف المجلس الأعلى للشئون الاسلامية		١٧٣
مع القراء	الأستاذ حسين السكرى	١٧٤
بريد التعارف		١٧٥

١٤/٢٥

المجلس الأعلى
للشئون الإسلامية
يقدم للعالم ..

دراسات في الميثاق

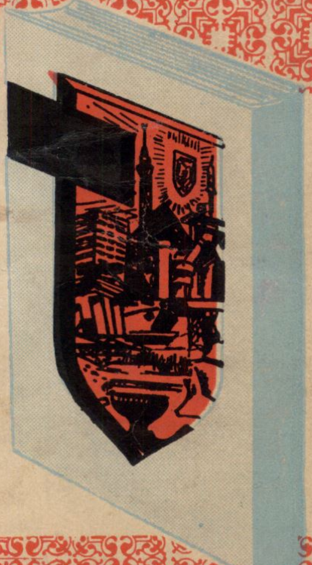

• اشترك في تحريره
أعلام الأدب والفكر ..
• يتناول الجوانب المختلفة
من الميثاق ..
• كتاب يهم كل مواطن
ولا يستغنى عنه عربي ..

يطلب من :
مقر البيع للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية
٧٦ شارع الجمهورية بالقاهرة
دار القلم والمكتبات الشهيرة

مطابع شركة الاعلانات الشرقية